

International Islamic University

Islamabad-Pakistan

Faculty Of Usuluddin

Department Of Tafseer & Quranic Sciences



الجامعة الإسلامية العالمية

إسلام آباد- باكستان

كلية أصول الدين

قسم التفسير وعلوم القرآن

تحقيق مخطوط تفسير إمام الرحمن للشيخ عبيد الله السندي (١٩٤٤ء)

(من سورة العلق إلى سورة القيامة)

لنيل درجة الدكتوراه

إعداد الطالب

سيد متين أحمد شاه

التسجيل: 195FU/TQS/PhD/F14

المشرف

الأستاذ الدكتور تاج أفسر

كلية أصول الدين

قسم التفسير

الجامعة الإسلامية العالمية

إسلام آباد



PhD

۱۲۲۰۷ و ۲۹۷

م ت ت

قرآن کریم - بحوث

قرآن کریم - مخطوطات

قرآن کریم - تحقیقات

قرآن کریم - تفاسیر

قرآن کریم - إلهام الرحمان

قرآن کریم - مجید الله السنوی

قرآن کریم - سورة العلق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كلمة الشكر والتقدير

إلى والديَّ الكريمين الذين رباني صغيراً ولم ترل شجرة أدعيتهما وارفة الظلال عليَّ في مضممار حياتي!

إلى الداعية الكبير مولانا طارق جميل حفظه الله تعالى الذي بثت دعوته في قلبي محابي الحب والحنان نحو علم التوبة.

إلى أستاذي مولانا محمد زاهد حفظه الله تعالى الذي كان عونه أول مساعد لي في الطريق إلى الجامعة الإسلامية!

إلى مشرفي على الرسالة الأستاذ الدكتور تاج أفسر حفظه الله، والذي كانت شففته وعنايته زاداً في هذا المسير العلمي.

إلى جميع أساتذتي من العلماء الأجلاء، وأصحاب الفضل عليَّ من الكرماء النبلاء الذين أضاءوا لي الطريق، وكانوا لي على درب العلم خير معين وصيدق! إليهم جميعاً:

أهدي هذا العمل المتواضع عرفاناً وتقديراً، وإجلالاً وتعظيمًا، وما هو إلا غيض من فيض، وقليل من كثير، عساه يرد إليهم بعض ما لهم، وعسانا وإياهم لرضاربنا ثموز، وبجنته نفوز، إنه على ما يشاء قدير، وبإجابة الدعاء جدير.

لجنة المناقشة للحصول على درجة الدكتوراه.

قسم التفسير وعلوم القرآن، كلية أصول الدين.

الجامعة الإسلامية العالمية، إسلام آباد - باكستان.

أجريت المناقشة على تحقيق مخطوط التفسير إلهام الرحمن.

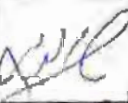
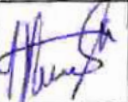
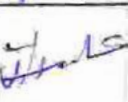
الموضوع:

تحقيق مخطوط التفسير إلهام الرحمن للشيخ عبيد الله السندي: من سورة العلق إلى سورة

القيامة

التاريخ:

أعضاء لجنة المناقشة:

الرقم	المتنقش	الاسم	التوقيع
١-	المتنقش الخارجى - ١	الأستاذ الدكتور تاج الدين الأزهري	
٢	المتنقش الخارجى - ٢	الأستاذ الدكتور عبد الحميد العباسي	
٣-	المتنقش الداخلى	الأستاذ الدكتور الأستاذة جيندا محمد ناسي	
٤-	المشرف على البحث	الأستاذ الدكتور تاج أفسر حفظه الله	

إن علماء الأمة قد تركوا لنا تراثاً علمياً هائلاً ذخرت به المكتبة الإسلامية، والمطبوع من هذا التراث أقل من المخطوط، ومخطوطاتنا تزدهم بما مكتبات العالم في الشرق والغرب، ثم إن الكلام عن التراث يبدأ حينما ظهرت المطبعة، واكتشفت آلات الطباعة التي جعلت أمر الكتابة سهلاً وجعل المثقفون يتحدثون عن المخطوطات وطبعها، وكانت طريقة النشر عبارة عن مجرد طباعة النص المخطوط دون اهتمام بمقابلة النسخ المتعددة إن وجدت، ولا تصحيحها، ولا فهرسة لها. وقد بدأت مهمة نشر التراث الإسلامي عند المستشرقين، وما زال هذا العمل قسماً جوهرياً في مجال البحث والتحقيق، فقام كثير من طلبة العلم بتحقيق المخطوطات الموجودة في مكتبات العالم، وقد حظيت المكتبة الإسلامية بحظ والفهم من تحقيق المخطوطات والتراث والنصوص العلمية، ونشط في ميدانه كثير من رجال العلم الذين شاركوا في إحياء التراث الإسلامي، وأصبحت بعض الجامعات العربية تشترط أن تكون أطروحة الدرجة العلمية في تحقيق كتاب من كتب التراث، وكل أولئك عوامل رئيسة كان لها أثر في إملأة اللبام عن هذا العباب الزاخر من مصنفات السلف التي تفرخ بها مكتبات العالم.

والمراد من تحقيق المخطوطات إخراج غير المنشور إلى منصة المنشور بثقة أن ما جاء في حلة للنشر الشهباء هو حصيلة فكرة من ناسب إليه بألفاظه بقدر الإمكان.

ولو نظر إلى التراث الهائل المبعثر في مكتبات شبه القارة الهندية، نرى أن هذا التراث له قيمة علمية كبيرة وإنه بحاجة ماسة إلى إخراجه في ثوب الطباعة بعد البحث والتحقيق كي يزدهر تراثنا، وهذه المصنفات تتعلق بجميع الآداب والفنون على رأسها علم التفسير، فلاهل الهند مصنفات كثيرة في هذا التفسير وترجمة معاني القرآن الكريم وكتب التفسير على بعض أجزاء القرآن وفي تفسير آيات القرآن والشروح والحواشي على كتب التفسير والكتب في علوم القرآن وفي القراءة والتجويد وما إلى ذلك.

نفي مجال تفسير القرآن الكريم وعلومه نجد شخصية علمية فذة لها باع طويل في هذا الباب، ألا وهي شخصية الشيخ عبيد الله السندي (١٨٧٢-١٩٤٤هـ) الذي كان حقا شارحا كبيرا لفكرة الإمام الشاه ولي الله الدهلوي الذي كان أول مفكر إسلامي في شبه القارة، فقد كتب في الجوانب السياسية والاقتصادية للإسلام، ومثبها إلى هذا الجانب يقول شاعر الشرق محمد إقبال: "إن كتابه الشيخ الشاه ولي الله الدهلوي حول السياسة والاقتصاد عمرة للعقول. جدا في زمن كانت قوى المسلمين العلمية والعملية في معرض الزوال كتهوهمهم في مجال السياسة والحكومة، وكان الناس يتوغلون في أمور لا طائل تحتها، وإن الشاه ولي الله هو الرائد الحق لنشأتنا الثانية".^(١) ويقول أيضا: "نحن - المسلمون - في مواجهة

١ - سيد نذير نيازى، اقبال کے حضور (لامہور: ایکادیمية اقبال، ٢٠١٢ء)، ٣٠٣.

مهمة كبيرة جداً، ولاني أرى لزوماً علينا أن نفكر في الإسلام من جديد كنظام حيّ دون أي انقطاع عن ماضينا، ولعل الشيخ الشاه ولي الله الدهلوي كان أول من شعر بالنهضة الجديدة^(١) ويكتب إقبال في رسالة إلى المولوي أحمد رضا البجنوري^(٢): "هل يمكن لك أن تجوز لي اسماً لعالم له نظرة ثاقبة على الفقه الإسلامي والأصول والفقه والتفسير مع الخبرة التامة بفلسفة الشاه ولي الله وكتابات، فلو أجد هذا العالم، فأهني له فرصة القيام عندي لقسط من الوقت وأدفع له عوضاً عن ذلك مكافئة مالية^(٣)، لعل محمد إقبال لم يعرف الشيخ عبيد الله السندي في هذا الصدد، فإنه كان شخصية لا تفتقر لهذه المهمة العلمية.

يقول الشيخ السندي عن تدبره القرآن وتذوقه: "ما زلت أطلع القرآن العظيم وحجة الله البالغة منذ ١٢، ١٣ سنة، وفي ذلك الزمان قمت بحل المواضع المشككة القرآنية لدى علي أصول الإمام ولي الله الدهلوي بالطمأنينة، وأما الذين لا يشهدون بمكانة الإمام ولي الله، لا أستطيع الادعاء أن أجعلهم مطمئنين، ولكنني رأيت أنذاك برنامجاً عملياً للتعليم العملي حسب أصولي، ولابد من الشهادة بتأثير ذلك للمقام المقدس المتجلي..."^(٤)

فقطراً إلى مقام الشيخ السندي في التفسير وعلوم القرآن اخترت أن تكون أطروحتي للدكتوراه تفسيره باللغة العربية تفسير إمام الرحمن.

موضوع الرسالة وأسباب اختيار الموضوع وأهميته

موضوعي في هذه الرسالة تحقيق مخطوط تفسير إمام الرحمن للشيخ عبيد الله السندي (١٩٤٤) من سورة العلق إلى سورة القيامة. أما بالنسبة إلى أسباب اختيار الموضوع فهي تكمن في النقاط التالية:

١- كما يقدر العلماء مجموع المخطوطات الإسلامية في العالم بعشرة ملايين مخطوط، بما في ذلك من تكرارات للنسخة الواحدة، ولم يطبع منها حتى الآن معشار عشرينها، وهي تشكل مجموعها ثروة علمية هائلة في شتى فروع المعرفة بحاجة لمن يظهرها إلى عالم الطباعة لينتفع بها المسلمون، ولذلك أدخل تحقيق المخطوطات إلى الدراسات العليا في الجامعات مؤخرًا، ومن التراث الإسلامي في شبه القارة - عدا التحقيقات العلمية العديدة - الذي ترك لنا الشيخ السندي، تفسيره باللغة العربية المسمى بـ إمام الرحمان في تفسير القرآن، وقد ترجم شيء منه إلى اللغة الأردنية في مجلد واحد كما تقدم ذكره، ولكن

١ - محمد إقبال، التكوين الجديد للفكر الديني في الإسلام، ٩٧.

٢ - توجد في مكاتيب محمد إقبال مكاتيب إلى الرجل المذكور ولم أستطع الوصول إلى ترجمته.

٣ - محمد عطاء الله، إقبال عام، ٢٤١-٢٤٢.

٤ - عبد الله اللغاري، مولانا عبيد الله سندھی کی سرگزشت کاٹل، رتبه، الدكتور غلام مصطفی خان، خود نوشت حالات بقلم الشيخ عبيد الله السندي (إسلام آباد: قومی ادارہ برائے تحقیق تاریخ و ثقافت، ٢٠١٧ء)، ١٤.

مخطوطه الأصل موجود في المكتبات من دولتنا، ونسخة من هذا المخطوط، كما نرى، توجد في مكتبة مجمع البحوث الإسلامية بالجامعة الإسلامية العالمية، وهذا المخطوط كان في حاجة إلى تحقيق وتعليق وأخراجه في القرب الجديد، فاخترت هذا المخطوط في مرحلة الدكتوراه، وكثيرا ما نرى في بلاد العرب أن الطلاب من مراحل الماجستير والدكتوراه يختارون المخطوطات العلمية للبحث والتحقق في مراحلهم الدراسية.

٢- وهذا الأمر يثري ويجدي كثيرا للمكتبة الإسلامية.

٣- وهذا التفسير له ميزات عديدة، كما مر ذكرها، من أكبرها أنه لا ينظر إلى تفسير القرآن تعبيرا حرفيا، بل يربط التعاليم القرآنية بنظم الاسلام الاجتماعي، وهذا من أكبر التحديات التي يواجهها العالم الإسلامي اليوم حيث نسمع هتافات التفريق بين الدين والدولة وأن الدين أمر شخصي لا علاقة له بأمور الدولة والمجتمع، ولكن على العكس من ذلك ترى فلسفة الشيخ الشاه ولي الله - الذي تجلت فكرته في التفسير إمام الرحمان وكتايبات الشيخ السندي الأخرى - إلى الاسلام نظرة متكاملة وتقدمه ديننا جديرا بهداية الإنسانية في كل عصر ومصر. وفي هذا الصدد يمكن الاختلاف مع الشيخ السندي، ولكن باحاطة الظويل في تدبر القرآن وفهمه لفلسفة الشاه ولي الله لا يمكن إنكاره.

الدراسات السابقة

كما ذكر آنفا أن تفسير إمام الرحمان قد طبعت ترجمة سورة البقرة منه إلى اللغة الأردية، ولكن لم نطلع على من قام بتحقيق مخطوطه الكامل، وأما فكرة الشيخ السندي فقد كتب حوله كتب عديدة، ولكنها لا تتعلق مباشرة بموضوعنا.

إشكالية البحث

أما إشكالية البحث فهي تكمن في النقاط التالية:

١- من هو الشيخ عبيد الله السندي؟

٢- ما هي خدماته العلمية؟

٣- ما هو تفسير إمام الرحمن وما هي أبرز ميزاته؟

٤- هل يصح نسبة تفسير إمام الرحمن إلى الشيخ السندي؟

٥- ما هي الميزات المنهجية لتفسير إمام الرحمن؟

٦- ما هو تحقيق المخطوط وما هي مخطوطات تفسير إمام الرحمن؟

ما هي الفروق الموجودة في نسختي تفسير إمام الرحمن؟ وفيه ذلك.

منهجي في البحث

في تحقيق مخطوط تفسير إمام الرحمن قد اخترت منهج الوصفي والنقدي، حيث قمت بتعريف التفسير وإبراز خصائصه المنهجية في هذه المقدمة، ثم خلال تحقيق المخطوط قمت بالانتقاد على موقف السندي في بعض المواضع وإبراز الأخطاء اللغوية في التفسير.

التعريف بالمؤلف الشيخ عبيد الله السندي

إن الشيخ السندي ولد في بيت وثني في التاسع من شهر المحرم الحرام ١٢٨٩هـ في سيالكوت، وعجلت منية والده قبل ولادة الشيخ السندي، فترقى في حجر خاله وتعلم العلوم المختلفة في المدرسة الإنكليزية، وبعد منام مبارك قد مال إلى دين الإسلام وقرأ بعض الكتب كتحفة الهند^(١) للشيخ عبيد الله الباطلي^(٢) وتقوية الإيمان للشيخ الشاه إسماعيل الدهلوي^(٣) حتى دخل نور الإسلام في صدره، فغادر بيته مهاجراً إلى الله إلى أرض الهند سنة ١٣٠٤هـ وأسلم على يدي الشيخ محمد الصديق البهرجوندي (مهرجندوي)، وبعد مبايعة السلوك على يده اشتغل في طلب العلم، وبعد اكتمال التعليم الابتدائي سافر إلى ملتان ومنها إلى ديوبند وقرأ بعض الكتب ثم سافر إلى كانبور وقرأ على يدي الشيخ أحمد حسن الكانبوري^(٤) ثم رجع إلى ديوبند وتعلم على يدي الشيخ محمود حسن، ودرس بمدرسة

١- هذا كتاب في تحقيق ديانة الهند مطبوع متداول.

٢- هو عبيد الله السلفي الباطلي صاحب تحفة الهند، وهي رسالة هدى الله بها كثيرا من الناس منهم الشيخ عبيد الله السندي. وكان قد قبل الإسلام وكان اسمه قبله انتت رنم. (عبد الحفي بن قنبر الدين بن عبد العلي المحمدي الطالبي، الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام المسمى بـ (نزعة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر) (بيروت: دار ابن حزم، ١٩٩٩هـ)، ٨: ١٢٩٩.

٣- هو الشيخ إسماعيل بن عيد الغني ابن ولي الله الدهلوي، ولد بدعلي ل ١٢ من ربيع الثاني سنة ١١٩٣هـ، وقرأ كتب الدرس عن عميه الشيخ رفيع الدين والشيخ عبد العزيز، ثم لازم السيد أحمد بن عرفان الشهيد وقد امتشهد في بالاكوت، له كتب منها عبقات وتقوية الإيمان وغير ذلك. (للمصدر نفسه، ٧: ٩١٤).

٤- هو الشيخ أحمد حسن الحنفي الكانبوري من العلماء المشهورين في كثرة الدرس والإفادة، لازم لطلب العلم الشيخ لطف الله بعلكره وتخرج عليه بولي التدريس بمدرسة مظاهر العلوم في سهارنپور لدرس بها ثم ولي بقبض عام في كانبور، وكان عالماً جامعاً بين العلم والعمل، مات في سنة اثنين وعشرين وثلاثمائة ببلدة كانبور. (المصدر نفسه، ٨: ١١٧٩).

الرشاد في السند، ثم رجع إلى ديوبند وأسس مؤتمر جمعية الأنصار وذلك لأجل اجتماع الرققاء القدماء
لدار العلوم بديوبند لترويضهم وبث الحركة فيهم، ولكن لأجل بعض الخلافات مع الرققاء سار إلى دهلي
وأسس نظارة المعارف بفناء المسجد الفتحي وأخذ يدرس القرآن وحجة الله البالغة والكتب الأخرى،
وبعد تشوب الحرب الكبرى الأول سافر إلى أفغانستان بحمل رسالة الجهاد ضد الاستعمار، وفي الخامس
ذوي الحجة من سنة ١٣٣٢ هـ ورد في كابل ولقي الأمير حبيب الله خان والي أفغانستان، واقترح عليه
زحف الجنود إلى الهند واتفقوا على أنه إذا نجحت هذه المهمة فإنه سيجلس على حرش دهلي ابن من
أبناء الأمير كملك دستوري للبلاد، وقامت في كابل حكومة هندية مؤقتة كان رئيسها راجه مهندر برتاب
أحد الثوار من الولاية الشمالية الهندية، وكان الشيخ السندي وزير الأمور الداخلية في هذه الحكومة،
وبدأ عبید الله يشكل جماعة ثورية سماها جنود الله، وأرسل في هذه المدة رسائل سرية إلى الشيخ محمود
حسن والتي اشتهرت بالرسائل الحربية المكتوبة على مناديل من الحرير، ولكن مثل هذه المهمات قد
جرت المكابد إلى الشيخ السندي في أفغانستان، وأثناء ذلك كان الشيخ يركز على تعليم المتقنين الجدد
المهاجرين من الهند إلى أفغانستان، ولكن بعد مدة قد اغتيل الأمير حبيب الله خان وخلفه ابنه الأمير
أمان الله خان، ونشط الشيخ السندي في مهمة الجهاد، وخلال ذلك نشبت الحرب بين الإنكليز
وأفغانستان وكان من قصد الشيخ السندي أن يثير الحكومة الأفغانية على تأييد القضية الهندية، ولقي
لهذا اللزام القائد التركي جمال باشا حين زيارته كابل سنة ١٣٣٩ هـ، وفي هذا الجو قد طاق جمال العمل
للشيخ السندي فغادر كابل سنة ١٣٤١ هـ مع زملائه وتحمل المكابد في هذه الرحلة ووصل في ماسكو
بعد مروره ببخارا وتاشقند. وأقام في ماسكو نحو تسعة أشهر، و تعلم قدر مستطاعه فلسفة الشيوعية
ونظمها بمساعدة زميله ظفر حسن أيلك، ولقي بعض زعماء الحركة، وهناك رتب خطة للحكومة الحرة
الهندية تقوم على الوفاق، وطبعها وأرسلها إلى الهند، ثم غادر إلى تركيا لتكميل تلك الخطة التحررية
الجهادية، ومكث في أنقرة ثم في استنبول وقابل عصمت باشا، ثم من هناك سافر إلى مكة المكرمة عن
طريق إيطاليا، ومكث نحو خمس عشرة سنة في هذه البلدة الطيبة ودرس تفسير القرآن للراغبين والطلابين،
وهناك ألقى على بعض تلامذته تفسيره إلهام الرحمن والذي أنا بصدد تحقيقه والتعليق عليه، وسبحي
الكلام حوله بعد قليل، ثم عاد إلى وطنه ووصل إلى كراتشي وكانت الأحوال قد تغيرت وفي هذه المرحلة
قد أبدى الشيخ بعض أفكاره التي نالت النقد من قبل العلماء، وهي التي مازالت موضع الغرض لسهام
التافدين، كما أنه قد دافع عنه العلماء الأجلاء في شبه القارة أمثال الشيخ حسين أحمد المدني والشيخ
غلام مصطفى القاسمي والشيخ سعيد أحمد أكبر آبادي وغيرهم، وقضى الشيخ هذه المرحلة تارة في
دهلي وتارة في السند، وكان يدرس حجة الله البالغة للشاه ولي الله الدهلوي على غطه الخاص حتى وافته
المنية في ٣ رمضان سنة ١٣٤٣ هـ ودفن بجوار شيخه غلام محمد بقرية دين فور من توابع بمالغور.

كان الشيخ عبيد الله السندي نابغة من نوابغ عصره في قوة الإرادة وتحمل المشقات، وكان مفرط الذكاء وجيد الاستعداد في فنون شتى، وكان عظيم الشغف بأفكار الشاه ولي الله الدهلوي دراسة وتدبراً وتطبيقاً على الأحوال الراهنة، وكان يدرس القرآن الكريم أيضاً في ضوء فكرة الشاه ولي الله الدهلوي، وله منهج خاص في تفسير القرآن، كان يستنبط منه دقائق السياسة العصرية، والمذاهب الاقتصادية، وكان يتوسع في الاعتبار والتأويل، ومن تلامذته النجباء الشيخ أحمد علي اللاهوري^(١)، والبروفسور محمد سرور ومحمد موسى جار الله^(٢) من علماء الروس وغيرهم.^(٣)

جهود علماء شبه القارة في مجال التفسير والتعريف بتفسير إلهام الرحمان في تفسير القرآن وأهم ميزاته ومنهج المؤلف فيه

إن أرض شبه القارة أرض خصب لإنجابها علماء أفذاذاً في شتى المجالات منها مجال التفسير، وقد قام علماء كثيرون في كتابة التفاسير للقرآن الكريم، وهذا التاريخ وإن كان له جذور بعيدة إلا أننا نلاحظ حركة عامة في هذا المجال بوجود الشاه ولي الله الدهلوي الذي قام بترجمة معاني القرآن إلى اللغة الفارسية كاملاً، ثم قام أبناه الشاه رفيع الدين الدهلوي و الشاه عبد القادر الدهلوي بترجمة معاني القرآن إلى اللغة الأردية، ومن هذا يتسلسل الأمر فنرى العلماء يلعبون دوراً جباراً في كتابة التفسير والكتب المتعلقة بعلوم القرآن، وهذه العملية نراها في اللغات المختلفة منها الأردية والعربية والفارسية والتفاسير في اللغات المحلية. إن من تراث الشيخ السندي التفسيري، تفسيره باللغة العربية المسمى بـ إلهام الرحمان في تفسير القرآن، وقد أملاه الشيخ السندي على تلميذه موسى جار الله العالم الروسي الذي تم لقاءه مع الشيخ السندي خلال سفره إلى روسيا، وخلال إقامته بمكة المكرمة قد لقيه مرة ثانية فاستقى من منبع علمه،

^١ - هو شيخ التفسير أحمد علي اللاهوري مجاهد حركة المنديل الحريوي وحركة حرية الهند ، ولد سنة ١٨٨٧ء وتوفي سنة ١٩٦٢ء. قد استفاد من الشيخ عبيد الله السندي وقضى معه خمس سنوات في أمروت (في السند) وبعد الفراغ درس في مدرسة دار الارشاد وقد لعب الشيخ دوره في جمعية علماء الإسلام، وكان يدرس القرآن الكريم نفع به خلفا كثيرا.

^٢ - موسى جار الله (١٢٩٥هـ - ١٣٦٩هـ / ١٨٧٨ء - ١٩٤٩ء) هو موسى جار الله، ابن فاطمة، التركستاني القازاني التاتاري، الروستوفدوني الروسي: شيخ الإسلام بروسيا، قبل الثورة البلشفية وفي إبانها. ولد في (روستوف دون) بروسيا. وتفقه بالعربية وتبحر في العلوم الشرعية. ثم كان إمام الجامع الكبير في بتروغراد (لنينغراد) وحج وجاور بمكة ثلاث سنين. وقد لقي الشيخ السندي خلال سفره إلى روسيا، ثم لقيه مرة ثانية في مكة المكرمة حيث تعلم على يديه فلسفة الإمام الشاه ولي الله. ومن كتبه: تاريخ القرآن والمصاحف، شرح ناظمة الزهر، نظام التقويم في الإسلام، نظام النسيء عند العرب، الوشيع في نقض عقائد الشيعة وغير ذلك.

^٣ - لينظر لأحوال الشيخ: الحسيني، نزهة الخواطر ، ١٣٠٠-١٣٠٢.

فطلقى عنه فكرة الإمام الشاه ولي الله فتصح هذا التفسير بالسماع من الشيخ السندي، وذلك فقط في مدة وخمسين يوماً^(۱)، وخلال هذه المدة كان معه الشيخ عزيز أحمد ابن أخ الشيخ السندي وأخو الشيخ أحمد علي اللاهوري، وقد أخذ نسخة هذا التفسير من الشيخ موسى جبار الله وجاء بها إلى الهند، وقد حقق ونشر جزءاً منه (من سورة الفاتحة إلى سورة الأنفال) الشيخ غلام مصطفى القاسمي السندي من أكاديمية الشاه ولي الله حيدر آباد، وقد ترجم هذا التفسير إلى اللغة الأردية من البقرة إلى المائة، محمد عبد الرزاق خريج دار العلوم ديوبند وتلميذ الشيخ السندي، ثم قام بعمل الترجمة من بداية مقدمة التفسير وسورة الفاتحة وسورة الأعراف إلى سورة التوبة، مولانا محمد قاسم، ونشر هذه الترجمة مولانا محمد معاوية من كير والا بلدة معروفة. وهذه الترجمة مطبوعة من مكتبة أوراق لاهور وتوجد في الأسواق والمكتبات.^(۲) ولكن بقية المخطوط لا تزال في حاجة إلى إخراجها في ثوب يليق بمكانتها العلمية.

نسبة التفسير إلى الشيخ السندي

من الأمثلة التي مازالت موضع النقاش عند معني فكرة الشيخ السندي، ما نجده في الكتب المكتوبة باسم الشيخ السندي، أكله من فكرته أم بعضه دخيل من قبل تلامذته؟ وهذا السؤال حقاً حتى الآن يدور بين الإجابتين: بعض العلماء مثل الشيخ عبد الحميد السواتي^(۳) والشيخ زاهد الراشدي^(۴) والشيخ عبد الحق خان يثير^(۵) يقول إن تلامذة الشيخ السندي أدخلوا في كتبه ما ليس من فكرته الأصلية، وبعضهم مثل أبي سلمان شاه جهان فوري^(۶) يقول إن تلامذة الشيخ قد عبروا عن فكرة الشيخ السندي بالفاظهم، ولكن جوهرها ومغزها من فكرة الشيخ السندي. وهذا السؤال أيضاً موجه إلى تفسير الشيخ السندي لإمام الرحمن، فيقول الشيخ عبد الحميد السواتي:

هذا [التفسير] لم يكتبه الشيخ السندي بيوعه، بل إنه خطاب إمامي، نعم إن كثيراً مما فيه هو من كلام الشيخ السندي، ولكن من الظلم نسبة الكتاب بأكمله من البداية إلى النهاية إلى الشيخ السندي، ويصح أن نعتبر هذه النسبة بالخيانة العلمية، فإن بعض ما فيه مشتبّه وخطأ لم يقل به الشيخ السندي ولا هو يلائم فلسفة الشاه ولي الله، وقد جاء موسى جبار الله في السنوات الأخيرة من عمره إلى الهند ومكث في بمونال... (وقد أملاً عليه الشيخ السندي هذا التفسير

١ - عبد الحميد السواتي، **مولانا حميد الله مدني کے علوم و افکار** (جوجرانوالہ: مکتبہ حمیدیہ، ۱۴۲۳ھ)، ص ۶۷.

٢ - لينظر: الترجمة الأردية لإمام الرحمن (لاهور: مكتبة أوراق، ۲۰۰۵ء)، ص ۲۶.

٣ - هو الشيخ عبد الحميد السواتي، باني مدرسة نصرة العلوم بجوجرانوالہ، وله تفسير ضخم للقرآن الكريم على

منهج فكرة الشاه ولي الله الدهلوي. وله كتاب حول الشيخ السندي باسم: **مولانا حميد الله مدني کے علوم و افکار**.

٤ - هو من العلماء الكبار في باكستان، شيخ الحديث بمدرسة نصرة العلوم المذكورة.

٥ - هو أخو الشيخ زاهد الراشدي صاحب تصانيف شتى.

٦ - هو من المحققين الكبار في باكستان، له تصانيف عديدة حول الموضوعات المختلفة.

وأبدي مسرته. ولا نجد مثل هذه الصراحة عن الأمالي الأردنية والسندية، فلا يمكن الثقة بهذه الدرجة على أية مجموعة من مجموعات الأمالي سوى أمالي موسى جار الله^(١).

هذان رأيان لعالمين جليلين هما مكانة مسلمة في الأوساط العلمية، ففي ضوء الشيخ موسى جار الله يترجح رأي الدكتور سلمان شاه جهانفوري، لأن القارئ حينما يرجع إلى كتب أخرى عن أفكار الشيخ السندي ألفها تلامذته آخرون مثل البروفسور سرور، إنه يجد نفس الفكرة فيها، فيتلجج في خلده هل أجمع جميع التلامذة على النص كما يدعي العلماء مثل الشيخ السوي وأمثاله؟ الأمر أن من سجية الإنسان جرّ الشخصيات الفذة إلى شاكالات ذهنية خاصة له، وإذا ما لم يلائم شيء من أفكار تلك الشخصيات بما عنده من الشاكلة للخصوصية، يقوم بالتأويلات أو إدعاء أنهم لا يمكن منهم صدور مثل هذه الأفكار، والأمر أن الشخصيات العبقريّة لا يقتلن خاص من العامة، وأنهم يكونون فكراً خاصاً لهم يمكن الاختلاف عنه، ولكن لا ينبغي أن نجبرهم إلى الشاكالات الخاصة لنا، فإن هذا يضر فكرهم ويخفي معالم شخصياتهم، وهذه الكارثة قد حلت - للأسف - على فكر كثير من الأعلام مثل ابن تيمية والشاه ولي الله ومحمد إقبال وغيرهم.

الميزات المهمة للتفسير إمام الرحمن

إن تفسير إمام الرحمن ما زال مخطوطاً ولم ينشر بأكمله حتى الآن، وتوجد له نسخة في مكتبة حميد الله التابعة لمجمع البحوث الإسلامية، إسلام آباد، وللتفسير نسخة أخرى بمليزيا، وهذا المقال مبني على أساس المخطوط الأول، فبعد الرجوع إلى هذا المخطوط، فمت بدرامته، وهناك بعض الاختصاصات المنهجية للتفسير، والمنهج المتبع فيه المنهج الوصفي النقدي.

١- تفسير القرآن حسب ترتيب النزول

من الميزات المهمة لتفسير إمام الرحمن أنه اتبع فيه مؤلفه الترتيب النزولي دون التفسير المتبع عند عامة المفسرين، وهذا الاتجاه التفسيري من مميزات القرن العشرين حيث قام بعض المفسرين بتفسير سور القرآن الكريم حسب ترتيب النزول^(٢).

^١ - للرجع نفسه، ٢٥٠.

^٢ - ومن هذه التفسيرات:

١- تفسير بيان المعاني للشيخ ملا حبيب آل غازي الفراقي الديمزوري (١٨٨٠-١٩٧٨)، وهذا التفسير في ستة مجلدات. (مطبعة الرقي - دمشق، ١٩٦٥)

٢- التفسير الحديث لمحمد عزت دروزة (١٨٨٧-١٩٨٤)، والتفسير في عشر مجلدات.

٣- فهم القرآن الحكيم - التفسير الواضح حسب ترتيب النزول لمحمد عابد الجابري (١٩٣٥-٢٠١٠) والتفسير في ثلاث مجلدات.

هناك أمر ينبغي أن نأخذ به وهو أن ترتيب القرآن حسب ترتيب النزول أمر لا يتوقف على التوقيف، وليست عندنا روايات معتبرة ترشدنا على هذا الترتيب بالجزء، وجميع المفسرين عبر التاريخ قد اختاروا الترتيب المصحفي في تفسير القرآن. وقد ذكر في كتب علوم القرآن أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه كان عنده مصحف حسب ترتيب النزول، ويقول العلامة جلال الدين السيوطي في هذه الصدد: "وما استدلل به لذلك اختلاف مصاحف السلف في ترتيب السور فمنهم من رتبها على النزول وهو مصحف علي كان أوله اقرأ ثم المدثر ثم ن ثم الزمل ثم تبت ثم التكويم."^(١) ولكن الترتيب الذي تم عليه الاتفاق في عهد عثمان هو الترتيب الموجود اليوم، ولم يحصل لمصحف علي رواج في الأمة ولا هو موجود بين أيدينا، ولذلك نرى في التفاسير المذكورة - منها إمام الرحمن - أنه لا يوجد فيها ترتيب موحد، بل هناك تقديم وتأخير في وضع السور.

٢- مراعاة فكرة الإمام الشاه ولي الله الدهلوي في تفسير إمام الرحمن

الشيخ ولي الله الدهلوي (١٧٠٣ - ١٧٦٢ هـ) أحد العلماء النبلاء، كان أبوه الشيخ عبد الرحيم من أعيان الدهلي، أخذ العلوم عن والده الشيخ عبد الرحيم وفرغ من التحصيل في اثناس عشر من عمره، كان قد حصل له الفتح العظيم في الفوحيد والجانب الواسع في السلوك، وكان قد خاض في بحار المذاهب الأربعة ونظر في مستدلائهم وارتضى بطريق الفقهاء المحدثين. رحل إلى الحرمين فمكث هناك عامين وصحب العلماء هناك واستفاد منهم، وكان له يد طويل في شق فتون وعلوم من التفسير والحديث والأصول والفقه والتصوف والكلام وغير ذلك. له ترجمة فارسية للقرآن والفوز الكبير في أصول

٤- معارج الفكر ودقائق الدبر للشيخ عبد الرحمن حسين جبنة الميلاقي (١٩٢٧ - ٢٠٠٤ هـ)، والتفسير في

خمس عشر مجلداً، ويحتوي على تفسير السور المكية، ولكن المؤلف لم يوفق لإكماله. وهذا النوع من التفسير من الاتجاهات الجديدة في تفسير القرآن، ولتبرير هذا المنهج التفسيري يقول الشيخ عزت دروزة في مقدمة التفسير الحديث إنه استقى أبا اليسر عابدين مفتي سورية والشيخ عبد الفتاح أبا غدة فقال الأول إن التفسير لا يخلو حتى يراعى فيه ترتيب الآيات والسور وقد يفسر المفسر سورة ويترك أخرى وقال الثاني إن غرض المفسر غير غرض التلاوة فلا مانع من هذا النوع من التفسير والعلماء في القديم قد سلكوا هذا المسلك حيث سلك الشيخ جلال الدين الخلي والسيوطي في تفسيرهما المعروف بتفسير الجلالين فقد بدأ الأول من آخر القرآن في التفسير وهو صاعد إلى سورة الكهف ثم مات فأتم السيوطي من حيث وقف إلى أول القرآن، وهكذا بعض العلماء الآخرون.

(لنظر: محمد عزت دروزة، التفسير الحديث [مرتب حسب ترتيب النزول]، (القاهرة: دار إحياء الكتب

العربية، ١٣٨٣ هـ)، ١: ١٠٠.

١- عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (م ٩١١ هـ)، الإتقان في علوم القرآن، ت، محمد أبو الفضل إبراهيم (المطبعة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤ هـ)، ١: ٢١٦.

التفسير وحجة الله البالغة في علم أسرار الدين و غير ذلك. (۱) إن الشيخ بمثابة الجسر بين القديم والحديث ومنه

يعتد الشيخ عبيد الله السندي أكبر شراح في شبه القارة لفكرة الإمام الشاه ولي الله الدهلوي، فهو يستخدم كثيراً مصطلحات الشاه ولي الله في تفسيره مثل حظيرة القدس والملا الأعلى والملا السفلى والتجلي الأعظم والنفوس الرحانية وغير ذلك، ونجد الإحالة إلى أفكار الشاه ولي الله خلال قراءة التفسير وقد مر من كتابه الشيخ السندي أنه ما زال مشغولاً بدراسة كتب الشاه ولي الله. (۲)

إن الشيخ الشاه ولي الله قد ألف في شتى المجالات منها القرآن وعلومه والحديث والفقه والتصوف والكلام وغير ذلك، قد ترجم القرآن الكريم بأكمله إلى اللغة الفارسية، ثم ألف كتاباً قيماً الفوز الكبير في أصول التفسير، وقد استفاد الشيخ السندي من هذه الأعمال، يقول الشيخ عن هذا الكتاب:

"لما وصلت إلى السند وجدت نسخة للفوز الكبير، قبل ذلك كنت مشغولاً جداً لأجل مطالعة تفسير الإمام الرازي، فلما وصل الفوز الكبير بيدي وفرغت من قراءة الفصل الأول منه اطمأنت بأنه لو شاء الله أتعلم علم التفسير فمن ذلك اليوم حتى الآن لم احتج للخروج من مسلك الشاه ولي الله. (۳) يحيل الشيخ السندي إلى فكرة الشاه ولي الله مرة وأخرى في كتاباته وفي تفسيره، مثلاً يحيل الشيخ السندي في تفسير سورة ن تحت الآية: لَوْلَا أَن كَذَّبْتُمُوهُ تَعَمَّ مِنْ رَبِّهِ لَتَبَذَ بِالْعَزْلِ وَهُوَ مَلْعُونٌ إِلَى مقولة الشاه ولي الله، فقال: "قال الشاه ولي الله إن يونس لم يكن نبياً قبل ذلك، بل جعله الله نبياً بعد خروجه من بطن السمك. (۴) ويقول في تفسير سورة العلق قال الشاه ولي الله إن النبي عليه السلام بعث بعثة تتضمن بعثة أخرى، (۵) والصحابة دخلون في البعثة الأخرى،

۱- الحسني، نزعة الخواطر، ۶: ۸۵۶.

۲- عبد الله اللقاري، مولانا عبيد الله عدي کی سرگزشت کاٹل، رتبہ، الدكتور غلام مصطفی خان، خود نوشت حالات بفلم الشيخ عبيد الله السندي (اسلام آباد: قومی ادارہ برائے تحقیق تمدن و ثقافت، ۲۰۱۷ء)، ۱۴.

۳- عبيد الله السندي، امام ولي الله دہلوی کی حکمت کا اعلیٰ خلاصہ، ت، عطاء الرحمن القاسمی (دہلوی: اتحادیہ الشاہ ولي الله)، ۳۲.

۴- تفسير سورة ن.

۵- قال الإمام الشاه ولي الله الدهلوي في حجة الله البالغة: إن النبي صلى الله عليه وسلم بعث بعثة تتضمن بعثة أخرى فالأولى إنما كانت إلى نبي إسماعيل... والثانية كانت إلى جميع أهل الأرض عامة بالارتفاق الرابع. (أحمد بن عبد الرحيم للشاه ولي الله الدهلوي، حجة الله البالغة، ت: السيد سابق (بيروت: دار المجلد، ۲۰۰۵ء)، ۱: ۲۱۴، ۲۱۵.

في ضمن ذلك يستند الشيخ السندي إلى الأصول التي مهدها الإمام الشافعي في كتابه منها
حجة الله البالغة حيث ذكر فيه عنواناً باسم "باب كيفية فهم المراد من الكلام" ثم "باب كيفية فهم
المعاني الشرعية من الكتاب والسنة" فذكر تحته عشرة أصول لفهم الكلام^(١)،

٣- التفسير الاجتماعي

ظهرت في مجال تفسير القرآن الكريم في القرون الأخيرة حركات اجتماعية لاسيما حركات التجديد
والنهضة في سائر أقطار عالم الإسلام، وهي مازالت في استمرار حتى عصرنا الراهن، ففي هذا الجو قد
قام العلماء بالاهتمام بالجانب الاجتماعي للقرآن بدل مجرد التركيز على الجانب الفردي والأخروي، وبناء
على ذلك نراهم يحاولون طرح الحلول للمشكلات المادية والمعنوية في المجتمع في ضوء تعليم القرآن الكريم،
وذلك على أساس أن القرآن الكريم هو النور الخالد لجميع العصور والديورات، وأنه يشمل كافة أبعاد الحياة
الإنسانية فردية كانت أو اجتماعية، وهذا الأمر من أهم ما يتبنى عليه التيار الاجتماعي التفسيري، وقد
برز هذا الاتجاه في تفسير عديد من المفسرين في العرب والعجم، منهم الشيخ عبيد الله السندي الذي
طبق هذا المنهج في تفسير القرآن إلى أقصى ما يمكن. وفي هذه الصدد هو أيضاً يقوم بالنقد على
الشيوعية (Socialism) يقول في تفسير سورة البقرة: "الأمر الأول في الدين هو الإيمان بالله (مع
مقتضياته)، ثم عمارة البيت، ثم الكسب، ولكن في أوربا اليوم الشيوعيون هم الغلبة، فهم
يختارون التعريب العكسي".^(٢) يقول الشيخ السندي عن ضرورة التفسير الاجتماعي للقرآن في تفسير
سورة العصر حيث يقول: "وللنازع الثاني الذي خفي عن كثير من الناس في الحكمة القرآنية اعتمادهم
على ما وصل إليه مشايخهم من التحقيقات العلمية ويكون فيه مداخل كثيرة للسياسيات المتبدلة في
تاريخ الإسلام، فهؤلاء طلبة العلم يعتقدون أن ما علمه مشايخهم من الحقائق هي بعينها لازم أن توجد
في القرآن وإذا فسروا من ذلك يضعف اعتمادهم في القرآن بأنه كتاب غلبي، نتيجة بحثهم تكون أن
القرآن كتاب خطابي مناسب لأهل ذلك العصر من بادية العرب. أما نحن فوصلنا إلى تحقيقات عالية
وهذه كلها باجتهاد مشايخنا".^(٣)

يقول الشيخ السندي في تفسير سورة العلق: إن من مقاصد النبي صلى الله عليه وسلم هو الإصلاح
القومي والثاني هو الإصلاح العالمي. والمراد في هذه السورة هو الأول وإليه أشار بقوله ربك لأن خطاب

١- لينظر هذا البحث مفصلاً بالمصدر نفسه ٢٣٤: ١ تحت العنوان: باب كيفية فهم المراد من الكلام.

٢- تفسير سورة البقرة، اللوح ٢٩.

٣- إلهام الرحمن، تفسير سورة العصر، اللوح ١٥.

رئيس القوم يراد به القوم كله، وفي السورة الفاتحة هو الثاني، كما يدل عليه جمع العالمين في قوله رب العالمين. (١)

٤- مراعاة فن الاعتبار في تنزيل الآيات على الواقع

إن من الأمور التي راعاها الشيخ السندي في تفسيره هو فن الاعتبار، وبذلك ينزل الشيخ السندي الآيات على الواقع ويستخرج منها المعاني الجديدة، وهذا حرصاً منه لهداية الجيل الجديد إلى القرآن الكريم، فإن الرجال المثقفين الجدد لا يأترون برسالة قدمت في الثوب التقليدي وهذا الأمر يواجهه الدعاة مرة وأخرى. يقول الشيخ وحيد الدين خان:

"لقيت في الأيام الماضية الدكتور إكرام الحق، وكان له شغف بالدراسات الإسلامية، فقال لي قمت بقراءة كثير من التفاسير الأوردية ولكن قلبي لم يطعم بذلك، ومثل هذا الانطباع نجده عند كثير من المثقفين الجدد، سبب ذلك أن التفاسير كتبت في الأسلوب التقليدي دون الأسلوب الاجتهادي، وقدمت لذلك مثلاً من القرآن. قال تعالى: كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله (٥: ٦٤) ومضمون هذه الآية يجذب إليه الجيل الجديد الذي يحب الأمن والسلامة، ولكن التفاسير لم تقم بفتح معنوية هذه الآية، وحملها المفسرون على اليهود السابقين، كأنها حكاية الأمر الماضي وليست لها علاقة بالوضع الراهن، والنكبة المهمة لفهم القرآن أن ما قيل في السياق الماضي، يبقى أن يراه المفسر في السياق الراهن ويكتشف انطباقه الجديد، وبناء على ذلك نستطيع أن نقول إن الآية فيها أصول أيدي، وهو أن أهل الإسلام عليهم أن يتجنبوا عن الحرب أوقدها غيرهم." (٢)

ونفس هذا الأمر قد واجهه الشيخ السندي، فحاول تنزيل آيات القرآن على الواقع مستعيناً بفن الاعتبار، وفي بيان فن الاعتبار يقول الإمام الشاه ولي الله الدهلوي في الفوز الكبير في أصول التفسير:

المراد من الاعتبار أو العبارة لغة هو العبور من جانب الطريق أو النهر إلى جانب آخر منه، وفي الاصطلاح: هو انتقال الذهن وعبوره من الدليل إلى المدلول (الدعوى) أو من المنصوص إلى غير المنصوص (المقوس)، ومنه قوله تعالى: "فاعتبروا يا أولي الأبصار" وقوله: "إن في ذلك لعلوة لأولي الأبصار"، وليس هذا خارجاً من طرق الاستدلال الأربعة (عبارة النص، وإشارة النص، ودلالة النص،

١- نفس المصنف، اللوح ٨.

٢- وحيد الدين خان، "مجموعته أسلوب دعوت" في الرسالة، دلهي، ٤٣: ٦ (١٩٦٠)، ٧.

واقضاء النص)، بل الاعتبار نوع من إشارة النص، فإذا كان بناءه على علة فقياس، وإلا فإشارة النص).^(١)

والتفسير الإشاري عند الصوفية هو الظاهر لثل هذا الاستنباط، ولكن الفرق بين ما يقدمه الصوفية وما قدمه الشيخ السندي، هو أن الصوفية ذكروا الأمور الأخلاقية والروحية استنباطاً من النصوص، وأما الشيخ السندي فهو يستنبط الأمور الاجتماعية والسياسية من إشارات نصوص التنزيل.

والنظير الثاني لهذا النوع من الاعتبار هو التفسير العلمي السائد في العصر الحديث، فقد قال به في العصر الراهن حتى العلماء الذين انتهجوا منهج العلامة ابن تيمية الذي يشدد على القيام بالتفسير الحرفي أو النصي للنصوص، فلو لم يترك التفسير المأثور السائد على مر العصور، ولكن يجنب ذلك أشير إلى الأمور الاعتبارية، فلعله مسموح به إلى حد ما لم يقضي على المعاني المتبادرة، يقول الدكتور سعيد الرحمن مشيراً إلى الجانب الاعتباري لتفسير الشيخ السندي:

إن الإفادات القرآنية لحولانا عبيد الله السندي ليست نتيجة الإنكار للتفسير السابقة بل إنما عبارة عن البحث عن المعارف مع الاستفادة من التفسير... وهو في هذا الصدد يعمل بقول الله تعالى: فاعتبروا يا أولي الأبصار، والاعتبار البحث عن الحل للمسائل المستجدة، ومثال ذلك تلك الآيات التي نزلت في غزوة بني نضير وهي بمعناها المتبادر مبنية على الدعوة إلى أخذ النتائج بزوال بني النضير، ولكن الفقهاء توسعوا في ذلك واستدلوا على حجية القياس وهذا مفهوم بعيد، ولم يرق أحد بالتخدي لصالح الفقهاء للدين، فما ظنك بالذي يأخذ مفهومًا أقرب منه ؟ وذلك عبارة عن التذكر في أسباب زوال الأمم ويطه بالقرآن.^(٢)

إن الشيخ السندي يردد في كثير من المواضع المعنى البعيد اعتباراً من المعنى الظاهر، ومقال ذلك في تفسير سورة الغاشية حيث يقول:

فاعلم أن المراد بالغاشية في قوله هلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ هو انقلاب الحجاز الذي أهل الحجاز كلهم يعني الانقلاب الذي يقع بتعليم القرآن في الحجاز في حياة النبي ﷺ عليه السلام أولاً في الحجاز ثم في باقي العرب، ويكون الناس فيه قسمين: قسم يخالف الانقلاب ويسعى في

١- الشاه ولي الله أحمد بن عبد الرحيم الدهلوي، الفوز الكبير في أصول التفسير (كراتشي: بيت العلم، ١٤٠٠ هـ)، ١٠٣.

٢- سعيد الرحمن، "حرف بذكر"، عبيد الله السندي، تفسير المقام المممود (جزء عم) (لاهور: مكي دار الكتب، ١٤٠٠ هـ)، ٣.

مخالفته حتى لا يفوز الانقلاب وقسم يؤيده، فيفوز هذا القسم ولم يفز القسم الأول مع سعيه الشديد في مخالفته. الفاشية الانقلاب الحجازي وماحول الحجاز من العرب للحجاز، ثم بين حال مخالفي هذا الانقلاب بقوله وجوة يؤيد أي يوم هذا الانقلاب خاشعة ذليلة خاملة فاشية يعني أنها ذليلة مع العمل الشديد الذي صارت به فاشية في مخالفة الانقلاب حتى لا يقع لكن لم يفوزوا في محتها، فصارت ذليلة تصلي نارا حاميه لأن الناس يخرجونهم من الأمصار بعد الانقلاب إلى الصحاري، فيصلون شدة حر الحجاز، لأنه ليس في صحارى الحجاز ظل الأشجار تستفي من غي آية في صحارى الحجاز، لأنه ليس فيها ماء بارد. (١)

ويقول أيضا: "خص المفسرون ما ذكر في سورة الفاشية وكذا في غيرها بالآخرة، وهذا التخصيص ليس بصحيح، بل هو يعم الدنيا والآخرة، نحن لانكر كونه في الآخرة، بل لنكر تخصيصه بالآخرة." (٢) وفي مقام آخر يتفق الشيخ السندي على المفسرين وذلك لأجل أنهم يريدون من مثل الآيات المذكورة الأمور الآخورية فقط، فيقول: "من الأسف أن المفسرين نشأوا من غلبة المسلمين على أكثر الممالك وتنظيم حياة المسلمين على الأحكام الإسلامية، فلا يفهمون معنى يوم الانقلاب ويقولون كل ذلك إلى يوم القيامة لو كانوا أدركوا في شيء من يوم الانقلاب ما فعلوا ذلك" (٣) مثل هذا الكلام نجده في تفسير سورة المدثر تحت قوله تعالى: فإذا نقر في الناقور حيث يقول: فإذا نقر في الناقور وجاء أوان الرحلة من الدنيا، النقر في الناقور كان علامة الرحلة في القوافل، معنى هذا وقت رحلة الإنسان من هذا الدار عندنا. وليس معناه القيامة كما يستعمله أكثر المفسرين. (٤) إن من الشرائط لقبول التفسير الإشاري عند الصوفية ما ذكره العلماء، منها عدم إنكار المعنى الظاهر، وأن هذه الأقاويل ليست بتفسير القرآن، بل يجب الاعتقاد بأن مراد القرآن الكريم الأصيل هو ما يفهم من أصل ماخذ القرآن، وهذه الأقوال بمثابة الاستنباطات الوجدانية، فلو نظن أن هذه الأقوال تفسير القرآن فإنه ضلالة.

ومن أمثلة تنزيل الآيات على الواقع عند السندي لإرادته من قوله تعالى: ومن الأرض مثلهن الأقوام السبعة: الصينيون والهنود وأهل إيران والأتراك والعرب والأوربيون والحيثيون، ويريد الشيخ السندي

١- عبيد الله السندي، إلهام الرحمن، نسخة إسلام آباد (ن ١)، اللوح ٢٥.

٢- نفس الإحالة.

٣- تفسير سورة المدثر، ص ٥.

٤- سورة المدثر، ص.

أن الله تعالى أظهر دينه على الأديان وللمراد تحلية الدين على أديان هذه الأقوام وقد حصل ذلك في زمن عثمان رضي الله عنه. (١)

٥- التفسير الجديد عما عليه المفسرون

في كثير من الأحيان يريد الشيخ المعنى الجديد للآيات القرآنية عما عليه المفسرون، فمثلاً قال في قوله تعالى آخذوا الأصول من الآية: غير المغضوب عليهم ولا الضالين: في النبي تكون قوتان: قوة الفعل و قوة الانفعال، والمفعول من النبي في العلم هو الصديق، والمفعول من الصديق هو الصالح، والنبي نفسه يكون شهيداً لأن المراد بالشهيد هو من يكون فيه قوة العمل على الغاية، لا يرجع وإن قتل، فالذي حصل فيه قوة الفعل من النبي مثل النبي فهو الشهيد وإن لم يقتل، فالصديق بعد النبي يكون مجدداً، والصالح هو يكون شهيداً إذا كان في غاية القوة، فمن يكون تحت الصالح فهو ليس بشيء، وهو لا يخلو إما أن يكون فيه قوة العلم مع عدم قوة العمل، فهو المغضوب عليه، وإما أن لا يكون فيه قوة العلم، فهو الضال، وهذا هو المراد بقوله: هُمُ الْمَغْضُوبُ عَلَيْهِمْ وَالْضَّالِّينَ. (٢)

٦- موقف الشيخ السدي من أقسام القرآن

القسم يمين يقسم بما لتأكيد شيء، وقد ورد القسم مع مشتقاته في القرآن قراب ثلاثة وعشرين مرة، وجاء في كثير من الآيات أن اللفظ المختار للقسم حلف أو يمين، وهناك يرد سؤال كيف يقسم الله بخلقه وقد جاء التهي عن اليمين بغير الله تعالى، وقد أجاب عن هذه السؤال الإمام جلال الدين السيوطي بأوجه أحدها: أنه على حذف مضاف أي ورب التين ورب الشمس وكذا الباقي.

الثاني: أن العرب كانت تعظم هذه الأشياء وتقسم بها فنزل القرآن على ما يعرفون

الثالث: أن الأقسام إنما تكون بما يعظمه المقسم أو يحله وهو فوقه والله تعالى ليس شيء فوقه فأقسم تارة بنفسه وتارة بمصنوعاته لأنها تدل على باريها وصانعها. (٣) ولكن الشيخ عبيد الله السدي يقول بأن القسم في القرآن يكون للشهادة مهما كان بأمر عظيم أو لا، يقول في تفسير سورة العصر: "إن المراد من القسم في العرفيات العامة والذهنيات المشتركة هو إيداء شهادة على المقصد، والأدلة الدالة على المطلوب تكون على قسمين." ويقول أيضاً في تفسير سورة الذاريات: "أكثر المفسرين يزعمون أن القسم إنما يأتي

١- إلهام الرحمن، تفسير سورة الفاتحة، المجلد ١٠.

٢- للمصدر نفسه.

٣- عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، الإيضاح في علوم القرآن، ت، محمد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة: الهيئة العامة المصرية للكتاب، ١٩٧٤)، ٤: ٥٥.

بالأشياء المتحركة المعظمة، فاختلف آراؤهم في تفسير المورة. قال بعضهم إنها قسم بخيل الفزاة، والسورة مكية فاستشكلت عليهم، فأولها البعض بأن الآية إشارة إلى أن الفزاة يكونون فيما بعد. وقال البعض إنها أهل العرفات وخيلهم وهذا لا ينطبق فإن المغبرات صبحا لا تكون في أهل العرفات وعندنا ليس المراد الأشياء المتحركة المقدسة، بل خيول المتبهن المغبرين الذين يعرفها العرب بطبيعتهم ويعرف خاصيتها.^(١)

إن الشيخ حميد الدين الفراهي من علماء شبه القارة أيضًا يقول بأن القسم في القرآن يكون للشهادة وجملة القسم تتضمن بالشهادة على أمر ما.

٧- بعض مصطلحات الشيخ السندي

يستخدم الشيخ السندي بعض المصطلحات في التفسير باللغة الأردية، مثل انقلاب، نعره، پروگرام، ولعل هذا مراعاة لمخاطبي شبه القارة.

هذه أكبر ميزات التفسير إلهام الرحمن التي تتجلى من خلالها منهج التفسير ومضمونه.

أهمية الموضوع

إن التفسير إلهام الرحمن تفسير منفرد من حيث مادته وفكرته، فإنه يتناول التفسير السياسي الاجتماعي للقرآن ومن خلال ذلك يتمسكه بفكرة الإمام الشاه ولي الله الدهلوي، فلذلك اخترت مخطوطه للتحقيق.

تحقيق المخطوط

إن المرحلة الأولى لتحقيق أي مخطوط هو الحصول على النسخ المختلفة من الكتاب لتقديم صورة صحيحة لما كتبه مؤلف الكتاب.

إن من حسن حظي أن نسخة من تفسير إلهام الرحمن كان موجودًا في مكتبة مجمع البحوث الإسلامية، الجناح البحثي للجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد، فلم أعمل كلفة في حصولها، ولكن قد أخير الأستاذ الكريم - المشرف على تحقيق هذا المخطوط - الدكتور ناج أفسر حفظه الله رئيس قسم التفسير بكلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية العالمية بأنه يوجد أكثر من مخطوط لهذا التفسير غير نسخة مجمع البحوث، فهو قد حصل بنفسه على مخطوطتين أخريين من التفسير، إحداها من السند وثانيتهما من ماليزيا، ولو تكن شفقتة مساعدة لي في هذا الأمر، لم أكن لأحصل عليهما، فجزاه الله خيرًا

١- تفسير سورة النازيات.

كثيراً، وخلال التعليق أُعيرت إلى النسخة الأصيلة ب: ن إ (والمراد منه نسخة إسلام آباد) وإلى النسخة الثانية ب: ن م (المراد منه نسخة ماليزيا).

أما نسخة السند فقد قام على تحقيق بعض أجزاءها الأستاذ غلام مصطفى السندي القاسمي ونشرها، وتلك الأجزاء تتعلق بتفسير سورة البقرة، والتي تُرجمت إلى اللغة الأردية أيضاً، ولكن أجزاء التفسير التي قمت بتحقيقها، هي لا توجد في هذا القسط من المخطوط، فلم يمكن لي الاستفادة منها خلال هذا الأمر. وأما نسخة ماليزيا فقد استغدت منها.

والجدير هنا عرض أوصاف ما صار بين يدي، فأما نسخة مجمع البحوث، فإنها محفوظة اليوم في مكتبة مجمع البحوث الإسلامية - مكتبة حميد الله - برقم: ٨٤، ٨٥، ٨٦ ومصورة (بميكرو فيلم) برقم: ٨٤، ٨٥، ٨٦، وهي نسخة خرائطية نفيسة بخلاف جلدي، وعدد أوراقها ٦٦٨ ورقة للمجلد الأول، ٣٩٦ ورقة للمجلد الثاني، و ٤٤٦ ورقة للمجلد الثالث، وعدد أسطر كل صفحة ٢٠ سطراً على الاختلاف فإن المجلد الأول بعض صفحاته لها ٣٢ سطراً، وعدد كلمات كل سطر عشر كلمة تقريباً.

ومن الجدير بالذكر أن هذا المخطوط ليس في خط واحد ويد نسخ واحد، بل يظهر بعد مقابلة الألواح من المواضع المختلفة أن للمخطوط قد نسخ قارة بخط السندليق ومرة بخط التسخ.

حاولت الاستفادة من هذين المخطوطين ليخرج النص أكثر صحة وأقرب إلى ما كتب المؤلف أو كان يريد كتابه، ورجعت خلال هذا إلى كتب الشيخ السندي المختلفة وكتب الإمام الشاه ولي الله الدهلوي الذي يعد الشيخ السندي شارحاً له، علاوة على كتب التفسير الأخرى وكتب السنة الشريفة والكتب العامة، وذكرت في الحواشي ما هو بحاجة إلى التفسير.





بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير مولانا عبيد الله السندھی

اعلم اننا علم طبقات الناس لفهم نوم
 علم اصناف كثيرة واستعدادات مختلفة واذا انظرت
 الحكمة الالهية اني بعث الى الخلق ولما من الله بهم على
 سبب الخروج للناس من الظلمات الى النور وفرض على
 عباده ان يسلموا وجرهم وتقليد هم له وتؤكد في الاول
 الامر الرضا عن انقاد له وانضم اليه والاسم على
 من خالفه ونالوا فاعبروا الناس بذلك والزمهم طاعة
 وهو الله منهم الكامل ومنهم الحكيم ومنهم الهادئ ومنهم
 الواسع بروح القدس ومنهم العارف لربه ومنهم الامام
 ومنهم المنزه واعظم الاشياء شأنا من له فروع اخرى من
 البعثة ايضا وذلك ان يكون مراد الله تعالى في ان يكون
 سبب الخروج للناس من الظلمات الى النور وان يكون
 قومه خیرامة اخرجت للناس فيكون بعثه ينالوا
 بعثا آخر ولما الاول ونفخت الريح في قوله تعالى
 هو الذي بعث في الامم رسولا منهم الانبياء وال
 الثاني في قوله تعالى كنتم خیرامة اخرجت

صدقهم في الرتبة من الشفق والقمر اذا
 الشفق بعد غروب الكواكب التي يكون انسياق
 من حلال الى يدور فكذا يكون في الليل التدرج
 في الاضواء كذلك يكون في جهنم بتتبع الطبقة
 النيرانية وبعده النار بسببها التدرج فاذا
 تم وصل عليه الاجتناب الى الاصل
 النار يخرج من جهنم صوامع قوله لتكن
 طبقات طبق قوله في السم لا يقر من
 اذا كان فيهم ذوق لكثرة الطبيعة فالتألم من
 الاجتناب بذلك وان كان رجل حكيم طبيعيا متيقنا
 اذا قرأ القرآن بسجد بطوعه هذا صديق
 صامعه قوله فان قرأ عليه في القرآن
 لا يسجدون قوله بل الذين كفروا يكذبون
 عنادهم الرجل الحكيم ان كان العبادية من
 بالقرآن على الامم لا يبدعه له
 وان كان طبيعيا بسجد القرآن اذا فهم معناه
 وصل في عقله الدنيا النيران والفتن
 الا بالانذار قوله ووجه اعلم بما يبعثون في
 قلوبهم اللطيفة بحفظه ووجه اعلم فاذا انظر
 حكم ما يحدث في قلوبهم فعارض في اضطراب
 ثم عذاب اليم قلوبهم بعذاب

الاستغناء عما هو كذا مستقيم في الحكم بالعدل
 او نقدر على الصلابة في الحقائق في الطريقة
 الخيرة على هذا النوع من التكرار الخائفة
 على هذا النوع من التكرار الخائفة
 بصفة انه اذا خرج من المودل كانه في المدة
 الانسانية في هذا النوع من التكرار الخائفة
 له جعلنا الاسم للناس في هذا النوع من التكرار
 الظالم على هذا النوع من التكرار الخائفة
 في القيامة هو استبعاد خلق الانبياء
 في اخره اقلاب وانا ان الله كل يوم
 انفسه اية جديدة وارض جديدة في هذا
 الذي يات كل يوم بيوم مثل الايام السالفة
 كانه خلق السموات والارض كل يوم على
 من النجاسة اقل من هذا العمل كانه من خلق
 الناس ولكن اكثر الناس لا يعلمون
 حقيقة هذا النوع من التكرار الخائفة
 حقيقة خلق الانبياء في هذا النوع من التكرار
 كونه في الدنيا في هذا النوع من التكرار الخائفة
 لا يعلمون فالذين لا يعلمون مثل هذا النوع من التكرار
 الخائفة يستحقون ان يكونوا في هذا النوع من التكرار
 الخائفة في هذا النوع من التكرار الخائفة

١-١

سورة العلق

بسم الله الرحمن الرحيم

اعلم أن موضوع بعثة الأنبياء هو اجتماع الإنسانية، لأنهم يبحثون عن كيفية اجتماعها، فموضوع القرآن هي الإنسانية، ولابد من تعريف الموضوع أولاً، ويأتي احتياج الإنسانية إلى تعليم الأنبياء والإلهام. اعلم أنه يبحث في الشرائع الإلهية عن أحوال الإنسانية، فالشيء يبحث في علم من أحواله يقال له موضوع ذلك العلم في الاصطلاح العلمي، فهذا الاعتبار الإنسانية هو موضوع القرآن والإسلام.

"اقرأ باسم ربك" اعلم أن بعثة النبي عليه السلام كان أولاً لإصلاح قومه، وثانياً لإصلاح أحوال العالم (بمعنى أناس) من أي مكان أو زمان، وهو إصلاح، وهو إصلاح اجتماعي بين الأقوام في إصلاح (بمعنى) (١)، المراد في هذه السورة هو الأول، (٢) وإليه أشار بقوله: "ربك" لأن خطاب رئيس القوم يراد به القوم كله، وفي السورة الفاتحة هو الثاني، كما يدل عليه جمع العالمين في قوله: "رب العالمين".

"الذي خلق": العالم بجميع أنواعه.

خلق الإنسان: الذي هو نوع خاص من مجموع أنواع العالم الذي هو موضوع الأنبياء.

"من علق": اعلم أن الإنسان هو الحيوان الناطق، فهو مركب من الجزئين: ^(١) الحيوانية، إن شئت قل البهيمية. ^(٢) الناطقية، إن شئت قل الملكية أو المفكرية أو العاقلة أو الناطقية. ^(٣) مصداق الكل واحد، الحاصل أن في الإنسان قوة الفكر فطرة، يخلق بالفكر أشياء جديدة بخلاف باقي الحيوانات، وفكره

^١ "في برنامجنا جبراً: جزء يتعلق بالإصلاح الاجتماعي القومي، وجزء يتعلق بالإصلاح الاجتماعي العالمي." تارة ذكر الشيخ بعض تطبيقاته باللغة الأردية في هذا التفسير ولكنه نثر يسير بالنسبة إلى مدافع التفسير، وقد فمت بترجمة هذه الشذرات إلى الأردية.

^٢ الشيخ السندي يشير إلى موضوع هذه السورة في تفسيره باللغة الأردية تفسير مقام محمود أنه هو: "يؤيد آراءه عالم كالمعنى" (تفسير مقام محمود، ص ١) والكلام في بادي النظر في الموضوعين من تفسير إلهام الرحمن ومقام محمود فيه فيه تناقض، ولعل التوفيق بينهما أن استخراج محور السورة أو عسودها أمر اجتهادي، ويمكن للتفسير أن يصحح له عمود في وقت وبعد مسير التدبر يمكن أن يستخرج له موضوع آخر. والله اعلم.

^٣ تفسير النطق بالفكر والعقل ونحوهما لطوب سبوال تقديره أن الإنسان ليس هو الوحيد في وصف المنطق، فإن القرآن يدل على منطق الطير والنمل وغيرها، فهذا التفسير يوضح أن النطق له معنى خاص يتميز به الإنسان وحده من بقية الحيوانات. هذا التعريف للإنسان منقول من الفيلسوف اليوناني أرسطاطاليس، والحقيقة أن أمر تعريف الإنسان قد أجيدت جدلاً واسعاً على مر العصور. وقال الشافعي: "الدين هو حيوان يستخدم الأدوات".

٩٢٣-٩٢٤

لا ينتهي إلى حده، إشار إلى الجزء الأول بقوله من خلق أي خلق حيوانيته بالخلق^(١)، وأشار إلى الجزء الثاني بقوله: "وربك الأكرم"، لأن جعل الإنسان ذا فكر من أكرميته تعالى، وأول آله إظهار فكراته هو النطق باللسان ثم القلم، وإليه أشار بقوله "علم بالقلم"^(٢)، ولعلم الإنسان درجة فوق درجة فكراته ومعقولاته، هو درجة المشاهدة، يعني إذا احتاج إلى شيء في العلم بعد التفكير والتعقل في الأمور التي لا تنحل بالعقل والفكر، فيحتاج فيه إلى الإلهام، فيلهم الله تعالى ما يحتاج إليه ويريه، فثبت أنه محتاج إلى الإلهام مع كونه مفكراً وذو عقل، يريه الله ما احتاج إليه بالمشاهدة يقال له السر هو باطن العقل. الدرجة الأولى العقل وباطنه السر، وهو وهي يهبه الله لعباده، وإليه أشار بقوله: "علم الإنسان ما لم يعلم"، ثم تعريف الإنسان، إعلم أن الإنسان لا يمضي أبداً بعد الموت أيضاً، أما حيوانيته فيمضي بعد الموت ويبقى منها شيء وهو أيضاً يمضي في الجنة.

ضرورة بعثة الأنبياء

اعلم أن الإنسان لو بقي على فطرته ومقتضى الإنسانية، لما احتج إلى بعثة الأنبياء، لكنه يخالف البعض قانون الإنسانية، ويطلق في مقابلة الذين يتبعون قانون الإنسانية، فيحتاج إلى بعثة نبي لدفع طغيانه ونصرة المظلومين وإليه أشار بقوله: "كلا إن الإنسان ليطغى"^(٣)، فيبعث كل نبي لدفع طغيان طاغي زمانه، والمراد بالطغيان ادعاء الألوهية كما قال لموسى: "أذهب إلى فرعون أنه طغى"، ومعنى ادعاء الألوهية أخذ قانون الإنسانية بيده، يعني يريد أن يجري قانون الإنسانية كيف يشاء جبراً، ولا يكون لأحد مجال الإنكار، فهو ظالم يظلم على الناس بهذا الطريق ويسلب للناس حريتهم الفطرية التي فطرهم الله تعالى عليها وأموالهم، ووجه طغيانه: "أن استغنى" من الله من الذين يتبعون القانون الإلهي، "إن إلى ربك الرجعى"، لأن كل شيء خلق من وجوده تعالى ويرجع إليه، وهو مسئلة وحدة الوجود.

"أرايت الذي ينهى عبداً إذا صلى": وسبب منعه من الصلاة التي هي عبادة الله تعالى أن بين مقصده وبين مقصد هذا العبد تضاداً، فيختل مقصده بمقصود العبد، لأن المعنى الحقيقي للصلاة

١ - فالعالم جنس والإنسان نوع منه، ففكر في تعريف الإنسان أولاً الجنس بقوله الذي خلق، ثم الإنسان الذي هو نوع منه، وموضوع القرآن بقوله خلق الإنسان من علق، أي بدنه وحيوانيته، وأشار إلى جزئه الثاني بقوله وربك الأكرم، أي خلقه أكراً وجعله أكراً تهجة أكرميته تعالى.

٢ - والنطق والكتابة بالقلم كلاهما ذريعة لتعليم الغير، وهما من نتيجة تكون الإنسان مفكراً، فما يحدث بالفكر يشعبه بالنطق والقلم، فيحصل الاجتماع بهذا الطريق.

٣ - ثم فصل الأولى أعني تعريف الإنسان واحتياجه إلى الإلهام، والآن شرع في الفصل الثاني، أعني تقسيم الإنسان بعد تعريفه، ومنه يثبت ضرورة البعثة. (هذه التعليقات الأربعة من قبل صاحب الأمانى).

هو الاستغراق في محبة الله تعالى على وجه تحرق به تعلقات ما سوى الله تعالى كلها^(۱)، ونتيجة هذا أمران^(۲): الأول أن العبد إذا أحب الله تعالى، لا يحب الظلم، لأنه تعالى لا يحب الظلم، فيحب العدل ويكره الظلم، فيطيع قانونه تعالى فلا يترك الظلم على الظلم بل يقابل الطاعني لنفع ظلمه. الثاني أنه يأمر غيره بالتقوى، وتفسير التقوى في قوله تعالى: "إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ^(۳) وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ^(۴)"، هكذا قال عبد القادر جيلاني^(۵) رحمة الله عليه في غنية الطالبين^(۶)، وقال تعالى: اغْدُلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ، لأن العدل جزء التقوى، والجزء يكون قريباً من الكل، ومعنى الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه الخ، وحاصل الاستغراق في محبة الله، والأول حاصل قوله: "أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ". الحاصل أن المصلي يحب قانونه تعالى بنبهه، بأمر غيره بأن يحب قانونه وينبهه، فيحبان العدل ويكرهان الظلم^(۷)، وهو حين ضد مقصد الطاعني، فلا يتركه أن يصلي، لأنه يخاف أن يجتمع الذين يتبعون قانون الله ويحبونه، وهم المظلومون ويقابلونه.

^۱ - وأما الصلاة المعروفة فيقال لها صلاة جهازا، لكونها سببا للصلاة الحقيقية. الأنسب أن يقال إن الجوهر الحقيقي للصلاة كذا....

^۲ - في الأصل: أسره. وهذا مسموح لأن غير ملتزم لا بد من أن يكون مرفوعاً غالباً.

^۳ - كتب لفظة الإحسان في المخطوط مرتين من البين أنه تصحيح من الكاتب.

^۴ - التحل: ۱۹۰.

^۵ - هو الشيخ عبد القادر الجيلاني (۴۷۰ھ - ۵۶۱ھ) ولد في جيلان (الإيراني أو العراقي على اختلاف القولين) وتعلم قسماً من العلوم في حداثة سنه ثم رحل إلى بغداد في زمن الخليفة المستظهر بالله، وهذا العهد كان عهد مهاجرة الصليبيين في الشام وكان العهد بأجمعه عهد الفوضى، وكان الشيخ علماً كبيراً وواعظاً عظيماً قاب على يده كثيرون، ومن مصنفاته فتوح القلوب وغنية الطالبين وتفسير الجيلاني وغيرها. (انظر لمرجته: خير الدين بن محمود الزركلي، الأعلام (بيروت: دار العلم للملايين، ۲۰۰۰ء) ۴: ۴۷، وما بعد).

^۶ - فند أحوال الشيخ عبد القادر الجيلاني في كتابه الغنية لطالبي طريق الحق عز وجل إلى حديث أن النبي ﷺ قال: جامع التقوى في قوله عز وجل: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يعظكم لعلكم تذكرون. وقد بحث عن هذا الحديث قدر مستطاع في المجموعات الشهيرة للحديث ولكن لم أجده.

^۷ - جب یہ مظلوموں کی داد دے کرے گا تو اس کے پاس لوگ جمع ہو جائیں گے اور اس کی سوسائٹی تیار ہو جائے گی اور طاعنی کا مقابلہ کرے گی، پھر وہ کسی پر ظلم نہیں کرے گا۔ (لما يذوم باغاثة المظلومين فيجتمع عنده الناس ويحقق مجتمعهم الذي يقاوم الطاعني فلا يظلم إذا أحداً). (التعليق من قبل صاحب التفسير).

اعلم أن المراد من الطاغى ليس بأي جهل خاصة، ولا من المصطفى النبي عليه السلام، بل المراد به طاغى ما ومصطفى ما، لأن قاعدة تعليم القرآن عرض القانون في صورة جزئية لتسهيل الفهم، ثم يجعله قانوناً كلياً. (١)

إن كذب الطاغى بالفكر وتولى بالعمل.

قوله: "عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ" بالكشف وهو وهمي، وهو جنس أو جنس الأجناس دخل فيه كشف الأولياء والأنبياء وغيرهم.

اعلم كما أن للباحرة نكتة في البصر ونكتة في الدماغ، كذلك للقوة العقل والفكر ظاهر وبطن، يقال لبطن العقل سر، وهو كشف بمنزلة الجنس يدخل تحته كل كشف من النبوة والولاية والرسالة.

"أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى". تنبيه لأي جهل وغيره من الطاغين، لأنهم كانوا يعرفون الله تعالى وكونه تعالى عالماً بأحوالهم، وكانوا يعلمون كثيراً من أمور دين إبراهيم ولم يكونوا منكبين من ذات الله وصفاته، نعم كانوا مشركين كمشركي زماننا مع كونهم على دين الإسلام (٢)، فقلوه: أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى مثل قولنا لأحد للتنبيه: ألم تعلم بأن الله يرى ومع هذا تفعل هذا الفعل.

إذا علمت من تضاد مقصد الطاغى والمصطفى، فاعلم أن نتيجة هذا التضاد بينهما [تظهر] في المستقبل، فأشار بطريق الإخبار باللوب (يعني بطور غير مباشر) (٣) فوز المظلومين في مقابلة الطاغين الظالمين بقوله: "كَأَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ" وقال: "فَلَنَدْعُ نَادِيَةً" وقت التضادم "سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ" لمقابلة الزبانية كسان، كاشت كار، سياهى (٤) فوق كما قال يوم بدر، وقتل فيه إخوان من الأنصار، وهم أهل

١- يذكر معظم المفسرين هناك أن المراد من "الذي ينهى" هو أبو جهل ومن "ضبطاً" النبي عليه السلام، ولكن لما كان الاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب كما هو مقرر في أصول التفسير، فبناء على التأويل العام للآيات لفهم العام هو الأصل في الاسترشاد من هدي كتاب الله تعالى. ثم إن الشيخ عبيد الله السندي قد تدير في القرآن على سنن الشيخ الشاه ولي الله الدهلوي، فإنه قد أبرز هذا الموقف جلياً بالنسبة إلى مربيات أسباب النزول وذكره في كتابه الفوز الكبير في أصول التفسير، فيقول: "وعامة المفسرين يطلقون (وفيدون) كل آية من آيات الخاصة وآيات الأحكام بقصة ما، ثم يجعلون تلك القصة سبباً لنزول تلك الآية، والحقيقة أن الأمر ليس كذلك فإن الهدف الأساسي (والقصد الأصلي) من إنزال القرآن الكريم هو تذيب نفوس البشر، ويحضر عقائدهم الباطلة وإزالة أعمالهم الفاسدة." (إمام ولي الله أحمد بن عبد الرحيم الدهلوي، الفوز الكبير في أصول التفسير، إعداد وترتيب وتقديم، محمد أنور البديعاني (كراتشي: بيت العلم، ٢٠٠٦ء)، ١٥٠).

٢- فقلوه هذا مبني على هذا الأصل.

٣- لعل الإشارة إلى الجهلة الذين جعلوا مقابر الأولياء مساجد.

٤- أي بوصف القبيح.

٥- الفلاح، الجندي.

الزراعة، وسحبت^(۱) الفتلى يوم بدر وألقوا في قليب بدر (یعنی یوم بدر یہ پیش گوئی واقع ہوئی، حالانکہ مسلمانوں کی حالت -- پیش گوئی کے وقت بظاہر یہ غلبہ غیر ممکن نظر آتا تھا۔ اسی سے مظلومین کو کام یابی کا یقین دلایا جاتا ہے، تاکہ وہ ہرگز مقابلے میں کمزور نہ ہوں۔)^(۲)

إذا علم فوز المظلومين بالقطع فلا حاجة إلى الصلح وقت التضام، فقال: "كَلَّا لَا تُطْلَعُ" ألا تصلح، لأن الصلح في مثل هذه الحالة - حالة المظلومية - ليست يصلح في الحقيقة، بل هي ذلة وإطاعة الطاغى، بل وأما نجد أي صل الصلاة التي ينهى عنها الطاغى، لأن حقيقة الصلاة في الابتداء هي السجدة، فقط سواء سجد قعوداً أو قياماً ثم أضيف إليها أركان أخرى، أي إذا تيقنت بالفوز، لم يبق حاجة إلى الانتهاء من الصلاة، ينهى الطاغى وَاقْتَرَبَ أي كن من السابقين في رد الطاغى ومقابلتك، السابقون السابقون أولئك المقربون.

فائدہ: اس سورت میں پروگرام قوی ہے اور سورہ فاتحہ میں بین الاقوامی ہے، یعنی اس سورت میں خاص حجاز اور عربوں کے لیے پروگرام ہے اور اس قوی پروگرام سے آگے بین الاقوامی پروگرام تیار ہو گا اور اس حجاز کے باشندوں سے ایک جماعت تیار ہوگی، جو بین الاقوامی پروگرام کو چلائے گی۔ حضور ﷺ کا ذاتی پروگرام صرف حجاز کو درست کرتا ہے اور آگے بین الاقوامی کام آپ کے خلفا کریں گے، کیوں کہ وہ بھی حضور ﷺ کی بعثت میں داخل ہیں اور حضور ﷺ کی بعثت قوی متضمن ہے بعثت بین الاقوامی کو،^(۳) کما قال الشاہ ولی اللہ إن النبی علیہ السلام بعث بعثة تتضمن بعثة أخرى،^(۴) والصحابة داخلون في البعثة الأخرى، کما قال النبی علیہ السلام: إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين^(۵)، فأطلق عليهم لفظ البعثة، "وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً

۱- سحب الشيء سحَبًا: جره على الأرض. يقال: سحب الريح الثوب: أثارته وحركته. وسحب ذيله: جره:

وسحبت الريح أذيالها كذلك. (ابراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، المادة: سحب)

۲- وقد تحقق هذا النبؤ يوم بدر، والحال أن غلبة المسلمين كانت في بادئ الرأي غير ممكنة آنذاك، وبهذا يحصل المظلومون على اليقين حتى لا يضعفوا في المسابقة.

۳- في هذه السورة برنامج قومي وفي سورة الفاتحة عالمي، ويعني ذلك أن في هذه السورة برنامجاً للحجاز والعرب خاصة، وبعد ذلك يتحقق البرنامج العالمي، وتتهيأ من أهل الحجاز جماعة تصوق برنامجاً عالمياً. وعمل النبي ﷺ هو إصلاح الحجاز وأما الأمر العالمي فيسوقه خلفاؤه، فإنهم داخلون في بعثة النبي وتتضمن بعثة النبي القومي البعثة العالمية.

۴- قال الإمام الشاہ ولی اللہ المدلوی فی حجة الله البالغة: إن النبي صلى الله عليه وسلم بعث بعثة تتضمن بعثة أخرى فالأولى إنما كانت إلى بني إسماعيل... والثانية كانت إلى جميع أهل الأرض عامة بالارتفاق الرابع. (أحمد بن عبد الرحيم الشاہ ولی اللہ المدلوی، حجة الله البالغة، ت: السيد سابق (بيروت: دار الجليل، ۲۰۰۵ء)، ۱: ۲۱۴، ۲۱۵.

(

۵- صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب قول النبي يسروا ولا تعسروا، رقم: ۶۱۲۸.

لِلْعَالَمِينَ" ، یعنی آپ کو تمام اقوام عالم کے لیے مبعوث کیا گیا ہے۔ عالمین سے مراد اقوام ہیں، ^(۱) کما سیأتي فی سورة الفاتحة ^(۲)۔

^۱ - یعنی أنك بعثت لجميع أقوام العالم، والمراد من العالمين الأقوام.

^۲ - حيث قال الشيخ في البداية : اس میں پروگرام بین الاقوامی ہے۔

٢-١

سورة العلق

بسم الله الرحمن الرحيم

هي أول سورة نزلت. في ابتداءها بحث عن حقيقة الإنسان، لأن القرآن يبحث عن الاجتماعية الإنسانية على درجتين: درجة تختص بالعرب قريش و من والها. درجة تعم العالمين ومعناه يجمع بين الملل الثلاث: الحنيفية اليهود والنصارى والإسلام والإسماعيلية. الإسلام عام ويجمع معها ديانة الصائبة وبواسطة الفرس والروم ويجمع تحتها إمبراطوريتين: كسرى وقيصر. الفرس عندنا متحد إلى آخر بلاد الهند وبلاد الترك داخله في الفرس. والروم متحد إلى يونان وبلاد أوربا المتمدنة، فنبحث أولاً عن حقيقة الإنسان ما هي- وقد ذكرنا نظريتين لتاريخ الإنسان، والحقيقة أنهما تعريفان باعتبار قواه المختلفة، والحقيقة الإنسانية يجمعهما، ومعنى الإنسان أنه حيوان فيه قوة علمية عالية بأخذ العلوم ويخترع منها أشياء. هذا معنى الناطق، والناطق هو الذي يخلق ألفاظه، فالإنسان يخلق علومًا ويكون تحتها أعمال توافق علومها كلها، يخلقها بإرادته. كلمة الخلق نستعملها وهي مشتركة في لسان المسلمين عامة، والقرآن يستعملها في بعض الآيات لبيان الحقيقة: تخلقون إنكًا. الناس غلطوا في فهم جاهلية العرب وقريش، وكذلك غلطوا في فهم حالات مصر زمن الفراعنة، فزعموا أنهم أقوام لا يعرفون الرب خالق السموات والأرض، واستندوا في ذلك إلى بعض محاورات القرآن لكنهم ما أدركوا مس المسئلة الجمعية العامة، يعترفون بالرب خالق السموات والأرض. ساء طريقة آباءهم. هم يغلطون في بعض التفاسير التفاصيل ولا بأس فيه. وحدّاقهم أخذوا طريقة التفكير من أقوام آخرين في تجارهم إلى الشام واليمن، وافقوا في بعض التفاصيل مع اليهود، واطمئنت عقول بعضهم على فلسفة الهند أو اليونان. وهكذا نبحت عن حالات فرعون إذا جاء ذكر موسى، والإمام ولي الله في حجة الله البالغة يثبت أن شرائع كانت معمولة عند قريش^(١)، والقرآن إنما نزل بما يعرفونها، والحكمة الإلهية لا تكلف النفوس إلا بما في وسعها، فإذا لم يعرفوا أشياء يكون مثل أعجمي وعربي. فليس لنا الآن حاجة إلى زيادة التفصيل نخيلها إلى وقت.

١- لعل إشارة الشيخ إلى هذه العبارة من حجة الله البالغة: "وكان فقهاء الصحابة تلقت أصول الطاعات والآثام من المشهورات التي أجمع عليها الأمم الموجودة يومئذ كمشركي العرب كاليهود والنصارى، فلم تكن لهم حاجة إلى معرفة لمباتها، ولا البحث عما يتعلق بذلك." (أحمد بن عبد الرحيم الشاه ولي الله الدهلوي، حجة الله البالغة (بيروت: دار الجيل، ٢٠٠٥)، ١: ٢٣٧). ولكن الإشارة في هذه العبارة إلى أن أصول الطاعات والآثام كانت مشهورة عند العرب، وهي من المشهورات المسلمة عند الفطرة الإنسانية والتي تبنى عليها الشخصية الدينية في ضوء الوحي، وأما التشريع فمصدر معرفتها إنما صحبة الرسول، فالعبارة التالية هكذا: "أما قوانين التشريع والتيسير وأحكام الدين فتلقوها من مشاهدة مواقع الأمر والنهي، كما أن جلساء الطبيب يعرفون مقاصد الأدوية التي يأمر بما بطول المخالطة

أول آية: اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ هم ما كانوا يشكون في ذلك أَيْ اللهُ شَكَّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وانتقل بعد ذلك في آية إلى خصوصية الإنسان خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ يعني مثل الحيوانات فتبين بذلك أحد أجزاء الإنسانية، وبعد ذلك ثلاث آيات في بيان الجزء الثاني للإنسانية عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ يعني يكتسب علماً لم يكن يعرفه. هذا من جبلته عندما. هذا معنى الناطق، قبل ذلك آية: الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ هذا هو استعمال الآيات يريد شيئاً يعني تحصيل علم يختلق له ذريعته ويصنع قلماً، ويضبط بذلك نقوشاً تدل على الألفاظ موضوعة للمعاني يفهمها بالتفكير والتدبر في ذلك هو قوة صانعة تستعمل الآلات بأنحاء كثيرة ويكون محتاجاً إلى التمدن إلى الاجتماع، وقبل ذلك آية: اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ، معناه أن الله تعالى أعطاه جبلة فائقة على جميع الحيوانات تلحقه بالملائكة، وهذا كله كرم من الله تعالى، ليس للإنسان كسب واختيار منه حمداً لله، قد تمت المسئلة الأولى، ويأتي في سائر السور شرح لها بيانات على حسب الحاجات.

المسئلة الثانية

الإنسان بالمشي على مقتضى جبلته دائماً يفوز بالمقصد الذي هو مقتضى نوعه أم لا. بعض الإنسان يتخلف عن تحصيل المقصد وتكميله، فالتنبية على أغلاطهم وإرشادهم إلى طريق الحق ثم عن الأرض إن أصروا على جهلهم كلها من مقتضى الإنسانية. فرضنا إنساناً حكيماً له أولاد عشرة، تسعة منهم ماشون على طريقة صالحة، وواحد منهم يترك مقتضى جبلة الإنسان، يلتحق بالحيوانات الخسيسة يستلذ بأعمال الحيوانات ويفسد الإنسانية، فهذا الوالد الحكيم ينصحه لابد ويرشده باللطف والرحمة، فإذا أصرَّ على استكباره وعرف منه أنه يهجم على أزواج أبيه أفلا يقتل؟ هذا هو مثال لإرشاد الأفراد المفسدة من الإنسانية. هذا المثال كان للبيت الواحد، فلو انتقلنا إلى المدينة العظيمة أو إلى مملكة ونشأت فيهم جماعة صغيرة تفسد الإنسانية والاجتماع، فالرئيس الحاكم لتلك المدينة أو المملكة يرشدهم أولاً باللطف إلى الإصلاح، فإذا عجز عن ذلك وهم استكبروا فلا يقتلهم.

نتنقل بعد ذلك إلى مسئلة أخرى. الحكيم الرئيس أو الحكيم الوالد يعرف قبح أفعال هؤلاء ويستحسن قتلهم لكن حكمته تمنعه عن إمضاء إرادته إلا بعد ما أثبت لأهل بيته أو لأهل الحل والعقد من المدينة والمملكة فساد طبيعتهم وأنهم لا يصلحون إلا للقتل ووافق عامة أهل الرأي رأي الحكيم وقطع هذه المراحل، وتحصيل الرأي العامة على موافقة هذا الحكيم الراشد يحتاج إلى دعاية، يحتاج إلى حرية في التفكير للناس، يحتاج إلى اجتماعهم على القرار، فإذا حصله الحكيم وبعد ذلك محق لتلك الطائفة المفسدة أدى فرضه ما كان يوجبه عليه جبلة الحكمة.

والممارسة، وكانوا في الدرجة العليا من معرفتها. (المصدر نفسه، ١: ٢٣٧). فهذه العبارة صريحة في أن تعلم التشريع عند الصحابة إنما كان بناء على صحبة الرسول. والله أعلم.

فصل

كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ . أَنْ رَأَاهُ اسْتَغْفَى . إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى . المراد من الإنسان البعض . قضية جملة مهمة . وإذا كان هذا البعض حصل لهم حكم في عامة الناس بنقد اجتماع فاسد فيفسر الحكم يشبه عليه الأمر هو يحكم بأن الإنسان بفطرته لا يدرك الحق ولا كيف يتفق هذه الجماعة على الباطل هو لا يعرف أن الناس ما كان لهم حرية في التفكير لأن بعض حاجاتهم كان متعلقًا بهذا الرئيس، فهم يرضون رئيسهم، لا لأنهم يعرفونه على الحق بل بعض الحاجات الاقتصادية لا الاتفاقية؛ لا يقدرّون على تحصيلها إلا بتقليده وإرضائه، ولذلك دائمًا الحكماء إذا قاموا على إصلاح فساد المجتمع إنما يقتلون رؤساء المجتمع فقط لا العامة .

في مكة المعظمة في ابتداء البعث كان في الطائفة العالية من قريش طائفة منهم تنصروا، طائفة منهم رجعوا بعد تنصيرهم إلى الخفية؛ يعني ما قدرُوا على معرفته من دين إبراهيم وإسماعيل، والكثيرة من الطبقة العالية كانوا يحبّون المشي على طريقة آبائهم في تحصيل المعاش بسدانة البيت وبالتجارة وعدم مخالفة الناس في ديانتهم منهم من كان يحب أن يتقدم بذلك الطريقة على أقوام العالم، ومنهم من كان راضيًا على هذه الحرية الناقصة التي حصلت لهم في بلادهم كانت رئاسة عامة الأمور راجعة إلى هذه الطائفة التي تتبع طريقة آبائهم ولا يريد التقدم على الناس بل يعيشون على تلك الحالة للمستمرة فيهم من آبائهم .

فصل

طائفة منهم، وهم الذين تنصروا، كانوا يحبّون أن يطعموا قبصر ويدخلوا بلادهم تحت إمبراطوريتهم، وبذلك يحصل لهم ارتقاء، وطائفة منهم كانت تحب المجوسية والصائبية لأنهم تعودوا الوثنية وكانت لهم موافقة في بعض الآراء، وهذا الأمر إنما نشأ في مكة المعظمة لأن... (١) كانوا متعلقين بهاتين الإمبراطوريتين، وكان مغالبة إحداهما على الأخرى والتنافس ساريًا في مراكز الدولتين، وكل دولة بواسطة حلفائه من العرب كانت تحب أن يحصل لهم اقتدار في الحجاز مركز العرب ليتمكنوا من تحصيل الجنود وللذي كان بعض حكومة في اليمن أيضًا فمن تلك الطريق أيضًا كانت الدعاية تؤثر في مكة، وأصحاب الفيل كانوا مركز الدعاية القيصرية من اليمن إلى الحجاز . بالجملة الحجاز من الجانبين من الشمال والجنوب كان تحت دعاية الدولتين: الملتصرون يميلون إلى القيصر والوثنيون عامتهم يميلون إلى الفارس . تعرفون قصة غلبة الفرس على الروم . وفي تلك الواقعة إشارة إلى هذا . وفي وسط الطائفتين كانت جمية الخفاء هي تحب أن تقوم على نفسها، وكانت لهم اجتماعات صغيرة . ولهمم العالية عندي تفرس

١ - هناك بياض في الأصل، ولعلّ لفظ "أهل مكة" يمكن أي يسد هذه الثغرة فتكون العبارة: لأن أهل مكة كانوا الخ .

فقط. إن بيت نبينا ﷺ يعني بيت عبدالمطلب كان بطبيعتها يميل إلى الخنفاء، وبسبب حاجاتهم الارتفاقية كان لا يقدر على مخالفة الوثنيين لأنهم كانوا يرجون أن يتولد فيهم المولود الذي وعد به الأنبياء.

فصل

النبي ﷺ كان يخلد بغار حراء محل اجتماع الخنفاء فجاءه الحق وذكر لأهل بيته أولاً فاستبشروا، وهو في أول أمره ما أمر بشريعة، لكن قد كان يتبع سنة الخنفاء، وإذا راجعتم حجة الله البالغة في باب ما كان عليه الناس قبل البعث^(١) لرأيتم أن الخنفاء كانوا يعرفون جميع الشرائع التي أتى بها النبي لكن لا بالاجتماع، والنبي أيضاً كان يتبع طريقهم، وأول شيء يعبدون به من الأعمال ذكر الله ونفي شركة معه، وكانت في اللسان العربي كلمة لا إله إلا الله عنواناً لذلك، لكن ذكرهم لم يكن مثل ما نتصوره نحن باللسان فقط، بل كان في ضمن ذلك التفكير في منيع الملل كلها. كل ملة يقوم بناؤها على أساس. مثلاً تعرف من اليهودية أنهم يقدمون موسى على جميع البشر، وما أدخله الأحبار والرهبان من البدعات، وعامة اليهود قبلوه وهي غير مناسبة لمسئلة العالمين، هم ليسوا يجوزون ترك كل شيء منها، بل يحكمون اليهودية هذه على جميع الناس كأهم اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله، فالزام الشرك للوثنية خاصة ليس له معنى الوثنية لا تختلف عنهم إلا بخلق الصور. أما المعنى في كلتا الحالتين سواء بسواء، وهكذا حال النصرانية والمجوسية. النصرانية يقيسونها على اليهودية لأنها فرع منها، والمجوسية يقيسونها على حال قريش ووثنياتهم في اطمينان خاطرهم على اختيار ملة من هذه الملل. هذا معنى لا إله إلا الله عندهم فإذا قالوا لا إله إلا الله فكأنهم قاموا لمخاصمة الملل، وعندهم جزم يفوزهم بالمقصد لأنهم تركوا الباطل كله وإن كان منسوباً إلى رجال كبار، فإذا رؤوا مقصدهم العالي وهمتهم نافذة مصممة، ورؤوا ضعفهم وعدم تمكنهم في الاجتماع حصلت لهم كيفية لطيفة تلجئهم إلى الاعتماد على الله في كل حال، وتؤثر ذلك في قلوبهم وإرادتهم وجوارحهم، فإذا تأثروا بذلك تاماً، يذكرون محامد الرب باللسان ويسجدون له بالأبدان. هذه الحالة تسمى عند الخنفاء بالصلوة. كلمة الصلوة مأخوذة من صلى معناه شيء لزم شيئاً لصق به مثل النار لزمت حطباً، فإذا تنورت قلوب الخنفاء بالتفكير في معنى لا إله إلا الله يعني الرد على جميع المبطلين، وجزم الفوز عليهم بإعانة الرب وحده والتذوا بذلك، ولزمت تلك الحالة نفوسهم

١- لا يوجد في حجة الله البالغة باب بهذا الاسم، إلا أنه يوجد هناك باب باسم "باب بيان ما كان عليه حال أهل الجاهلية فأصلحه النبي ﷺ"، فيه يقول الشاه ولي الله: إن كنت تريد النظر في معاني شريعة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتحقق أولاً حال الأميين الذين بعث فيهم التي هي مادة تشريعه، وثانياً: كيفية إصلاحها بالمقاصد المذكورة في باب التشريع والتيسير وأحكام الملة، فاعلم أنه صلى الله عليه وسلم بعث بالملة الخنيفية الإسماعيلية لإقامة عوجها وإزالة تحريفها وإشاعة نورها، وذلك قوله تعالى: {ملة أبيكم إبراهيم}. ولما كان الأمر على ذلك وجب أن تكون أصول تلك الملة مسلمة، وستنها مقررّة إذ النبي إذا بعث إلى قوم فيهم بقية سنة راشدة، فلا معنى لتغييرها وتبديلها، بل الواجب تقريرها، لأنه أطوع لنفوسهم وأثبت عند الاحتجاج عليهم. (الشاه ولي الله، حجة الله البالغة، ١: ٢١٨).

ظاهراً وباطناً سموها بالصلوة، فالتبى صلى الله عليه وسلم في ابتداء أمره كان يتبع الحنفاء، وكان يصلي عند البيت؛ أولاً يذكر محامد الرب بما أنعم على إبراهيم و إسماعيل و إسحاق ثم يسجد لله وحده لا شريك له، ولعله كان يركع أيضاً، فهذا العمل كان أسس الملة الجديدة المسلمة التي تروى الحنفاء أن تغلب على جميع الأديان.

فصل

من أمراء قريش وساداتهم الذين بأيديهم الأمور الارتفاقية والقضاء في الخصومات لأهل تلك الأودية، هو رجل من بني مخزوم، فيه محاسن الأشرف التي توجد في عامة الناس،^(١) لكن فكره أن يتبع طريفة آباءه من الوثنية والشرك والعبادات المخربة للأخلاق، وإن كانت ناشئة منهم فلا يغيرها حفظاً لمنصب الرياسة، وتلك الرياسة تكون تحت قاعدة تكون تلك القاعدة ملجأ للمظلومين والمساكين يحتاجون بما على من ظلم لم تكن كذلك، بل الرئيس مستبد في فكره، لما كان الناس في مجتمع واحد ما نشأ فيهم أحزاب، فكان عمله في ذلك الزمن لا يأس به، لكن لما قامت أحزاب مختلفة، وكانت منهم دعايات لرد الآخرين هو يحافظ على رياسة حزبه يستبد بذلك، فإن كان رجل من حزبه ظلم رجلاً لا ينسب إلى حزبه، فهو يجوز أن يكون هو يأكل حقه لاسيما إذا كان مسكيناً ثم المساكين التي في حزبه لم يكون وداد إلى المظلوم فهو يظلمهم أيضاً، ولا يجوز لهم أن يقولوا بكلمة. هذا الأمر يسميه القرآن بالطغيان، وهذا الطغيان لازم للاستغناء إذا رأى نفسه مستغنياً وإن لم يكن في الواقع مستغنياً ويكون له الرياسة، فهو لا يراعي قاعدة العدل ولا يخاف من جهة المظلومين بوجه، فإنه ينسى الرب الذي خلق للمساكين، وكل رجل يقوم باسم الرب على خلافه يشتد غضبه عليه. إذا تكامل هذا يسمى بالطغيان، وهذا الرجل الذي كان من بني مخزوم^(٢) يحكي الله عنه بلفظ عمومي كلاً معناه الإنسان لا يمشي دائماً على جبلته، بل يكون منهم رؤساء يأخذون بحق المساكين إذا رأوا أنهم مستغنون عن هؤلاء كلمة أن نترجمه الحق. الحق هذا معنى أن الحق هذا. إن إلى ذلك الرجعى للحكام والمساكين كلهم مرجعهم إلى الله. الحكام يستلون والمظلومون لهم حق الدعوى لا يكون القضاء من الله إلا قضاء العدل فقط، وبالعدل يقوم هذا الاجتماع إذا اجتمعت على الإصرار بخلاف هذا العدل يهلكهم الله، ثم إن إلى ربك الرجعى. والطغيان يظهر إذا قام رجل بخلافه، فهذا الرجل رأى أن النبي يدعوا إلى الخيفية وعبادة الله وحده لا شريك له، وضيئت عند الناس أن الله يحكم بالعدل وإنما يجب المتقين الذين يحكمون بالعدل لا يجب

١- في الأصل لفظ "موجودة"، وهو غير ضروري.

٢- المراد به أبو جهل عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي القرشي الكفاي، كما ذكر المفسرون في مناسبة نزول هذه الآيات.

الظالمين، فلما سمع أنه يدعو في صلاته إلى هذا وإن كان الأمر عمومياً لا تخصيص لهذا الرجل الظالم للرد عليه، فهو بمنح النبي ﷺ أن يصلي.

الذي ينهى هو رئيس بني عزم عتداً إذا صلى عبد واحد من عباد الله لا دعوى له لنفسه شيئاً من مقام الرئاسة، فالنزاع والخصام إنما يرجع إلى أن هذا البيت فيه حق لعباد الله أن يصلوا فيه لله أم لا؟ قريش في اكتناه حقيقتهم يعرفون أن شرفهم ليس إلا بخدمة هذا البيت وخدمة هذا البيت معناه تسهيل الطريق لمن يعبد ربه فيه. هذا مبنى شرفهم بعرفه صغيرهم وكبيرهم ذكرهم وأنثاهم حرهم وعبيدهم أفا لا يستحي أن يمنع عن ذلك ألم يعلم بأن الله يرى كيف يكون بعد ذلك حتى التقدم لقريش تنزل عن ذلك الأمر العمومي الذي يمنعه ما يفعل، هل يأتي بشيء مفكر؟ لا يأتي بالمذكر بالمرة.

الهداية الواضحة البينة في قريش وفي هذه البلدة المباركة هي سورة إبراهيم وإسماعيل، فهو لا يدعو إلا إلى ذلك لا يذكر محمد الرب إلا بأنه أنعم على إبراهيم بكذا وكذا، فهو على الهدى فإن خالفه هذا الرعيس أليس يكون هو على الضلال.

جملة معترضة

كل مفسر أراد أن يفسر كتاب الله، فما اجتمع من العقائد الإسلامية في قلبه من عقائد الأشاعرة أو الماتريدية أو الحنابلة أو المعتزلة أو الشيعة، يجعل تلك العقائد تفسيراً^(١)، ويحرم أن النبي كان على هذا، فمن أنكر علينا عقائدها، فهو أبو جهل، القرآن العظيم لا يسمى شيئاً من العقائد بالهدى إلا إذا كان معروفاً عند المخاطبين كونه على الهدى. كل فكر صحيح يكون فيه مرتقى للإنسانية، اهتدى إليه المدققون من المحققين، فلا يسمى بلسان القرآن هدى إلا إذا صار معروفاً بعرفه عامة الناس بعلومهم المخلوقة في جبلتهم أنه الحق، فلهذا فسرنا نحن الهدى بدعوة النبي ﷺ إلى اتباع طريقة إبراهيم. هذا لا يقبله أحد لا قريش ولا أهل الحجاز، والنبي إن كان يريد على بيان مناقب إبراهيم وإسماعيل، فهي يوصي الناس أن يتبعوا العدل والإحسان في معاملتهم العمومية لا يتعرض بتعريض ما إلى رجل منهم، بل يعرف أن حب التقدم في صنابير قريش إنما يسهل لهم يتبعوا الله إذا التزموا على أنفسهم ترك الظلم وإقامة العدل، بل الإحسان إلى المساكين فهو يريد الخير لقريش، وهذا لا يخالفه أحد منهم، لأنهم اجتمعوا قبل ذلك بأبهم في حلف الفضول أن ينفي الظلم من هذا الوادي المبارك، وهذا أيضاً معروف عندهم. هذا معنى قوله أو أمر بالتقوى وجدنا الشيخ عبد القادر الجيلاني فسر التقوى بالعمل بقوله تعالى: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ^(٢)، وإني ما اعتديت إلى معنى التقوى إلا من ذلك اليوم، وأحب أن أذكر الشيخ قضاء بما علي من الشكر لأن من لم يشكر الناس لم يشكر الله، ونشكر الله على الهداية

١- في المخطوط وقع لفظ "تفسير" بدون الألف، والصواب بما، لكونه مقعولا قائماً لجعل.

٢- النحل ١٦: ٩٠.

والشيخ واسطة في ذلك. انتهى بهذه الآية بيان أحد المخاصمين، والمخاصم الآخر حاله مبينة في قوله: **أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى** أي كذب ما تفضل الله به على إبراهيم وإسماعيل، بل يحب نفسه بطبيعته المعوجة كأنه أحسن مالا منهم ونوى عن اتباع العدل والإحسان بدعوى أن الرياسة لا تقوم إلا باتباع الرئيس ثم بيان حال هذا **أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى** هذا المسجد يسمونه بيت الله، وكان مقرراً عندهم إذا لم يتمكنوا من فصل خصوماتهم بواسطة رؤسائهم يأتون إلى هذا المسجد وكل يذكر دعواه، ويرجون أن الله يقضي بينهم بالحق، ثم ما ظهر يحسبونه حكم الله، ولذلك ارتسخ في أذهانهم تسمية هذا البيت بيت الله. إن قلنا بيت حكم الله لأبأس في ذلك، فهذا الرجل الذي جعل رئيس قوم يخاصم رجلاً من أكفائه، لأن بيت عبد المطلب إن لم يكن رئيساً، فليس أيضاً ما يحدث في بيوتهم يقضونه بأنفسهم لا يحتاجون إلى المرافقة إلى رئيس قوم، فكان يستحق أن يفوض الأمر إلى الله ولا يتجبر في منعه عن الصلاة، هذا معنى قوله **أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى**.

جملة معترضة

تقرر عند المفسرين عامة من كان على حالة يعلم أن الله يرى هو يكون من المسلمين، فلا يقدرون على ربط هذه الآية مع الآيات السابقة، وإذا أشكل عليهم الربط فهم لا يحسون ولا يجدون أنفسهم جهداً، بل أسسوا أصولاً أن آيات القرآن غير مرتبطة وهم لا يتوجهون إلى هذا المقام الخاص، ومقتضاه إذا رفعت القضية إلى المسجد الحرام فكان الناس في الجاهلية مع ابتلائهم بالشرك والفسق لا يشكون أن الأمر في هذه القضية إلى الله. كلاً هذا النزاع والخصومة التي حدثت بسبب الصلاة في المسجد الحرام لا يجوز فيها مصالحه المخاطبين، بل أمره إلى الله، هو يقضي بينهم بالحق، هذا معنى كلاً. ليس نجاة هذا الرجل الجاني إلا بأن يتوب وينتهي عن هذا الفعل المنكر **لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ** خاصة نجازيه جزاء المجرمين، ووقع هذا في بدر. هذه بينة عظيمة واضحة على صدق دعوة القرآن من أول الأمر حدث نزاع فوضناه إلى الله، وألهم الله بأنه يجازيه بكذا وكذا، ولا يمكن لبشر أن يتصور في تلك الحالة أن هذا الرجل يمكن مجازاته بتلك الطريقة يصح تصديقه بعد أربعة عشرة من السنين، بل يمكن لبشر أن يجري سيراً لحوادث في تلك المدة الطويلة على حب مراده وتنتهي إلى تلك النتيجة بالألفاظ التي ألهم بها لا بالتأويل، وكل رجل إذا تفكر يتيقن أن هذا ليس إلا من الله. **فَلْيَنْدِعْ نَادِيَهُ. سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ** هذا قضاء من الله أنه لا يتوب ولا ينتهي، بل يجمع قوته لمحو تلك الطريقة طريقة الصلاة، صلاة الخنفاء في المسجد الحرام، والله سبحانه يجمع له رجالاً لا من الملوك والأمراء بل من الفلاحين والحراثين الذين نحن نجمع هؤلاء وهم يلقونه في القليب قليب بدر، هؤلاء كانوا هم الشبان من

الأنصار الذين قتلوا أبا جهل، وقد تحسر في آخر حياته لو غير أكار^(١) قتلي لأنه تعرف أن هذا تصديق الآيات القرآنية. أما قتله فما كان عنده كثير شيء بل قال هل فوق رجل قتله قومه هذا قتله لا يجد فيه إهانة لنفسه، لكن قتله على يد أكار ملأ دماغه بالندامة وعرف صدق وعده الله كلا المصالحة مع هؤلاء البركة للظالمين المتكبرين لا تدخل في ذلك لرحمة الله تعالى. الفلاس إذا سمعوا أن هذه دعوة من الله يظن الجاهل كل ما فعلنا فعلا يغفر لنا. ليس هذا الظن صحيحا. رحمة الله قريب من المحسنين. أما هؤلاء الطاغوت فلا يستحقون إلا التعذيب والتكيد فإنه لو رحم الله هؤلاء مع ظلمهم فلا ينسب المساكين الظلم إلى الله، وما ريك بظلام للعبيد، لو أراد أحد أن يرحم الله لزم عليه أن يترك المنازعة لأهل الحق. أما مع إصراره وتكبره على ذلك فكلا لا تطفئة النبي كان رؤوفا رحيماء لو كان له مجال الصلح مع أحد من المخالفين لبادروا إلى ذلك، ويعرف ذلك في معاملته مع عبد الله ابن أبي ريس المنافقين، فيه النبي ﷺ أن فكر المصالحة مع هؤلاء إطاعة لهم في فكرهم الباطل، لأن الرجل إذا كان صاحب قوة والمخاصم له لا قوة له مثله وأراد المخاصم أن يصطالح مع القوي فلا يعرف الإنسانية تلك المعاملة مصالحة، بل كلهم يحزم أن الضعيف أطاع القوي، فلذلك لا يجوز فكر المسلمين للمصالحة قبل تمكنهم في القوة مثلهم، فكان باب المخاصمة مفتوحا من أول نزول القرآن. وأسجد دلوام على صلاتك عند البيت الحرام الذي يغيظ هذا الطاعن. ترك أسباب المخاصمة مع المبطلين غير مرضي عند الله وأقرب تحصل لك درجة المقربين، والمُتَّقِينَ الْمُتَّقِينَ. أولئك المُتَّقِينَ، فاطلب القرب من الله يسبقك بالخصام والجدال والقتال مع المبطلين المتمردين، وكل من يتبعك يكون أجره على الله لك فتزيد قربتك عند الله منزلة عظيمة.

١- الأكار هو الزراع والقلاج، وقريش كانت لهم مكانة في الشعب فكانوا يحتضرون عنى للمهن اليدوية وكان أبو جهل من أشهرهم وكان يشخيل أنه من نخبة قريش وأرقي من الباقين. يقول ابن الملقن: "وفي مسلم: لو غير أكار قتلي، يعرض بابي عفراء لأخما من الأنصار أصحاب الزرع والشغل، يعني: لو كان قتلي غير قلاج، وهو الأكار، كان أحب إلي وأعظم لشأني، ولم يكن علي نقص." (ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري، التوضيح لشرح الجامع الصحيح (دمشق: دار النوادر، ٢٠٠٨م) ١٨: ٥٢٣.

سورة الفاتحة

اس میں بین الاقوامی پروگرام ہے

(۱) بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

اعلم أن الله تعالى خلق كل شيء، وعين له لوازم وخواص، وهي لا تنفك عنه بإيجاب الله تعالى، فهي واجبة بالغير، أي يجعلها تعالى لازمة له في علمه، فلا يمكن انفكاكها عنه، وإن كل شيء فيه وجود خير محض لا شر في ذاته أصلاً إلا بالإضافة إلى الغير. إذا علمت هذا فاعلم أن معنى "الحمد لله" أن أفعاله تعالى كلها حسن، وهو قابل الحمد على كل فعل، رَبِّ الْعَالَمِينَ أي رب الأقوام، لأن في هذه السورة پروگرام بين الأقوام. اعلم أن الأنبياء السابقة أيضاً أونوا پروگرام بين الأقوام كما قال في إبراهيم: "قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا" وهكذا أعطى موسى عليه السلام هذا پروگرام، وكذا عيسى عليه السلام، كما يدل عليه حديث البخاري، مطلقاً ومثل أهل الكتابين كمثل رجل استأجر أجراً الحديث (۲)، لأنه يدل على أن اليهود والنصارى والمسلمين سلم إليهم عمل واحد مثل رجل استأجر أجراً لعمل واحد مثل لبناء دار واحد.

إن قول يلزم على هذا عموم بعثة الأنبياء السابقة هو خلاف المشهور من أنه خصوصية النبي عليه السلام. الجواب أن الخصوصية في الفوز لا في البعثة. لم يفز موسى لعدم أهلية بني إسرائيل (يعني ان كوشاگردنالاتی علی، ورنه وہ کامیاب ہو جاتے۔) (۳) وهذا مثل قوله "هَدَىٰ لِلْمُتَّقِينَ" والحال أن هداية القرآن عامة، والفوز في هذا مخصوص بالنبي ﷺ كما أخبر الله تعالى في قوله: "هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ" وقع تكميله في زمن عثمان كما صرح به الشاه [شاه كذا] ولي الله الدهلوي في إزالة الخفاء، ورد قول من قال وقع تكميله في حياة النبي عليه السلام لأنه قال سبعة أقوام

۱- في هذه السورة برنامج علني.

۲- هكذا في أصل المخطوط، والنص في صحيح البخاري ما أخرجه عن أبي موسى، عن النبي صلى الله عليه وسلم: "مثل المسلمين واليهود والنصارى، كمثل رجل استأجر قوماً، يعملون له عملاً إلى الليل، فعملوا إلى نصف النهار فقالوا: لا حاجة لنا إلى أجرك، فاستأجر آخرين، فقال: أكملوا بقية يومكم ولكم الذي شرطت، فعملوا حتى إذا كان حين صلاة العصر، قالوا: لك ما عملنا، فاستأجر قوماً، فعملوا بقية يومهم حتى غابت الشمس، واستكملوا أجر الفريقين". (محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحته وأيامه = صحيح البخاري، المحقق: محمد زهير بن ناشر الناصر، كتاب موليت الصلاة، باب من أحرك ركعة من العصر قبل الغروب (القاهرة: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة تزيين تزيين محمد فواد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ)، رقم: ٥٥٨.

۳- يعني أنه وجد التلامذة غير ضالحين إلا أنه أصلح.

في العالم: الصينيون^١، الهنود^٢، الإيرانيون^٣، الترك^٤، العرب^٥، يورپ^٦ (الأوروبيون)، حبش^٧ (أهل الحبشة)، وهذه الأقوام عظيمة في الدنيا غلبة الإسلام عليها غلبته على الأديان كلها، وهو وقع في زمن عثمان^(١). وقال الشاه [شاه كذا] رفيع الدين^(٢) في تكميل الأذهان وهذه الأقوام السبعة هي المراد في قوله تعالى: "وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ" أي بعض الأرض هذه الأقوام السبعة. فغلبة الإسلام عليها، غلبته على الأديان كلها، لأن الأقوام الصغيرة التي هي ما سوى هذه السبعة في زمن عثمان.

فائدة: لما كان في سورة الفاتحة برؤفكم بين الأقوام^(٣) فسر قوله رب العالمين ربب الأقوام كما في قوله تعالى: وَقَضَّيْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ^(٤) في حق بني إسرائيل لأنه بمعنى فضلناهم على أقوام العالمين، وما ذكره المفسرون هو أيضًا صحيح. الرحمن الرحيم، هو تمة رب العالمين. أول ما يحتاج إليه الإنسان هو المربي الذي يقضي حاجاته، وهو الوالدان.

اعلم أن الله تعالى قسم الرحمة على مائة، وقسم الواحد من المائة على الخلق كله، وبه يربي كل حيوان أولاده، وأخذ الإنسان أيضًا حصته، وأبقى تسعة وتسعين حصته عنده، فعليك أن تضرب عدد الواحد بعد التقسيم على أهل الدنيا في المائة، وحاصل الضرب هو مجموع رحمة الله التي نزلت على العرش للشخص الأبر، قسمت الواحدة في الدنيا وبقيت تسعة وتسعين [تسعون كذا] ليوم القيامة.

"قَالِكِ يَوْمَ الْيَمِينِ" لابد للإنسان من تسليم جزاء أعماله، لأنه لا يمكن انفكاكه وإن أمكن تأخيره، لأن من خواص الإنسان الذي جعلها الله تعالى خواصًا له، هو جزاء أعماله، فلا يمكن التبديل في هذا القانون، تأخيره أيضًا لا يتجاوز من يوم القيامة، فجزاء أعمال الإنسان إن لم يحصل في الدنيا، يحصل في يوم الدين لا محالة، فهو مالك يوم الدين، يعني يجزي يوم الدين الذي لا يمكن خلافه، فهذا التصور والفكر في الله تعالى ضروري لكل إنسان.

قد تم الفكر بذات الله تعالى إلى قوله "قَالِكِ يَوْمَ الْيَمِينِ"، وحاصله ثلاثة أمور: أكونه محبوبًا دل عليه الله أي هو إله، وهو المحبوب، بكونه مربيًا دل عليه "رَبِّ الْعَالَمِينَ" و "الرحمن الرحيم" تمة،

١- قد تكلم الشاه ولي الله على تفسير آية إظهار الدين في كتابه إزالة الخفاء. ليراجع: الشاه ولي الله الدهلوي، إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء، ت: تقي الدين الندوي (دمشق: دار القلم، ٢٠١٣م)، ١: ٢١٣.

٢- هو الشيخ رفيع الدين عبيد الوهاب بن ولي الدهلوي ولد بمدينة دهلي ونشأ بها وأخذ في العلم على أخيه عبد الحزير وأخذ الطريقة عن الشيخ عاشق البهائي واعترف بفضله علماء الألق. (لينظر لزوجته: الحسبي، نزهة الخواطر، ٧: ٩٧٤).

٣- برنامج علمي.

٤- الجمالية: ١٦.

و^٢ كونه سلطاناً أعظم في السلاطين كلها، وهذه الثلاثة هي المذكورة في قوله: "قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ. مَلِكِ النَّاسِ. إِلَهِ النَّاسِ"، وإذا رسخ هذا الفكر في قلب إنسان بذات الله تعالى، يخاطبه ويقول: لما علمت أنك كذلك "إِيَّاكَ نَعْبُدُ"، ولا نعبد غيرك وإن قُتلنا، لكن الطاغين يستبدوننا عن هذا الفكر وعبادتك، "وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ" في مقابلتهم من لا تطيعهم في هذا.

اعلم أن الفكر المذكور بذات الله تعالى يعرض عند أهل الدنيا كلهم وينجح حتى يسلموه، لكن هذا الأمر مشكل، لا بد له من طريق الإلهام (أي دستور العمل) نفهم به كل فريق حسب مواجهه، وتمييز هذا الطريق ليس بسهل، فنقول "اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ" لإلهام هذا الفكر لأهل الدنيا، ولا بد بعد الطريق من المجتمع (أي سوسائتي) الموافق لنا في هذا الفكر للفوز في هذا الأمر، وإلا انكسر عيشنا في الدنيا (كيون كہ جس خیال کے ہم خیال نہ ہوں، وہ بہت ہی پریشان رہتا ہے اور جس کو بیوی وغیرہ ہم خیال نہ جائیں، وہ عیش سے زندگی بسر کرتا ہے۔) (۱) فلذا نطلب منك "صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ"، هم الأنبياء والصديقون والشهداء والصالحون. في النبي تكون قوتان: ^١ قوة الفعل و^٢ قوة الانفعال، والمنفعل من النبي في العلم هو الصديق، والمنفعل من الصديق هو الصالح، والنبي نفسه يكون شهيداً، لأن المراد بالشهيد هو من يكون فيه قوة العمل على الغاية، لا يرجع وإن قتل، فالذي حصل فيه قوة الفعل من النبي مثل النبي فهو الشهيد وإن لم يقتل، فالصديق بعد النبي يكون مجتهداً، والصالح هو يكون شهيداً إذا كان في غاية القوة، فمن يكون تحت الصالح فهو ليس بشيء، وهو لا يخلو إما أن يكون فيه قوة العلم مع عدم قوة العمل، فهو المفضوب عليه، وإما أن لا يكون فيه قوة العلم، فهو الضال، وهذا هو المراد بقوله: "غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ". أي اجعل لنا المجتمع (سوسائتي) المشتمل على هذه الأركان الأربع. وفي الحديث أن المفضوب عليهم هم اليهود والضالين هم النصارى، لأن اليهود أنكرت مع العلم، والنصارى بسبب الجهل، لكن كون اليهود مغضوباً عليهم وكون النصارى ضالين باعتبار الاجتماع القومي يعني باعتبار الحجاز فقط، وكانت النصارى في الحجاز قليلة، ولم يعرفوا النبي عليه السلام بخلاف اليهود، وأما باعتبار الاجتماع بين الأقوام، فالمغضوب عليه قيصر، والضال هو كسرى. (۲)

^١ - يعني إذا لم يكن أمر اد يوافقون أمرًا عند أحده فهذا الأمر يخلق عليه ومن وجد مثل المراقبون والوافقين الآخرين؛ فزانه يعيش عيشاً جيداً.

^٢ - كسرى هو عظيم الفرس، وقيصر هو عظيم الروم. وقد وردت الأخبار في تحجب الحديث عن هلاك قيصر وكسرى.

سورة الفاتحة

بسم الله الرحمن الرحيم

العالمين الأقوام الإنسانية. إن فضلتكم على أقوام عصركم، وبأي للعالم معنى غير ذلك أيضاً يطلق على كل ما سوى الله ويطلق على جنس جنس من المخلوقات، عامة أهل العلم يحبون أن يأخذوا المعنى العمومي^(١) للكائنات كلها؛ لأن حمد ربنا بالكمالات التي ظهرت في المخلوقات كلها يكون أكمل ونحن نرجح أن يكون المراد منه الأقوام فقط؛ لأن تلك السورة خلاصة القرآن العظيم والقرآن العظيم وحى على خاتم النبيين، وموضوع النبوة ليس إلا الاجتماعية الإنسانية فكل شيء يتعلق بالإنسانية من السماء والأرض والجن والملائكة والجنة والنار يأتي ذكره بالنتيجة. المقصد ليس إلا تكميل الاجتماعية الإنسانية. هذا مقصد عمومي لجميع النبوات، ونبوة خاتم النبيين مقصدها تكميل حركة جميع الأقوام كلها تحت نظام الفطرة التي يقتضيها الإنسانية، فإذا كان موضوع القرآن الاجتماعية الإنسانية بالنظر إلى جميع الأقوام، فالسورة التي تشير إلى مقاصد القرآن بالإجمال إذا استعمل فيها لفظ العالمين، يكون معناه الأقوام. سورة اقرأ نزلت في ابتداء القرآن وكان المراد منها افتتاح الدرجة الأولى من البعثة النبوية التي مرجعها إصلاح قريش ومن والاهما فذكر في ابتدائها. اقرأ باسم ربك لأن القوم لا يعرف الأجل إلا بانشعاب تعلقاته الطبيعية إليه سلسلة آياته وسلسلة أمهاته، لو تتبع إلى آخر ما يحفظها، لوجد أكثر أفراد الأقوام من عائلته، كما كان مدار المعرفة بالقوم هو نفس الإنسان. افتتح الله تلك السورة. باسم ربك والدرجة الثانية من البعثة النبوية هي درجة اجتماع الأقوام كلها تحت ملة إبراهيم الخنيفية فافتتح الله في سورة الفاتحة برب العالمين.

السورة التي تشير إلى البعثة الثانية جعلت في مقدمة المصحف والسورة التي إلى بعثة قومية، جعلت في آخر المصحف إشارة إلى أن المقصد الأصلي من البعثة النبوية هي الدرجة الثانية والدرجة الأولى لتكميل الدرجة الثانية فقط. وعنوان الإسلام ينبغي أن يكون أنه حركة عالمية لا أنه حركة عربية وإن كانت الحركة العربية من مبادئ الحركة العالمية. عامة المؤرخين يحملون دورة العالمية في العالم ابتدائها من زمن الإسكندر^(٢) أو رجال مثل ذلك تقدموا على عصره قليلاً، لكن التحقيق عندنا مبدأ تلك الحركة إبراهيم عليه السلام. الله جعله للناس إماماً. وأولاده كانوا يسعون لتوسيع هذه الإمامة وإدخال الأمم في دينه، فهذه حركة عالمية، ثم بعض الناس يفرقون بين حركة دينية وحركة سياسية ويمعدون الحركة

١- في ذ: إ: ... الحمد من الكائنات كلها، وفي ذ: ج: المعنى العمومي الكائنات، فاعترضت ما في هذه النسخة فإنه يظهر ملائمة للمعنى.

٢- في ذ: م أخيف لفظ: للمقدوني.

الدينية حركة خيالية، والحركة السياسية يعدونها مبنية على الحقائق، فهم إذا سمعوا أن إبراهيم مؤسس حركة عالمية لا يلتفتون إليها لأنه هذه هي حركة دينية عندهم، وهذا التفريق الذي حدث في ذهنية العصر، ليس مبنياً على أسس صحيح. أغلاط الطرفين المتدينين والسياسين جعلت الأمر مشكلاً. الإنسانية من ابتدائها إلى انتهائها شيء واحد لا يمكن تقسيمها، فالحركة الاجتماعية الإنسانية إن سميتها دينية أو سياسية لا يتنوع بذلك إلى نوعين إذا كان عطش النظر في الحركتين حقيقة الإنسانية. أما إذا رجع الدينون إلى تخيلات وأعمال غير محقة في الإنسانية أو رجع للسياسيون إلى تحصيل الأمور المعاشية للإنسان فقط وأعرضوا عن النظر في الارتقاء الذهني، فلك اختلافات اصطلاحية راجعة إلى تنازع الجماعتين، ونحن لا نتوجه إلى هؤلاء الذين لا يتوجهون إلى الإنسانية تماماً. إنما غرضهم البحث عن بعض الأطراف الإنسانية، فالدين الصحيح الذي إمامه إبراهيم عليه السلام يبحث عن الفطرة الإنسانية تماماً، فهو حركة دينية وحركة سياسية فهو كلها.

بعض الملوك يقتصرون على تحصيل الملك لهم فقط، بعض المعلمين يقتصرون على إصلاح ذهنية فقط، فهؤلاء أعمالهم مبادئ لتكميل الإنسانية لا تعارض بينهما. نوضحه بمثال رجل علمي يرى علمه نافعا للإنسانية فيعلم من قدر عليه، ولجمعهم جماعة^(١) ليستفيدوا باجتماعهم، فإن أراد هو أن لا يفسد عمله رجل لا يعرف طريقه بالقوة، فلا يجب عليه أن يهيج قوة المدافعة، فالملك يصير لازماً للعلم. هذا معنى قولنا إن الإنسانية لا ينقسم، فإن اشتغلت جماعة بخدمة حصة من منافع الإنسانية ولا يتكرون أن يكونوا جزءاً من الجماعة الإنسانية، فهؤلاء لا ينكر عليهم من فعلهم شيء. فائمة الأديان هم أئمة الجماعة^(٢) والذين يتعرضون لنهب المنافع. إن كانوا لا يتحاشون عن جماعة الإنسانية، فهم أدنى في المرتبة أئمة الجماعة.

حاصل كلامنا أن أئمة الأديان حقيقة هم أئمة الاجتماعية الإنسانية والسياسيون والفلسفيون إذا قرروا على أنفسهم أنهم يكونون تحتهم أجزاء من جامعهم فهم في الدرجة الثانية منهم عندما. إذا كان رجل يعرف معنى الدين ويعرف الاجتماعية الإنسانية ويعرف خدام الإنسانية من أهل السياسة والفلسفة لا يجعل أئمة الاجتماعية الإنسانية إلا أئمة الدين، فلما كانت الحركة الجامعة للأقوام التي ابتدأت من إبراهيم، القرآن يريد أن يكملها ويتمها. كان افتتاح الأول سورة من القرآن يذكر صفة رب العالمين لله أولى. الإنسان يعرف ربه الإله، فإذا شرع في الحركة الاجتماعية فيعرفه برب العلمين، هو رب كل إنسان وهو رب العلمين. رب واحد يختلف ذكر الصفات حسب مناسبة العلوم.

١- لفظ "جماعة" في ن م.

٢- في ن م: أئمة الدانية، ولا معنى لذلك، وهو من خطأ الناسخ، فإن المطلوب أن أئمة الدين هم أئمة الاجتماعية الإنسانية كما يتضح مما يأتي.

"الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ" معناه النظام العلوي القائم بين الأقوام الذي أقامه الله رب العالمين قابل للحمد لا يوجد فيه نقص، فالنظام الذي أوجده الله في الأقوام وجعله فطرة للإنسان، تخيل نظاماً أحسن منه فقط، فليجمع رجل كل قوته في فهمه وفي إقامته على الفطرة وعدم تغييره الفطرة، وهذا لازم لمن تخيل نظاماً أحسن من هذا النظام. هو يجتهد لإقامة النظام الذي أحبه، فيصير هذا النظام الفطري، فتلك الآية تمنعنا عن التقدم على ذلك. قال بعض الحكماء ليس في الإمكان أبدع مما كان، فكان هذا كمال حكمة وفهم الفطرة التي فطر الناس عليها، لكن رأينا أناساً ما قدروا على فهم كلام ذلك الحكم، لأنهم إنما حصلوا إنشاء التخيّل لا يعرفون شيئاً من الحكمة، ويقدرّون على أن يصوروا للناس عالماً أحسن من هذا العالم، فلو كان عندهم قدرة الإيجاد، وشرعوا في تمكين ما تخيلوا، ظهر بطلان تخيلهم في أول خطوة، والإنسان يتعجب إذا كان هؤلاء يعدّون من أكابر علماء الإسلام. المراد من ذلك الحكم عندنا الإمام الغزالي والمعارض له القاضي عياض، فترد أن نوضح منبع الاختلاف. الكائنات العلمية لا ينتهي ابتدائها ولا انتهائها كما ينتهي صفات الله الموجبة للكائنات، وإلا لزم تعطّل الصفات عن التأثير، فتلك الكائنات منقسمة إلى دورات مختلفة، كل دورة سابقة علته الدورة اللاحقة، فيكون تسلسل الأدوار تحت اقتضاء الحكمة، ثم الإنسان لا يقدر في البحث التفصيلي على الإحاطة بدورة واحدة^(١)، ولا يخطر بباله شيء من الدور السابق ولا الدور اللاحق، لكن إذا رأى إلى أزلية صفات الله وأبديتها ويعتقد في قلبه أن تعطّل الصفات غير ممكن، وإن كان لا يستحضر هذا العلم، إذا سئل هل يمكن شيء أحسن منه هذا؟ قبلت فكيره بدون شعور إلى الصفات الإلهية فيقول نعم. الأحسن منه ممكن، لأن الله على كل شيء قدير ويكون مراده ممكناً في الأدوار الأخرى وإن كان لا يستحضر ولا يشعر بذلك، والذي يقول ليس في الإمكان أبدع مما كان، هو ينظر إلى هذه الدورة فقط. غرضنا من ذلك البسط هو إيضاح أن الله فطر الأشياء على فطرة مخصوصة، لا يمكن شيء أحسن منها في تلك الأشياء، فنحن نقول هذه الفطرة الإنسانية التي هي مشتركة بين الأقوام كلها ويعظم عليها الاجتماعية الإنسانية، لانجسد نقصاً ما في شيء منها، فنحمد ربنا، فإذا ارتسمت تلك المعرفة في دماغ الإنسان، يريد القديس بدين الإنسان يصير حكيمًا ويقدر أن يفهم الدين وإذا لم يرتسخ تلك المعرفة، فهو رجل فوضوي، يحشي مرة إلى هنا ومرة إلى هنا؛ لا يحشي على الطريق السوي.

١- في ن لا "بدون واحدة"، وفي ن م: "بدورة واحدة"، والأظهر الثاني.

فصل

أم الكتاب مشتملة على سبع آيات. عندنا هي تلخيص كل مقاصد القرآن، فإذا وجدنا مبحثاً في القرآن خارجاً عن تلك الفهرست، نعرف أن منزل القرآن ما أراه ذلك، فبيان حكمة نظام الكائنات التي تقضي إلى الإنسان بتسلسل الطبقات، ثم بيان اقتضاء الاجتماعيات من الفطرة الإنسانية وحقيقتها، وبيان من أراد أن يتجاوز عن تلك الفطرة الإنسانية، يحسر في أعماله وخاب. كل ذلك يكون من تفسير تلك الآية الكريمة أو الراجع إلى تلك الآية الكريمة، وظاهر أن معرفة الفطرة الإنسانية بهذا التعمق والتدقيق لا يقدر عليها إلا رجل جبل على الحكمة، فنأخذ الإشارة من ذلك أن القرآن العظيم يريد أن يجمع تلك الطائفة من الإنسانية التي هي معرفة حكمة الفطرة، تكون أهم الأشياء عندها، وإذا حصل تلك الجماعة، يجعل القرآن هؤلاء في القوة المركزية وأتمودجاً للإنسانية في ارتفاعها.

"الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ" الإنسان بفطرته يحتاج إلى الأبوين وإلى رحمتهم، وبذلك يكمل فطرته ويصير في الآخر مستغنياً عنهما، ويصير هو أحد الأبوين لإنسان آخر، فالإنسانية مضمورة برحمة الآباء للأولاد من الطرفين. آياتنا كانوا يرحمونا ونحن محبوبون على الرحمة لأولادنا، ومعنى الرحمة عندنا معلوم بما يتعامل الآباء والأولاد، وأخبر النبي ﷺ بما معناه أن الله سبحانه قسم رحمة في مائة جزء (١)، فواحد منها قسم بين مخلوقاته، بذلك يرحم الآباء والأمهات للأولاد، ولنا طريق خاص في شرح هذا الحديث. نجمع ما قدرنا على الإحصائيات رحمة الآباء والأمهات على الأولاد، فنقصر ملايين ملايين. إذا جعلنا أولاد الحيوانات أيضاً وأخلافها، فنجمع تلك الأعداد على الإجمال في دماغنا، ثم نضربها في المائة، فنضم بذلك رحمة الله على عباده فتعين رحمة الله عندنا بصورة محصورة. ترى الفرق بين رحمة الآباء والأمهات. الأب يريد أن يرتقي ولده إلى أعلى ما يمكن من الكمالات، فإن حصل له مشقة في تحصيل تلك الكمالات، لا يأس بما عنده، هو يتأثر بذلك، ورحمة الأمهات لها نوع آخر. هي من لا تنظر إلى أن الولد يكمل أو لا يكمل، لكن يحصل به شيء فيه مشقة أو أساءة فيه إلى قلبه، فهذه لا يتحملها الأم، وبعد ذلك نحن نقسم رحمة ربنا لفهمنا بسهولة إلى قسمين: ١- قسم مائة مرة فوق من رحمة جميع الآباء. هذه الرحمة نجعلها مصداق كلمة الرحمن وتجد في القرآن. "الرحمن علم القرآن" وكمالات آخر ذكرت في سورة

١- هذا الحديث روي بألفاظ مختلفة وبطرق متعددة، فأخرج البخاري عن أبي هريرة ع قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة، فأمسك عنده تسعا وتسعين رحمة، وأرسل في خلقه كلهم رحمة واحدة، فلم يعلم الكافر بكل الذي عند الله من الرحمة لم يفس من الجنة، ولو يعلم المؤمن بكل الذي عند الله من العذاب لم يأس من النار». (صحيح البخاري، كتاب الزقاق، باب الرجاء مع الخوف، رقم: ٦٤٦٩)، و أخرجه بنحوه مسلم (صحيح مسلم، كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى وأما مبحث غضبه، ١٧ / ٢٧٥٢)، وأحمد (مسند الإمام أحمد، مسند المكرمين من الصحابة، مسند أبي هريرة، رقم: ٨٤٦٥)، وابن ماجه (مسند ابن ماجه، كتاب الزهد، باب ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة، رقم: ٤٢٩٣).

الرحمن تحصل بمشقة مثل علم البيان خلفه له آيات لمعرفة الحساب، خلق له الآيات ليفهم رجوع الطبيعة أي الرب ويسجد لربه مثل تلك الكمالات كلها تحصل بمشقات.

٢- ورحمة نجعلها مائة مرة أكثر من رحمة جميع الأمهات ونجعلها مصداق اسم الرحيم، وفي سورة الشعراء يأتي مقابلته بين المؤمنين والكفار، قال كفار يعذبون يقبلون، والمؤمنون بالآخرة يرحمون، فيذكر الله هنالك اسمين من أسمائه "وإن ربك هو العزيز الرحيم" فالعزير يرجع إلى الكفار الذين خالفوا اقتضاء حجة العزير، فوقعوا في العذاب، والرحيم يرجع إلى إيصال المؤمنين إلى جنة لا يكون فيها نصب ولا شيء، فجميع رحمة الله يذكر في كتاب الله ويشعرها مدارجها. أما في الإنسانية أو رحمة الرب لطائفة من الإنسان، فذلك الهممات كلها يكون مرجعها هذه الآية الكريمة والإنسان في صغره كان محتاجاً إلى الأيوين، فلما بلغ الإنسان إلى مرتبة الرجولية وتوفاها الله أيضاً، يجد في قلبه من يرحمه مثل الأب والأم، فإذا تنبه الإنسان إن هذين الاسمين من الله يقومان مقام الآباء والأمهات لجميع الإنسانية، امتأثر بها وذعب عنه اليأس الذي حصل بسبب وفات الوالدين، ويرتقى في الإنسانية بسهولة، فهذا التعليم أيضاً تكميل للفطرة الإنسانية وقضاء لحاجته الأهم.

"مالك يوم الدين". الرحمة إذا توجهت إلى ذي استعدادات شيء وأعدت لها تكميل فطرتها. يقع بينهم اختلافات بالطبع، وهذا الاختلاف في الإنسانية يؤدي إلى أن يظلم بعضهم على بعض، فهذا مقتضى الاجتماعية الإنسانية. أما لا يكون ارتقاها فهذا شيء غير شيء. أما جاء المدد لجميع أشجار الغابة فأغصان تلك الشجرة لابد تلفت مع أغصان غيرها، ففي تلك الحالة أيضاً الفطرة الإنسانية تقتضي شيئاً حكماً؛ ذلك الحكم نقوله الإنصاف ونقول حكم الله، فالله سبحانه ما ترك الإنسانية إذا شجر بينهما نزاع وخلاف قتال وجدال أن يتركها إلى أن يفي، بل يحكم عليها بالحق دائماً فبذلك يتسلسل الإنسانية ويرتقى، فالإنسان كما كان محتاجاً إلى الله في رحمة وكان رحمة تفسر ربهية الرب، كذلك يحتاج الإنسان إلى إنصاف الحق ويكون شريكاً للملكية الرب.

"الرحمن الرحيم". معناه رب الناس. مالك يوم الدين. معناه ملك الناس، فالاجتماعية الإنسانية لا تخلو عن احتياج إلى ملك، فيظهر ملكية الله على الناس، فهم يطعمهم يستلون بهم أن يحكم فيهم بالحق، فهذا والظلم والتقاتل هو مظهر عمومي للاجتماع الإنساني. كل من يراهم من بعيد يراهم أنهم يقاتلون ويظلمون، ولذلك قالت الملائكة "أنجعل فيها يفسد فيها" الخ وإذا دخل رجل في داخل الإنسانية ونظر كل فعل مستند إلى أسباب سلسلة، يحرم بأن الحكمة توجب أن تصدر تلك الأفعال من الإنسانية، فليست هي قوضى، ثم يجد بعدها سر هذا الاختلاف. كل رجل من ظالم ومظلوم بطبيعة يقتضي أن يحكم عليها حاكم بالعدل، فيظهر كون الرب ملك الناس، وهذا نوع لا يظهر ملكية الرب في شيء من المخلوقات سوى الإنسانية، لأن قدرة الله وقهره نافذ في جميع المخلوقات والمصنوعات بدون إرادة منها، وهذا الحكم يجري في الإنسانية باقتضاء من إرادة الإنسانية، فشتان بينهما. نعرف في حكمة

الشيخ ولي الله أن مجازاة كل فعل تحصل الإنسان بعد انقضاء الفعل على الفور، وهذه المجازاة هي ترجمة لفظ الدين، فالإنسان في جميع أعماله محتاج إلى مالك يوم الدين. إذا اشتغل الإنسان بفعله، فهذا يوم العمل. وإذا فرغ من فعله شرع يوم الدين.

هذا في كل فعل يمكن تنفيذ جزائه على الفور. وإن كان فعل عظيم للاجتماعية الكبيرة، فلا تنتهي إلا بعد مئات من السنين، في إيجاد الجزاء التام إنما يكون بعد الانقضاء في قوانين الحكمة. إيصال الجزاء لكل عمل صغير وكبير على الفور وعلى الثاني مقرر تحت قانون يقتضيه الفطرة الإنسانية، فالاجتماعية العامة لجميع الأقوام الإنسانية إذا اشتركت في أعماله فجزائها تامة لا يمكن أن يكون إلا بعد انقضاء الإنسانية من وجه الأرض. وهذا أعظم يوم الدين، فإذا أطلق فلا يراد إلا هذا، فالأعمال التي يشترك الإنسان فيها الإنسان في الاجتماعية الجامعة لا يرجى تحصيل جزائها إلا يوم الدين، والأعمال التي تكون فيها اجتماعية قاصرة، يمكن تنفيذ جزائها في الدنيا، لكن في بعض المواضع يوكل الناس على إيصال الجزاء إلى العاملين، وهم يفلطون في العمل أو يتعمدون الخطاء والظلم، فمراقبة تلك القضاء لا يمكن في الدنيا فمثل تلك الأمور أيضًا تقضى يوم الدين. ينظر في قضية الملوك والقضاة، فإن كان فيها شيء من الظلم وبطل الحكم الأول ويعطي الحكم بالحق بتلك الأشياء أيضًا تكون منضمة إلى القضاء الأعلى في يوم الدين، فالإنسان محتاج دائمًا إلى ملك يقدر على مجازاته ويأخذ حقه من الظالم. هذا كله داخل تحت كلمة "مالك يوم الدين" فالإنسان إذا اعتمد على تلك المعرفة يصير فارغ البال عن ضياع حقوقه. كل شيء يعمل به اجتهاده يصل إليه جزاءه لا بد، وبعد ذلك يخرج بالقوة القاهرة من الإنسانية تنظيم الإنسانية. إذا كان الناس غير معانين على حصول جزاء أعمالهم، ما قدروا الاجتماع نوعًا من القانون، يتبعونه في الأعمال يكون سببًا لارتقائهم من الحيوانية، فالفساد الذي يكون في تنظيم الإنسانية ليس مبدؤه إلا عدم ارتساج تلك المعرفة، فكل شيء يأتي في القرآن العظيم من مجازات الرب لأقوام أو الرجال في الدنيا أو في الآخرة، فأمرها كلها راجع إلى تلك الآية الكريمة.

"إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ" إذا تعينت نسبة الإنسانية إلى خالقها بأنه رب لجميع الأقوام وربوبيته واجبة إليهم مثل ربوبية الأبوين إلى الأولاد، وقضاء خصوماتهم وإيفاء حقوقهم راجع إليه بفضل الملك الديان، ففي تلك الحالة لا تحتاج الإنسانية إلى حاكم وإلى ملك سوى ربهم ولا يطمنون على حكومة أحد ولا على ملكه عليهم، فالإنسانية إذا تعينت بالله رب الناس ملك الناس وما تجاوزت عن ذلك بالتفديد لأحد كانت حرة. هذا معنى قوله "إِيَّاكَ نَعْبُدُ" نحن أحرار بالنسبة إلى كل أحد سوى ربنا، فتعبد بقلوبنا وعقولنا وأجسامنا بطوع وغبنا. أما غيره فلا يرجو منا تحصيل تلك النسبة. حكمة العبودية معناه معينه لكن في ألفاظ يقع باستعمال المجازات اشتباه، فتعين ما نريد بكلمة العبودية، نحن لا نستعين من أحد بشيء إلا من ربنا، فإذا كان أحد من المخلوقين يرجو منا أن نقفد بحكمه لأنه أوصل إلينا شيئًا من ضرورياتنا، فليعرف هو. نحن لا نسلم له أنه أعطانا ذلك الشيء، ولا نتقيد بحكمه، فإن شاء بعد ذلك

فلينفع عنا ما يريد. نحن لا نقوم حياتنا إلا بالاستعانة من الله، فلا يحتاج إلى غيره فإن كان أوصل من النعم بأمر الله، فنحن نشكره ونقنيه أنه أطاع ربه، لكن التبعيد لا يكون إلا لله الذي أعطانا، ولو جعلنا بواسطة من الوسائط شيئاً من العبودية في كل الوسائط، يرجو منا ذلك، ونقع في أسفل السافلين، فألسن عملنا هو ترك الاعتماد في قضاء حاجتنا على غير ربنا وبذلك نقدر على أن ننكر عبادتهم ونشرح في أنفسنا أحراراً. أما إذا جعلنا أفكارنا متقيدة بالاحتياج إلى غير الله، فهذا يجعلنا عابداً لهذا المعطي وبسلب حريتنا، فالكلمة الأخيرة "إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ" تشرح الكلمة "إِيَّاكَ نَعْبُدُ" الرجل يعلم بعقله أن الله هو الخالق القادر المعطي، لكن حوائجه تجعل قضاءها منعقداً بأحد غير الله، فهذا لا يكون حراً أو موحداً، بل يكون مشتركا في التعليم القرآني حسب ما فهمنا بطريق اتباع الإمام ولي الله الدهلوي، فكلمة الشرك والرد عليه وما يأتيه من العقوبات في الدنيا والآخرة، وكلمة الموحّد الذي بمعنى الحرفي اصطلاح عصرنا، وما حصل له من الفوائد في الدنيا والآخرة. تلك البيانات كلها راجعة إلى تلك الآية الكريمة. نصف السورة كأنه تم، وكان فيه بحث عن الإنسان في اجتماعاته، لكن كل فرد فرد. بعد ذلك يأتي البحث عن الإنسان عن حيثية الاجتماعية تحت تلك الآية.

"إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ" هذا دعاء ومعنى الدعاء عندنا إظهار ما تقرر في قلبنا، إننا نريد أن نعمل حتى نحصل هذا الأمر. الأمر المطلوب عندنا بقرارنا، ونحن نجتهد في تحصيله بكل قوتنا، لكن يمكن أن يأتي لها عوارض وموانع لا تقدر على دفعها، ونعتقد أن ربنا الرحمن الرحيم الذي هو ملكنا، قادر على كل شيء، فندعو منه أن يدفع تلك الموانع وتعرف بواسطة خلص عباد الله أن الله يرضى من العبد بهذا الدعاء ويستجيبه، ثم جزئناه فوجدناه كذلك، فلذلك ندعو ربنا لحاجتنا، فاعترفون لتعليم الأنبياء والمغفرون للفطرة إن كانوا قروا للدعاء معنى غير ذلك، ويكرر عليه أهل الفطرة السليمة، فنحن نتبرأ من هؤلاء كلهم، فالدعاء في الحكمة العملية يحمل جزءاً من العلة العامة للأعمال، لأن دفع الموانع من أهم أجزاء العلة التامة، فإذا اعتقد الإنسان مثل هذا، أو دعا بربه بكل قوته بإحضاره في نفسه وجعله في أقرب المواضع منه، فيطمئن بذلك قلبه، ونحن نعتقد أن القوة الإرادية للإنسان فيها تسعة أعشار لعة الأعمال، فبعد الدعاء واطمينان الخاطر، تظهر القوة الإرادية بجميع مظاهرها، وإذا كان في قلب الإنسان خطوط لحروض الموانع، فالقوة العملية الإرادية لا يكون في النشاط أبداً، فلا تعمل بكل أجزائها ولا تظهر النتيجة بالمظهر التام.

فصل

المشي على مقتضى الفطرة الإنسانية هو الصراط المستقيم، ونعلم الله في حكمة يكمل الفطرة الإنسانية، ليس عنده أوامر ونواهي لغو هذا الغرض. إذا صارت طبيعتنا حرة أن تنقيد بخلق، ونعتمد بكل قوتنا على ربنا فوق اعتماد الطفل على الأبوين في مبدأ ولادته، فلا يأتي في قلبنا فكر إلا تكميل فطرتنا ولذلك ندعو ربنا اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ.

فصل

في بدننا أعضاء كثيرة لها وظائف متعينة، كل أحد منها لا يتجاوز عن حده، فترقى من ذلك المنظر إلى المعاني المختلفة الموجودة في ذاتنا، ولقسمها في أول النظر على قسمين: ١- القوى العلمية ٢- القوى العملية، ويكون في قلبنا هاجس أننا نكون في اجتماعاتنا قابلين للحمد والمدح، وترقى عليه في العلم والعمل، فهذا هو اقتضاء فطرتنا، فنحب أن يكون لنا إذا اختلف الأمور علينا بمقتضى قواها الطبيعية المختلفة، أن يكون القرار أحسن ما يكون، فهذا هو الصراط المستقيم، ونريد أن نمشي عليه بكل قوتنا وهذه أول مظاهره من القوة العملية.

"صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ" تفسر للصراط المستقيم، الإنسان لا يتكامل بقواه الفطرية كلها إلا إذا حصل له مجتمع إنسان، فيه نموذج لتكميل كل القوى الموجودة، فدعانا الصراط المستقيم كان كالتنظريات. وهذا وفي هذه الآية، يدلنا بالعمليات. الصراط المستقيم ما كان أمورا نظرية فقط، بل برنامج الحياة، وهذا البرنامج لا يتم إلا بالانسلاخ في الاجتماع، فالجماعة التي تكون جزءا منها، يصدق عليهم أن الله أنعم عليهم قوامه الفطرية كاملة. أسباب الارتقاء في الحياة المهمة اجتماعهم تحت أساس معين فإذا انسلطنا في تلك الجماعة، كأننا حصلنا الصراط المستقيم، ونستشعر بالإشارة من تلك الآيتين أن تعيين الصراط المستقيم وطلب مجتمع من واجبات الإنسانية، فإذا قصر الإنسان في ذلك تكون أعلامه راجعة إليه، مثاله الجائع والضمان، يجب عليهم طلب الطعام والماء، فإذا لم يجتهدوا بقوتهم وماتوا لعدم وجدان الطعام والماء، تكون اللامة راجعة إليهم. جاء تفسر الذين أنعم الله عليهم في القرآن العظيم بالبينين والصديقين والشهداء والصالحين. الإنسان مجموعة العلم والعمل، لا يفك أحدهما عن الآخر إذا كانت الفطرة صحيحة سليمة، لكن بعض القوى في بعض الرجال يكون أغلب من الأخرى، وبذلك يتفاضل الرجال ويكون الوجود محتاجا إلى كل واحد منهم، فالذي يغلب عليهم القوة العملية، فإن كانوا في درجة عالية يأخذون للعلم من منيع الإنسانية وهم الأنبياء والذين يتلوهم ويتأخرون عنهم في أخذ العلم من المنبع، وجد ذلك مساواتهم مع الأنبياء في القوى العلمية متحققة وهم الصديقون، والذين يغلب عليهم القوة العملية، فإن كانوا بالغين إلى درجة عالية حتى يسهل عليهم أن يقتلوا إن لم يحصل مطلوبهم، هم الشهداء والذين يتلوهم لا يبلغون إلى أن يفادوا أنفسهم، لكن في أيام حياتهم يجتهدون كل الاجتهاد ولتكميل المقصد، فهم الصالحون. الدرجة الثانية من العاملين، فمقصدنا لا يتنازل في القوى العلمية والعملية عن الدرجة الثانية، فإن بلغنا إلى الدرجة الأولى، فذلك أحسن، وشرط في ذلك أن لا تتنازل إلى الدرجة الثالثة في العلم والعمل، فالذين علموا بالحق وما يقتضيه فطرتهم من الصراط المستقيم، لكن ما قاموا للعمل على مقتضى ذلك، هؤلاء في الدرجة الثالثة من العمل وعبر عنهم بالمغضوب عليهم، والذين القوة العملية منهم على النشاط، لكن لم يجهتوا لمقتضى الفطرة من العلم، هؤلاء في الدرجة الثالثة من العلم وعبر عنهم بالضالين، فنحن نبتغي أن يحصل لنا اجتماع صالح يكون مشتملا على الطبقة الثانية

من العلماء، والطبقة الأولى والثانية من العاملين ولاندخل في ذلك المجتمع من كان على الدرجة الثالثة من العلم والعمل، بل فخرجهم من المجتمع. ختم بذلك تفسير قوله "غير المغضوب عليهم ولا الضالين".

فصل

هذا الدعاء معناه: إن كان على وجه الأرض مجتمع صالح حسب حاجتنا، فأوصلنا إليه، وإن لم يكن فوقنا لنخرج ذلك المجتمع إلى الوجود، وهذا الأمر ليس بسهل، وبدون هذه الإرادة لا يتم التمسك على الصراط المستقيم. إن كان رجل يريد أن ينهج الصراط المستقيم، لكن يشعور أن يجد المجتمع لذلك ويكون فيه، فإن لم يجد جماعة على تلك الطريقة، يجعل نفسه كالمعلوكة لأن الإنسان لا يقدم لمثل ذلك العمل العظيم إلا بالاجتماع، فهذا الرجل غرض ناقص تصحيحه قريب من النصف. أما إذا أراد رجل إن لم أجد المجتمع، فأنا أسعى لإنشاء المجتمع يكون عزيمه تائما، والقدرة على إنشاء المجتمع في الأرض ليس مثلها إلا مثل بلدة عظيمة في الصحراء، فعلى أصحاب المهم العالية لا يشكل لها هذا ولا ذلك.

فصل

القرآن العظيم دعوة إلى حركة اجتماعية عالمية، ففي الدعاء الذي جعل عنوان برنامجه ما تعين شيء من الأشياء المقترحات القومية المخصوصة. الناس في النظريات العقلية على طبقات متباينة. المقصد الواحد يحصله طائفة بوجه وطائفة بوجه آخر، وذلك المقصد لا يكون إلا تكميل الفطرة الإنسانية، فالصراط المستقيم متشخص عند قوم بصورة وعند قوم آخرين بصورة أخرى، فالدعاء الذي ألهم الله نبيه، كان عائدا من الشخصيات. كل رجل يعتمد بفطرته على ربه، يشغل عليه أن يسأله الصراط المستقيم، فإذا كان رجل يؤمن الناس، يدعو ربه أن يهديه الله الصراط المستقيم، فهل يختلف عن الاجتماع معه رجل سليم. الفطرة تشخصات الصراط المستقيم عنده أيا ما كانت، فإن الإمام يعتمد في تعيين الصراط المستقيم على ربه وعلى هدايته، فيكون تسهيل اجتماع الأقوام على دعاء واحد، وإذا لم يكن برنامج الأقوام شيئا واحدا، كيف يجتمعون، وكذلك تعيين العمليات للصراط المستقيم، وتفصيله بصراط الذين أنعمت عليهم أيضا ما ذكر فيها اسم رجل من عظماء قوم دون قوم أو رجل أو رجال. لانقول صراط محمد وأبي بكر ولانقول صراط موسى وعيسى، وكذلك الأمم لهم أكابر وعظماء، فإذا ذكر اسم رجل منهم، فالرجل الذي يعتمد على ربه بفطرته هل يختلف عن الاجتماع مع الذين أنعم الله عليهم. يكون تعيين هؤلاء مفوضا إلى الله. ندعوه من أنعمت عليهم، فاعمدنا طريقة ما وجدنا في كتب جميع الأديان دعاء نصف من هذا الاجتماع. الناس على حكمة واحدة وكذلك لانعين للمغضوب عليهم ولا الضالين.

لطيفة

نحن نفسر المفضوب عليهم. في زماننا من يقول معاني القرآن مفهومة لكن العمل عليه مستحيل أو كالمستحيل، فنجعلهم من المفضوب عليهم، و جاء في الحديث أن النبي ﷺ في زمانه قسر باليهود، فليس هذا تفسير للدهور كلها في جميع الأيام. إن هو مثال نظير في ذلك الوقت^(١)، فلينظر الإنسان في زمانه وفي ملكه وفي قوم من يناسبهم، فيجعله مصداق ذلك، وكذلك نفس الضالين ممن يقول إن العلم بالقرآن في هذا الزمان كالمستحيل. إني رجل جديد الإسلام، ودخلت في الإسلام وأنا ابن ست عشر سنة، وحصلت العلوم الدينية في بلادنا على جماعة العلماء. كل الناس يقدرون على الأخذ عنهم. ما كنت رجلاً صاحب ثروة أو مشغولاً بحرفة، أطلب العلم مثل ما يطلب عامة المسلمين ويكفل المسلمون بحوائجهم بقدر أدنى الضرورات الخ^(٢) حتى أنا أحمد ربي حمد أكبر أسهل لي أسبابه حتى وفقت أن أجعل فهم القرآن العظيم على فأنا أحمد ربي حمداً أكبر أسهل لي أسبابه حتى وفقت أن أجعل فهم القرآن العظيم على طريقة هؤلاء الأئمة مقصد حياتي الخ وبعد ذلك الذين يقولون في هذا الزمان لا يمكن

١- هذا معروف عند المفسرين، وقد ذكر ابن جرير الطبري آثاراً مختلفة هناك لبيان من هم المفضوب عليهم والضالون؟ (لينظر: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (م ٣١٠هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، ت، أحمد محمد شاكر (بيروت: مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٠هـ)، ١: ١٨٥، وما قاله الشيخ السندي أقرب إلى روح الشريعة، فإن غضب الله لا يختص بقوم خاص، بل له أسباب تسبب غضب الرحمن حيث توجد. كثير من مثل هذه النظائر تكون بمثابة ضرب للمثل، لا تفسيراً للأية على وجه الحصر، كما ذكر الإمام الشافعي في الله الدهلوي في الفوز الكبير.

٢- هناك اختلاف كثير بين عبارتي: ن م و ن، ففي الثاني ما ضبطته في للن، وأما في الأول فجاءت العبارة هكذا: "يقدر أدنى الضرورات، فأنا أقول بحمد الله توجهت إلى فهم القرآن العظيم بواسطة شيخنا الهند، واحد من جماعة الديوبنديين وأقر أن شيخنا أعرف منهم مثل أربعة أو خمسة رجال، فتوجهت إلى تصانيف لشيخنا مولانا قاسم، وعرف ألوف من الطلبة يوجهون إلى تلك التصانيف ثم ارتقيت إلى معارف الإمام ولي الله الدهلوي، ولده عبد العزيز الدهلوي، وحفيده مولانا محمد إسماعيل الشهد. هؤلاء أكثر أهل الحق من علماء الهند يعظمونهم مثل تعظيم الناس لأكابر المجتهدين أو لأكابر شيوخ الطريقة. مقصدي أن طريقهم ليست مختلفة عند الناس، إنما عدم الانضاع لتفاضل الناس فقط. أنا أحمد ربي كثيراً سهل لي أسباب منى وفقت أن أجعل فهم القرآن الكريم على طريقة هؤلاء الأئمة مقصد حياتي، وما كنت أتخيل أن واحداً من الناس يسمع مني، لأن أموري في نفسي حقير فإله سبحانه أشكره شكراً جزيلاً، رأيت في حياتي رجالاً من أولي العقول الصالحة توجهوا إلى الأخذ عني القرآن العظيم فقط، وهم أطوب وأعقل مني في الأمور الدينية والدنيوية عامة، ثم جاءت طائفة ممن أخذوا عني، جعلوا مقصد حياتهم التدبر في القرآن وللمدارسة فيه، فخرج عليهم نوح بعد نوح، وبعد ذلك الذين يقولون في هذا الزمان لا يمكن فهم القرآن. أنا أقول إنهم من الضالين على بينة من ربهم، فلا اشتغال بالقرآن مثل ما اشتغلت إن سهل علي كل المسلمين، فكيف يقال إن القرآن لا يفهم في هذا الزمان؟ وتعجب إذا رأينا من تلك الطائفة رجالاً ينتظرون المهدي، هل هم شكروا الله في ما آتاهم من القرآن، فهم يتزهدون من تعمله. النبي عليه السلام في زمانه فسر هؤلاء بالنصاري فهذا كالمثال والنظير لأهل ذلك العصر، لالكل الناس إلى آخر الدهر.

فهم القرآن. أنا أقول إنهم من الضالين على بينة من ربهم. النبي فسر في زمانه هؤلاء بالنصارى فهذا كالمثال والنظير لأهل ذلك العصر لالكل الناس.

فصل

الفاحة قراتها هي الصلوة. الطهارة والتوجه القبلة من المبادئ والركوع والسجود ومن المكملات، والأصل حضور الإنسان عند ربه في فكره وفي تخيله وعرضه إليه ما يحتاج إليه، وهذا معين لجميع من يدخل في الإسلام، فالقصد من الصلوة هو الدعاء من الله لهداية الطريق للمستقيم، ونضم معها سورة أخرى كأعماج جواب من الله أن الهداية هي القرآن، فافقروا ما تيسر من القرآن فتعدوا^(١)، ثم الركوع والسجود شكر لاستجابة هذا الدعاء. هذا معنى الصلوة عندنا، قرره مولانا محمد قاسم، ثم نزيد على ذلك من صلى تلك الصلوة في جماعة المسلمين، صار مسلماً فالإسلام ليس إلا التحصيل للدعاء من الله بالألفاظ تلك السورة فهذا شيء ثقیل على الناس.

الشريعة الإسلامية ما أجازت أن تقرأ في الصلوة شيء سوى القرآن، فمعناه أن الإسلام ليس إلا اتباع ما في القرآن وهذا هو الذي يمكن تبليغه وإعلانه إلى أمم الغلبليل. إذا صلوا^(٢) صلوة المسلمين، والمسلمون بعد ذلك أدخلوا في إسلامهم كل البدعات التي أدخلها قوم في دينهم، لكن تلك البدعات لا تری إلى صلاتهم، فلا يخفى كلمة الحق للمتفكرين. أهل الإسلام أقسموا إلى أقسام هذا شيء يوجب في إسلامه شيئاً لا يوجب جميع المسلمين، وبخلافه هذا شيء هو يوجب في إسلامه شيئاً مثل الشيء لا يقبلها الشيء، لكن هؤلاء ما قدروا أن يغيروا الصلوة ويقرأوا فيها سوى القرآن^(٣) مما زادوها كالجزء للإسلام. عرفنا بهذا أن الله قد حفظ هذه الدعوة الدينية الاجتماعية من التحريفات والبدعات التي أوجدها المسلمون مثل الأقباط الآخرين، فحفظ القرآن في عامة المسلمين على السواء، وتيسر فهمه لكل من أراد من أي عصر كان، وبعثة الأساتذة والمعلمين والمجتهدين في رد التحريف عن الكتاب في كل دورة انقلابية يجعلها جازمين بأن الله ما أراد من الناس الاجتماع العمومي، إلا على هذا الصراط المستقيم. أنا بحمد الله جربت الحركات الاجتماعية العالمية فما وجدتها في الإنصاف والهدوء إلى الحق إلا ثلث أو ربع من الدعوة القرآنية، لكن ليس مقصدي من ذلك مدح المسلمين في ذلك العصر الذين أعرضوا عن القرآن وهم يفتخرون بالإسلام ويتسبون بأشياء دعاوي عريضة طويلة، والقرآن الكريم يقول: "لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ الْخ" كنت أردت في أول شروعي في الدعوة إلى القرآن إذا قدرت على تأسيس مدرسة لتلك الدعوة، فأكتب على أعلى بابها هذه الآية "لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ" الخ. هذا عندي

١- في ن م و ن، جا هناك "تعدون" بإثبات النون، والأنسب بسقوطها لأنه في موضع جواب الأمر، إلا إذا أول بتأويل المسئلة.

٢- في ن م: حفظوا.

٣- في ن م: سوى الإسلام، وما ن م هو الأنسب فأخوته.

جواب لأهل الإسلام في هذا العصر وهذا كله أرى حفظ القرآن من التخليط والتحريف ببركة الشريعة الإسلامية، إنما ما أوجبت في الصلوة إلا قراءة القرآن.

١-٣

سورة ن(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه السورة باعتبار النزول سورة ثانية، نزلت أولاً سورة العلق، وبعدها هذه السورة، وما هو المشهور أن سورة المدثر نزلت بعد العلق فيما بعد فترة الوحي، و سورة ن نزلت قبل فترة الوحي. (٢) في هذه السورة بروگرام بين الاقوامى.

ن عدده ٥٠، ويتم الخمسون إلى واقعة صفين، وهي وقعت بعد سنتين، بعد شهادة عثمان. وفي الصفين سلم علي التحكيم، فبعد تسليم التحكيم لم تبق خلافة علي رضي الله عنه علي الشأن الأول وإن لم يسلم اولئك التسليم، وأخذ العدد من حروف المقطعات مروجاً في اليهود في سنين النبوات. الحاصل فاز بروگرام بين الاقوامى في خمسين ٥٠ سنة، وظهر مصداق قوله: "لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ." "ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ": بالقلم في التاريخ شاهد على أنك "مَا أَنْتَ بِبِعَمَةٍ رَبِّكَ بِمُحْجَنُونَ" لأن بجويز بروگرام خمسين سنة على وجه ظهر فوزه كالتشمس على رابعة النهار، لا يمكن من محنون إلى لا يمكن من كل عاقل.

"وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ": أي غير منقطع إلى يوم القيامة، فعلم منه أن النبي عليه السلام راحى في بجويز بروگرام الفوز إلى يوم القيامة وأراد، فكلما فاز هذا بروگرام يكون له عليه أجر، والقاعدة أن لا أجر إلا بالنية. إنما الأعمال بالنيات، فالإخبار بالأجر غير (٣) المحتون يدل على نية النبي ﷺ وقت بجويز بروگرام فوزه مرة بعد أخرى إلى يوم القيامة، فتجويز بروگرام الذي يرعى فيه الفوز إلى يوم القيامة غير ممكن من المحتون، ففوز الصحابة ومن بعدهم إلى يوم القيامة هو فوزه عليه السلام، ويستحق عليه

١- بعض السور فسرهما للفسر مرتين، ومنها هذه السورة.

٢- هذه السورة مكية باتفاق أهل التأويل. لاختلاف في هذا الأمر بينهم، وأما بالنسبة إلى مدنية بعض أجزاءها فقد ذكرها السيوطي في الإتيان كما ذكر الشيخ محمد الطاهر بن عاشور في التحرير والتنوير. وأما كون هذه السورة ثانية نزولاً فهذا عتار الشيخ السندي بناء على قول جابر بن زيد. يقول الشيخ طاهر بن عاشور: وهذه السورة عندها جابر بن زيد ثانية للسور نزولاً قال: نزلت بعد سورة اقرأ باسم ربك وبعدها سورة المزمل ثم سورة المدثر، والأصح حديث عائشة «أن أول ما أنزل سورة اقرأ باسم ربك ثم فتر الوحي ثم نزلت سورة المدثر». وما في حديث جابر بن عبد الله «أن سورة المدثر نزلت بعد فترة الوحي» يحمل على أنها نزلت بعد سورة اقرأ باسم ربك جميعاً بينه وبين حديث عائشة رضي الله عنها. (محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير (بيروت: مؤسسة التاريخ، ط ١، ص ١٦)، ج ٢٩، ص ٥٤، ٥٥.

٣- في الأصل "غير"، الصواب "غير" بدون الألف واللام.

الأجر من الله تعالى، ولا شك أن في تجويز هذا پروگرام تكاليف كثيرة ومشقة عظيمة لأنك تحملها، لأنك "لَعَلَى خَلْقِي عَظِيمٌ".

اعلم أن إرادة العمل بذلك پروگرام بالجزم خلق اور تمام دنیا اگر آپ کو اس سے ہٹانا چاہے تو بھی نہیں ہٹا سکتی لیکن یہ خلق عظیمیہ کہا قال "فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ" (۱) "فَسَتُبْصِرُ" أنت "وَيُبْصِرُونَ" أي من يقول إنك مجنون "بِأَيْكُمُ الْمَفْتُونُ" أي أنت مجنون أو هم مجنون؟ لأن "رَبُّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ" فهو لا يجعل فائزًا إلا من هو على الهداية، فإن فُتِرَ يعلم أن طريقك (پروگرام بین الاقوامی) حق، وإن فازوا يعلم أن مخالفتي طريقك على الهداية، فإذا علمت أنك على الهداية "فَلَا تُطِيعُ الْمُكَذِّبِينَ" لأن فوزك يقيني فما معنى للإطاعة "وَقُولُوا لَوْ أَنَّا كُنَّا نَعْلَمُ" في عرض پروگرام "فَيُذْهِبُونَ" في مخالفتك ثم ذكر أوصاف المكذبين بقوله "وَلَا تُطِيعُ كُلَّ خَلَّافٍ" ليس عنده پروگرام مكلف مرااگواسے بے گواہاں چیت سوگند ای ان کان عنده شيء يفرضه يراه الناس، وأي حاجة إلى الخلف الكاذب.

"مُهَيِّنٌ" : دليل، فيه إشارة إلى من أسر في بدر من سبعين، وفي قوله تعالى لم يمتدح لنسفعن في سورة العلق، أي من قتل في بدر، الحاصل وقعت هذه الذلة يوم بدر كما أخبر في هذه السورة.

"مُهَيِّنٌ" : من عادة من لا يكون عنده پروگرام يظعن في پروگرام. فهو يظعن في پروگرام بين الأقوام، يظهر عيوبه عند الناس.

"مَشَاءٌ بِنَجِيمٍ" : يريد بالنميمة أن يجعل تعلقه بالفريقين (يعني دونوں کی نظر میں اچھا بنا رہے)۔

"مَنَاعٌ لِلْخَيْرِ" : اعلم أن ما هو مقتضى الإنسانية هو الخير المطلق، ومقتضى الصنف أيضًا خير، لكن ما هو مقتضى نوع الإنسانية الذي يوجد في كل فرد الإنسانية، فهو خير مطلق، فالذي يمنع في الخير المطلق الذي هو مقتضى نوع الإنسان وهو أيضًا لا مرة أو مرتين، بل صار المنع عادته، فعلم أن إنسانيته مسخت.

۱- سورة التوبة: ۱۲۹، یعنی میں اکیلا بھی اس کام کو کروں گا، وہ بھی اپنے پیروں پر نہیں، بلکہ اس کے پیروں پر اور مجھے تمام دنیا کی طاقتیں اس سے نہیں ہٹا سکتیں۔ یہ ہے خلق عظیمیہ؛ کیا کوئی بخیر ایسا کر سکتا ہے؟ مجنوں تو بھی کہہ سکتے ہیں، کبھی کبھار الحاصل اس بین الاقوامی پروگرام سے اگر آپ کو تمام دنیا ہٹانا چاہے، تو بھی نہیں ہٹا سکتی۔ (یعنی انی ساعمل فریڈاً وذلك اعتماداً على الله ولا يستطيع أحد أن يصرفني عنه، فهل يستطيع أي مجنون أن يفعل هكذا؟)

اعلم أن الكلام في الحسن والقبح طويل، والصحيح أن فرد الإنسان الذي يكمل مقتضى الإنسانية، فهو حسن، والذي لا يكمل مقتضى الإنسانية فهو قبيح بالنسبة إلى المكمل، وأما بالنسبة إلى ذاته فليس شيء ما قبيحاً، بل الكل حسن. ثم اعلم أن الحسن والبر والخير شيء واحد، وكذا الشر والقبح والإثم شيء واحد، والفرق أن الحسن والقبح ألفاظ الحكماء، والإثم والبر والخير والشر ألفاظ الشريعة. ثم اعلم أن الحسن في كل نوع لا يوجد فيه مقتضى ذلك النوع على وجه أكمل، وما لا يوجد فيه مقتضى ذلك النوع، فهو قبيح بالنسبة إليه، مثلاً يقال هذا الخمار حسن، فالمراد أن مقتضى الخمارية يوجد فيه على وجه الكمال، وهذا الفرس حسن، أعني يوجد فيه مقتضى الفرسية على وجه أكمل، هكذا في الإنسان وغيره، وما يخالفه فهو قبيح وشر.^(١)

"مفتقد": عدوان ابتداء الطفيان، لأنه تكذيب بالقلب والفكر، أي الفكر والتدبير في أن لا يترك پروگرام بين الأقوام حتى يمتشي والعمل بخلافه هو الطفيان.

"أليم": الإثم ككل كبيرة، والذي اعتاد بالكبائر هو أليم لأنه صنيعته صفته، "عقل" متكرر، زعيم يقولون هو ولد الزنا أي ملحق بالغير في النسب، ولا حاجة لنا إليه، بل المراد به هو المنتسب إلى الغير ومن يكون تحت الغير.

اعلم أن قانون الدين الختفي الذي وصل إلى قريش بشرعة إسماعيل كان محفوظاً عندهم إلى قبل النبوة النبوية بثلاث مائة سنين، أي زمن عمرو بن لحي^(٢)، وبعد ذلك وقع الخلط فيه، ولم يكونوا يحسون بالخلط، لكنهم كانوا متفقين على أن يبلغ هذا الدين في العالم كله، واختلفوا بتجويز طريقه (يعني اسكن كاميلي کے پروگرام میں مختلف تھے) وصاروا ثلاث فرق، "أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَيْنَ"، أي لا يطعمه لأجل كونه ذا مال وبين. "إِذَا تَغَلَّى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ" لأنه لا يعلم أن طريق القرآن التعلم ضمن واقعات جزئية فيقول هذه أساطير الأولين. "سَنَسِيئَةُ عَلَى الْخُرُطُومِ" أي ندله على وجه لا يقدر على إخفاء الدلة، ولا على تجويز طريق يخرج به منها. "إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجُثَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا

١- يقول الشاه ولي الله الدهلوي إن كل عمل يفعله الإنسان قضية لإتقياد للملا الأعلى واضمحلاله في تلقي الإلهام من الله وصورته فانيا في مراد الحق، وكل عمل يجازى عليه حراً في الدنيا أو الآخرة، وكل عمل يصلح الارتفاقات التي يني عليها نظام الإنسان وكل عمل يفيد حالة الاتقياد، ويدفع الحجب. والإثم كل عمل يفعله الإنسان قضية لانقياده للشيطان وصورته فانيا في مراده، وكل عمل يجازى عليه شراً في الدنيا والآخرة. وكل عمل يفسد الارتفاقات وكل عمل يفيد مضادة للاتقياد، ويؤكد الحجب. (الشاه ولي الله الدهلوي، حجة الله البالغة ٢، للشيخ سابق) بيروت: دار الجبل، ٢٠٠٥ء، ١: ١١٤.

٢- هو من قبيلة خزاعة وأول من غير مللة الإبراهيمية وعرف عبادة الأصنام.

لَيُصْرِفَنَّهَا مُصْرِفِينَ (١٧) وَلَا يَشْفَعُونَ (١٨) فُطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ (١٩)
فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ (٢٠) فَتَنَادَوْا مُصْرِفِينَ (٢١) أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْبِكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٢٢)
فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَفَتُونَ (٢٣) أَن لَّا يَدْخُلْنَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ (٢٤) وَغَدُوا عَلَى حَرْدٍ
قَادِرِينَ (٢٥) فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لُنَّاعِلُونَ (٢٦) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (٢٧) قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَّكُمْ
لَوْلَا تُسَبِّحُونَ (٢٨) قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (٢٩) فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَوْمُونَ
(٣٠) قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ (٣١) عَسَى رَبُّنَا أَن يُبَدِّلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ (٣٢) *

اعلم أن القرية ليس معناه ما هو المشهور بل معناه المجتمع^(١) يعني سوسائيتي وهو المراد بقوله: "وَأَن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ" أي أرسلنا في كل سوسائيتي نذيرًا. إذا علمت هذا فاعلم أن كل سوسائيتي يعمر أرضًا تكون حولهم يكون في زرعهم وغيره حق المساكين الذين لا يقدرון على الزراعة، لأن الأرض لله تعالى، والمساكين أيضًا لهم حق في أرض الله، وذلك الحق لا يكون بطريق التبرع، بل بطريق الحق كما في قوله: "وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ" وهكذا المروج في كل ملك^(٢) أنهم يعطون للمساكين، فمن لا يعطي المساكين ويخالف فيه قانون آباءهم فجزاءه هلاك تلك النعمة كما قال: "كَذَٰلِكَ الْعَذَابُ" أي في الدنيا "وَلْعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ" أي هلاك المال في الدنيا، جزاءه سلب الحق وعذاب الآخرة جزاءه جعله عادة، أي جعل سلب حق المساكين عادة له.

اعلم أن الاجتماع قسمان: تدير المنزل لا يحتاج فيه إلى السياسة، اجتماع أهل دار واحد، أي اجتماع القرية داخل في تدير المنزل لا يحتاج إلى السياسة (بله ده آئیس میں مل کر اپنے امور کا فیصلہ کر لیتے ہیں) و اجتماع المدينة واجتماع المدن يحتاج إلى السياسة إلى ما لا غاية له، كلما ازداد الاجتماع، ازداد الاحتياج إلى السياسة.

"إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ"، أي لمبني پروگرام بين الأقوام "جَنَاتٍ النَّعِيمِ" في الدنيا والآخرة، ولا حاجة إلى التقييد بالآخرة، ويحرمون منها عقابوه" (٣) أَلَفَنَجْعَلُ الْمُتَسَلِّمِينَ كَالْمُحْرَمِينَ" هذا لا يمكن^(٤) "مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ" أن لكم جنات مع مخالفة پروگرام "أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ. إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَّا تَحْكُمُونَ" أي كتب لكم أن لكم ما تحيرون مع مخالفة پروگرام "أَمْ لَكُمْ آيَاتٌ عَلَيْنَا بِالْفَقَةِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَّا تَحْكُمُونَ" أي عهد منا بآنا نعطيكم الجنات، وإن خالفتم پروگرام "سَأَلْتُمُ آبَاءَهُمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ" أي بالكتاب والأيمان، وفي عدمه ما بقي إلا الأخذ بالقوة "أَمْ هُمْ

١- هذا مجاز مرسل بذكر أهل وإقامة الحال.

٢- اللفظ المستخدم عسوما هو الدولة.

٣- العبارة من قبيل أكلوني البراغيث.

٤- وهذا التقدير يشير إلى أن الاستفهام في الآية للإنكار.

شُرَكَاءُ " الآلهة، یعنی تم پاخذون من الجنات بالجبر بإعانة الشركاء " قَلْبًا تَوَّابًا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ. " قریش لم تكن قائله بالشركاء القاهرين، وإن كانوا قائلين بالشركاء، فصح نفي الشركاء. اعلم أن اليهود لم يؤمنوا بأنهم يقولون إن السلطنة تكون أبدًا في نسل داود، فهم لا يسلمون النبي لهذا الوجه، وما سوى يهود أهل إيران وغيرهم لم يكونوا أهل كتاب بل أهل حكمة، لم يكن عندهم شيء مؤكدًا من اليمن فيقال لقریش إن كان عندكم كتاب بطريق أهل الكتاب، فاتوه وإن كان إيمان على طريق أهل الحكمة، فاتوا بما وإلا فما بقي إلا الأخذ بالقوة، فاتوا بالشركاء الخ.

"يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ" أي يسمرون الثوب عن الساق للحرب (یعنی جس دن بہادر ہونے لگیں گے کپڑے اٹھا کر لڑائی کے لیے تیار ہوں گے) "وَيُذْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ" أي الإطاعة "فَلَا يَسْتَطِيعُونَ" الإنكار من الإطاعة، بل يصيرون مجبورين عليها "وَقَدْ كَانُوا يُذْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ" إلى الإطاعة، "وهم سالهون" عن الذلة، أي لو أطاعوا في ذلك الوقت لم يحصل لهم هذه الذلة، هكذا وقع فيمن أسر يوم بدر.

تتمة: قوله: "إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ" في اجتماع قریش لم يكن زرع وغيره لعدم صلاحية الأرض له، لكن كان نكته مركز تدوير الناس لبيت الله، وكانت قریش تأخذ تدوير الناس كلها، وكان فيها حق المساكين لأنها كانت لله تعالى، والمساكين أيضًا عباد الله، وكانت قریش لاتعد الناس في مقابلتهم شيئًا، فهم كانوا مثل أصحاب الجنة، إن أدوا حق للمساكين مثل أسلافهم سلموا وإلا هلكوا وهلكت أموالهم في الدنيا ولهم عذاب الآخر على جعل سلب الحق عادة.

شرح التقوى

هو المذكور بقوله: "إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ" (۱) وحاصل التقوى أمران (۲): "أمر يتعلق بالخالق، و"أمر يتعلق بالخلق، ذكر الأول بقوله: الإحسان وهو أن نعبد الله كأنك تراه، فإنه يراك، وذكر الثاني بقوله: "بِالْعَدْلِ" ثم لابد للعادل من طريق يفهمه الكل، فذكره بقوله: "وَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا" يعلم الكل ما ذا يفعل بالابن والأب ... فعليه أن يعلم أهل العالم كله مثل أقاربه فيعامل بهم ما يعامل بأقربائه، مثلاً يعلم الصغار مثل بيته إلى آخره (يحب لأخيه ما يحب لنفسه) (۳).

ثم اعلم أن في الاجتماع ثلاث جماعات: 'الحكام' و'وزرائهم' و'عوامهم' الذي جعلهم وزراء اعتمادًا على عقولهم (هر سیاسی سوسائتی ان تین حصوں پر مشتمل ہوتی ہے: فخرلاف الحکام البیعی وخرلاف الوزراء المنکر یعنی جو تمام وزراء کے نزدیک بری ہوں گے کیوں کہ مکر اس چیز کو کہتے ہیں،

۱- التحل: ۹۰.

۲- وفي المخطوط: أمرين، وهو خطأ الكاتب، لأن المقام مقام خير المبدأ.

۳- الحديث المعروف: لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه. (متفق عليه)

جس کا برا ہونا معقول ہو، سوسائٹی کے تمام عقلا اس کو منکر سمجھیں اور ان لمبروں کو عام لوگوں نے ان کی عقل پر اعتماد کر کے منتخب کیا ہے تو ان کے فیصلہ کے خلاف کرنا منکر ہے، اور فحشاء وہ فعل ہے جس کو انسان چھپ کر کرنا چاہے اور کسی کے دیکھنے سے اس کو رنج معلوم ہو، یعنی عام بیک جس کو اچھا نہ سمجھے، اس کام کو بھی نہ کرے، تو اس میں تمام اخلاق آگئے، جن سے سوسائٹی محفوظ رہ سکتی ہے، یعنی سوسائٹی سے معاملہ صاف رہ سکتا ہے اور اللہ سے بھی صاف رہ سکتا ہے اور یہی حقیقت ہے تقویٰ کی، تو اصل جز دو ہو گئیں:

احسان اور عدل، باقی اجزاء القربی، نهي عن الفحشاء والمنکر والبغی یہ سب شرح ہیں عدل کی۔ (۱)

"قَدْ زُني وَمَنْ يَكْذِبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ" اے اترك خیال انتقام للکذابين لانه محل في دستور عملك، بل فوض معاملة انتقامهم اليّ واعمل عملك. "سَنَسْتَنْذِرُكُم مِّنْ حَيْثُ لَا تَعْلَمُونَ. وَأُنَبِّئُكُمْ أَنَّ كَيْدِي مَبِينٌ" فيه حکم ترك المقاتلة للکذابين متى لم تومر به، لانه محل في العمل. "أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَفْزُومٍ مُّقْتَدُونَ" العذران بمقتضى الإنسان في قبول دستور العمل، أحدهما سؤال المبلغات في تمشية دستور العمل، مثلاً يقولون إن دستور عملك أحسن، تسأل المبلغات لتمشيته ولا نستطيع تحمل المبلغات فلا نسلم (اس قسم کا عذر عام طور پر جو سکتا ہے)۔ الثاني أن عندهم مكتوباً يعني في درجة القطع إنهم يفوزون قطعاً في مخالفة القرآن ودستور عمله. اعلم أن الكتابة تكون كناية عن القطع، كتب أي قطع يكتبون أي يقطعون. الحاصل أن عندهم أمراً مقطوعاً أنهم يفوزون في مخالفة دستور عملك، أصح القرآن يعني ليس عندهم شيء من هذين الأمرين، فلا يجوز لهم المخالفة.

"فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ" یعنی اپنے کام پر ڈٹا رہو خدا کے حکم سے "وَلَا تُكِنُّ فَصْحًا" "إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ" في التعجيل بالانتقام لانه يضرك كما أضرك "لَوْلَا أَن نَّذَارُكَ نِعْمَةً مِنْ رَبِّكَ لَتَبَذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ" "فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ" أي جعله نبياً. قال الشاء ولي الله إن يونس لم يكن نبياً قبل ذلك، بل جعله الله نبياً بعد خروجه من بطن السمك. "وَإِنْ يَكَاذِبُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنُزَلِّنَّهُمْ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ" يعني أنهم يسمعون بالأبصار والقول في تحريضك على القتال حتى تقتلهم حتى يصدوك (۲) عن عملك لأنهم يعلمون أنك لا تفوز في مقصد.

۱- کل مجتمع سیاسی يحتوي على ثلاث أجزاء: مخالفوا الحکام ومخالفوا الوزراء والوزراء، لأن المذکر ما يعقل إنكاره وجميع عقلاء المجتمع يعدونه منکراً، وهذه الأفراد للحکومة يكون انتقامهم اعتماداً على عقلمهم، فالتقضاء خلافاً لهم منکراً، والفحشاء فعل يرتکبه الإنسان في الخلاء وهو ينزعج علی أن يعلم به أحد، وهذه المصطلح يحتوي على جميع أخلاقه التي يمكن لأجلها حفظ المجتمع، یعنی يمكن أن تكون الصلة بالله وبالعباد صافياً وهذه حقيقة التقوی، فالأصل اثنان: الإحسان والعدل. وأما ما بقي من إبناء ذی القربى والبهی عن الفحشاء والمنکر والبغی فهي شر للعدل.

۲- في المخطوط: حتى يصدونك، وهذا خطأ، لأن دخول حتى يقتضي مقطوع ثبوت الجمع.

إن أخذت في قتالهم، فهم يسمعون بكل حيلة في أن تقوم لقتالهم، ففيه تعلم قانون عدم الشدد. "وَمَا هُوَ إِلَّا دِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ" أي هو پروگرام بين الاقوامى.

٢-٣

سورة ن

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة ن من أوائل ما نزل. قلنا إن سورة العلق ابتداء دعوة قومية وسورة ن ابتداء الدعوة العالمية. "ن" الحروف المقطعة لنا في حلها طريقة مخصوصة، نحن لانعمل المتشابهات من لا يعلمها أحد من الراسخين، وإن كان طريق علمهم ليس طريق النظر والفكر، بل عندنا يعدّ طريق النظر طريقة أخرى. الأنبياء يوحى إليهم بالكوي بواسطة الملائكة أو بدون الوساطة. تلك العلوم لا يقدر أن يفهمها الرجل بالنظر والفكر عامة، فإذا لم يكن عند الناس طريق آخر لتلقي علوم الأنبياء، كان الناس كلهم محرومين وما حصلت الفائدة التي أرادها الله بإيجائها إلى الأنبياء ونحن نعتقد أن النبي إذا شرع في عمل وتوفاه الله قبل إتمام ذلك الأمر، يتخذ خليفة له يتم الله العمل على يديه. موسى توفاه الله قبل الإتمام فانخذ يوشع خليفة، وكان هو أيضًا نبيًا فكان يستحق أن يخلفه، أما لو وقع بعد نبينا مثل هذا والنبوة قد ختمت به كيف يستخلف خليفة لا يعرف مراده، وهذا الطريق الثاني مسلم معروف عند الحكماء يسمونه بالإشراف، هذا الطريق الذي هذب طائفة من علماء الإسلام وحكمائهم وسموه التصوف والتصوف ليس إلا جعل الرجل صوفيًا، والصوفية في لسان اليونان معناها الحكمة عندنا هؤلاء الصوفية مقام الإشرافيين من الحكماء والمتكلمون كالمشائين، فعلم الحكمة في الإسلام لا يتم إلا بجمع الفرتين: الصوفية وأهل الكلام، وهؤلاء الصوفية أخذوا الروحانية عن رجل كبير الروحانية بدون تكلم وتفكر يمكن مشاهدته معمول في الجمهور، فإن كان لبعض أهل العلم نفرة عن الصوفية لبعض أخلاطهم، وهذا ليس مخصوصًا بهم فليظفروا إلى الأئمة المجتهدين والملوك العظام والخلفاء المسلمين، ولا يمكن ذلك من جماعة ارتاضوا في العلم، فهذا النوع من العلم نجعله طريق فهم المتشابهات في القرآن، والجزم بصحتها يحصل بأن لا تكون مخالفة للمحكمات، فإذا حصل الرجل من أهل العلم فهمًا في المتشابهات يوافق المحكمات، فهذا علم صحيح من أترض عنه يكون محرومًا، فعلى هذا الفكر العلماء الذين نعتد عليهم في فهم القرآن والسنة والحكم في مصالح للمسلمين فيما ينوبهم من الأمور، من يكون منهم جامعًا بين النوعين من العلم أو يكون مختصًا بشيء منهما، لكن يسلم على نفسه رئاسة رجل يجمع بين العلمين لا يخالف فيما قضاه هو، فهذا الرجل للفرد بشيء من العلم عندنا أيضًا من الثقات.

فائدة: أبو هريرة يروي أنه حفظ من النبي وعائين من العلم: وعاء يشه في المسلمين ووعاء لم يشه، وهو يقول لو لم يشه لقطع هذا العلم. (١) بعض أهل العلم يقول إنه إشارة إلى علوم الكشف والإلهام.

١ - جاء في صحيح البخاري: عن أبي هريرة قال: "حفظت من رسول الله ﷺ وعاءين: فأما أحدهما فبنته، وأما الآخر فلو بنته قطع هذا العلم". (محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، الجامع المستند الصحيح المختصر

والأكثر على أنه كان إخباراً من النبي بمدد أقوام في الحكومات وإخباراً عن الفتن التي جرت على المسلمين بعد ذلك، ونحن نسلم رأي الأكثر، فتوجهنا إلى أن هذا العلم للنبي ﷺ حصل من كتاب الله أو بوجه آخر ووجد الحروف المقطعة في كتاب الله لا يجوز عنها أحد من أهل العلم إلا رجال من الحكماء ونحن توجهنا إلى تلك المقطعات على قيمتها العددية لأننا وجدنا ذلك العلم معمولاً في شرائع اليهود عامة، وورد فيه رواية عن النبي ﷺ مذكورة في كتب التفاسير فاجتهدنا في ذلك وحصل لنا في أكثر المواضع أحكام توافق المحكمات لأن الأمر في زمن النزول كان مبهمًا، أما اليوم فنعرف في تاريخ الإسلام ما وقع للإسلام بعد نزول القرآن، فإذا وجدنا في عددٍ شهابٍ إليه بالمقطعات إشارة إلى واقعة عظيمة في تاريخ الإسلام، حملناه على ذلك بحسب ظننا لا يكون هذا نصًّا، إنما هو من الأمور الاجتهادية يختلف فيها آراء أهل العلم، فهذا النوع من الفهم عندنا معتبر في تفسير المقطعات مثل ما يفسر أهل العلم المنشآت على سبيل الاحتمال وفقًا لمربي المرتابون. نحن أيضًا صرنا مجبوراً^(١) إلى ذلك، لأن الشبان الذين تعلموا العلوم في الغرب من إخواننا ومن أولادنا مسلمون منا شيئاً من القرآن لا يتكلم فيه ولا ينين لهم ما وصل إليه فهمنا حتى يطعن به خاطرهم فهم لا يسكتون مثل أهل العلم الذين يؤمنون بالمنشأ ولا يفتشونه بل هم إما يتكلمون بأرائهم أو يرجعون إلى رجال زاعمين عن طريق أهل الحق، فصورنا لهم عن ذلك فصلنا في هذا البحث.

فصل: الكلام على ن

عديهما خمسون يأخذ مبدأها من البحث، فوقع على رأس خمسين من البحث، تنازل على التحكيم بصفين. عندنا هذا الأمر له أهمية كبرى في تاريخ الإسلام، لأن أمر المسلمين إلى هذا اليوم كان مفوضاً إلى النبي ﷺ في أيام حياته، وأما إلى جماعة من المهاجرين والأنصار الذين عملوا مع النبي في ابتداء الأمر، وكان الأمر راجعاً إلى مشاورهم، وكل ما وقع بينهم اتفاق على ذلك، كان المسلمون يجعلونه أمراً مثل أمر النبي ﷺ بعد أمر النبي ﷺ، وهذا الأمر كان جازياً بدون توقف إلى قتل عثمان، وبعده من^(٢) بقي من المهاجرين والأنصار في المدينة بايعوا علياً فهو أيضاً ملحق بإخوانه الخلفاء الراشدين الثلاثة، لكنه لم يقدر على تنظيم الحكم مثلهم وسعى في ذلك نحو سنتين، فلما هس من ذلك ترك الأمر إلى تحكيم المسلمين. من هذا الوقت شرعت الدورة الجديدة في الإسلام إلى هذا الوقت.

من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنته وأيامه = صحيح البخاري، كتاب العلم، باب حفظ العلم، رقم: (١٢٠).

١- هذا أسلوب عجمي، فالتعبير الأنسب: نحن أيضًا اضطررنا إلى ذلك. ثم لفظ "مجبوراً" لا يد من أن يكون في صيغة الجمع، لأنه غير فعل الصيغة الثاني.

٢- في الأصل: "ما"، والأنسب "من".

الجمعية المركزية التي كانت حاكمة على جميع الإدارات المتعلقة بالقرآن وكان حكمها هو الحكم منتظمة من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار. وهؤلاء كانوا استفادوا من صحبة النبي ﷺ كانوا يعملون بعهدين عن صحبة النبي في الممالك بالجهاد والقضاء والإفتاء والتعليم والإرشاد، وكان كل ذلك يستند إلى النبي ﷺ، وبعد وفاته عليه السلام ما تغفروا وما غيروا منهم، فكان الأمر كان النبي ﷺ منعزلاً في حجرته، وهؤلاء يعملون نوابين نائبين عنه، فكل ذلك كان عمل النبي ﷺ، واستمر ذلك إلى التحكيم لأن التحكيم على الحكيم ما كان من تحويل الجمعية المركزية، فنقول إلى هذا الحد انتهى الجمعية التي أقامها النبي ﷺ، فكان جميع ما عمله المسلمون إلى ذلك الزمان بفعل النبي ﷺ وتعلمه وإدارته للأمور، وفي تلك الخمسين سنة دخلت الإمبراطوريتان في الإسلام، وانتظم بحكم القرآن على جميع البلاد المقدسة التي كانت موعودة لإبراهيم، فهذا الأمر كله كان النبي ﷺ فعله بنفسه. الرجل يدير الأمور في حياته ثم يتركهم على قانون واضح وجماعة مجتمعة تعمل على ذلك القانون وتستمر بدون منع من شيء، أفلا يستند تلك الإدارة إلى ذات هذا الرجل العظيم، فما وقع في خمسين سنة من إبقاء لمبحث إلى تحكيم صفيين فهو من عمل النبي ﷺ، هذا هو المراد عندنا بـ "نوح" و"القلم وما يسطرون".^(١) هذه شهادة أخرى بعد "ن" كل ما كتبه الناس في التاريخ من أخبار الملوك والأنبياء. هو مصداق والقلم وما يسطرون، لزعمنا بميزان أيهما أرجح عندنا. الإنسان إذا فهم هذا ليس عنده طريق إلا واحد يرجح ما عمله النبي ﷺ على جميع ما كتب ودون في الأمم من أخبار الملوك والأنبياء. ثم "ما أنت بنعمة ربك بمجنون" نعمه ربك هو القرآن العظيم. أنت محل نزوله ومحل حفظه ومحل فهمه ومحل تفهيمه ومحل إصواته، ليس عندك كمال سواه لاتعمل كرجل محتبط تبين للناس أولاً برنامجك بالوحي القرآني ثم تعمل على ذلك بكل قوتك واهتمامك. تعلم رجالاً ما كانوا عالمين. تدبر الأمور العظام بدون اعتماد على كل شيء من المواد المالية وتفوز بجميع عقلاء الرجال وأكابرهم وإقناعهم أن لا يسعوا في الدنيا إلا لتكميل ما جاء في كتاب الله. هذا تعلق النبي ﷺ بنعمة ربه، فإذا فهم الرجل مثل هذا يقول للنبي أنه مجنون ويستحضر ما عمله النبي ﷺ في خمسين سنة ما أنت بنعمة ربك بمجنون ثم من قال إنه مجنون؟ أخير الله في آخر هذه السورة "وَإِنْ يَكَاذِبُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنُزَلِّقُنَّكَ بِأُنْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ . وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ" الآن فهما مقصده. النبي في بداية أمره ذكر لهم أنهم لا يعتمدون على فيسر ولا كسرى كما كان طوائف من السياسيين اغفلوها مسلكاً لهم بل يعتمدون على الحقيقة دين إبراهيم فقط تفلتون بذلك على كسرى وقبصر، وما جاء في فكرهم أنه يمكن هذا وزعموا أن هذا قول ليس تحته علم ودراية وفكر ورؤية؟ هم كانوا جاهلون بأسرار الانقلاب ولذلك حكموا على النبي ﷺ بالمجنون، والله سبحانه رد عليهم، وما هو إلا ذكر للعالمين. هو القرآن، هو يعلم الحركة العالية بجميع

١- هذا الاسقاط أيضاً من التأويلات الجيدة التي نجد أمثاله في هذا التفسير حيناً لآخر.

العللين على اتباعه، وهذا هل يمكن بدون هلاك كسرى وقبصر؟ إذا كان إبراهيم إمامًا للناس وجاء أولاد ظهور دينه إلى الدنيا فمن اتخذهم إمامًا من أولاده أفلا يطلب على كسرى وقبصر الذين يحكمون على الأرض المقدسة أرض إبراهيم؟ تتم شرح الآية الفاتحة. الذين كفروا بأنون إلى النبي ﷺ يسئلونه عن القرآن، عن الذكر وما يصير عاقبته، وهم يرجون أن النبي ﷺ ينتهي عن التحدث بغلبة كسرى وقبصر بعد ما أتكر ذروا العقول من الناس من رجال قومه، فإذا رآه ما تأثر بإنكار هؤلاء بل هو جازم بما حدثهم أولا فيغير أحدهم إلى الآخر بالأبصار أن الرجل صار بعيدا عن الفهم، ومثل تلك الإشارات يؤثر في دماغ الإنسان لازما، وهم يريدون أن يتأثر النبي ﷺ بهم لأن سياستهم صارت باطلة بعد هذا الإعلان، لأن النبي ﷺ يدعو إلى اتباع الخيفية دين إبراهيم وهو مرغوب عند قريش جاهلهم وعالمهم بالبداية، فإذا تأثر الناس بهذا الدعوى هم لا يقبلون بعد ذلك دعاية السياسيين الآخرين أن يتبعوا قبصر وكسرى، وهؤلاء يريدون أن يتغير النبي ﷺ في دعواه في الجملة. يلحزون بالأبصار ينسبونهم إلى الجنون إذا خرجوا من عنده ويشهدون في ذلك ليزول النبي ﷺ عن قليل أمره. يعترف النبي ﷺ أن هذا الأمر مشكك ولا يجدون له مسانغا، والنبي ﷺ جازم، كلما أتوا بشبهة أزاهها، لأن القرآن ليس المقصد منه إلا اجتماع العللين على هداية ليس أسر قريش منظور إليه أول الأمر. إذا تقرر أن القرآن يعمل بهديته، لا بد أن يكون له الحملة، فلتكن تلك الحملة هم قريش، والآن لا ينظر إلى ما عليه قريش من عدم أسباب التقدم وينظم حركتهم السياسية بمقتضى حالهم للعاشية^(١)، وهم كانوا من أصحاب ذلك النظر، هم ينظرون إلى تقدم قريش بوجه من الوجوه، فلا يجدون طريقا إلا التثبيت بإحدى الدولتين، والنبي ينظر أن العالم كله تميا لاتباع الخيفية أولا وتكون الغلبة على سبيل الانقلاب. أهالي تلك البلاد يقومون على ملوكهم، ليس المراد مقابلة الملوك بالملوك حتى يحتاج إلى تأسيس ملوكية كبرى في قريش، بل ينظم تعليم الأفكار السياسية، وطريق الدعوة إليها، ويجعل مركزها مسجد إبراهيم في مكة، فهذه الصورة يمكن الانقلاب. والنبي بأعماله في خمسين سنة وصل إلى درجة عالية لا يصل إليها أحد من الأنبياء السابقين ولا الملوك القاهرين، ثم تفسر آخر السورة "وَأَنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَحْنُونٍ" كل انقلاب يأتي بعدك يكون مستندا إلى أعمالك، فأجرهم راجع إليه، فيكون لك أجر غير محتم. هذا الذي كان إليه إشارة بقوله واقرب. إذا كنت إمام إمام الساجدين، فكل رجل يأتي بعدك يكون لك أجر مثله. "وَأَنَّكَ لَفَلْقَىٰ خَلْقٍ عَظِيمٍ" تعليمك ليس تعليمًا لا يرجع إلى أصل أو يوافق الفطرة الإنسانية، بل فيه الصلابة والاستقامة مع مراعاة الفطرة الإنسانية والرجوع إلى كل ما نقل من الصالحين من أمر الحق، ولا يمكن الصديل عن طريقك أبدا، يعني لا بعدك رجل أعظم منك "فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ. بِأَيْكُمْ الْفَقْهُونَ". هؤلاء يعملون على نظام سياستهم فاتركهم وأنت تعمل على طريقك مستقيما، فترون النتيجة أيكم أمره يفسد ويظهر

بذلك الحقائقية. إن كان الناس الآن لا يقدرّون أن يفهموا ما تعلمهم، فبعد مدة قليلة مثل ١٤ سنة يظهر للناس خطائهم. القوة كانت في جانب المخالفين في بدر، والتعليم الانقلابي كان راسخا في قلوب جماعة من المسلمين، كيف غلبوا عليهم! فستبصر عن قريب معناه هذا لأن هذا اليوم عند الإسلام معروف بيوم الفرقان. وعندنا يوم يكشف عن ساق أيضا إشارة إلى يوم بدر، وثاني إلى بيانه من بعد إن شاء الله. إنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُفْتَنِينَ. المخالفون للنبي ﷺ أيضا يريدون غلبة قريش وعندهم هذا أمر دين إلهي لأنهم من أولاد إبراهيم إذا تمكروا في الأرض لابد أن يقيموا دينه، فالسبيل الذي يمضي عليه النبي ﷺ والمخالفون له كأنه واحد يريدون اتباع الله تبصرة ومن إبراهيم بواسطة قريش، فالله يحكم فيهم إن إحدى الطائفتين مهندبة وأخرى ضلت عن سبيله. توضيح ذلك بمثال رجل انقلابي في زماننا يريد الانقلاب العالي، لابد له من أن يتخذ الانقلاب في قومه ذريعة للمقصد، فهذا الرجل يكون والآخر يريد ارتقاء قومه. هذا يقال له والثاني إذا كان صاحب بصيرة، يعرف أن الارتقاء القومي لا يمكن إلا بالانضمام إلى مركز من^(١) فالفرق بين الرجلين يكون قليلا في الظاهر؛ الأول يقدم الأمر العمومي ويجعل الأمر الخصوصي ذريعة إليه، والثاني يقدم الأمر الخصوصي ويجعل الأمر العمومي منتهى مقصده، فالثاني يكون برنامجه مشتملا على أغلاط كثيرة لأن قومه مبتلى بالفتل وسرت إليهم عادات كثيرة فاسدة، فإذا ادعى إلى قومية لا يمكنه تجريد برنامج القوم على الأمور المفسدة كثيرا. إنما هؤلاء تلك الفسادات بتأويل ويدعون الناس أنهم لا يصبحون على صورة تلك الأشياء، بل ينظرون إلى المقاصد والمعاني ويتقدمون إلى الأمور العمومية، لكن هذا الأمر لا يكون له تأثير في قومه إلا قليلا. القوم عامتهم يُصَوِّرون على صورة الأشياء الفاسدة والذين يفهمون المعاني ويريدون المقاصد العالية لا يكونون إلا شريحة قليلة منهم لا يقدرّون على مقاومة العامة من قومه فلا يكونون في برنامجهم ناجحين. أما أصحاب الدعوة الأولى فالأمور الباطلة في برنامجهم لا يكون إلا قليلا، فإذا كان بيان تلك المقاصد بلسان بليغ يفهمه عامة أهل الفضل من قومه ويتفق أكابر أهل العقل منهم على إضفاء هذا الفكر واستعانتها بالمعرفة العالية وذهنية الفطرة الإنسانية وبثوا دعوتهم مراعين للفطرة في إطار الأرض وجعلوا كل من يتفق معهم في الفكر من قومهم مساوون لهم لا يفرقون بين قوم وقوم إذا كانوا على فكر واحد كان نجاحهم في الانقلاب قريبا. وأغلاطهم في المسائل القومية قليلة وإصلاح قوميتهم أيسر. هذا أمر جرت به على أنفسنا ورأينا المتفكر من هذا العصر كالمفكرين على ذلك، فتحن تجعل طريق النبي ﷺ يقدم الدعوة الضومية على المصالح الخصوصية الراجعة إلى قومه، فكل من آمن به من الحبشة والفرس والترك والروم قبلهم مثل رجال قومه ونظم منهم جماعته وجعلهم حاكمين على مصالح قومه، فجاز في ذلك أهل الحكومات، عارضوه وخاصموه وقتلوه والله سبحانه ملطه عليهم. إما عامة الناس المساكين

١- هذه المواضع الثلاثة خالية في أصل المخطوط بدون كتابة لفظة ما.

المظلومين، فضمت كلهم إلى نفسه مثل قومه وأحبوه فوق حب قومه له. أما الناس المعارضون للنبي ﷺ فكانوا يقدمون مصالح قريش على مصالح العالم، فما نجحوا إلا في أوائل أمرهم لما لم يتظاهر الحركة الإسلامية لمظاهر الغلبة، وبعد ذلك ظهر خطأهم وضلالهم "إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْطِدِينَ" سبيله الخنيفية.

النبي ﷺ وأصحابه المهتدون في طريق دينه؛ هل يظن أحد من المفكرين أن الدين الخنيفي يتم بدون انضمام بني إسرائيل إلى قريش؟ فإذا جعلنا ما اجتمع عليه قريش في هذا الزمان وما هو مصداق قوميتهم أصلاً من أصول الدعوة، هل يمكن انضمام بني إسرائيل إليهم الأمر الظاهر ولا بد أن يتخذ أمراً عاماً يتخذ فيه بنو إسرائيل وبنو إسماعيل أساساً للدعوة وبذلك تبين غلط المخالفين للنبي ﷺ. لو استمروا على ما عليه قريش وجعلوه أساس سياستهم وانضموا مع ذلك إلى قيصر الذي هو سلطان بني إسرائيل في ذلك الزمان ما كان ارتقايتهم بذلك إلا قضاء بشخصيتهم وينتهي أمرهم إلى أن يصيروا مثل بني إسرائيل في أهلية الفراعنة. أما إذا جعلنا أساس الدعوة أمراً عمومياً، فهذا يصعب على بني إسرائيل لأنهم مفرقون في التمدن العصري ومجتمعون تحت إمبراطورية غير دينية وأما قريش فيحصل لهم التجرد عن جميع ما يخالف الخنيفية بالسهولة فيكونون أمة في ذلك التحريك. وبذلك يدعى أن النبي ﷺ كان مهتدياً في الدعوة إلى دين إبراهيم، وفي تقدم قريش على الناس. والمعارضون له كانت برنامجهم مشتملاً^(١) على أغلوطات واضحة فالرب هو أعلم هو يؤيد المهتدين، ثم هذه الآية "وَقُلُوا لَوْ تَذَهَبَ قُتَيْدُهُنَّ" لما تبينت حقيقة المشرب فالاستقامة بالشدة والقوة تكون باعثاً للحاج الانقلاب، وإذا كان فيه لين ومداينة لا يتم أمر الانقلاب إذا كانت الحركة ارتقائية، فلا بأس فيها باللين والمداينة إذا كانت تقتضيه المصلحة. أما في الحركة الانقلابية فلا يجوز أبداً، وذلك موت للحركة لو كان النبي ﷺ سلك سلوك المداينة ما تم هذا الأمر الذي انتهى إليه في خمسين سنة في خمس مئة سنة أيضاً إلا مشاق كلورة. بعد ذلك آيات في أوصاف المكذبين فالمداينة معهم لا تنضر. أما هؤلاء فليسوا بالانقلابيين هم الرجماعيون. "فَلَا تُطْعِ الْمُكَذِّبِينَ (٨) وَذُوقُوا لَوْ تَذَهَبَ قُتَيْدُهُنَّ (٩) وَلَا تُطْعِ كُلَّ حَلَّاقٍ مَّهِينٍ (١٠) هَئِذَا مَشَاءُ بَنِي مِمْ (١١) مَنَاجٍ لِلْمُغِيرِ مُغْتَدٍ أَلَيْمٍ (١٢) عَقَلٌ بَعْدَ ذَلِكَ رَنِيمٍ (١٣) أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ (١٤) إِذَا تَنَفَّسَ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ". ليس هؤلاء رجال فيهم أخلاق الإنسانية في اجتماعها تحتاج إلى أشياء، فهذا الرجل الذي يظهر أنه عازم على ذلك بالخلف، ثم إذا رأى نفعاً قليلاً، فهذا لا يمكن منه الاجتماعية. الثاني "هَئِذَا مَشَاءُ بَنِي مِمْ" الطعن في الناس والمشي بالنميم عادة المفسدين لا للمصلحين. للمصلحين يعرفون لو جازاهم الناس بمثل فعلهم هل يمكن لهم الفوز؟ فإذا علموا أن مقصدهم يفسد بذلك إذا عارضه الناس بمثل فعلهم فحبوا عن تلك الأفعال، وإن كانت مشتملة في بعض الأوقات على

^(١) في الأصل مشتملة وذلك من خطأ الكاتب.

فوائد كثيرة، هم يعرفون أن ضرره أكثر من نفعه "مَنَعَ لِلْخَيْرِ مُعَقَّدُ أَثِيمٍ" لا يعطي المال لمن يحتاج إليه وإن كان الرجل داخلاً في حربه السياسي، فهذا مَنَعَ للخير إذا منع الناس عن المال وأياح لأصحابه على قدر حاجاتهم، فلا يكون مانعاً للخير، لأن هؤلاء الذين يمنعهم عن المال إذا رأهم أنهم ليسوا من أهل سياسة، ربما يكون إعطاء المال سبباً إلى الانضمام إلى حربه فمنع المال عن المحتاجين لا يرجع إلى مصلحة أبداً، وهؤلاء مبطلون بمنعون حزمهم أيضاً عن المال "مُعَقَّدُ أَثِيمٍ" يجمع المال بالعدوان وعلى خلاف قانون الأخلاق وبأسباب تخالف الأخلاق الإنسانية، مثل الزنا والربا إذا كان أمثل ذلك سبباً لجمع الأموال لا يمنعون عنها؛ هؤلاء يقال لهم أثيم العدوان إما يكون بالغبية بالرياسة أو بالقوة والإثم يكون يخرق عادة حسنة وإبطال العادة الحسنة "هَقْلٌ يَغْدُ ذَلِكَ زَيْمٌ" يتكبر في نفسه لا ينخضع للحق أبداً بعد ذلك رجل غير صحيح للنسب ليس موجوداً على طريق الشرع يقتضيه الإنسانية عندنا. ليس معناه أن نسبه غير ثابت عن أبيه بل معناه أن أخلاقه فيه عدم النظام لا يعتمد على شيء فلا يقال له إنه ابن صدق ويقال له إنه ابن الكذب إذا تعين سوء أخلاق الرجل أيضاً، يكون فيه فائدة الإنسان يجتنبه. أما إذا لم يكن له سجية يعتمد عليها، فكانه ليس ابن الشر، وهذا يكون مثل الرجل يلعب الحق بالباطل ولا نجد لتلك الطائفة كلمة يبين بذلك باطن أمرهم إلا أن يقال لهم إنهم مثل أولاد الزنا، لأن هذا الرجوع إلى النسب والانضمام إلى قبيلة أو عائلة أو بيت يعين للناس طريق المعاملة معه. أما إذا لم يكن له والد فعامة الناس لا تفهم كيف يعامل معه هذا الرجل فاسد الأخلاق يظهر بمظهر الشر ويكون فيه الخير ويظهر بمظهر الخير ويكون فيه الشر، فهل يمكن أن يعتمد على سياسته "أَنْ كَانَ ذَا عَالٍ وَبَيْنَ" هو إما تقدم على عامة الناس لأنه جمع أموالاً ورجالاً. أما أن يكون عنده فكر في ارتقاء الإنسانية في فهم ماضيهما أو الحكم في مستقبلها، فليس منها في شيء "إِذَا تَنَلَّى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ" قال في القرآن العظيم يحكي قصص الأولين لتفهيم ذهنية الناس والقطرة الإنسانية ليقدر الناس على الحكم في سياسته على مناهج مستو. أمور تاريخية واقعة لكن لخصت بتلخيص حسن يظهر منها الفائدة في أقرب أوقات وإذا لم يتفكر فيها الرجل لا يلتد به مثل التذاهد بالتاريخ ولا يلتفت إلى كلمات الحكمة التي يشتمها القرآن. والإنسانية في ارتقائها في المستقبل وإنما تتعلم الدرس من التاريخ، فإذا رأينا رجلاً من زعماء السياسة ولا يقدر أن يفهم تلك الكلمات المختصرة، فذلك نص على عدم فهمه وعدم تفكيره، فالرجل إذا كان خائباً عن التفكير وجمع أولاداً وأموالاً لا يكون باعياً لشرفه ولا يجعل إماماً يتبع، بل كل ما تيسر أن يقطع مثل هذا الخطب من الإنسانية ويطقى في النار يكون رحمة على الإنسانية "سَنَسِفُهُ عَلَى الْحَرُطُومِ" معناه إننا نذهب بعزته ويستبين لعامة الناس إهانتة فلا يلتفتون إليه وهذا إذ تنور ضمير العوام يفهم العوام يفهم اجتماعيات الإنسانية والشرك فواقدها ثم غصب هؤلاء لفوائد العامة وجعل الناس محرومين من الاستفادة. يذهب عن الناس فكر أن يظنوا قوم رجل ذي مال صاحب خبر، بل من يسعى للاجتماعية لتقدم الاجتماعية الإنسانية، وإن كان رجلاً مفلساً يكون محبوباً عند العامة من أصحاب

الناس كانوا ذوي أموال وكانوا يعطون الفقراء أيضًا شيئًا من أموالهم، ثم منعوا عن ذلك أيضًا الذي كان يرجوه الناس منهم وهذا لا يكون الأشياء معروفة عندهم، فأهلك الله رأس عالمهم وهم تدموا على ذلك وعلموا أن سبب حرمانهم هو منعهم للفقراء وحكموا على أنفسهم أنهم كانوا طاعين فبين بذلك معنى طغى الذي في سورة العلق مضى نريد حكمة من سورة النازعات: اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى.

"إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِفُنَّهَا مُصْبِحِينَ" إلى راغبون هؤلاء منعوا الناس حقوقهم فأحرق الله جنتهم؛ كذلك العذاب في الدنيا "وللعذاب الآخرة الخ" هؤلاء كانوا ظالمين فابتلوا يعذاب في الدنيا وعذاب في الآخرة وأصحاب العدل والإحسان يعني التقوى؛ أمرهم في الدنيا والآخرة على ضد ذلك يكون لهم الحكم في الدنيا والجنة في الآخرة. إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ الخ الناس يريدون التقدم في الاجتماعيات لا بالتثبيت بالتقوى والعدل، بل بالتمسك بالأنساب وأشياء غير ذلك ويعملون أنفسهم بسبب انتصاتهم إلى رجل كبير مثل إبراهيم مستحقين للإعلاء الذي وعد به المتقون ويعملون أعمالًا خلاف التقوى والظلم مثل أصحاب الجنة. هكذا كان يزعم أكثر صناديد قريش ويظلمون الضعفاء والمساكين وهذا كان سببه كثرة أموالهم وهؤلاء يؤسسون طريقًا للحياة ولغلبتهم على الأقوام ويعدونهم المسلمون يتمسكون بالتقوى يفوزون بمقاومتهم؟ كلا! بعد ذلك "أَفَتَجْعَلُ الْبَشَرِ مِثْلَ الْمَلَكُوتِ" فلا يكون للمسلمون والمجرمون على سطح واحد، بل المتقون يفوزون في الدنيا أيضًا بالحكم على الناس وهؤلاء يكونون محكومين، فهذا الأمر يظهر يوم الفرقان. "يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ". قال السجستاني إذا اشتد الأمر والحرب، قيل: كشف الأمر ساقه، فلذلك هلناه على يوم بدر "وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ" أن يخضعوا للمسلمين فلا يستطيعون لأن اجتماعهم كان مبنيًا على كبرهم. لما علم الناس أن المسلمين قهروا لقتالهم، بعض رجال قريش دعوهم إلى المسالمة والرجوع؛ لأن العير الذي كانوا خرجوا لتأييده رجع سالمًا إلى مكة، لكن هذا الأمر أن قبله مثل أبي جهل يكون كالعالمين لأمر المسلمين في معاملة الحرب فردوها، ثم لما حضروا ميدان الحرب ورأوا بأعينهم أن الملائكة ينصرون المسلمين يريدون لو تخلصوا بالمسالمة فلا يستطيعون. الجاني إذا تاب قبل اقتداء الحكومة يقبل تبرئته، أما بعد ذلك فلا يترك. هؤلاء أيضًا كانوا يدعون إلى السجود فردوها وعندما غلب عليهم يريدون ولا يستطيعون. هذا الذي قديرتنا على تفسير تلك الآيات يوم يكشف ونحن لانكر أن شيئًا من مثل هذا يقع في القيامة والمحشر. وأما إن تغير القرآن ليس في آياته اتساق ولا انتظام. "فلنرى إلى متين" فلما إنهم لا يتبعون أمرك، فالأخذة لأصحاب الثروة الذين تعلوا على فقراء الناس ومساكينهم من جهة خالقهم لازمة عليهم؛ ليس في ذلك دخل للدعوتك ولدعوتك أصحابك. أنت تدعوهم إلى سبيل النجاة عن ذلك؛ فلو كان لهم عقول لا يتبعوك وما اغروا بتأخير عذاب الله. نعم لو كنت تميلهم أموالهم لتنظيم

دعونك، لكان لهم عذر، هم يحبون المال أكثر من أنفسهم. هذا معنى قول الله: "أم تسئلهم أجراً" الخ أم عندهم رجال اكتشفوا ما عند الله يدون النظر وعلموا أنه الله لا يعذبهم بهذه الآثام؛ لأنهم من أولاد إبراهيم أو لأنهم كذا وكذا. عندهم كتاب مثل التوراة والإنجيل يتناقلونها ويشنون لأنفسهم أن لا عذاب عليهم لكان لهم عذر. هذا معنى قوله: أم عندهم الغيب الخ وبلا كشف وبلا تناقل من كتاب إلهي عندهم. وليس ذلك فالعذاب منحتهم عليهم وهؤلاء يعرفون هذا؛ لأن الرجل إذا كان مولى لعبيد واعتدى رجل آخر على عبده، فللولي لا بد ينتقم منه فالرب لا ينتقم من الذين يعتدون ويمنعون المساكين الذين يطوفون حول بيت الله ويصلون عنده، فصاحب البيت ينتقم لاحالة من هؤلاء المعتدين على مواليه. هذا مفهوم عندهم ومنحتهم عليهم. "فاصبر لحكم الخ" أنت تعمل لتعلم الجماعة وتنظيمهم حسب كتاب الله وإدارتهم الأمور إذا قوض الأمر إليهم، فهذه الفرصة التي حصلت لك، تُعلم أصحابك؛ لأن حكمة الله أن الحكومة عن حكومة، فإن كانت حكومة ظالمة قائمة على العدوان، فلا يتأني فيها الانقلاب حتى ينهيا قوم آخر لإدارة الحكومة بالعدل والإحسان بالنسبة إليهم، فانت إذا لم تحي جماعتك لتقوم مقام صناديد قريش، لا يتأني الانقلاب؛ فاصبر لحكم ربك وهي الناس ليحكموا بحكم الرب، وهذا لا يكون في ساعة أو شهر أو سنة "وَلَا تَكُنْ مَحْصَنًا بِخُوفٍ" هو تعجل واطلي "إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ. نُوَلِّا أَنْ قَدَّارِكُمْ بِعَمَلِ رَبِّهِ لُغَبًا يَلْئَلٍ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ" ذواتون كان مبعوثاً من جهة نبي آخر فخطأ وتاب، فبعد ذلك جعله الله نبياً فاجتبه الخ فالنبوة الإلهية لا تتحمل التسجيل قبل الاستعداد التام فإني مأمور أن يهذب جماعة ويمرهم على تنظيم الحكومة تحت القرآن. ولعل صناديد قريش إذ ظهر عليهم آثار عذاب الله يتوبون فيغفر الله لهم وهكذا كان يوم الفتح؛ لما غلب عليهم المسلمون وأحاطوا بهم، جاء أبو سفيان فأسلم وتاب وكان سبباً لبقاء قريش، فهذه الواقعة كأنها إشارة إلى ذلك من ابتداء الأمر. يهذب أصحابه التنظيم الحكومة على حسب القرآن.

ن عندها ٥٥ وجعلنا إلى مدة التحكيم وعلى ذلك ختمت خلافة نبينا ﷺ . الخلافة الراشدة لجعلها الناس إلى اصطلاح الحسن مع معاوية، فجعلوا هذه الفتنة كلها جزءاً من الخلافة الراشدة والأمر عندنا غير ذلك؛ لأن خلافة علي انعدت بالمدينة بأهل الحل والعقد الذين انعقدت بهم خلافة المصديق والقاروق وعثمان، فخلافته كانت صحيحة. انعقدت على طريقة شرعية ثم تركها إلى جماعة من المسلمين، يحكمون كيف شاؤوا؛ فالانعقاد الذي بأيدي المهاجرين والأنصار انتهى في ذلك الوقت . الأمر بعده لو كان الناس جعلوه إماماً بعده كانت خلافته جديدة. جاء في الحديث أن الخلافة ثلاثون سنة، تقسمه عندنا بعد أن النبي ﷺ بعد فتح مكة صار خليفة الله، ثم كان أبو بكر خليفة رسول الله لاختيافه الله، ثم كان عمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم أمراء المسلمين نصبهم الجمعية المركزية التي قررها القرآن العظيم بنفسه وهم كانوا أهل شورى النبي ﷺ، والشورى في الأمور غير النازلة من الله كانت فرضاً على النبي ﷺ فلا بداء هذا القرض؛ كانت الجمعية متعينة بمهام الله السابقين الأولين من المهاجرين

والأنصار. هذه الطبقة الأولى من شورى النبي ﷺ والذين اتبعوهم بإحسان، هم الطبقة الثانية وعمر وعثمان جعلها تلك الجمعية أمراء المؤمنين وجعلت الصديق خليفة رسول الله فالإمارة التي حصلت لعلي بيعة السابقين من المهاجرين والأنصار بمسجد النبي ﷺ انتهت بتنازله بقول حكم الحكيمين. تلك المسئلة كانت واضحة في القانون لكن دعاية الأحزاب المتخالفة لبني هاشم وبني أمية في أيام الفتنة وبعدها، أخففته عن نظر كثير من المسلمين، فالخلاصة ثلاثون سنة معناها في ابتداء فتح مكة إلى تحكيم صفين، وكان أول خلفاء النبي وقد كان خليفة الله. ذكر القرآن في سورة البقرة إني جاعل في الأرض خليفة. والناس جعلوها منحصرة في آدم والذي فهمناه من السياق أن الله إنما ذكر قصة آدم، لأنه يريد أن يجعل النبي ﷺ خليفة له في الأرض. قد نص القرآن على داود " إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ " والناس تغافلوا عن خلافة النبي ﷺ لأنهم زعموا النبوة أعلي من الخلافة وهم لا يعلمون معاني تلك الألفاظ بالتحديد الصحيح. النبوة والخلافة مفهومان مختلفان بينهما عموم وخصوص من وجه. الخليفة لا يكون إلا من ينتهي إليه الحكم بكتاب الله فيكون خليفة الله في أرضه، حكمه حكم الله، فإذا أخطبنا الخلافة من فتح مكة وكان في عشرين من النبوة، تتم ثلاثون سنة على تحكيم صفين، لكن بعض الرواة أطباقوا في هذا الحديث كلمة "بعدي" وجعلوا خلفاء النبي مدتهم ثلاثين سنة. نعم هذا يمتد إلى صلح الحسن مع معاوية وعندنا زيادة كلمة "بعدي" خطأ من الراوي، وليست بواردة في جميع روايات الحديث. ثم هذه المسئلة فرق عندنا بين خمسين سنة وبين ثلاثين سنة.

١-٤

سورة المدثر

بسم الله الرحمن الرحيم

في حديث البخاري قال رسول الله ﷺ لي خمسة أسماء: أنا محمد، وأحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الخاشع الذي يخشع الناس على قدمي، وأنا العاقب^(١)، والمراد أن هذه الخمسة جاءت في القرآن، وإلا فأسماء كثيرة. والمراد بالمدثر هو الماحي لأن أثره بمعنى أهلكه موجود في كتب اللغة^(٢)، فمعنى المدثر هو مهلك الكفر وماحيه. "فَم" لأنه لا حاجة لك إلى انتظار شيء بخلاف اليهود والنصارى، لأن كل واحد منهما ينتظر نزول مسيحه، ومسيح أحدهما غير مسيح الآخر، وأنت بنفسك مسيح، والمسيح الذي ينتظره اليهود والنصارى هو في الحقيقة محمد ﷺ "فَأَنذِرْ" قولك من نتائج السوء اللعوق بقيصر أو كسرى (من هلاكهم ودينهم في هذه الصورة) "وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ" أي لا تسلم كبرياء أحد ولا ملك أحد من قيصر وكسرى إلا كبرياء الله تعالى وسلطنته قانونه تعالى "وَرَبِّكَ فَطَهِّرْ" وطهارة الثوب يستلزم طهارة البدن والمكان، لأنه ملاصق في الدخول بالبدن، وفي الخارج بالمكان فحاصل "وَرَبِّكَ فَطَهِّرْ" طهر البدن، والثوب والمكان وطهارة الثلاثة شرط لصحة الصلاة، والتكبير صلاة، وكذا السجود وغيره، والتقديسات تولت بعد الرجز فأنجز أي اجتنب من كل نجاسة محسوسة أو خيالية، أي من الخيالات النجسة وغيرها، لأنه لما كان الاجتناب من نجاسة محسوسة ضرورياً، فهو في نجاسة باطنة أولى، وهذا الاجتناب لحفظ صحة الدماغ (كيون كنهجاست سے نہ بچنے میں دماغ بالکل خراب ہو جاتا ہے).

١- صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب ما جاء في أسماء رسول الله صلى الله عليه وسلم، رقم: ٣٥٣٢.

٢- إن مادة دثر تدل معنى تضاعف شيء وتضاعفه بعضه على بعض، قال الدثر المال الكثير. (انظروا أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، معجم مقاييس اللغة، باب الدال والهاء وما بينهما مادة: دثر، ١)، وأما معنى المحو في هذه المادة فقد أشار إليه ابن منظور في لسان العرب بقوله: قال أبو عبيد: سريعة الدثور يعني دروس ذكر الله وأحياه منها، يقول: اجعلوها واغسلوها الرين والطبع الذي علاها بذكر الله. ودثور النفوس: سرعة نسيانها، تقول للمحذول وغيره إذا عفا ودروس: قد دثر دثوراً قال ذو الرمة: "أشأقتك أخلاقك الرسوم الدوائر"، وقال شمر: دثور القلوب المحل الذكرك منها ودروسها، ودثور النفوس: سرعة نسيانها. ودثر الرجل إذا علته كثرة واستسنان. وقال ابن شميل: الدثر الوسخ. وقد دثر دثوراً إذا انسح. ودثر السيف إذا صدئ. وسيف دائر: وهو البعيد العهد بالصقال، قال الأزهري: وهذا هو الثوب يدل عليه قوله: "حادثوا هذه القلوب"، أي اجعلوها واغسلوها عنها الدثر والطبع بذكر الله تعالى كما يحدث السيف إذا صقل وجلي، ومنه قول لبيد: "كمثل السيف ححدث بالصقال"، أي جلي وصقل، وفي حديث أبي الدرداء: أن القلب يدثر كما يدثر السيف فجلاؤه ذكر الله، أي يصدأ كما يصدأ السيف، وأصل الدثور الدروس، وهو أن تهب الرياح على المنزل فتغطي رسومه الرمل وتغطيها بالتراب، وفي حديث عائشة: دثر مكان البيت فلم يحججه هود، عليه السلام. (ابن منظور، لسان العرب، حرف الراء، فصل للدال للمهمل).

وحفظ الصحة مقدم من المعالجة، وهو أصول غفل عنه أهل الإسلام وأخذہ انگریز "وَلَا تَحْنُ تَسْتَكْبِرُ" لوگوں کو غلام بنانے کے لیے احسان نہ کر "وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ" یعنی خدا کے حکم 'فانظر' پر ڈنکارہ "فَإِذَا تَفَرَّجَ فِي الثَّاقُورِ. فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ" المراد بہ موت کل شخص لا القيامة كما قال به المفسرون، لأن الموت أقرب إلى فهم الناس بخلاف القيامة لبعدها، "عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ" جاء لفظ الكافرين في القرآن أول مرة في هذه السورة باعتبار ترتيب النزول، فسره القرآن بنفسه بقوله "كُذِّبَتْ وَمَنْ خَلَقْتُ وَجِيدًا وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا. وَتَيْنِ شُهُودًا. وَنَهَذْتُ لَهُ ظَهْرًا. ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ. كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَمِيدًا. سَأَرْمُقُهُ صَغُودًا. إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ. فَقِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ. ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ. ثُمَّ نَظَرَ. ثُمَّ عَمِيَ وَتَسَوَّرَ. ثُمَّ أَقْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ. فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ. إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ".

"كُذِّبَتْ" أي افعل فعلك الإنذار ولا تتوجه إلى جزاء من يخالفك ولا إلى الانتقام منه، بل فوض معاملة الجواء والانتقام إلَيَّ فانا أنقم منه إذا جاء وقته، فإن فيه تأخيرًا "وَجِيدًا" اكلونا فهو يكون عزيزًا "وَتَيْنِ شُهُودًا" لا يحتاج هو ونحوه إلى السفر لكونه صاحب مال وخدم (ہر طرح کے خدمت گزار ہر وقت موجود ہیں۔)، فمثل هذا (یعنی صاحب المال) يجعل لنفسه رياسة أقل درجة رياسة في البيت، وترقى رياسته في الرياسة القومية، وأما الرياسة بين الأقوام فلا يمكن حصولها بالمال، بل هي تحصل بالعقل والفكر، وأما الرياسة القومية فيمكن حصولها بالمال كما هو مشاهد في القرى (یعنی چودھری اور ٹھیکدار وغیرہ اپنی قوم میں ریاست حاصل کر لیتے ہیں۔) "وَنَهَذْتُ لَهُ ظَهْرًا" یعنی عیات له أسباب الترفی القومي، "ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ" أي أراد أن يحصل الترفی بین الأقوام، یعنی وہ چاہتا ہے کہ جو بین الاقوامی ترقی حضور ﷺ کرنے کے لیے اور جو عالم گیر انقلاب حضور ﷺ کرنا چاہتے تھے، وہ میں کروں، (۱) "كَلَّا" أي لا يمكن منه ترقی بین الأقوام "إِنَّهُ لَآنَ كَانَ لِآيَاتِنَا عَمِيدًا" أي لأنه يخالف قانون الترفی بین الأقوام الذي لا يمكن حصوله بدون، ويريد أن يحصل بدون ذريعة المال فلا يمكن "سَأَرْمُقُهُ صَغُودًا" (قال الشیاء عبد القادر^(۲)) (اب اس سے چڑھواؤں گا بڑی چڑھائی) یعنی وہ ترقی بین الاقوامی کے لیے بڑی تکلیف اٹھائے گا، لیکن کام یاب ہرگز نہیں ہوگا، (۳) "لَآنَ خَالَفَ قَانُونِ حَاصِلُ الَّذِي جَاءَ بِهِ الْقُرْآنُ ثُمَّ فَسَّرَ عِنَادَهُ بِقَوْلِهِ "إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ" یعنی أنه أخطأ في التقدير (یعنی اندازہ غلط لگایا۔) وقال لا يمكن هذا الترفی بین الأقوام بهذا

۱- یعنی أنه يريد أن يحصل على الترفی العالی الذي حصل به النبي الكريم.

۲- هو عبد القادر بن ولي الله الدهلوي أحد العلماء الكبار، قرأ العلم في صغر سنه على يد أخيه عبد العزيز ابن ولي الله وكان جامعاً بين العلم وأوصاف الأخلاق، قرأ عليه كثير من العلماء له ترجمة معاني القرآن بالأدبية الشهير اسمها موضح القرآن، (الحسيني، المصدر السابق، ۷: ۱۰۲۷)

۳- یعنی أنه يصعد للترفی العالی ويحصل لذلك المكابد ولكن لا يفلح.

القانون (پروگرام) الذي يعرض القرآن، فأخطأ في التقدير لأن قانون القرآن واحد ذريعتيه هذا التوفييعي . " ثُمَّ نَظَر . ثُمَّ حَسَنَ وَنَسَرَ " دوبارہ نہایت تاک مشہد چاہایا اور غصہ ہو کر کہا کہ یہ کیا ترقی کریں گے، یعنی حضور ﷺ اس پروگرام سے ہرگز بین الاقوامی ترقی نہیں کر سکتے۔^(۱) "ثُمَّ أَذْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ" یعنی اظہر علوہ وقال أنا أقدر على هذا الترقى لا محمد لأن قانون محمد ليس بقانون سماوي بل هو سحر يؤثر "إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ" ای تقولہ محمد لحصول الرئاسة لنفسه فهو لا يقدر عليه بل أقدر عليه، وتعبيره بالسحر لجواب من يقول فمن أين جاء التأثير في قلوب الناس إن لم يكن من الله.

فائدة

الترقي بين الاقوامي يحصل لمن لا يعد نفسه كثيرًا من الناس بل يعد نفسه فردًا من أفراد الإنسانية، وأما من يعد نفسه عاليًا وكبيرًا كما فعل هذا الرجل يدل عليه قوله استكبر فلا يمكن له حصول هذا الترقى. "سَأَصْلِيهِ سَقَرٌ" جزاء لما فعل "عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ" فرض في السماء تسعة عشر قوة، اثنا عشر بروجا والسبعة السيارة، فالجَمُوع تسعة عشر، وفي الإنسان أيضًا تسعة عشر قوة تناسب قوى السماء فقوى السماء مؤثرة وقوى الإنسان متأثرة، لأن كل قوة تتأثر من قوة تناسلها من القوى السماوية، فيه إشارة إلى أن الإنسان لا يفتي بالموت بل يبقى بدنه فقط، لأن هذه اللوثرات التسعة عشر لا تنفد، فاللوثرات كذلك، فالإنسان يترقى بعد الموت أيضًا "إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا" بل يعرفون ويمسكون أم لا "لَيَسْتَفِيقُنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَتَزَادُ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ" أنه صحيح لعلمهم قبله إن للوثرات السماوية تسعة عشر قسمًا "وَالْمُؤْمِنُونَ" لأنهم إذا راوا أن أهل الكتاب مسلموه حقًا وهم أهل العلم فهو حق لا ريب فيه "مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا" يعني یہ کیسے ہی رہیں گے "كَذَلِكَ يُعَذِّبُ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ" أي مثل عدة خزنة جہنم أي بعد بیان مثل هذه المضامين للشباب يضل البعض ويهدي البعض.

"وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ" اعلم أن الثوابت قسمت بين اثني عشر برجًا وجعلت اثنا عشر جنودًا للتسهيل والاكمل ثابت له جند وفي كل برج ألوف من الثوابت؛ فعلى كل برج آلاف الجنود، فبهذا الاعتبار لا يعلم جنود ربك إلا هو، "وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ" أي عدة الملائكة.

"مَثَلًا" فيه رد زعم المقدر الذي قال بعد التقدير إنه لا يمكن الترقى بين الاقوامي بهذا القانون، أي زعمه غلط ثم ذكر تصوير ترقيه بقوله "وَالْقَمَرِ وَاللَّيْلِ إِذَا أَدْبَرَ. وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ" يعني أن القانون لا يفرز دفعة بل يحصل هذا الترقى بالتدريج، مثلاً يحصل نور القمر في الليل، ثم بعد ذلك نور الصبح، وهو فوق نور القمر وأعلى منه، ثم بعد الصبح تطلع الشمس وتنور الدنيا وهكذا يترقى هذا

١- يعني أن النبي لا يحصل على الترقى العالمي ببرنامجه.

القانون بالتدریج وینور اهل الدنيا کلهم یعنی آہستہ آہستہ تمام دنیا میں انقلاب پیدا کر دے گا۔ ”إِنَّمَا لِإِخْدَى الْكُفْرِ“ ای الإنذار الذي دل عليه قوله ”فَأَنْذِرْ“ في ابتداء السورة كذا في روح المعاني^(۱)، وأكثر المفسرون على أن ضمير ”إِنَّمَا“ يرجع إلى جهنم، يعني أن هذا الإنذار انقلاب عظيم مثل الانقلابات كثيرة مضت مثل انقلاب نوح وذي القرنين وإبراهيم وموسى وداود وغيرهم ”تَذِيرًا لِلْبَشَرِ“ أي للإنسانية كلها لكونه انقلابًا عالميًّا ”لِيَقْنَّ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ“ أي فمن شاء متحكم التقدم إلى هذا الانقلاب فليقدم، ومن شاء فليتاخر (یعنی جس کا جی چاہے، اس انقلاب کی طرف سبقت کرے اور جس کا جی چاہے پیچھے ہٹے۔ جو آگے بڑھے گا، کام یاب ہو گا اور عزت پائے گا اور جو پیچھے ہٹے گا وہ ذلیل ہو گا، لیکن اگر کوئی یہ چاہے کہ میں اس انقلاب سے بچ جاؤں، یہ غیر ممکن ہے: کوئی نہیں بچ سکے گا۔)^(۲) ”كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِيْنَةٌ“ محبوسہ بأعمالها السوء ”إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ“ فهم ليسوا بمحبوسين ”قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصْلِينَ“ ذكروا أنهم أسباب: الأول: ”لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصْلِينَ“، الصلاة مشتقة من الصلعة كما هو طريق الاشتقاق، والصلعة معناها الذريعة ثم جمعوها فصارت صلاة، ويقال للصلاة صلاة جامعة لذرائع قرب الله تعالى من القيام والركوع والسجود، فالخاصل إنا لم نكن مرتكبين لذرائع قرب الله والاستغراق في محبة الله حتى يحصل لنا درجة الإحسان.^(۳) الثاني: ”وَلَمْ نَكُ نَطْعُمُ الْمَسْكِينِ“ إطعام للمساكين والمحتاجين لابد منه للترقي، لأنهم بعد إطعامهم يتم، يصلون إلى درجة المطمعين (اور مطمئین ان کے برابر رہنا نہیں چاہیں گے، تو اوپر ترقی کریں گے۔ یوں ہی نیچے سے ایک دوسرے کو درخیل کر اوپر لے جائیں گے۔) فمن لا يطعمهم فهو لا يريد الترقى، ولا يمكن حصول الترقى بغير إطعام المساكين والمحتاجين.^(۴) الثالث: وَكُنَّا نَخْوُضُ مَعَ الْخَائِضِينَ أي لم نعين مقصد و پروگرام حتى نتفكر فيه، بل كنا نخوض الأحاديث بغير تعيين المقصد، هذا أيضًا دليل عدم

۱- نص روح المعاني: ”وقيل ضمير إِنَّمَا محتمل أن يكون للندارة وأمر الآخرة.“ (شهاب الدين همزه الألوحي، روح المعاني، ت، علي عبد الباري عطية (بيروت: دار الكتب العلمية، ۱۴۱۵ هـ)، ۱: ۱۴۵.

۲- يعني من شاء يسبق إلى هذه الثمرة ومن شاء يتأخر، فمن شاء يكون قاتلاً وعتوراً ومن يتأخر يذل ولكن لو شاء أحد أن يتجنب عنها لا يمكن.

۳- هذا الاشتقاق لم أجده في كتب اللغة. والاشتقاق المعروف وتلوجود في الكتب هو أن الصلوة مشتقة من مادة: ج ر ل و ن، التي تدل على كبرهن: النار وما أشبهها من الحمى والثاني هي الدعاء. (ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، باب الصاد واللام وما يثلثهما، مادة: جلى).

۴- فهو لا مانع من الترقى، فهم يطمعون (یعنی یہ ترقی میں آ رہے ہیں، ان سب کو صاف کر دیا جائے گا اور ترقی کی آڑ اٹھادی جائے گی۔) فمن لا يصدق عن سبيل الله. (العبارة من المؤلف)

إرادة العرفي. ^۱ الرابع: وَكُنَّا نَكْذِبُ بِیَوْمِ الدِّینِ یعنی ہم اپنے آپ کو اپنے اعمال کا ذمہ دار نہیں سمجھتے تھے، ان کی جزا و سزا کے قائل ہی نہ تھے، حتیٰ کہ آخری وقت جزا و سزا کا مقرر ہے، اس کے بھی ہم منکر تھے۔ ^(۱)

”وَكُنَّا نَخُوضُ“ نتحدث مع المتحدثين من غير فكر في مقصده، لأنه لم يَجِ في ذهننا مقصد لتفكر فيه، لأن الفكر يكون بعد تعيين المقصد، ولم نعين مقصداً. “وَكُنَّا نَكْذِبُ بِیَوْمِ الدِّینِ” یعنی ہم اپنے اعمال کا اپنے آپ کو ذمہ دار نہیں سمجھتے تھے، اس لیے ہم یوم محاسبہ کے منکر تھے۔ ”فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ“ لأن الشفاعة تنفع من يخطئ في حياته الانفرادية، لكنه يعمل في الحياة الاجتماعية أعمالاً صالحة، فإذا أراد الله تعالى أن يعذبه بذنوب ارتكبه في حياته الانفرادية، يشفع له الذين عمل معهم أعمالاً في الحياة الاجتماعية ويقولون يا الله إنه فعل معنا كذا وكذا من الأعمال فاغفر له فغفر له أخطاء التي صدرت منه كلها ^(۲)، وأما من لم يعمل عملاً في الحياة الاجتماعية لا يغفر له خطيئاته. ”فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ“ أي ما وجه إعراضهم عن هذا القانون بين الأقوامي (أي دنیا کے انقلاب کا پروگرام) ثم ذكر ثلاثه لوجه: أحدها بقوله: ”كَأَنَّهُمْ خُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ“ أي لهم نفرة من هذا الانقلاب مثل نفرة الحمر من الأسد. الثاني بقوله: ”بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنشُورَةً“ ^(۳) مثل ما أوتي محمد عليه السلام حتى يبقى عظمتنا (یعنی ہماری بڑائی بر حال رہے۔) لأن في هذه الصورة لا يكون أحد ثابتاً للآخر، وأما في صورة اتباعنا محمداً ﷺ فنصوت كبرياتنا فلا تبعه. ”كَلَّا“ یعنی ان کے انکار کا بھی سبب نہیں ہے جو مذکور ہو، بلکہ لا يخافون الآخرة. وذكر الثالث بقوله: ”بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ“ یعنی وہ اپنے آپ کو اپنے اعمال کا ذمہ دار نہیں سمجھتے اور محاسبہ کے دن کو نہیں مانتے، اس لیے وہ کسی قانون کی پابندی نہیں کر سکتے۔

”كَلَّا“ أي لا يعطي لكل واحد منهم صحفاً كما يقولون ولا حاجة إليه لـ ”إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ“ فمن شاء استفاد منها، ومن لم يشأ لا يستفد منها، فهو يهلك نفسه، لا يمكن سلامته من هذا الانقلاب من غير اتباع هذه التذكرة. ”إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ“ أي پروگرام للإنسانية كلها، لا يلزم من أنكار مثل هذا الأحق نفي كونه تذكرة، بل هو في الواقع عالمگیر پروگرام ہے ”فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ. وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ“ ذكره بعنوان عام لعدم العلم لنا بمن يستفيد منه، أي من وضع الله فيه استعداد الاستفادة منه يذكره، ومن ليس فيه استعداد الاستفادة لا يذكره ”هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ“ یعنی اس کے نام سے عمل ممکن ہے، دوسرے

۱- یعنی ما کتا نعد أنفسنا مسؤولين هذه الأعمال ولا کتا نقول بیوم الجزاء حتی کتا نکذب بیوم الجزاء.

۲- وفي أصل المخطوط: غفر له خطاياه الذي صدر منه كله. وفي هذه العبارة أخطاء، فإن جمع الخطأ أخطاء، وثابتاً لابد من الإتيان باسم التوصل ”التي“ ثم ضمير الصلة أيضاً يكون مؤنثاً.

۳- یعنی إن كان لابد من هذا الانقلاب فنصوبه أن يؤتى كل واحد قانونه (أي پروگرام).

کے نام سے عدل ممکن ہی نہیں ہے۔ کیوں کہ دوسرے کو انسان دھوکا دے سکتا ہے، لیکن اللہ کے نام سے جو عمل کرے گا، وہ کبھی خلاف عدل نہیں کر سکتا، کیوں کہ وہ خدا کو تعلیم بذات الصدور سمجھتا ہے، اس سے اپنے کسی عیب کو چھپا نہیں سکتا۔^(۱) "وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ" لخطیئات وقعت فی اتباع قانونہ "التذکیرۃ" معناه یاد دہانی تعلیم کے معنی ہیں۔ انسان کی استعداد اور قوتی جو اس کے اندر پہلے سے موجود ہیں، مگر وہ خوابیدہ تھے۔ ان کو بیدار کر دینا تعلیم سے کوئی نئی چیز (جو پہلے سے انسان میں موجود نہیں تھی)۔ پیدائش کی جاتی، تو تعلیم ایک یاد دہانی ہوتی ہے اور بیدار کرنا ہوتا ہے خوابیدہ قوت کو۔^(۲)

۱۔ یعنی ممکن العدل باسمه تعالى ولا يمكن العدل باسم غيره لأن الإنسان يمكن أن يخدع الآخر ولكن العمل الذي ينجي به باسمه تعالى فلا يكون خلاف العدل، لأنه يعد الله علينا بذات الصدور ولا يستطيع أن يستر عنه عيباً ما.

۲۔ التذكرة معناه تدكير التعليم، إن الإنسان فيه خواهب والقوى ولكنها كانت نائمة فالتعليم يجلها ولا يخلق أمراً جديداً.

سورة المدثر

بسم الله الرحمن الرحيم

المُدَّثِّرُ في هذا الاسم أيضًا دفع الاستنباه مثل المزمّل. وما جاء في بعض الروايات أن النبي ﷺ قال دثروني دثروني^(١) فإنما يجعله الناس متعلقًا بهذا، لأن التفاف النبي ﷺ بالقوب كأنه إشارة إلى ترك الأمر، فالتاس فهموا أن النبي ﷺ كان يريد الراحة والسكون والله نصبه على منصب عظيم، فبكلف أن يقوم الليل، فيندثر فانتظم في فكرهم هذا المعنى، لكننا نتأمل في سورة النبي ﷺ بوجه على غير فكرهم. النبي ﷺ بفكرته وقوته كان يريد هذا الأمر الذي أمره الله به. أكثر الكتب التي توجد عندنا في التفسير والسيرة، ألفت في زمن بني هاشم أي الخلافة العباسية ومن بعدهم آل بني هاشم. إنهم أولاً أقاموا الانقلاب سرًا خلاف بني أمية واستعانوا بالعلماء. إنهم كانوا يبيتون للناس مثالب بني أمية ومناقب بني هاشم وكان لعلمهم أعظم تأثير في فوز ذلك الانقلاب، ولما تمكنوا من الخلافة ورأى الناس الصالحون من العلماء أنهم أقصد من أمر بني أمية، وهم إنما كانوا قاموا بضد بني أمية لرجاء أن الحكومة تصلح إذا وضلت بأيدي بني هاشم، وهم كانوا يبعثون القانون ويدعون إلى الهدى أي الأخلاق الحسنة، ولما رأوا بعد تغلبهم على الخلافة أنهم ما أصلحوا شيئًا مما كانوا يعدون به، بل استبدوا بالأمور وفعلوا أمورًا منكرة أكثر مما كان يعملها بنو أمية، غلبهم بالعلوين قتل الصالحين منهم بأشد العذاب، أوجب تنفير عامة أهل العلم عن بني عباس، ثم كان معهم قوة فارسية تعرف السياسة الاحتياطية، فأرادوا أن يسدوا أفواه العلماء ويسلبوا قوتهم السياسية في الدعاية إلى إقامة الحق فأوجدوا مسائل لامية تحتها مثل خلق القرآن وعذبوا طوائف من الناس ثم منعوه عن رواية الحديث. مسئلة خلق القرآن كانت تمهيدًا لذلك فالتدريج طائفة من المحدثين والفقهاء على موافقة سياستهم فأجازوا لهم رواية الحديث فدخل بذلك بعض الأحاديث الضعيفة في الصحاح، منها أن الخليفة إذا صلى لا يتعرض لأعمال^(٢)، ومثل ذلك أشياء أخرى مدموسة في كتب الحديث، والفقهاء أوجدوا الحيل باسم تدقيق القانون فلباحوا المحرمات وسهل

١- في بعض الروايات جاء هذا اللفظ بال تكرار وفي بعضها بدوهم وألفاظ السنن الكبرى للنسائي: أخبرنا الربيع بن محمد بن عيسى، حدثنا آدم: حدثنا شيبان، عن يحيى بن أبي كثير، قال: حدثني إبراهيم بن عبد الله بن قارظ الزهري، أن جابر بن عبد الله أخبره أن أول شيء نزل من القرآن يا أيها المدثر، قال جابر: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "جاءت بجراء، فلما قضيت جوارتي أقبلت في بطن الوادي، فنادى مناد فنظرت عن يميني وشمالتي، فلم أر شيئًا، فنظرت فوفى فإذا جبريل جالس على عرش بين السماء والأرض، فجلست منه، فأقبلت إلى خديجة فقلت: دثروني، وصبوا علي ماء باردًا، فأنزل يا أيها المدثر". (أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي (٣٠٣هـ)، السنن الكبرى، تخريج: حسن عبد المصم شلي، كتاب التفسير، سورة المدثر، رقم: ١١٥٦٩).

٢- لم أجد في هذا المعنى حديثًا في كتب الصحاح.

على الفساد أن يجلسوا على مسند الخلفاء،^(١) هذه كانت حالة البلاد وسياسة تلك الاجتماعات، فمن كتب ذلك الزمان وصلت إلينا أقبياء واعتمدنا عليها، وهي كلمات خالية عن الحكمة، ألفاظ بليغة وصورة حسنة ولكن ليس تحتها شيء من حكمة القرآن ولا إعجاز فيها إلا أن بلاغته كانت مفهومة للناس. سياستهم خرقاء، سياسة حزبية مبنية على فؤاد بيوت خاصة، فمن هذا الزمان حفظنا من تفاسير القرآن لا نقدر أن نقول كم بقي فيها من معاني القرآن عشرة أو عشر عشرة.^(٢) ثم خرج الناس من تلك الكتب كتبًا يختصرون فيها وينقصون، وهؤلاء هم العلماء، ونعرف من هذا أن الله حفظ القرآن، وهو قد بقي محفوظًا مع تلك الانقلابات، وإذا كان رجل جله الله على الحكمة وطالع كتب الأديان السابقة ثم قرأ القرآن يكون كافيًا لهدايته، وهذا يصل إليه أيدي هؤلاء الظالمين حتى يحرقوها فإذا كان رجل بفطرته يفهم ثم يقرأ كتب الحديث الصحاح منها، وجد الكثير الطيب محفوظًا، وهذا الرجل يقدر على إخراج ما أدخلوا فيها من الفساد إذا كان متبصرًا في المعاني القرآنية. وما كان هذا قليلًا، وإن كان تعيينه يحتاج إلى اجتهاد كبير، نقدر أن نقول إن الحديث أيضًا محفوظ في المسلمين، لكن لأمثل حفظ القرآن وبعد ذلك أشياء كثيرة من الفقه والسيرة والتاريخ الرطب واليابس مخلوط فيها. فرض على كل جماعات المسلمين في جميع آثارهم في جميع أعصارهم أن يكون فيهم طوائف يعرفون التمييز بين الحق والباطل. كل قوم من المسلمين غفلوا عن إقامة هذا الفرض أيا ما يلتحق باليهود والنصارى، فالأمر الذي نحن نعرفه من سورة النبي ﷺ هو غير ما تدبته تلك الكتب الطويلة العريضة، التي كان ﷺ مضطرًا على إقامة الحق، وتربيته كانت في بيوت عالية من قريش كانت فيهم بقايا من الحسانات الملة الإسماعيلية ثم كان ذلك الزمان زمان الانقلاب، والفرس والروم كانوا يتنازعون فيما بينهم وكل منهم يريد أن يجذب الأمم إلى نفسه وكان تأثيرهم في قريش أيضًا قويًا، وكان في قريش أحزاب سياسية ثلاثة: قسم يميل إلى قيصر وقسم يميل إلى كسرى وقسم يختبئ عنهما ويقيم الحنيفية والنبي ﷺ كان القسم الثالث بفضائله الجلية، وكان لا ريب أن يشتغل في السياسة، وفي قلبنا جزم بأن النبي ﷺ كان يغلب على المخالفين كلهم. هذا كان استعداد النبي ﷺ ثم تفضل الله عليه بالوحي وجعله نبيًا خاتم النبيين وجعل دعوته دعوة انقلابية في العالمين. أفطن على طريق منكرنا أن النبي ﷺ كان يميل إلى أن يلتف بشوه ويجلس في بيته والله أنزل عليه الآيات وقال قم قم فقام؟ لكن مصلحة تلك الدولة التي صفت في زمانها الكتب أن الدين الذي جاء به النبي ﷺ خالي عن الحكمة والسياسة، ومن يتكلم بالحكومة والسياسة رجل مبتدع غير ديني معتزل فاسد العقيدة، فالذين يقرؤون القرآن بذهنية الأشاعرة لاحاجة لهم في شيء من التفكير

١- هذا بالنسبة إلى البعض وإلى فام مثل أحمد بن حنبل ضد هذا التيار وتحملوا في سبيل ذلك من المتكاهد ما تحمّلوا.

٢- لعل هذا التصوير صدر لحماية بني أمية وإلا أن النصوص دالة على حفظ الإسلام وبقاء رسالته على صورته النقية وحمل المدول من كل خلف رأية الإسلام.

إلا إذا جاءت آية ترد نظريتهم فيقولونها مثل عامة المقلدين يقرؤون كتب الحديث فإذا جاء شيء يخالف مذهبهم، يقولونه وهذا إكمال علم الحديث عندهم. هذا الرجل إذا عرضنا عليه حجة الله البالغة يندهش مثل ذلك من العلوم الحكيمة للعالية كانت مرتكزة في الأحاديث التي رواها أبوداؤد والبخاري و الترمذي، ثم إذا جعلنا جميع ما في حجة الله البالغة وما زاد عليها الشيخ في تصانيفه المتفرقة تلك الحكمة كلها راجعة إلى كتاب الله واستيعبناها من السورة القرآنية، يرى هذا العلم في الدنيا غير التي كانت فيها الأول. فالمقدر عندنا معناه المهلك للكفر، دخل فيه صفة المبالغة لأن هذا كان من جيلة النبي ﷺ بطنا تحت بطن، فالقوة التي كانت موجودة في جيلة النبي ﷺ أظهرها بهذا الاسم وترجمة النبي ﷺ في الحديث الذي ذكرناه بالمحامي الذي يحموا الله به الكفر لما رأينا في كتب اللغة ذنره أهلكه تعجبنا من علماء اللغة لم يلتفتوا إلى هذا المعنى^(١) وذكر علمهم في سورة الزمل.

"فَمُ قَاتِلِيز" يعني جميع من يصل إليه صوتك فكان لازماً على النبي ﷺ أن يخرج بتعليمه جماعة يبلغون قوله إلى الأمم، فالقوة المركزية للمخرجين حصلت بقيام الليل استمروا عليه سنته، فهؤلاء الصحابة يكون لهم أصحاب ولأصحابهم أصحاب حتى يبلغوا إندثار النبي ﷺ إلى اليهود والنصارى والفرس والروم أولاً ثم هذا، ثم يخرج من تلك الأقوام رجال يبلغون الدين إلى أقوام تليهم.

"وَنَ تَكْ فَكَيَر" الكبير يكون في القبيلة ثم في المدينة ثم في المملكة ثم في العالمين، فلا يعمل كبيراً سوى ربك فلا يكون الملك لأحد من ملوك الأقوام، بل يكون تحت قانون عمومي يستوي على الإنسانية لجماعة تخرجوا بالقرآن سماهم الله بالسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان، وتلك الجماعة يقدمون لإدارة أمورهم رجلاً أميراً عليهم لكن الحل والعقد يكون بيد تلك الجماعة. تلك السياسة القرآنية اختفت على الناس بسبب دعاية العباسيين وغيرهم واشتهبت بتقديم أبي بكر لعمر. الأمر بيد واحد من أولي الأمر مثل استغلاف الملوك لأولادهم والأمر لم يكن ذلك. أبو بكر من تلك الجماعة المركزية رجل كبير له حق الاقتراح وإذا سلمه الجماعة ثم الأمر، والجماعة ما سلمت إلا بعد المباحة. قالوا لأبي بكر ما تقول عند الله أقمت علينا رجلاً شديداً فأجابهم بحجاب اقتنعوا به، وهو أن الشدة ليست في جميع الأحوال فالأمر بتقديم عمر لم يكن من أبي بكر بل باجتماع السابقين عليه. هكذا عثمان ما قدمه إلا السابقون الأولون. وعلي كان محتج في زمنه أنه ما قدمني إلا من قدم عمر وعثمان فوضع الأمر أن الأمير كان من حق الجماعة لامن حق الأفراد ولكن سياسة بني أمية أولاً ثم سياسة بني عباس ثانياً تريد أن تخفي هذا الحق وما قدرنا على إخفائه تماماً، فسياسة الإسلام التي فهمناها هو هذا ربنا الله وحده لا شريك له في الملك وعلم الناس في تلبية الحج تلك الكلمة أن الحمد

١- نجد في بعض اللغات أن "ذر" مترادف "أهلك". ولعل الشيخ السندي يشير إلى هذا المعنى، ولكن الحصل على هذا المعنى في النص القرآني تأويل لا يخلو من التعسف.

والصحة لك والملك لا شريك لك، والقوة الانتظامية الإدارية موكولة إلى جماعة تكون أقرأ الناس بكتاب الله وعارفة بسيرة السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار. تلك الجماعة تكون في الحقيقة كفيلة لإدارة ويقدمون رجلاً منهم لإصلاح نظامهم. هذا للرجل ليس له استحقاق في شيء من الأمور إلا بالمشورة مع تلك الجماعة فالمسلمون كما قدموا وأخروا في سنن العبادات، هكذا كان منهم إفراط وتفريط في إدارة السياسات. الصور لا تعتبر إلا للمعاني، فإذا غيرت جماعة من المسلمين صورة النظام عن المأمورية لكن أقاموا مع ذلك الدين الحق في داخل المسلمين وبلغوا كلمة الإسلام إلى أقوام العللين على المنهج الذي تركهم النبي ﷺ عليه. مرادنا من ذلك كل من أسلم من المخالفين يجعلون له من الحق مثل حقوقهم ثم من قبل إطاعة حكومتهم يجعلون له حرية دينية ومن يعاندهم يقاتلون، فإذا كانوا باقين على تلك الطريقة في المعاملة مع أقوام العالم وفي المسلمين نصبوا قضاة عللين بالكتاب والسنة يقضون بينهم بالحق وغيروا صورة الحكومة من الشورية إلى الانفرادية إلى الحكومة المستبدة فإذا أقاموا المعنى يكون جرمهم خفيفاً وإذا تركوا المعنى وبدلوا الصورة، فهم الذين غيروا دين الله، وإنهم تنزل الإسلام كله يرجع إليهم وإنهم تنزل السياسة الإسلامية كله يرجع إليهم، بمعنى "وَرَبُّكَ فَكِيرٌ" لا تدع إلى حكومة رجل كبير كأننا من كان "وَرَبَّائِكَ فَطَهْرٌ".

"وَالرُّجُزُ فَاهْجُرْ" طهارة البدن في باطن الثوب وطهارة المكان من خارج الثوب وهذه القصة من اقتضاء الإنسانية الصحيحة تلحقها بالملائكة وتكون نتيجتها بالتدريج التنفّر عن الأخلاق الخبيثة فالجماعة التي تكون حاکمة بالقرآن يلزم أن تكون ممتازة في الصورة أيضاً، ويكون مجلسهم ومجلسهم نظيفاً، ورأيها بالتجارب أن كل أمة التزمت الطهارة يكون مرجعها إلى الارتقاء ومن يكون عادتهم ترك الطهارة يكون مرجعها إلى ارتجاع إلى الحيوانية، فهذه علامة ظاهرة لصحة المزاج القومي. "وَالرُّجُزُ فَاهْجُرْ" هذا معناه الأخلاق غير الطيبة التي لا تلائم الاجتماع وكذلك والخيالات الفاسدة، يلزم على الرجل اجتنابها، ليكون مستعداً لفهم الحكمة القرآنية.

"وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ": إذا أحسنت إلى رجل لا تطلب جزاءه كثيراً منه. هذا تمرين لخلق العدالة. "وَلِرَبِّكَ فَاضْئِرْ" إذا كنت لا تقدر أنت قبول حكومة غير الله وتريد أن تجعل نفسك ممن ينقاد لربك فقط، فتحصيل تلك الحالة يحتاج إلى تحمل مشقات كثيرة، فلذلك فاصبر، فإن كنت تتصور أن توحيد الرب في الملوكية سهل إذا قلنا به حصل، فليس الأمر كذلك، فتحصيل ذلك عليك أن تصبر على المشقات، وهذا هو غاية هذه الدعوة. قد ذكرنا في المقدمة الخصال الأربع التي أذى إليها جميع أمور الدين، فترى في الآية "ربك فكبر" إحياءاً وخضوعاً للرب و في "وَرَبَّائِكَ فَطَهْرٌ" طهارة وفي "وَالرُّجُزُ فَاهْجُرْ" سباحة و في "وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ" عدالة، ومع ذلك يكون تعظيم شعائر الله أيضاً جزءاً من الدين فإقامة شعائر الله يحتاج إلى مشقة عظيمة، فكان في قوله "وَلِرَبِّكَ فَاصْصِرْ" إشارة إليه، فالتبني ﷺ أمر

بالإنذار وجمع له مقاصد دينه في كلمات مختصرة فتبين بذلك معنى الإنذار أن لا تخالفوا هذه الأمور فالذي يتكرر هذا الإنذار له مدارج: رجل يستمع لكن لا يفهم ويريد أن يفهم وإن كانت صورته صورة المخالفين لكنه ليس منهم. رجل يفهم ويرى أن ذلك يضره لأنه يسلك طريقاً في السياسة غير ذلك فينكر في ذلك غاية جهده وأنه مع الأسف ما أدرك الحقيقة، فهذا هو المخالف حقيقة واسمه في لغة القرآن: الكافر، فالكافر يستعمل في القرآن كثيراً ومعناه الحقيقي مبين في هذه السورة فقط. ولما كان الأمر بالإنذار فكان متوجهاً إلى المخالفين فقط، وما بين خلاصة أمر الدين إلا ليتبين أمر المخالفين. إنهم يتكبرون ما يوجب الفطرة الإنسانية مثل الطهارة والسماحة والعدالة والإحسان، فالقصد من هذا البيان هو تحديد كلمة الكافرين.

"فَإِذَا نُفِرَ فِي النَّاقُورِ" وجاء أو ان الرحلة من الدنيا. النقر في الناقور كان علامة الرحلة في القوافل، معنى هذا وقت رحلة الإنسان من هذا الدار عندنا. وليس معناه القيامة كما يستعمله أكثر المفسرين وعندنا كلمة الشيخ سعدى كوس رحلت بكوفته دست اجل^(١) كأنه ترجمة هذه الآية. "فذلك" إلى غير يسير بعد الموت يظهر مجازاة الأعمال للشخصية فصلها الشيخ في حجة الله البالغة وغيرها، فإذا ترك الناس مقتضى الفطرة الإنسانية فطرهم تجارهم وتطلب منهم الضروريات التي تركوها فيكونون حائرين هائمين لا يجدون ملجأ فيتعذبون بذلك، فحقيقة الكفر تستلزم مضرة للكافر. يظهر ذلك على الناقور بعد موته. بقي بعد ذلك إيضاح معنى الكافر.

"فَرَفِي وَمَنْ خَلَقْتَ" إلى "إلا قول البشر" التحقيق عندنا أن الأمثلة القرآنية لا تريد شخصاً معيناً بل جماعة تصدق عليهم تلك الأوصاف وعامة المفسرين يجعلون أفراد الصيغة دليلاً على كون المراد رجلاً معيناً، ثم يتكلفون في تطبيقه عليه، وعلى هذا عامة المفسرين، وفساد ذوقهم في فهم القرآن أنهم يجعلون الآيات العامة منزلة في حق الرجال المخصوصين وكل ذلك من تلبس السياسيين الدجالين الذين يريدون أن لا يحكم عليهم المسلمون بالآيات القرآنية العامة اتخذوا علماً. تنفعهم أن تلك الآيات نزلت في رجال مخصوصين فالآية التي يكون فيها إشارة إلى المخصوصين، فواجب على المفسرين أن يأتوا بالشهادات أنها نزلت في كذا، وكذا يذكر الله في التمثيل رجلاً كان وحيداً لأبيه وأمه فكانه نشأ في رفاهية تامة من ابتداء أمره. وإذا بلغ وصار رجلاً حصل له مال ممدود يحصل نفعه بالتجارة أو بزيادة نسل المواشي الإبل والبقر والغنم وجعل الله بين لا يحتاجون العمل شهوداً في بيته وهو إلى درجة من التمدن. يرتقي بالطبع هذا الرجل يصير كبيراً لقبيلة صاحب الأولاد والمال. هذا عندنا معنى قوله "وَمَهْذُتْ لَهُ قَهْهْذًا" يعني قههههه في ارتقائه المناصب العالية لكن هذا لا يخلو عن تقدم في قبيلة وعائلة "ثم يطمع أن يزيد" يريد أن يصير كبيراً في قومه في ملكه كلا لا يمكن ذلك لأن ذلك يحتاج إلى انتظامه بقواعد أخرى، يعرف الحق

١- هذا من كتاب الشيخ مصلح الدين سعدى الشيرازي روضة الورد (باكستان) في الباب الأول في سيرة الملوك.

العمومي للناس، يقدر أن يبين ذلك لعقلاء الناس ويقنعهم أنه يقضي لهم بالحق أو يكون عنده قوة قاهرة من الصياكر يغلب بذلك على المخالفين ويستبد بالأمور فإذا أراد الرجل أن يتقدم في ملكه يلزم عليه أن يتبع قواعد مقررة عند الله في ذلك وهو يخالفها مع فهمه يقول لا حاجة إلى ذلك لإصلاح العقيدة والإيمان وإصلاح الأخلاق والأعمال ليحييه إلى الناس تقدمه كأنه ليس يلزم عنده بهذا كان مقدورا له لو التزم، وأما تغلبه بالصياكر القاهرة فليس في قوله فأيات الله اللازمة لتحصيل منصب من مناصب التقدم هو يتكرها ويعاندها بضد ذلك فصلا ويمكن له أن يحصل له الترقى الزائد على ما حصل له من كونه كبيرا لقييلته. "سأهقه صعودا" معناه أنه عندنا يترقى في الظاهر ويرغم أنه يصعد في المزية وفي الحقيقة ويكون سبب هلاكية ومحرومية عما كان حصل له من الجاه والملكة صعودا أصعده صعودا هو يجمع قوته لمخالفة الحق الذي جاء له النبي ﷺ وهو يزعم في ابتداء الأمر أنه يترقى في ذلك ، وفي نهاية الأمر يخسر فيكون ترقيه معكوسا. هذا فهمناه من كلمة الصعود. صعوده يكون سببا لنزوله فالرجل إذا لم يكن معاندا لايسى كافرا في لسان القرآن. الكلمة تستعمل مجازا في غير الحقيقة فيفظ به الناس كثيرا. ذكر عنده بقوله "إنه فكر وقدر" ورأى أن هذا الأمر يكون خير قرش وخير الحجاز لكن رأى الطريق الذي سلكه هو لا يوافق فرجع عن ذلك التقدير وجعله سببا لفحصان وحرمان بآتيان على أهل الحجاز ثم نظر مرة ثانية فظهر له الحق وأراد اختياره إخفاكه "ثم عتس وتسو" كأنه لم يظهر له شيء من الحق ثم قطع قرارا أنه لا يوافق هذا الحق بل يجعل مسلكه ناجحا بخسران ذلك الطريق. هذا معنى قوله "ثم أفتبر واستكبر" قرر أنه يخالفه هذا أدير ويريد أن يظهر باطله على الحق هذا استكبر الآن لم يبق عنده شيء إلا أن يتكبر وجهها ثم يتوجه الناس إلى النبي ﷺ وتكلم معه لا يقدر على مخالفته فكانه سحر، حصل له شيء من كان متوارثا عند الأقوام الآخرين. غاية ما في الباب النبي ﷺ يدعي أنه هذا الأمر يغلب على العالمين فهذا دليل على أنه من الله إذا كان هو صادقا في هذا الأمر لكن لا يكون هكذا بل مثل البشر في غلبة على الناس يجعلون تحويزا ويتفانون في مدح مقصدهم ليغلب على أفكار الناس. هذه عادة البشر عامة فليس هذه الدعوة إلا قول البشر.

الجملة المعترضة

لما حدث في زمن المأمون القول بخلق القرآن وتناظر فيها طائفتان جعل بعض أهل العلم قول هذا الكافر أن هذا إلا قول البشر راجعا إلى من يقول بخلق القرآن. أنا منه اطلعت على هذا وكان القول منسوباً إلى عظيم من عظماء المسلمين، أتعجب مرارا كأن القرآن العظيم يبحث من هذا البحث، فلما رأينا أكثر المتكلمين بعد تقيحاتهم اللطيفة يصدقون بخلق الألفاظ العربية دائمة منهم يحكمون على من يجعل الكلام اللفظي غير مخلوق أنهم فاسدوا للعقول لا ينبغي أن يخاطبوا فتعجبنا من ذلك وتركنا تلك الخرافات وما قدرنا على تعيين الحق إلا بعد فهمنا مشكلة التجلي في حكمة الإمام ولي الله الدهلوي.

"سَأْمَلِيهِ سَقَرٌ" هذا الكافر المعاند إذا ارتحل من دار الدنيا ندخله سقر "وَمَا أَذْرَاكَ مَا سَقَرٌ" يدخل في كل مفصل وكل قوة. عذابه وشدة لواحته للبشر من شدة النار التي تخرج من ضمن قواهم الباطنة تحرق البشر، فهذه النار التي في سقر، قد بين الله في بعض السور أنها تخرج من قلوبهم وتتكلم عليها في سورة الحمزة "نَارُ اللَّهِ الْمَوْفُودَةُ" الخ وتكون مثالها مثال الحمى بفساد الأخلاق تظهر الحرارة على البشرة، فهذه فساد الأخلاق تظهر النار وتحرق البشرة "عَلَيْهَا تِسْفَةُ عَقَرٌ"

بحث حول الملكات الإنسانية

هذه المسئلة غامضة لا يعرفها إلا من يتكلم على النفس الإنسانية والقوى التي تنشعب منها، فلما كان هذا من مباحث خاصة لأهل العلم وليس لعامةهم نصيب في فهمها بسهولة، أجهل الأمر، ويعرف حقيقتها كل من له دخل في معرفة الحكمة في النفس الإنسانية وليس هذا مختصاً بالحكماء من أهل الإسلام، بل إن أهل الديانات الصائبة وطائفة من الحنفاء كلهم يعرفون ويفقهون على ذلك. وتلخيص ذلك أن الجواس المعروفة للإنسان عشرة، خمس ظاهرة وخمس باطنة. الظاهرة لا اختلاف فيها وفي الباطنة عندنا تفسير خاص بنا ولكل رجل حق أن يصطلح على أسماء اللطائف بما أحب. إذا كان المعنى لا يختلف فيه. والجواس الباطنة هي: الخمس المشتركة والواحدة والتمخيلة والحافظة والقوة المحركة فصارت عشرة، وتسع من اللطائف خفية مختصة بالقوة المثالية والملكية والإلهية في النفس الإنسانية، وهي ^١ القوة العازمة أو القلب و^٢ القوة المدركة أو العقل الأول ثم ^٣ الروح والسر بطن لهما أي القلب والعقل، ثم ^٤ الخفي و^٥ الأظفي البطن للثاني لهما و^٦ الأتانية الكبرى و^٧ نور القدس بطن لهما ثالث ثم ^٨ الخسر البحت نموذج التجلي الإلهي، فصارت تسعة عشر بفساد شعبة من تلك الشعب يكون بالمعذب مسلك مخصوص بتلك الشعبة الآن يظهر معنى هذه الآية الطويلة. "وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ" إلى قوله ذكرى للبشر تلك المسئلة يتفق بها الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون إذا بين لهم يزداد إيمانهم بشهادة قلوبهم فهؤلاء لا يرتابون في أنهم الملائكة وإن عدتهم لازم أن تكون تسعة عشر وأصحاب الشكوك الذين لا يقدرُونَ على تحصيل اليقين في شيء من الأشياء يعبر عنهم القرآن بالذين في قلوبهم مرض والكافرون يعني المعاندين يعترضون ويقولون "مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا" ليست هذه مسئلة عمومية يفهمها كل الناس سواء سواء من كان مستأهلاً لذلك يفهم ويبنى على ذلك الأساس حكمة المجازات لاضروية كلها فيكون سبباً لهاجهم والذين لا يستأهلون لذلك لا يقدرُونَ أن يسكتوا عن تلك المسئلة ويبحثون الأمور التي يدركونها فإذا اطمعن خاطرهم في الأمور العامة يجتهدون في تحصيل معنى تلك المسئلة بعد ذلك ويمكن لهم ذلك لأنهم أدركوا كثيراً من حكمة الشرائع الإلهية فالرد إلى مراكزها يكون صعباً عليهم لكنهم يبحثون أولاً في تلك المسئلة فيضلون هذا معنى قول الله "كَذَلِكَ يَضِلُّ" إلى "إِلَّا هُوَ" تلك اللطائف لها أصول لا يمكن إدراكها في تلك الدنيا يعلمها إلا الله وما هو إلا ذكرى للبشر مسئلة المجازة الأخروية يصعب فهمها على أكثر الناس وإذا نبهوا على قواهم الباطنة، وأن المجازة الأخروية ليس إلا اقتضاء تلك القوى تذكر

والأمر الحق. هذا معنى قوله "وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشَرِ" هذا غاية ما اجتهدنا في فهم هذه الآيات. هو رجل أدير واستكبر معنى استكبر أنه تحيل غلبة مسلكه على دعوة نبينا ﷺ. كلا روع عليه ليس كما زعم؛ بل القرآن يتشعر نوره شيئاً فشيئاً، مثاله "والقمر" يعني يشهد نور القمر أولاً "واللّيل إذا أدر" يطلع الصبح الصادق فيكون نوره أقوى من نور القمر "والصبح إذا أسفر" يكون قريب طلوع الشمس، فهذا زيادة النور التدريجي يكون شهادة على زيادة نور الدعوة الإسلامية كل يوم. فنحن نجعل القسم للشهادة وجواب القسم المشهود عليه وهو "إنها لإحدى الكبر" نذيراً للبشر نور هذه الدعوة يزيد كل يوم على مراتب حتى يصل إلى درجة لا نظير لها في الدنيا، فالواقعات الكبار التي وقعت في الدنيا تكون النذارة المحمدية إحدى الكبر لا يماثلها شأن. تردنا كثيراً من أيام الطلب المفسرون يجعلون "إنها" أي القيامة بالله، فالمناسبة في ذلك وكيف هي نذير للبشر لكن التكلم في تلك المسائل على ذلك مع التردد والتحير حتى رأينا أن الألويسي ذكر في روح المعاني النذارة المحمدية^(١) ففرحنا به فرحاً عظيماً فالأمور الواقعات الكبار مثل غلبة الإسكندر تغير منهج الدنيا وهذه النذارة تغير منهج العالم بقدر رجل أن يتكبر عليه. "لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر" هذا أمر وقوعه غالب على جميع البشر، متحتم لا تبحثوا في المغالبة على هذا، بل تفكروا أنتم تتقدمون في الاستفادة من هذا التحريك أو الآخر لما تصيرون مضطرين تفسير أن يتقدم أو يتأخر ذكر في الآيات الآتية إلى قوله شفاعة الشافعين والمتقدمون يسمون أصحاب اليمين "كل نفس بما كسبت رهينة" واجب عليها أداء حق اغتصبه من القوى النفسانية إلا أصحاب اليمين هم أتوا حق كل قوة فليس عليهم مؤاخذه فيدخلون في الجحش ويبحثون عن المجرمين حقيقة يظهر عليهم ما عملوا في الدنيا من الأمور الحسنة برؤية ضد ذلك يسلبوا المجرمين "ما سلككم في سقر" قالوا في جوابهم "لم نك" إلى "المسكين" هذا يرجع إلى معنى أقيموا الصلوة وآتوا الزكاة "وكنا نخوض" الخ هذا في إنكار شعائر الله. "وكنا نكذب يوم الدين" هذا إنكار اللطائف النفسية "فما تنفعهم الخ" لأن الشفاعة نتيجة لبعض أعمالهم "فما لهم عن التذكرة" إلى "قسوة" هذه تكون نتيجة إظهار الانقلاب. هم كلهم كالحمر. اذكر عندهم الانقلاب فكانه جاء إليهم أسيد فالتفلسفون ما توجهوا إلى القوة الانقلابية وبيان لوازمها التي يشتر إليها القرآن، بأصريح عبارة، وهذه كلها من آثار خلافة بني أمية وبني العكر، وأما المسلمون في أول زمانهم أول ما يدركون من الإسلام أنه قوة انقلابية فليس لهم عذر في عدم التوجه إلى تلك التذكرة إلا أشياء خفيفة تعوي على أفعالهم لا يريدون اتباع رجل منهم. هذا هو من لوازم عادات القبائل البدوية. هذا معنى قوله "بل يريد كل امرء" إلى "منشرة" كل رجل يريد

١- قال في روح المعاني: "وقيل ضمير إنما يحتمل أن يكون للنذارة وأمر الآخرة." (شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألويسي (ت: ١٢٧٠هـ) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عبد الباقري عطية (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٥هـ)، ١٥: ١٤٥.

أن يأتى صحيفة رأسا. هذا جهل منهم بالقوة الاجتماعية فلا يستجيب دعاؤهم كلا لا يكون كذلك شيء آخر في قلوبهم بل لا يخافون الآخرة لأنهم يدركون ضرورات أنفسهم. هم يحسبون الآخرة تأتي من خارج "كلا" ليس هكذا إنما تأتي من داخل نفوسكم "إنها تذكرة" لذلك تذكركم أن أعمالكم تستوجب الجزاء في الآخرة فمن شاء ذكره هو دعوة عمومية للإنسانية ليست مخصوصة برجل يقوم بعائلة بمملكته "وما يذكرون الخ" هذا التذكير لا ينفع كل الناس لكن صنف من الإنسان يحتاج إليه وهم المخاطبون أي بهذا الإنذار. هذا معنى قوله "وما يذكرون إلا أن يشاء الله" مشيئة تتعلق بصنفين: صنف يعملون بالعدالة حسب استعدادهم، فإذا علموا العدالة تامة يكملونها وينفعون الناس كثيرا هؤلاء هم أهل التقوى وصنف يخالفون الحق عمدا لكن لسوء فهمهم أو علم وصوبهم إلى الحق يعملون المظالم والمخاصي فإذا علموا فهم لا يصرون على خطائهم هم أهل المغفرة ترجمة قوله هو أهل التقوى وأهل المغفرة هو يشاء أن يذكر أهل التقوى وأهل المغفرة. هذا على حسب فهمنا، وقيل هو الله أهل التقوى من يتقي عذابه وأهل المغفرة لأن يغفر من يخاف عذابه. هذا أيضا لا بأس به لكن اتساقه بما قبله لا يوضح لنا بعد السورة المد

سورة المزمل مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

"يَا أَيُّهَا الْمَزْمَلُ" اعلم أن أفضل المعلمين من يجعل تلامذته مثله أو أفضل منه بتعليمه إياهم، وأما من ليس كذلك فهو معلم ناقص وردي، ورسول الله ﷺ يأخذ الحكمة والكتاب من الله تعالى من حيث يكونه نبياً ورسولاً، وهو الأخذ وهبياً وهو يعلم الكتاب والحكمة تلامذته من حيث يكونه معلماً كما قال: "ويعلمهم الكتاب والحكمة" والتعليم كسبي، فالتبني عليه السلام من حيث يكونه معلماً يريد أن يجعل تلامذته مثله أو أفضل منه بتعليمه لكونه أفضل المعلمين. (يعني قرآن شریف کا جس طرح کہ حضور ﷺ مطلب سمجھ گئے ہیں اور آپ کے دماغ میں آگیا ہے، اس طرح بالکل اپنے شاگردوں کے دماغ میں اس کا صحیح مطلب بیٹھا دیں کہ وہ بالکل حضور ﷺ کی طرح سمجھ جائیں، کیوں کہ جب تک آپ ایسے کامل شاگرد تیار نہ کریں گے کہ جو قرآن کے مطالب سمجھنے میں حضور کے بالکل مساوی ہوں، تو آپ کے کام کی تکمیل غیر ممکن ہے۔) (۱)

فمعنى المزمل أي الحاشر الذي من أسجده الخمسة عليه السلام، فمعناه يا جامع جنود الزملاء (جمع زميل) بالمبالغة في الكرم والكيف يعني في الكثرة والكمال (والزمالة هي الناقة الراحلة يعني بارود فار، والزميل هو العدیل، والزميلان يكونان على الزمالة، أحدهما في جانب والآخر في جانب آخر، فهما عديلان). فحاصل معناه أي زميلوں کے لشکر تیار کرنے والے مہائف کے ساتھ، ان کی مقدار میں بھی اور ان کی کیفیت میں، یعنی کثرت سے۔ اے شاگردوں کے تیار کرنے والے جو تمہارے زمیل یعنی جو قرآن کو سمجھنے میں بالکل تمہارے مثل ہوں گے۔ (۲) ثم علم النبي عليه السلام طريق تعليم يُعَدُّ به تلامذته مثله بقوله "فيم اللیل إلا قليلاً".

۱- یعنی کہا ان انہی فہم معنی القرآن فعلیہ ان ینہم مثل ذلك تلامیذہ بالفہوم الأصح لأن بغير ذلك لا يمكن تکمیل امرہ۔

۲- یعنی معناه یا معد جنود الزملاء بالمبالغة کما وکثرت بالکثرة، وهؤلاء الزملاء یكونون مثلك فی فہم القرآن، هذا إطلاق بمعید عما هو ستن عامة للمفسرين فی بیان معنی هذا اللفظ، فإن عامة المفسرين يأخذون التزمیل بمعنی التلطف باللوب، یقول ابن عاشور: وهنأ التزمیل الذي أشارت إلیه الآية قال الزمري: وجهور المفسرين: إنه التزمیل الذي جرى فی قول النبي صلی الله علیہ وسلم «زملونی زملونی». (محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير (تونس: الدار التونسية للنشر، ۱۹۸۴ء)، ۲۹: ۲۵۶. وأما المعنی الذي أخذه الشيخ البسندی فتجده عند مفسر آخر هو الشيخ محمد أمين شیخو (۱۸۹۰-۱۹۶۴ء) من دمشق فی تفسيره فأویل القرآن العظيم: أنوار التزمیل وحقائق التأویل، فيقول فيه: یا أيها المزمل هو طلب زمالة الخلق وصحبتهم للبهوض بهم للأنس والإنسانية ونوال الطيرات من الرحمن الرحيم بمعينة وزمالاته... (محمد أمين شیخو، فأویل القرآن العظيم: أنوار التزمیل وحقائق التأویل، جمع وتحقيق، الأستاذ المربي عبد القادر عبي الشهبز بالديوان).

يَصْنَفُهُ أَوْ يَتْلُو مِنْهُ قَلِيلًا" (۱) اے تم انت وتلامذتک معک فی اللیل اَوْ یَذُّ عَلَیْہِ وَتِلَّ الْقُرْآنَ تَرْتِیْلًا (یعنی آہستہ آہستہ ظہیر ظہیر کر ان پر پڑھو) (۲)

اعلم أن طریق التعلیم اثنان؛ أحدهما التعلیم باللسان بطریق المخاطبة والثانی التعلیم بالتوجه فقط من غیر تلفظ باللسان، وهو طریق الحكماء الإشرافیین، وهو مروج أیضًا فی الصوفیة فی هذا الزمان، ولا يمكن تکمیل المرید والتلمیذ بغير هذا الطریق، فعلم الله تعالی نیه هذا الطریق لتعلیم التلامذة، أعنی طریق التوجه (یعنی آپ رات کے وقت توجہ سے ظہیر کر قرآن پڑھ اور وہ توجہ سے سیں، اس طریقے سے ان کو اعلیٰ پیمانے پر تیار کرے) آج بھی کالمین کی صحبت سے صحابہ کی طرح کامل پیدا ہو سکتے ہیں۔ چنانچہ شاہ ولی اللہ صاحب (۳) َقَوْلُ الْجَمِيلِ میں اپنے والد ماجد (شاہ عبد الرحیم صاحب) کا ایک واقعہ لکھا ہے کہ ان کے والد صاحب کو علی کرم اللہ وجہہ کی ملاقات ہوئی تو انھوں نے علی کرم اللہ وجہہ سے دریافت کیا کہ آپ بتائیے کہ میری نسبت تقرب الی اللہ کی، آپ کی نسبت کی طرح ہے یا نہیں تو انھوں نے فرمایا کہ تو اپنی نسبت کو خوب توجہ کر کے حاضر کر، انھوں نے حاضر کی علی کرم اللہ وجہہ نے فرمایا کہ ہاں تو تمھاری نسبت بھی دیکھی ہے۔ (۴) اتم ذکر الله تعالی ضرورة إعداد الجماعة الکاملین بقوله "إِنَّا مَنَلْنَاهُ غَلَّتْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا" یعنی آپ کو ایسا پروگرام دینے والے ہیں کہ اس کی تکمیل

https://books.google.com.pk/books?id=IThDDwAAQBAJ&pg=PA999&source=gbv_r&cad=r#v=onepage&q&f=false

۱۔ جس قدر اللہ کا قرب زیادہ حاصل ہو، اسی قدر قرآن کا مطلب زیادہ صحیح سمجھ میں آئے گا اور اسی قدر اس کی توجہ میں زیادہ اثر ہوگا۔

۲۔ اس کا حاصل یہ ہے کہ ان کو سمجھنے اور غور کرنے کا موقع دے۔ جلدی میں وہ نہیں سمجھیں گے، لیکن آہستہ آہستہ ان کو پڑھا بالتزیل ہو التعلیم بطریق الخطاب کما هو طریق المشافیین، لکن التزیل للقیّد بالصلاة فیصح الیہ التوجه، فیکون تعلیم النبی علیہ السلام جامعًا لطرق المشافیین والاشراقیین، ولا يمكن التکمیل بغير إیضاح طریق التوجه عن طریق تعلیم الإشرافیین۔

۳۔ هو الإمام فی الهند أبو محمد الشاہ أحمد ولی الله بن عبد الرحیم الدهلوی، أخذ العلوم عن والده الشیخ عبد الرحیم، توفی أبو سنة ۱۱۳۱ھ وهو ابن السطیح عشر. قد سافر إلى بلاد الحجاز وأخذ عن علمائها مع الإضافة إلى الآخرين من الشیوخ من الهند وقدم إلى الهند فدرس، وله تصانیف جلیلة فی مختلف الفنون، وهو الذی ترجم القرآن الکریم إلى اللغة الفارسیة. (الحسینی، المصنوع السابق، ۶: ۴۱۰۔)

۴۔ یعنی اقرأ القرآن لیلاً بالتوجه والتزیل بأحسن وجه. ثم إنه تمكن الیوم إنشاء جماعة الکاملین مثل الصحابة، فقال الشاہ ولی الله فی القول الجمیل عن والده الشاہ عبد الرحیم أنه لقي علیاً کرم الله وجهه، فسأله أن یبین هل نسبی إلى الله مثل نسبکم أم لا. فعلى ذلك أحضر علی نسبته بالتوجه الخاص فقال إن نسبک مثل نسبی.

بغیر اسے کامل شاگردوں کی جماعت غیر ممکن؛ پس ایسی جماعت تیار کرو جو آپ کا ہاتھ بٹائے۔ (۱) ائمہ ذکر وجہ تخصیص اللیل بقولہ "إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيْلًا" عرب میں گرمی بہت ہوتی ہے، اس وجہ سے رات کے وقت وہ بھی نہیں ہوگی۔ دوسرے جو کھانے وغیرہ سے طبیعت میں جو اس کے اثر سے نکل آتا ہے، وہ بھی نہیں رہے گا، کیوں کہ عرب رات کا کھانا صبح کے وقت کھایا کرتے تھے تو نصف رات تک وہ بھی ہضم ہو جاتا ہے۔ ان دو وجہوں سے رات کے وقت بات صاف منہ سے نکلے گی یہ معنی ہیں "أَقْوَمُ قِيْلًا" کے (۲) اور تجربہ سے ثابت ہوا ہے کہ نفس کی ضد چھڑوانے کے لیے، ترک نیند سے بہتر کوئی چیز مفید نہیں؛ چنانچہ باز کو تعلیم دینے والے جب وہ تعلیم کو قبول نہیں کرتا، تو اس کو نیند کی لذت سے محروم کرتے ہیں اور سونے نہیں دیتے ہیں۔ ایسے ہی پولیس میں جو چور اقرار نہ کرے، اسے سونے نہیں دیتے، تو وہ اقرار کر لیتا ہے۔ نفس تعلیم کی طرف متوجہ نہیں ہوتا اور ضد کرتا ہے تو اس کی ضد توڑنے کا علاج اس کو لذت نیند سے محروم کرنے سے لیا گیا اور یہ سب سے بہترین علاج ہے اس کی ضد چھڑوانے کا۔ پس نفس تعلیم کی طرف متوجہ ہو گا۔ یہ معنی ہیں "إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيْلًا" کے، (۳) و ذکر وجہا آخر لتخصیص اللیل بالتعلیم بقولہ: "إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْعًا طَوِيلًا" من تبلیغ العوام وغیرہ، فلا یمكن تعلیم الخواص فی النهار (۴) "وَأَذْكُرُ اسْمَ رَبِّكَ" والقرآن فلا محالة یحیی ذکر اسم اللہ وقت قراءتہ "وَتَبْتَغِي إِلَيْهِ تَتَبِيلًا" وقت ذکر اسمہ من کل ما سواہ (۵) معنی اللہ کے نام کے وقت۔ اس کے ماسوا کا بالکل خیال ہی باقی نہ رہے، جب قرآن شریف کا مقصد صحیح ذہن میں آئے گا، کیوں کہ قرآن کا مقصد یہ ہے کہ اللہ کے ماسوا کسی کو اپنے اوپر کسی کو حاکم و بادشاہ نہ مانا جائے، تو جب قرآن کے پڑھنے میں اور اللہ کی یاد کے وقت اس کے دل سے اللہ کے سوا سب محو ہو جائیں گے، تو پھر وہ کسی کو بادشاہ ماننے کو تیار نہیں ہو گا اور جب اس کے دل میں اوروں کا بھی خیال ہے تو وہ فقط اللہ کو بادشاہ ماننے کے لیے تیار نہیں ہو گا اور جب کہ اس کے دل میں اوروں کا بھی خیال ہے تو وہ فقط اللہ کو بادشاہ ماننے کے لیے تیار نہیں ہو گا، زیادہ سے زیادہ اللہ کو شہنشاہ مان لے گا اور

۱- یعنی نحن بصدد إعطاءكم برنامجا لا يمكن تكميله بدون جماعة التلامذة يساعدونك في الأمر.

۲- إن العرب يكون الأمر فيه شديداً ولكنه يضعف في الليل، والعرب كانوا يأكلون العشاء وقت العصر فيضعف ثقله في الليل فيعظم فبذلك ما يخرج من الغم يكون صافيا، وهذا معنى قوله أقوم قِيْلًا.

۳- ومن المحرب أن النفس تضعف بترك النوم فالتعب لما لم يقبل التعليم بحرمونه بلذة النوم وكذلك الأمر يكون مع اللص الذي لا يقر بجره، وهكذا معاملة النفس إذا لم يقبل التعليم يحرم من لذة النوم، وهذا معنى قوله إن ناشئة الليل الخ

۴- ذکر بقولہ وَأَذْكُرُ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبْتَغِي إِلَيْهِ تَتَبِيلًا طریق فہم مطلب القرآن، یعنی ذکر اسم اللہ کے بعد جب تبتل حاصل ہو گا تو خدا کے قرب میں اثران حاصل ہو گا، تو اس وقت قرآن کا مطلب بھی صحیح سمجھ میں آئے گا کہ اللہ کے سوا نہ کوئی بادشاہ ہے نہ مربی نہ محبوب، لہذا اس کے سوا کسی کو نہ مانا جائے، یہی حاصل ہے قرآن کا۔

ادروں کو چھوٹے بادشاہ جیسا کہ قریش وغیرہ کا خیال تھا؛ غرض سب سے کامل انقطاع کے بغیر قرآن کا صحیح مقصد ذہن میں آ ہی نہیں سکتا، تو اس آیت میں قرآن کا صحیح مقصد سمجھنے کا طریقہ بتا دیا۔ (۱) "رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا" قرآن میں تعلیم قوی کی تکمیل کے بعد بین الاقوامی تعلیم کا بھی کامل پروگرام ہے، تو اس بین الاقوامی تعلیم سے تمام قومیں مستفید نہیں ہوں گی، بلکہ وہ قومیں مستفید ہوں گی جو معتدل مزاج ہیں۔ خط استوا سے جنوب و شمال میں دونوں خطوں کی طرف سردی سخت ہے، وہاں کے معتدل مزاج نہیں ہیں اور خط استوا پر تو گرمی زیادہ ہے، مگر خط استوا کی دونوں جانبوں میں قریب قریب شرقاً و غرباً اعتدال ہے؛ اس لیے وہاں کے رہنے والے معتدل مزاجی کی وجہ سے قرآن کی تعلیم سے فائدہ اٹھائیں گے۔ تو اس میں اشارہ ہے کہ قرآن کی تعلیم مشرقاً و مغرباً زیادہ پھیلے گی؛ چنانچہ ایسا ہی ہے۔ (۲) (فَهَذَا هُوَ وَجْهُ التَّفْهِيمِ بِرَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ) "لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا" هذه نعمة (۳) الانقلاب مثل نعمة الله أكبر ونعمة انقلاب زنده باد، لأن معنى الإله مشتمل على المختصر ثلاثة أمور في الله تعالى كما في قوله تعالى: "قُلْ أَخُودُ بِرَبِّ النَّاسِ خَلِيقَ النَّاسِ إِلَهَ النَّاسِ" معنى الإله محبوب، معنى الإله في قوله "إِلَهَ النَّاسِ" هو المحبوب وفي قوله "لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ" هو في هذه السورة بمعنى الله ورب الناس ملك الناس إله الناس، هذه الثلاثة شرح صحيح لله. أي الرب والملك والمحبوب هو لا غيره، يعني الله کے سوا نہ کوئی مربی ہے نہ بادشاہ نہ محبوب اور تمام دنیا میں یہ انقلاب گردیا جائے گا۔ پس قرآن کا ماننے والا اللہ کے سوا کسی کو اپنا مربی، بادشاہ اور محبوب ہرگز نہیں سمجھ سکتا۔ (۴) "وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ" یعنی جو لوگ اس انقلاب کے مخالف ہیں، وہ آپ کو بھڑکائیں گے تاکہ آپ اپنا کام چھوڑ کر لڑنا چھوڑنا شروع کریں اور یہ کام ناکمل رہ جائے۔ (۵) "وَاصْبِرْ" یعنی اپنے کام پر ٹھٹھے رہو (۶) "وَاهْجُزْهُمْ هَاجِرًا جَمِيلًا" ہجر جمیل

۱۔ یعنی يلزم أن لا يأتي في البال حباله للملوك الآخرين، فلما يكون ذلك لا يسلم ملكا إلا الله، ويلفصد الصحيح من القرآن، لا يأتي إلا بالانقطاع الكامل عما سوى الله.

۲۔ القرآن فيه برنامج عالمي للتعليم بعد البرنامج القومي، ويستفيد منه الأقوام التي في مواجهتها اعتدال، وهؤلاء يستفيدون على درجة الاعتدال من خط الاستواء فلأجل الاعتدال في المواضع، هم سيمتفيدون من القرآن فإلى ذلك إشارة في رب للمشرق والمغرب.

۳۔ في أصل المخطوط هكذا، ولكن غلب على هذه اللفظة طابع العجمة كما في مواضع أخرى كثيرة أشرت إليها، فإن اللفظ المستخدم في اللغة العربية لما يسمى بالإنكليزية Slogan هو "الشعار" وليس "نعمه". وهذا لمراجعة أهل الهند.

۴۔ یعنی ليس سوى الله مرب أو ملك أو محبوب، فتكون الثورة في جميع العالم، فلا يمكن لمن يعتقد القرآن حقا أن يعد أحدا مربيه أو الملك أو المحبوب بعد الله.

۵۔ یعنی أن من يخالف الثورة من الناس يهزئك حتى تهجر أمرك وتحاصم معهم فلا يكتمل أمرك.

۶۔ یعنی استقم على أمرك.

کے معنی ہیں کہ ان سے مقابلہ مت کرو، یہ تعلیم ہے عدم تشدد کی، لیکن گاندھی کا عدم تشدد نہیں کہ جو عمر بھر ختم ہی نہ ہو، بلکہ جب تک عدم تشدد کی ضرورت ہو۔ جب لڑائی کا وقت آجائے گا تو عدم تشدد ختم کر دیا جائے گا۔ غرض یہ وقت تعلیم کا ہے اور کہ معظمہ مرکز تعلیم ہے اور تعلیم کے زمانے میں تشدد تعلیم میں معر ہے۔ اس سے تعلیم میں حرج^(۱) واقع ہوتا ہے۔ اس واسطے تعلیم مکمل ہونے تک یعنی کی زندگی تک عدم تشدد سے کام لو، جب وقت آئے گا تو لڑائی کا حکم دے دیا جائے گا، یعنی تعلیم مکمل ہونے کے بعد۔^(۲) "وَقَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّفْعَةِ" ای لا تلتفت إلى مجازات المكذبين، بل كؤلة إلى فاجريهم إذا جاء وقته. "وَمَقْلَهُمْ قَلِيلًا" أي وقت جزائهم أي وقت جزائهم ليس يبعد بل سحيق عن قريب في الدنيا، وقد للمكذبين يـ "أُولِي النَّفْعَةِ" إشارة إلى سبب تكذيبهم، أحيى خوف زوال المال، لأنه يعلم أن قانون القرآن يسوي بين الغريب والأمير^(۳)، فهو يظن أن يكون الفقراء شركاء في ماله ويذهب كبرياءه فيكذب القرآن. "إِنَّ لَدَيْنَا أَلْكَالًا وَجَحِيمًا" أي في الدنيا وجزاء الآخرة سحيق. اعلم أن أكثر المفسرين لا يذكرون جزاء الدنيا قط، بل كلما جاء ذكر الجزاء يجعلونه في يوم الآخرة، فبسيه هبار التمس جريئين على مخالفة القانون، والجمال أن الجزاء واقع في الدنيا والآخرة كليهما، وفي فلسفة الشاه ولي الله أن الجزاء يمتد إلى مجرد تمام الفعل في الدنيا (يعني أدر هر عمل ختم ہوا، أدر ہوا شروع ہوئی۔) نعم تكميل الجزاء يكون يوم القيامة، وإذا اعتقد الناس به لا يجتروا على مخالفة القانون، هذا قصور العلماء أنهم جزؤا الناس على خلاف القانون بعدم ذكر جزاء دنيوي "وَطَعَامًا ذَا حُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا" المراد بالعذاب الأليم هو محكومة الغير (يعني دشمن غالب آجائے گا اور مال و اولاد کو تباہ کرے گا۔) ذكر الله تعالى في التوراة في وعده بهم لو خالفتم بما وعدتم به، لأفعلن بكم كذا، ثم إذا خالفتم لأفعلن بكم كذا، ثم إذا خالفتم لأفعلن بكم كذا، وقال أيضًا إذا خالفتم لأستعملن عليكم أعداءكم فبعذبكم يسوءكم سوء العذاب يسلب المال والأولاد، والمسلمون أيضًا مرتلون بهذا العذاب اليوم بسبب مخالفتهم قانون الله يعذبهم عذابًا أليمًا يقع عليهم العذاب الأليم. "يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ"

۱- في الأصل "هرج" وهو من خطأ الناسخ، فإن الهرج يطلق في العربية على الكثرة في الشيء والفوضى والاختلاط، يقال أصبح القوم في هرج ومرج وشدة القتل وكثرته وشيء تراه في النوم وليس بضادق. (إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، المعجم الوسيط، باب الماء، مادة هرج).

۲- معنى المجر الجليل أن لا تقابل معهم وهذا تعلم عدم التشدد، وليس المراد عدم تشدد الغاندي الذي يقوم، بل المراد ضرورة عدم التشدد، فإذا جاء وقت الحرب لا يبقى عدم التشدد. هذا زمن التعليم في مكة المكرمة والتشديد في التعليم في زمن التعليم مضرهما يؤدي إلى الهرج في التعليم، فاعملوا على عدم التشدد حتى نهاية العهد الملكي، فيكون إذن الحرب على وقت معين على اكتمال التعليم.

۳- في الأصل هكذا: الغريب والأمير، ولكن المناسب "الفقر والغني" حرفًا على سنن العربية، فإن إطلاق الغريب على صاحب الفقر والأمير على صاحب الثروة ليس بمألوف في العربية، فإنه إطلاق عجبي لاسيما في اللغة الأردية.

ای اهل الأرض "وَالْجِبَالُ" أي اهل الجبال "وَمَا كُنْتَ الْجِبَالُ" السلطانات^(۱) التي كانت مستحکمة
 كالجبال "مُجِيبًا مَهِيلاً" هذا هو يوم الانقلاب (یعنی اس دن تمام دنیا ہلا دی جائے گی اور بڑی ^{سلطنتیں} جڑیں ہلا دیں
 گی طرح مضبوط تھیں، ان کو پاش پاش کر دیا جائے گا۔) "إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا
 إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا" أي كما أخذنا فرعون في الدنيا وأهلكناه ثم أدخلناه في جهنم بمخالفة موسى، كذلك
 فخذكم بمخالفة النبي عليه السلام في الدنيا أخذًا وبلاءً، ثم ندخلكم في جهنم كما قال "فَكَيْفَ تَقْفُونَ
 إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا" یعنی يوم القيامة يكون انقلاب الإنسانية كلها من آدم إلى القيامة،
 فهو انقلاب أعظم، وأما الانقلاب الذي يقع في الدنيا، فهو النموذج انقلاب القيامة، فأنتم إن لم تفعلوا
 على أن تسلموا من انقلاب دنيوي إذا كفرتم بالقرآن فكيف يمكن سلاصتكم من الانقلاب الذي هو
 أعظم من انقلاب دنيوي، لأن ذريعة السلامة من انقلابين هو تسليم قانون القرآن وأنهم تكفرون به،
 فلا يمكن السلامة منهما. هذه تذكرة لئلا ^{یعنی} قانون قرآن تمام دنیا کے انقلاب کا پروگرام ہے، یہ انقلاب ہو کر
 رہے گا۔ "فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا" أي يتبع هذا القانون ويسلم من الانقلاب. "إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ
 أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ اللَّيْلِ مَعَكَ وَاللَّهُ يَقْبِضُ اللَّيْلَ وَالثَّهَارَ عَلِيمٌ
 أَنْ لَنْ تُحْصَوْهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَافْرُغُوا مَا تَيْسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضًى وَآخَرُونَ
 يَضُرُّونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَافْرُغُوا مَا تَيْسَّرَ مِنْهُ
 وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ نَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ
 هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ".

اعلم أن فرائض جماعة للنبي عليه السلام الخاصة (أعني الذين يعدهم بالتعليم في الليل و هي
 الخواص الثلاثة: التعليم وتحصيل المال بالتجارة وغيرها والقتال في سبيل الله، والتعليم هو فرض المَرْضَى
 أعني الذين لا يقدر على الكسب والقتال كما يدل عليه قوله تعالى "لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى
 الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْفِقُونَ خَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ" والتعليم هو النصيحة^(۲)،
 فحاصل الآية أن الحكم المذكور في قوله قم الليل الخ مخصوص بك وبطائفة معك لأن الليل في العرب
 يكون طويلاً زيادة طول فيمكن العمل به. "وَاللَّهُ يَقْبِضُ اللَّيْلَ وَالثَّهَارَ" يعني يجعل الليل طويلاً في ملك
 وقصيراً في ملك^(۳)، وفي بعض البلاد يكون الليل أطول وقانون القانون القرآن لا يختص بقطعة العرب، بل
 هو قانون عالم كثر [السنن العمومي]، فلا يمكن العمل بقيام الليل على مقدار مذكور في كل البلاد من

۱- أفراد الدول الكبيرة والإمبراطوريات المنهية.

۲- وهذه الأمور الثلاثة ليست بسهولة [في الأصل سهيل، والأنصب "سهلة"] الناس يفعلون هذه الأمور لكن
 لأنفسهم وتضعهم الذاتي، وهؤلاء (يعني حضور كمي خاص جماعت) يفعلونها لا لأنفسهم بل للقرآن، فليست بسهولة.

۳- الأنصب "في دولة" أو "في بلد".

الجماعة الخاصة مع أداء الفرائض الثلاثة الآتية كما قال "عَلِمَ أَنْ لَنْ تُخْصَوْهُ" لا يمكن العمل به في أقطار العالم كله "فَتَابَ عَلَيْكُمْ" أي توجه إليكم بالرحمة وتسخ حكمه بعد سنة وقال الآن "فَافْرَعُوا مَا قَسَرَّ مِنَ الْقُرْآنِ" وذكر وجه نسخه بقوله "عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضًى" أي الذين لا يقدرُونَ على اكتساب المال والفضل، بل يودُونَ فرض التعليم فقط وتعليم القرآن أيضًا ليس سهلاً، "وَأَخْرُؤْنَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَنْتَقُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ" أي يحصلون المال بالتجارة، لا لأنفسهم بل يدخلونه بعد التحصيل في بيت المال (يعني شاهي خزانہ گما سہجی) "وَأَخْرُؤْنَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ" فمع أداء هذه الفرائض الثلاثة لا يمكن العمل بالقيام المذكور "فَافْرَعُوا مَا قَسَرَّ مِنْهُ" لكن لا تتركوا أنفسكم مهملة.....

وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ یعنی رات کا قرآن پڑھنا اگر کم کر دیا گیا ہے تو نفس کو قابو سے نہ لگنے دینا، بلکہ اور اعمال کی پابندی اس پر مانع کرنا تاکہ ٹھیک رہے مثل الصلاة والزكاة. قال مولانا قاسم^(۱) الصوم تمة الزكاة والحج تمة الصلاة، لأن الفرض من الزكاة إطعام المساكين والفقراء، وهو كل وقت ضروري، يجب على كل واحد إذا رأى مسكيناً جائعاً أن يطعمه، وفي الصوم يكون أحساس الجوع، فإذا أحس مصيبة الجوع يطعم الجائع، فإحساس مصيبة الجوع يحرضه على الإطعام، والصلاة موضوعة لحصول قرب الله تعالى، وفي الحج يكمل هذا الأمر لأن بيت الله هو موضع تحلي الله تعالى، فزيارته ذريعة تحصيله، فهذا هو السر في الاكتفاء على ذكر الثلاثة من أركان الإسلام في قوله تعالى "وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَقْبَضُوا اللَّهُ تَعَالَى لِيُقْبَضُوا لِيُقْبَضُوا لِيُقْبَضُوا" وَيَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ"^(۲) لأن الإخلاص في العبادة هو ترجمة قوله عليه السلام: شهادة أن لا إله إلا الله، وهو أول أركان الإسلام، ثم ذكر بعد الصلاة والزكاة ولم يذكر الصوم والحج كما ذكرت وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا أي اكسبوا المال بالتجارة ثم أدخلوه في بيت المال (يعني شاهي خزانہ میں) وَمَا تُقْبَضُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ خَيْرٍ مِنْ أَعْمَالٍ لَخَيْرٍ سَوَى مَا ذَكَرَ "تَقْبَضُوا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْراً وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ" یعنی کام میں غلطی معلوم ہونے پر اس کا اقرار کرو اور اسے ترک کر دو، اس پر ضرت کرو، ورنہ ترقی رک جائے گی۔^(۳)

قوله وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ قال الشاء ولي الله هو من قام السوق یعنی بازار لپے پاؤں پر کھڑا ہو گیا، یعنی اس میں ہر قسم کا سودا خریدار کو آسانی سے مل سکتا ہے، تو اقامتِ صلاۃ کے معنی یہ ہیں کہ ایسا ہی نماز کے بازار کو خدا کے

۱- يشير الشيخ السندي بمثل هذه لقوله إلى أقوال الآخرين ولكن العشر على الإحالة الصحيحة يكون صعباً جداً، فإن هذا العمل يحتاج إلى الدراسة المستوعبة جداً للحصول على البقية.

۲- البينة ۹۸: ۵.

۳- يعني أقروا بالخطأ وتركوه، ولا يغف العرقية.

قرب کے سوداگروں کے لیے آسان بنادو، کہ ہر انسان نماز کو آسانی سے پڑھ سکے، تو اذان و جماعت وغیرہ کا اہتمام و انتظام نماز کی آسانی کے سامان ہیں۔^(۱)

فائدة: اعلم أن المبشرين (مبلفين) من النصارى اعترضوا على طريق النبي عليه السلام؛ قالوا إن حياته المكية على طريق التبوء، وحياته المدنية فهي على طريق السلاطين، أعني كثرة الأزواج والحاربة مع الأقوام وجمع الخرائن وغيره، فعلم أنه لم يكن نبياً حقاً، بل كان ابن الوقت (یعنی جیسا موقع دیکھا، ویسا ہی رنگ اختیار کر لیا؛ کہ میں قابو نہیں چلا تو یہ غیر ہی رنگ اختیار کر لیا اور مدینہ میں کام چل گیا تو بادشاہی رنگ اختیار کر لیا۔) الحاصل لم يكن عنده دستور العمل (پر دستور) بلکہ جیسا دیکھا ویسا ہی کر لیا کما هو شأن أبناء الوقت. (وقت پر وقت کے مناسب قانون بنالیتے تھے۔)

الجواب: أولاً أنه لم يفتح التغير في طريق معيشته عليه السلام بعد حصول السلطنة أيضاً، بل كان على طريق مكة كما فصله مولانا قاسم في قبله نما، وكثرة الأزواج كانت لتعليم الدين، فهن كن معلمات للدين، فلهذا كن أمهات المؤمنين، والحاربة أيضاً كانت لضرورة دينه، وأما ثانياً أن قولهم أنه لم يكن عنده دستور من أول الأمر فهو غلط، بل كان عنده من ابتداء الأمر دستور مرتب (ای پروگرام)، والدليل أنه أخبر في حياته المكية بالقتال في المستقبل كما في سورة العلق والمزمل، وهذه السور الثلاثة مكية، فلو لم يكن عنده دستور العمل فكيف أخبر بمكة بقتال سيكون، فالحاربات الواقعة بمدينة وقعت وفق دستور العمل لا كيف ما اتفق، والله أعلم. سورة المزمل مكية ونزل آخرها بعد سنة واحدة فيه ذكر القتال.

^۱ یعنی اُٹھو! الصلاۃ مشتق من قال السوق یعنی کمال مشترک ممکن له الشراء بالسهولة، فمعنی اقام الصلاۃ اجعلوها سوق الصلاۃ سهلاً لطلابی قرب الله حتى يصلي كل واحد بالسهولة، فالأذان والجماعة وغيره سلعة لسهولة الصلاۃ۔

سورة المزمل

بسم الله الرحمن الرحيم

"يَا أَيُّهَا الْمَزْمُولُ" جاء في بعض الأحاديث في بدء الوحي لما رجع النبي ﷺ من حراء كان على بدنه رعدة على حسب العادة^(١) فجعل الناس تفسير اسم النبي ﷺ الذي سماه الله به القرآن المزمل بتلك الواقعة يعني التفث بثوبه فقبل له المزمل أو المذمر فعرفنا من هذا أن التفسير المكتوبة عندنا من الرجال عامتهم من الرجال الذين لم يتدبروا في القرآن، وفي علوم القرآن منعوا الناس عن استعمال العقل فالرجل من المسلمين قام العقل سليم الإيمان يقتدر أن يفهم جميع القوانين العربية التي وضعها أرباب العلم ويعرف الكتب الدينية التي هي محفوظة عند المتدينين لكن ليس لهذا الرجل حق في أن يتدبر القرآن لما يراه وما يفهمه.

تلك البدعة كانت من الملوك شياطينهم ثم اغتدوا الناس سنة، فهل يجوز عند العاقل أن النبي ﷺ يأتي بيته ويطلب شيئاً يتلف له لدفع مرض غشية أو حالة طرأت عليه والقرآن يجعل تلك الحالة عنواناً لرسوله، كأنه أمر عظيم لازم أن يعرف جميع أهل الدنيا. وفي التفسير عامة الأسانيد مستندة إلى الكذابين وأحسنها ما احتل علي رجل سيء الحفظ، هذا عندهم أحسن الأسانيد والرواية من الثقات بالإثبات نادرة غاية الندرة، والناس منذ زمان تركوا التفقه في أسانيد الأحاديث حتى جعلوا قاعدة يكتبونها في مبدأ كتبهم المحدثون أثبتوا أسانيد الأحاديث في كتبهم فهم أغنونا عنها. هذا جهالة بينة تكذب وتنتشر، وتلك الكتب تشتهر في الأقطار ولا يذكر تلك الكلمة أحد. ظهر لك جهل أكثر المصنفين بعلم الإسناد لأن المحدثين لا يذكرون الإسناد إلا ليكونوا برين عن العهدة، فالعهدة على الراوي إن صدق كانت صادقة وليس عندي إلا هكذا. هذا كان في عصر العلوم الحديثة ونبع فيهم رجال واختصروا كتبهم وقالوا إنما صحيحة عندنا مثل كتب الإمام البخاري ومسلم. ليس معناه عند الأئمة أن الناس يقلدوهم في كل ما يقولون. إنهم سهلوا لأهل العلم البحث في صحة الحديث فكان واجباً على كل عالم أن يبحث في أسانيد البخاري كلها، فإن قامت عنده حجة على ضعف بعض الأسانيد أو على سقوطها كان واجباً عليه أن لا يقلد البخاري في ذلك، وهكذا كان الأئمة بعد تصنيف

١- هذا الحديث جاء في أكثر كتب الحديث، فالفاظ صحيح البخاري: *رواه* قرئ بما رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، فقال: «زملوني زملوني» فزملوه حتى ذهب عنه الروح. (صحيح البخاري، بدء الوحي، كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، رقم: ٥٣)

تلك الكتب إلى قريب من ٣٠٠. كل من قرأ شرح صحيح الإمام البخاري لابن حجر^(١) وشرح مسلم للإمام النووي^(٢) يعرف أن في كتابيهما مئات من الأحاديث تكلم عليه نقاد من المحدثين مثل الدار قطني وغيرهم وهؤلاء الشراح يجيبون عن تلك الاعتراضات عامة، ويثبتون ما أثبتته هؤلاء الأئمة بكل قوتهم وجهدهم ومع ذلك يعترفون بأن كثيرا من الأحاديث التي ألبس حولها الشبهات، لأجواب لها للنقاد، فتقليد هؤلاء الأئمة مثل الأعمى والأصم ليس من الدين في شيء كما أن تقليد أئمة الفقه ينكرها عليهم كثير من أهل العلم إلى زماننا هذا، فيسبب شيوع التقليد للمحدثين وعدم البحث عن الأسانيد حصلت للكذابين قوة. هم يذكرون اسم رجل كبير من العلماء ويسندون إليه ما شاؤوا والناس لا ينظرون إلا إلى اسم ذلك الكبير فيؤمنون بتلك الكلمات. هذا المرض لا يزول من المسلمين إلا إذا أنشأت كل أمة من المسلمين في بلادهم مدارك علمية كلية يصل بها طائفة من العلماء إلى درجة التحقيق، وإذا غفلوا عن ذلك، يبقون مبتلين بذلك المرض الذي وعد الله في القرآن. "ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر" وأقول بعد تحريتي؛ كل علم يحتاج إليه طالب التحقيق في فهم القرآن محفوظ بحمد الله عند المسلمين، ميسر لمن أراد الاستفادة منه لو لم يرحم الله لنا في هذا كان فهم القرآن متعسرا في الأزمنة المتأخرة قطعاً فكان الآية تكون مختصة ببعض الأيام فقط، وليس الأمر كذلك بل القرآن ميسر إلى يوم القيامة لمن أراد أن يتذكر.

(جملة معترضة)

نحمد ربنا بحمل قلوبنا أن الله سبحانه يسر لأهل الهند بيعته الإمام ولي الله الدهلوي وآله وأولاده ثم أتباعه فهم القرآن الكريم كما كان زمن النزول وفهم أحاديث النبي ﷺ بالتفقه في أسانيدهم ومتونها، فالرجل من أتباعه بقدر الآن أن يعلل بعض الأحاديث المقبولة عند المسلمين تحت القواعد العلمية المتقنة باتباع هؤلاء وكذلك ما يتعلق بالكتاب والسنة من الفقه والتصوف كلها، سهلها لنا بحوسط تلك العصبة الكريمة جزأهم الله خير الجزاء.

^١ هو شهاب الدين أحمد بن علي الشافعي العسقلاني محدث وعالم كبير، ولد سنة ٧٧٣ هـ، رحل إلى مختلف الأمصار وشرح صحيح البخاري باسم فتح الباري. قد صنف في ترجمته السعادي كتاباً. (انظر: فحمن الدين محمد بن عبد الرحمن بن محمد السعادي، الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر (بيروت: دار ابن حزم، ١٩٩٩ هـ)).

^٢ هو أبو زكريا يحيى بن شرف النووي الشافعي (٦٣١ هـ - ٦٧٦ هـ) محدث كبير وفقيه من أبرز الفقهاء الشافعية، صنف تصانيف شتى، منها رياض الصالحين وشرح صحيح مسلم وغيرها. (انظر: لفرجت عبد الغني النذري، الإمام النووي شيخ الإسلام والمسلمين وعمدة الفقهاء والمحدثين (دمشق: دار الفلم، ١٩٩٤ هـ)).

نرجع إلى تفسير كلمة المزمّل، ليس معناها الملتف بشوّه، بل معناها المتحمل حملاً كبيراً^(١)، وهو هداية العالمين بالقرآن العظيم والقيام به وفقهه. والرجل إذا حمل حملاً وقام وفقه، يقال لزمّل ويكُون هذا دليلاً على قوته. هذه السورة نزلت بعد سورة "نون والقلم" وكان فيها أن القرآن ذكر للعالمين، فهو تحمل أداء فرضه وقد كتبنا في المقدمة أن النبي ﷺ كان له بعثتان: بعثة إلى قومه بعثة إلى العالمين. الآن نقول شرح النبي ﷺ في أداء فرض البعثتين مرة واحدة ما آخر البعثة الثانية إلى أن يكامل رجال من قومه ينصرونه في تحمل تلك البعثة العظيمة لو كان فعل كذلك ما كان له اعتراض لكنه لم يؤخر بل شرع بنفسه في أداء الفرضين على السواء ليس يصدق عليه أن تحمل حملاً كبيراً ثم ثم وفقه هذا كان تفسيراً للكلمة باعتبار اللغة وعند من جزم أن أكمة اللغة المحققين فهم لو لم يندمض عقولهم بأن الحديث جاء فيه أن النبي ﷺ قال: زملوني زملوني أو روي عن مثل ابن عباس سيد المفسرين أنه قال كذا كذا وهم المساكين لا يعرفون أن الرواة كذايون^(٢) لكن ليس عندهم جرأة على التقدم على إمام من أئمة المسلمين. فلو لم يتأثر أكمة اللغة بهذا التفسير ما تخلف أحد عن تحقيق مثل هذه الكلمة. الآن نتكلم في فقه هذه الكلمة. الرجل إن أقام مع كونه متحملاً لتلك الأحوال التقليدية في السياسات الاجتماعية يقال له إمام الانقلاب والانقلاب على تدرجات والمطلق إنما يطلق على الانقلاب العالي، فإمام الانقلاب أولاً أي شيء يعمل؟ يجمع الناس على فكره ودعوته ويحشرهم على ذلك يتألف الجمعيات والأمم التابعة له كالجنود المحنلة، ومعناه عندنا الحاضر الذي يجمع الناس على الانقلاب.

فصل

ثبت عن النبي ﷺ في الموطأ للمالك^(٣) أن لي خمسة أسماء: أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وأنا الحاضر الذي يحشر الناس على قدمي وأنا العاقب.^(٤) ثم الحديث بتفسيره

١- يدل على هذا المعنى أصل معنى المادة. يقول ابن فارس في معجم مقاييس اللغة: الزاء والميم واللام أصلان: أحدهما يدل على حمل ثقل من الأثقال، والآخر صوت. فالأول الزملة، وهو بعير يستظهر به الرجل، يحمل عليه متاعه. يقال ازملت الشيء إذا حملته. ويقال عيالات أزملة، أي كثيرة. وهذا من الباب، كأنهم كل أحمال، لا يضطلعون ولا يطبقون أنفسهم. (أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، معجم مقاييس اللغة، باب الميم والزاء وما يثلثهما، زمل).

٢- هذا خطأ الشيخ فإن حديث زملوني من مرويات البخاري في كتاب بدء الوحي.

٣- في الأصل: موطأ مالك.

٤- ألفاظ الموطأ: تِلْكَ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جَبْرِ عَنْ مُطْعِمٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لِي خَمْسَةُ أَسْمَاءَ: أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَنَا أَحْمَدُ، وَأَنَا الْمَاحِي الَّذِي يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْكُفْرَ، وَأَنَا الْحَاضِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى قَدَمَيَّ، وَأَنَا الْعَاقِبُ». (مالك بن أنس (١٧٩هـ)، الموطأ، ٢، محمد مصطفى الأعظمي، أسماء النبي صلى الله عليه وسلم، ١٢).

أن هذه الأسماء الخمسة هي التي نزلت في القرآن، محمد وأحمد في القرآن والعاقب معناه الذي ليس بعده نبي فسر به الزهري^(١) وقال سفيان العاقب آخر الأنبياء وهذا في القرآن خاتم النبيين والمحيي الخ ترجمته عندي المدثر ونفسره بعد إن شاء الله، ولم يبق إلا الحاشر فجعلناه تفسير المزمل^(٢) ونعرف من التاريخ أن جميع الأنبياء من أولي العزم كانوا يرجون ذلك المنصب الانقلاب العمومي في جميع الإنسانية لإقامة حكم الله في أرضه وخص الله خاتم الأنبياء محمد بتلك المنزلة. أليس يصدق عليه أن الناس كلهم يجتمعون في تأسيس هذا الانقلاب على آثار قدم النبي ﷺ فإن من أراد الانقلاب العمومي وترك اتباع قدم النبي ﷺ فنحن قادرون على إثبات أنه لا يفوز أبداً ونحن جازمون بأن الناس لو اتبعوا قدم النبي ﷺ لفازوا بتلك المرتبة العالية التي تقاصر عنها أكابر الرسل فمعنى هذا الحديث عندنا الذي يحشر الناس للانقلاب تحت قدمه ولما جعلناه معنى المزمل هو إمام الانقلاب الكبير أفلا يكون الحاشر ترجمة المزمل؟

النبي ﷺ يريد أن يعمل في البعثين كليهما سواء فعلمه الله تعالى تقسيم الأوقات لكلا الأمرين: تعليم قومه ونخريج الأئمة من قومه ليكونوا خلفائه في الأقطار ويخص ذلك بالليل. وعامة الناس الوارد والصادر لا يبحث إلا عن مقصد الانقلاب العمومي فيجعل لذلك وقت النهار، ففي البعثة الثانية ليس إلا إعلان المقصد فقط، وذلك يكون بتفهيم كل رجل على حسب ذهنه. أما في البعثة الأولى فيكون البحث في البرنامج الصحيح الذي يبنى عليه المقصد العظيم فلا يظهر فيه خلل إلا آخر أمره. هؤلاء الرجال لازم أن يكونوا متفهمين راغبين في تكميل هذا العلم بتحمل المشتقات التي تأتي عليهم، فهذا الوقت كان نصف الليل أو ثلثه أو ثلثيه على حسب الضرورة والنشاط وما كان عنوان الدرس إلا القرآن العظيم ثم إلى ذلك قُم اللَّيْلُ إِلَّا قَلِيلًا إلى ترتيبها.

رقم: ٨٤٤/٣٦٧٦. ونقل الأعظمي عن الزرقاني في بيان معاني كلمات هذا الحديث أن معنى العاقب آخر الأنبياء. (المصدر نفسه).

١- يقول الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي: "قال السيوطي في التنوير: زاد مسلم وغيره من طريق ابن عيينة "والعاقب الذي ليس بعده نبي" وهو مدرج من تفسير الزهري، فروى الطبراني من طريق معمر عن الزهري، فذكر الحديث إلى قوله: والعاقب، قال معمر / قلت للزهري: ما العاقب؟ قال: الذي ليس بعده نبي. قال الحافظ: قوله: ليس بعد نبي، ظاهر الإدراج، لكن وقع في رواية سفيان بن عيينة عند الترمذي وغيره بلفظ: الذي ليس بعده نبي. "(محمد زكريا الكاندهلوي، أوجز المسالك إلى موطأ مالك، ت، تقي الدين الندوي (بيروت: دار القلم، ٢٠٠٣ء)، ١٧: ٦٢.

٢- عامة الشراح يحملون اللفظ على معناه الظاهري. يقول الشيخ زكريا نقلاً عن ابن عبد البر: قال ابن عبد البر: أي قدامي و أمامي أنهم يجتمعون إليه وينضمون حوله، ويكون أمامه يوم القيامة ووراءه. (المراجع نفسه، ١٧: ٦٢). فمعنى اللفظ يتعلق بعالم الآخرة، والشيخ السندي حمله على معنى الانقلاب كما هو دأبه في فكرته العامة و في هذا التفسير، فإنه يستخدم الألفاظ في السياق الخاص.

فصل في معنى الترتيل

لأنعرف ابتداء الزمان الذي حدثت فيه بدعة أن القرآن يقرأ بألفاظه بدون فهم المعنى ويكفي هذا في أداء فرضه. الإمام الشافعي له كتاب الرسالة هو يقول فيه بوجوب تعلم لغة العرب لجميع المسلمين بقدر ما يفهمون به معنى التكبير والقرآن والشهادة^(١) أفلا يلزم منه أنه لا يجوز صلاة من ترك الواجب والإمام أبو حنيفة وأصحابه معروفون بأنهم يجوزون لكل من لم يقدر على فهم القرآن أنه يقرأ باللغة التي يعرفها، وأكثر الأئمة يخالفونهم فيه ويقيمون القيامة أنهم يجوزون قراءة الترجمة في الصلاة، أفلا يعلم هؤلاء أن المراد من القرآن هو الفهم والتدبر، وإذا لم يقدر الرجل على فهم ترجمة اللسان العربي وذلك لقصور العرب في عدم تعليمهم للداخلين في الإسلام ترجمة القرآن فالإمام أبو حنيفة يقول إذا كانت العرب مقصرين في ذلك فالعجم لا يتركون حفظهم من فهم القرآن، وليقرؤوا معنى القرآن بلسانهم ويجوز صلاحهم.

حكاية هذا الخلاف الذي بين أبي حنيفة ناشئة عن سوء الفهم. الإمام ما ذكر فيه عدم القدرة لأنه واضح عند كل رجل يعقل. إذا كان رجل يقرأ بالعربي ويفهم معناه لا يأمره أجهل الناس من المسلمين أن يترك سبيل المؤمنين واللفظ المتزل من الله. إنما يجوز ذلك حسب الضرورة إذا لم يقدر الرجل على فهم معاني الألفاظ القرآنية، فأبو حنيفة لم يذكر هذا القيد لوضوحه، وصرح به أبو يوسف ومحمد لأن الزمان قد تبدل ولا يفهم الناس كلام أبي حنيفة فهذا الاختلاف ليس باختلاف عندي في الحقيقة فالثلاثة متفقون على جواز صلاة من لم يقدر على فهم اللفظ العربي وقرأ ترجمته بلغته. فهؤلاء الثلاثة والشافعي كلهم يوجبون فهم المعنى وما أتى بعدهم من أنه دعوى الاستقلال اجتهداه الفقهي و رد فتواهم، واتفق المسلمون على اتباعه. إذا قرر هذا فمعنى الترتيل عندنا هو تثبيت معاني القرآن والقلب مع تثبيت ألفاظه، وإذا كان لسان الرجل قاصراً عن أداء اللفظ مثل العربي الصحيح فهذا معفو له ولا يعفى عن الغفلة عن معناه. النبي ﷺ وكذا جميع الأنبياء والأكملون من الناس يكون لهم حالات يتجلى لهم ما في قلوب أصحابهم، وليس باختيار منهم لكن فيهم استعداد ذلك موجود وإذا وهب الله لهم تلك الحالة يعرفون حالة أصحابهم.^(٢)

١- عبارة الرسالة: فعلى كل مسلم أن يعلم من لسان العرب ما بلغه جهده، حتى يشهد به أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، ويقلو به كتاب الله، ويتطرق بالذكر فيما افترض عليه من التكبير، وأمر به من التسبيح، والشهادة، وغير ذلك. (أبو عبدالله محمد بن إدريس الشافعي (٢٠٤هـ)، الرسالة، ت: أحمد شاكر (مصر: مكتبة الخديوي، ١٩٤٠م)، ٤٧٠).

٢- عند عامة أهل السنة، إن قراءة القرآن بدون فهم المعنى جائز ولكن من المشروع التدبر في معانيه بمراجعة كتب التفسير.

التعليم قسمان: ١- الحكماء المشاؤون يعلمون بالنظر والرؤية يدقون من البديهيات عند المخاطب ويترتبون منها قياسات تنتج بالبداهة فمن هذا الطريق يرتقون في تلقين المقاصد.

٢- طريق الحكماء الإشرافية هم يحضرون في قلوبهم وحيالهم المعاني التي يريدون إلقاءها إلى التلاميذ ثم يتصرفون في قلوبهم لغلبة قوهم الوهمية، فينقش ذلك الفكر بعينه في قلوب التلاميذ، وهم يكونون ساعين بهذا الطريق عن الريب ولا يحتاجون إلى الاستدلال وقلوبهم تشهد بصحة ذلك الطريق، الأول يستعمل في المتبدئين والثاني في الكاملين، وعند الصوفية من المسلمين، الثاني معلوم مشهور لكن الطوائف من علماء المسلمين ينفر من لفظ التصوف، وليس هو إلا فلسفة إشرافية، فمن كان له رغبة في تحصيل الفلسفة فليتوجه إليهم لا على أنه من العلوم المنقولة من النبي ﷺ وإذا كان الرجل كاملاً في هذه الفلسفة فهو يقدر على فهم كثير من معاني القرآن والحديث مما لا يصل إليه فهم الفقهاء والمتكلمين، الأنبياء عليهم السلام هم طريق مخصوص في تلقين المعاني ونحن لانعرف من سنة الأنبياء إلا ما نعرف من سنة نبينا ﷺ ورأينا الصوفية يتعاملون بتلك السنة فظننا أن الأنبياء السابقين كانوا يعملون أيضاً بمثل ذلك.

طريقة الأنبياء : يقولون مواجهين الله مستقبلي القبلية^(١) التي قرر الله لهم أنهم إذا توجهوا إليها يحصل لهم التوجه إلى الله. أما حكماً فكل من اتبع طريقهم سوله سواء، وأما حقيقة فللكاملين منهم خاصة قال النبي ﷺ إذا صلى أحدكم فإن ربه بينه وبين القبلة. هذا التجلي إنما يظهر للكاملين فإذا استغرقوا في التوجه إلى الله، وأصباحهم يأتون في تلك الحالة، فرضنا أن منهم أيضاً كاملون ينظرون إلى التجلي الذي للنبي ﷺ في حالة الصلوة، فكل كلمة يسمعوها من النبي ﷺ يحصل لهم أنهم سمعوها من الله رأساً، ويقع في قلوبهم من معاني تلك الكلمة ما استقر في قلب النبي ﷺ وهم يكونون جاهزين كأهم سمعوها من الله وفهموها منه، فهؤلاء يحثون الأمم لهدايتهم إلى القرآن، فلو كانت النبوة لم تختتم بعد النبي ﷺ كان كثير منهم أنبياء، والآن اسم النبوة مرفوع عنهم، وأما للنور الذي يكون عند الأنبياء فحاصل لهم فتعليمهم في الصلاة يغضي بالطالب إلى تلك الدرجة، فهذا كله داخل عندنا في أمر الله لنبيه ﷺ والقرآن نزيل، قال لهم النبي ﷺ أترون قبلي ما هنا أبي أراكم من خلفي. الفقهاء الذين ليس لهم نور المكاشفة تحبطوا في تفسير الكلمة، ليس لهم حق أن يعرفوا الكلمة عن موضعها، بل أولى لهم أن يسكنوا عن تفسيرها ويعترفوا بجهلهم، فالنبي ﷺ إذا رأى أن المقتدين لم يفهموا هذه الكلمة، لم تستقر في قلوبهم يكرر هذه الآية ويوجه قوته القلبية إلى هذا الرجل بخصوصه وهذا داخل في أمر الله. "قَوْلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً" هو القرآن وإنشاء الانقلاب حسب مقتضاه بواسطة الأميين. هذا هو وجه ثقله، والأمر كان في زمن النبي ﷺ أن كل من اشتغل بتحصيل الصناعة وكان له فكر ورؤية استغرق في تحصيل لذات الدنيا، لأن قبصر وكسرى كانوا ممتلكين على الأرض المتمدة واستحوذ عليهم الشيطان ظلموا الضعفاء ورتبوا

١- في الأصل مواجهها لله، مستقبل القبلة.

لأنفسهم ولمن يتصل بهم مثل حياة الجنة في الدنيا وخانوا في ذلك وخسروا أفسدوا أهل الأرض كلهم، لا يؤتم الرجل إلا بتحصيل غذاءه ونحن الآن في زمن ارتقاء أو إهيار منذ مئة سنة في حالة كمثليهم كمثلي حالاتهم.

وليفر الإنسان هنا من باب إقامة الارتفاق وإصلاح الرسوم من حجة الله ما كان وصل إليه فساد قيصر وكسرى، فكان الغرض من الانقلاب هو رفع ظلم كسرى وقيصر ومن والاهم، فالجماعات المكتسبة للعلم والصناعة أكثرها أسين، وكانوا في الصحة والقوة يجند منهم الجنود المقاتلة وكانت قريش منهم صلاحية تنظيم العرب كلها، فإذا قامت قريش لإحياء إمامة إبراهيم على الدنيا وهو ليس ببعيد عن أذهانهم، سهل الانقلاب. أما رؤساء قريش الحاكمون عليهم وأصحاب الثروات منهم يميلون بالطبع إلى كسرى وقيصر ولا يقدرون أن يسمعوا كلمة الانقلاب، فإذا قدر النبي ﷺ أن ينظم جماعة لإقامة الانقلاب من قريش وغلبوا على أصحابهم من قريش فتنظيم العرب بعده لدفع ظلم كسرى وقيصر ليس ببعيد، وأما تثقيب العرب بالقرآن وتنظيف قريش من المعارضين للانقلاب ثم جمع تفرق قبائل العرب على مقصد واحد^(١) يفادون على ذلك بأنفسهم وأموالهم، ليس بسهل. هذا معنى قوله "إِنَّا سَبَلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا" حر بلاد الحجاز بمنع الدماغ عن التفكير، فلأهل الحجاز وقت صالح للتفكير، ليس بسهل في جميع أقطار الأرض مثله إلا بالتكلفات فلذلك اختير الليل للتفكير فمن حضر في الليل لقراءة القرآن، علم أن له رغبة قومية وهو قادر على منع المقتضيات الطبيعية المانعة عن التفكير، وإذا كان الرجل يقظان في الليل لم يغلب النوم يفكر فكرياً صحيحاً لأنه خال عن معيشات الأسواق وطلبات البيوت. هذا معنى قوله "إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا". التعليم العمومي الذي يستوي فيه الحاضر والباد والعرب والعجم ليس هو إلا أن الدنيا محتاجة إلى الانقلاب، لأن طائفة من الناس اغتصبوا حقوق الإنسانية وتفهم ذلك كل فرد حسية ذهنية وقته وقت النهار "إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْعًا طَوِيلًا" مقصد هذا التعليم والانتظام ما هو؟ إثبات الحكم لله وحده لا شريك له، كتب الله في الأرض في الحثيفية ليست إلا التوراة والقرآن، وهما متفقان في أصول الدين والحكم، لإنشاء السلطنة العامة تحت حكم القرآن وقانونه هو مقصد ذلك الانقلاب لا يكون المرجع إلا حكم الرب وحكم معين معلوم عند الناس فالاجتهاد لإقامة سلطته تحت هذا القانون هو إقامة حكم الله في أرضه وعدم قبول شيء من القوانين يكون له ذلك الموضع من القرآن، هو يكون مراد التوحيد الذي هو أساس الحثيفية. "وَأَذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ إِلَىٰ وَكَيْلًا" فالشرق والغرب لا يكون فيه الحكم إلا لله. لا تعلقون بحكم أحد سواء، بل تنقطعون عن كل ما سواه، يكون اعتمادكم على الله وحده لا شريك له في تكميل هذا النظام، فالمخالفون لهذا الفكر في العرب وقريش، و ليس تنصب العداوة والخصام والقتال مقصوداً في هذا الانقلاب. هذه الأمور كلها

^(١) هناك بياض في المخطوطة وقمت بإضافة لفظ "بمقصد واحد" قياساً لسد فراغ المكان.

متوجهة إلى من تملك المشرق والمغرب من كسرى وقبصر، فهؤلاء فراعنة النبي ﷺ، وأما العرب وقريش فيقاتلون إذا اشتدت إليه الحاجة ويقدر الضرورة، وهذا لا يبين في بدء الأمر أنهم مستحقون للقتال بل اللازم التفهيم بجميع أنواع التفهيم، لأنهم أميون ليس طريق تفكيرهم واحداً، فأى شيء يكون مبيهاً لفهم ذلك الرجل ربما يحصل ذلك للأستاذ بالصدقة فتفهمهم غير موقت بوقت ونصيب العداوة والقتال إنما يكون يقدر الحاجة وأخطأ عندنا من فحضر في العرب مثل فرعون لموسى، لأن ذلك لا يكون إلا بسلطنة وتمكن تام، وهو غير حاصل في الحجاز لأحد منهم، حياتهم حياة القبائل، فإذا قيل لرجل أنه فرعون قريش أو فرعون هذه الأمة، وإنما أطلق عليه هذه الكلمة مجازاً لا حقيقة، فمن يخالفك من قريش "وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُزْهُمْ هَزْجًا جَمِيلًا" ولا تجعل في نصب العداوة معهم وَذَرِيٍّ وَالْعُكَاظِينَ أُولِي النَّعْتِ وَمَوْلَاهُمْ قَلِيلًا. إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا المراد بالكافرين عندنا حقيقة هو كسرى وقبصر ومن على طريقهم ومجازاً من يسر بسيرهم من قريش ولا يتحمل ذلك الانقلاب هؤلاء ملحوقون بهم "إِنَّ لَدَيْنَا" إلى "مهيلًا" هذا الآية إلذار لهم بما يحدث لهم يوم القيامة، ونحن نكمل على تفسير يوم القيامة على طريق الإمام ولي الله. في فصل مختص به والآن نذكر كلمة منه.

كلما يأتي على الإنسان من بعد يوم القيامة، أصله يكون في هذه الدار في هذه الحياة الدنيا، فإذا أتى الرجل بأحوال يوم القيامة، فليحذر إلى بذور تلك الأحوال وليتأمل منها لأن في تلك الحالة لا يمكن الرجوع أبداً إلا بما يقتضيها تلك الحياة. الرجل الباطني على المحاكم إذا أخذ يتكل بأنكال ويدخل في سجن كالجهنم، ولا يكون له طعام بلثه به، بل يكون مملأ بطنه بأدق أنواع الطعام مع ما احتمل عليه الحجر والمدر وعدم الطبخ بالمصالح التي تصلحها، بل الحكم من حكام السجن بأشد ما يكون. هذا هو المعروف في حياتنا الدنيا فليحذر الإنسان في قلبه أليس مسلم هو ملك ربه على نفسه، فإذا اطمأن خاطره بأن هذا الحكم من ربه لا يجوز له البغي عليه وإلا يجازى بمثله ما يجازى به البغاة، وفي يوم القيامة يكون العذاب أشد. هذا يبين بتفصيل يوم القيامة، لكن ليس عذاب تلك الشرارة مختصاً بيوم القيامة بل يأتي له المجازاة في الدنيا، لكن هذا لا يعمل بجميع الأفراد. من مات قبل غلبة الانقلابيين يكون مستثنى من هذا العذاب. أما من أدركه يوم الانقلاب، فبعذاب لا يكون شيء مثله يتصور أهلى منه. إلى هذا إشارة في قوله "إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا وَمِثْلًا" هذا إشارة إلى مجازاة في الدنيا، فرعون جوزي بذلك فإن أدرككم أنتم ذلك اليوم يوم الانقلاب. هذا اليوم "يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا" فيكون كأن السماء انفطرت له فكيف تنقون ذلك اليوم إن كفرتم لم تؤمنوا كان وعده مفعولاً. هذا في الدنيا. من الأسف أن المفسرين نشأوا من غلبة المسلمين على أكثر الممالك وتنظيم حياة المسلمين على الأحكام الإسلامية، فلا يفهمون معنى يوم الانقلاب ويقولون كل ذلك إلى يوم القيامة لو كانوا أدركوا في شيء من يوم الانقلاب ما فعلوا ذلك فليستعولوا عن انقلاب الإسلام أكاسرة الإيران هل بقي لهم شيء في الدنيا.

في الهند عندنا بقايا الفارسيين فليجلس الرجل إليهم ويسئلهم عما أتى عليهم من المصائب ثم ليقرأ كتب التاريخ في انقلاب جنگيز كيف ضاقت عليهم الأرض بما رحبت. كان العذاب من السوء لا يمكن الفرار منه. نحن نشأتنا في الهند بعد الانقلاب الذي جاء إلى الهند بقوة الإنكليزية وتعرفنا أحوال ذلك الانقلاب بواسطة واحدة يقشعر منه جلودنا. إذا أردنا أن نحدث بذلك ونرى بعد ذلك رجالاً من المسلمين عارفين بأحكام الدين معدين يوصوننا أن الإنكليز وحكومتهم علينا، ونحن نعرفهم حقيقتهم فإنهم لا يعرفون الهند. هكذا نرى للتفسيرين الذين نشأوا في خلاف المسلمين لا يعرفون شيئاً من الانقلاب، وإذا جاء شيء من ذلك يحملون كله على يوم القيامة كأنهم فرغوا المسلمين عن فهم تلك القرآن ويطغنون آيات الأحكام المتعلقة بالصلاة وغيرها ويحكمون أن هذه فقط يجب على المسلمين معرفته من القرآن. إن هذه تذكيرة هذه المجازاة في الدنيا وفي الآخرة متحتمة على الإنسان والقرآن يذكرهم فمن شاء ذكره. يقبل حكم ربه وينكر جميع من عداه وينجو بذلك من ذلك العذاب في الدنيا والآخرة. "لَمَنْ شَاءَ انْتَحَلْ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا" هذا التعليم إلى سنة واحدة كان لازماً لخواص المؤمنين فأدركوا حقيقة هذا النصاب كيف يصل الرجل بالسهولة إلى فهم معنى القرآن فإذا أدركوه رفع عنهم وجوبه لأن إمامة الانقلاب لا تكون إلا لجماعة مخصوصة ممن أراد تلك الإمامة يلتزم هذا النوع من التعليم والتعلم فتزلت الآية الآخرة بعد سنة فرخص لهم في أن يتقيدوا بذلك بل يفعلون ذلك حسب شربهم، فبين الله في ابتداء الآية أن هذا الحكم لا يصلح بطبيعة أن يوجب على الناس إذا كان بعض البلاد يطول فيها الليالي قديراً رائداً، فقيام نصف الليل أو ثلثيه كالحال لكل رجل مؤمن. هذا معنى قوله "وَاللَّهُ يَقْضِي اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ" "عَلِمَ أَنَّ لَنْ تُخْصَوُة" إحصاءه غير ممكن لأن حكم القرآن نافذ في جميع أقطار الأرض فأقطار يكون فيها الليل كأشهر هل يتصور إقامة هذا الحكم في أهلها، يعني كان المقصد تفهيم المسئلة فقط نموذج منها فثبت عَلَيْكُمْ رخص لكم فأقرؤوا مَا تيسَّر مِنَ الْقُرْآنِ طريق فهم القرآن علمتم فيالليل تحصلونه أو بالنهار، فهو موكول إلى تيسرهم.

الغدير الأول مختص ببعض البلاد التي تطول فيها الليالي وأما نسخه في بلاد مكة، فله أسباب أخر "عَلِمَ أَنَّ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرَضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَنْتَفُونَ مِنْ فَهْلِ اللَّهِ" بتار لأن تنظيم المملكة لا يكون بالعلم فقط بل يلزم أن يشتغل كل أحد بالمكاسب المشروعة إلا لعنوا، فالذين يسافرون للتجارة هل يقدر على إقامة ذلك الغرض. التجارة ليس معناها الاشتراء من دكان والبيع في دكان آخر، بل تحصيل محصولات مملكة والإتيان بهم إلى مملكتهم، بل تبديلها محصولات مملكتهم وهؤلاء يحتاجون إلى الأسفار بالضرورة ولا يقدر على إقامة هذا الصلاة لأن الأسفار مع القوافل لا تسيرهم مجالاً "وَأَخَرُونَ يَفْتَاتُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ" لإقامة حكم القرآن في أي مملكة بشتم المقاتلة لازمة. من يعرف اجتماعيات الناس فإذا كان قوم أو حزب أو عائلة أو رجل متمكناً في حكومة مملكة بأصول ما وأردتم تبديل تلك الأصول يمكن ذلك بدون مقاتلة لا يمكن وقوعه في الدنيا باعتبار الفطرة الإنسانية من خالف

ذلك هو رجل فؤاداني، للعنى إذا أردتم أن تقيموا حكم الله في الأرض فجماعة منكم تصير مضطرة في المقاتلة في سبيل الله، فهل يمكن منهم إقامة هذه الصلاة فبين بذلك أن كل بلد من بلاد الله إن كان ليلة طويلا يكون رجال مرضى وآخرون تجار وآخرون يقاتلون فلا يصلح هذا الحكم أن يجعل لازما في أي بلد كان من بلاد المسلمين. إنما كانت هذه المسئلة مخصوصة إلى وقت معين "قَافِرُؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ" تدبروا في إقامة الحكومة الإلهية تحت هذا القانون كيف ما تيسر لكم في الليل والنهار بالاجتماع أو الانفراد "وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ" هذا تبحث عنه في موضع آخر، الصلاة و الزكاة ما نسبتها إلى الدين لكن لهم هنا معنى أن قراءة ما تيسر من القرآن وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة أمور منفصلة بعضها عن بعض.

"وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا". هذا غير الزكاة، وهو ما يحتاج إليه الحكومة من النفقات. هذا يرد إليهم بعد الفتوحات أضعافا مضاعفة أي إلى جماعتهم، وكما كان إقراض هذا متعلقا بأمر الحكومة، فكذلك فهمنا من فاقروا ما تيسر منه أنه يفكر في إقامة حكومة تحت القرآن. استفدنا من تلك الآيات فائدة يحتاج إليها المصريون. حدثت جماعة مبتدعة فينا بعد غلبة النصارى على بلادنا تقول إن القتال في الإسلام ليس إلا للدفاع وما شرع القتال إلا بعد الهجرة، وهذه النظرية باطلة عندنا والهجوم والدفاع معناه تقدم إحدى الطائفتين على الأخرى أيهما يكون أنفع. هذا موكل إلى من يتولى زمام الحرب في الميدان، وأما المصلحة الشرعية فهو أن القتال في سبيل الله يجوز أو لا يجوز، وشريعتنا تجوز هذا، ويكون تبديلا في سيرة النبي ﷺ بعد بلوغ منزلة الملوك في المدينة، تلك كلمة خبيثة أمت بها المبشرون.

النبي ﷺ نص على مقاصده من أوله إلى آخره سواء يسواء ما غير برنامج تحت اختلاف الحالات لا يختلف الناس أن المسلمين في وقت نزول سورة المزمل كانت لهم قوة قاهرة يجوز أن يقولوا إنا نقاتل الأعداء بل كانوا في حالة لا يصلون في المسجد أيضا جهراء وفي تلك الحالة نزل "عَلِمَ أَنَّ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضًى" وبعده لا يبقى لهم حجة في القرآن توافق دعواهم، هذا الذي علمتم من القرآن وتعين لكم التمرين في الأعمال دون بعض، معناه ما بقي ذلك من أمور القرآن تعملون فيها باجتهادكم بمثل ذلك. عندنا هذا معنى قوله "وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تُجِدُّوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ" معناه عندنا هذه المنزلة التي نحصلونها ليس الدرجة العالية من هذا الفعل، لأنكم اليوم لا نجعلون متعلق آمالككم إلا قلوبكم، والرتبة العالية تحصل لكم إذا حصلت لكم الاستقامة في هذه الأمور في إدارة الأتوام المختلفة، يعني فابتغوا الزيادة في تلك الدرجة واعلموا أن اليوم في الحالة الحاضرة تقصر ما ولذلك تحتاج إلى الاستغفار، فمن مات منهم قبل الوصول إلى الدرجة العالية إذا كان معوقا بالتقصير وكان طالبًا لحالة عالية، فإن يغفر لهم هذا إذ ليس ذلك بفضلهم ويوصلهم إلى درجة إخوانهم.

سورة الأعلى

بسم الله الرحمن الرحيم

"سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى". التسمیح فی آی صبیغہ یکون، یعنی فی اول سورۃ لازالہ شبہہ تکیون بذاتہ اللہ تعالیٰ، ویکون حاصل معنایہ آن لاتنسبوا ہذہ الشبہہ إلی ذاتہ تعالیٰ، لأنہ منزہ عنہا^(۱)، وهو فی اللقام أن اللہ تعالیٰ یعطی الناس العلم الأعلى بواسطة رجل واحد، أعنی النبی، ولایعطیہ کل واحد بلا واسطۃ الرسول، والحال أن ہذا سہل بالنسبۃ إلی الأول، فلعلہ لایقدر ہذا حتی اختار طریقاً فیہ طریق، فقال اختیار ہذا الطريق لیس بعجزہ تعالیٰ من الطريق، بل هو^(۲) قادر علی کل طریق، بل اختارہ لأنہ أحسن الطرق کلہا لإعطاء العلم إیاکم، أي لایمکن أن یکون طریق ما أحسن منہ لإعطاء العلم إیاکم، فاختیارہ لفائدتکم لا لفائدۃ اللہ، بل الطرق کلہا مساویۃ بالنسبۃ إلی ذاتہ تعالیٰ، فربک الأعلى الذی یعطیک العلم الأعلى، هو منزہ عن نسبۃ ہذہ النسبۃ إلیہ^(۳)، ولكل نوع (الذی هو قطعة ما- ایک تشکیلاً) من الأنواع خواص لازمة له لاتنفک عنہ أصلاً، ولایوجد خواص نوع فی نوع آخر وإن انفک خواص نوع منہ تفوت حکمۃ خلق ہذا النوع، یعنی جس غرض ومقصد کسی کے لیے وہ نوع پیدا

۱- فی الأصل "منزہ منہا"، والصواب "عنہا"، فإن صلة التنزیہ یکونہ بمعنی (من الباحت)

۲- الضمیر لیس فی الأصل، ولكن لابد منہ بغیۃ سلاسلہ الملتزم (من الباحت)

۳- اس بات کا تسلیم کرنا ضروری ہے کہ انواع کو جس جامع ہے اور اس جنس کے خواص بھی تمام انواع میں پائے جاتے ہیں، کیوں کہ وہ اس کے افراد ہیں اور ہر فرد نوع کے خواص جدا جدا ہیں، جس جنس میں ایک وحدت پیدا ہو گئی۔ اسی طرح کئی جنسوں کو شامل ہے وہ جنس جو ان سے عالی ہے اور یہ اجناس اس کی انواع ہیں اور ان سب میں اس جنس عالی کے خواص پائے جاتے ہیں اور ان سے اپنے خواص علاحدہ علاحدہ بھی ان میں موجود ہیں۔ اس طرح جنس عالی سے جو اوپر جنس ہے وہ کئی جنسوں کو جامع ہے اور وہ جنس اس کی انواع ہیں اور اس کے خواص سب میں پائے جاتے ہیں۔ ہذا القیاس آخر للأجناس، اور آخری جنس کے جنم میں سب جمع ہو کر تمام عالم کا ایک مرکب ڈھانچہ بن گیا اور اس میں ایک وحدت آگئی۔ (من الضروري أن نسلم أن الجنس یجمع الأنواع وجميع خصائصه توجد فی الأنواع لأنھا أفرادہ، ثم لكل نوع خصائصه علی حدة، فہکذا وجدت فی الجنس وحدۃ، وكذلك یتمثل شق الأجناس الجنس الذی هو عال عنہا وھذہ الأجناس أنواعہا لھا خصائص الجنس العالی بالإضافة إلی خصائصہا علی حدة، وكذلك الجنس الذی فوق الجنس العالی یجمع شقی الأجناس وتلك الأجناس أنواعہ مع خصائصہ وھکذا القیاس إلی آخر الأجناس، ففي ضمن آخر الأجناس وجد ھیکل العالم مرکباً متصفاً بوحدة) إذا عرفت ہذا فاعلم أن معنی الذی خلق أنہ تعالیٰ خلق ذلک العالم للکرب۔ یعنی اس ڈھانچہ کو پیدا کیا جو ایک وحدت کے ساتھ متصف تھا۔ (من المفسر)

كَمَا كُنَّا تَهَا، وَهَـ مَقْصِدُ فُوتِ هُوَ جَائِئٌ مِمَّا يَسُـ وَهَ نَوْعُ عِبْتِ هُوَ جَائِئٌ مِمَّا يَسُـ الْخَاصِلُ خَوَاصِ كُلِّ نَوْعٍ لَا تَنْفَكُ عَنْهُ، وَهَذِهِ الْمَسْئَلَةُ مُسَلِّمَةٌ عِنْدَ الْحُكَمَاءِ. "الَّذِي خَلَقَ" تِلْكَ الْوَحْدَةُ الْمَرْكَبَةُ "قَسْوَى" أَيْ وَضَعَ فِي كُلِّ نَوْعٍ خَوَاصِهِ الَّتِي تَتِمُّ بِهَا حِكْمَةُ خَلْقِهِ.

فائدة

اعلم أن مسألة الحكمة أن كل شيء يترقى (مثلاً إذا غرسنا حبة شجرة فهي تثبت فلا تستقر على حالة واحدة، بل تنمو وكذا الطفل) ولا يستقر على حالة واحدة، لكن لترقى كل شيء حد ونهاية لا يتجاوزها، وكذا لكل نوع حد وانتهاء للترقية.

"وَالَّذِي قَدَّرَ" حَدًّا وَانْتِهَاءً لِرُقْيَى كُلِّ نَوْعٍ. "فَهَذِي" أَيْ هَذَا كُلُّ نَوْعٍ بِحَسَبِ فِطْرَتِهِ وَطَبْعِهِ، أَيْ مَتَنَهَى تَرْقِيهِ، أَيْ وَضَعَ فِي فِطْرَتِهِ وَطَبِيعَتِهِ قُوَّةَ الْمَجْذَابِ إِلَى مَتَنَهَى تَرْقِيهِ (يَعْنِي طَبِيعِي طَوِيرٍ بِرَأْسِ كَوَاسٍ كَشْشٍ هُوَ قِيٌّ) مَثَلًا خَلَقَ أَنْوَاعًا مِنَ الْحَيَوَانَاتِ وَوَضَعَ فِي كُلِّ نَوْعٍ خَوَاصِهِ الَّتِي تَتِمُّ بِهَا حِكْمَةُ خَلْقِهِ لِكَيْ لَا يَدَّهَا مِنْ إِمْدَادٍ بِأَسْبَابٍ خَارِجَةٍ لِلتَّكْمِيلِ فَقَدَّرَ لِكُلِّ نَوْعٍ مِنَ التَّرْقِيَةِ. "وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى" الْأَنْوَاعَ الْحَيَوَانِيَّةَ الَّتِي لَا يُمْكِنُ بَقَاؤُهَا بِدُونِهِ، "فَجَعَلَهُ غَنَاءً أَخْوَى" فَتَكْتَفِي بِهَا بِإِيسَ وَقَدْ عَدِمَ وَجُودَ الرُّطْبِ. "تَتَقَرَّبُكَ" هَكَذَا لَا يَدُّ لِلْإِنْسَانِ مِنَ الْكَلَالِ، فَكَيْفَ ظَنَنْكَ يَا اللَّهُ الَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى لِلْحَيَوَانَاتِ، فَلَا يَخْرُجُ الْمَرْعَى لِلْإِنْسَانِ الَّذِي هُوَ أَفْضَلُ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ كُلِّهَا، يَعْنِي هَذَا لَا يُمْكِنُ مِنْهُ لَكِنْ لَمَّا كَانَ الْإِنْسَانُ أَعْلَى مِنَ الْحَيَوَانَاتِ يَكُونُ مَرْعَاهُ أَيْضًا أَعْلَى (أَسْ كَاغَاسٍ يَحْيَى أَعْلَى هُوَ كَاغَاسٍ) وَهُوَ الْعِلْمُ الْأَعْلَى فَقَالَ لَا يُمْكِنُ أَنْ تَخْرُجَ الْمَرْعَى لِلْحَيَوَانَاتِ وَلَا تَخْرُجَ لِلْإِنْسَانِ بَلْ سَتَقَرَّبُكَ الْعِلْمُ الْأَعْلَى الَّذِي هُوَ مَرْعَى الْإِنْسَانِ، وَمَوْضِعُهُ حَظِيرَةُ الْقُدْسِ ^(١) "فَلَا تُنْسَى إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهَنَّمَ وَمَا يَخْفَى" اعْلَمْ أَنَّهُ لَا شَكَّ فِي أَنَّهُ يَقِلُّ شَيْءٌ مِنَ الْعَلْفِ (كَاغَاسٍ) بَعْدَ الْجَفَافِ مِنْ كَيْفِهِ وَإِنْ لَمْ يَقِلَّ مِنْ كَيْفِهِ الْخَاصِلُ لَا يَبْقَى عَلَى حَالَتِهِ الْأَوَّلَى بَعْدَ الْجَفَافِ، كَذَلِكَ عِلْمُ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَا يَبْقَى بَعْدَهُ عَلَى حَالَتِهِ الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا وَقَدْ وَجُودَ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، بَلْ يَقِلُّ لِمَحَالَةٍ بَعْدَهُ بِاعْتِبَارِ الْكَيْفِ لَا بِاعْتِبَارِ الْكَمِّ، هَذَا هُوَ الْمُرَادُ مِنَ الْإِسْتِثْنَاءِ لَا أَنَّهُ مَتَنَهَى الْقَاطِظَةِ. "فَلَا تُنْسَى أَيْ لَا تَقِلُّ كَيْفِيَّتُهُ مَا دُمْتَ حَيًّا. "إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ" أَنْ يَقِلَّ بَعْدَكَ بِاعْتِبَارِ الْكَيْفِ، بَلْ حَالَةُ عِلْمِ النَّبِيِّ الَّتِي كَانَتْ فِي حَظِيرَةِ الْقُدْسِ لَا تَبْقَى عِنْدَ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، بَلْ يَقِلُّ مِنْهُ شَيْءٌ كَيْفٌ وَكَذَا حَالَتُهُ الَّتِي كَانَتْ عِنْدَ النَّبِيِّ لَا تَبْقَى بَعْدَهُ، بَلْ يَقِلُّ مِنْهُ شَيْءٌ لِمَحَالَةٍ مِثْلَ الْعَلْفِ بَعْدَ الْجَفَافِ لِكَيْ تَكْتَفِي الْحَيَوَانَاتُ بِهَا بِإِيسَ عِنْدَ عَدَمِ الرُّطْبِ، كَذَلِكَ تَكْتَفِي بِالْعِلْمِ الَّذِي يَبْقَى بَعْدَ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَإِنْ قَلَّ مِنْهُ شَيْءٌ. "إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهَنَّمَ" اسْتِعْدَادُ النَّاسِ الْمَوْجُودِ وَقَدْ تَبَيَّنَ "وَمَا يَخْفَى"

١- فكما لا يمكن تكميل الحيوانات إلا بالمَرْعَى فكذلك لا يمكن تكميل بني نوع الإنسان ووضوئهم إلى نهاية ترقيتهم إلا بالعلوم النازلة من حظيرة القدس، يعني أن الحيوانات التي تكون في دماغ الإنسان وقلبه؛ لا بد لتكميلها من العلوم (من المفسر)

یعنی الحد الذي يبلغ به استعمالهم وما نزل العلم مناسباً له. "وَلْيَسِّرْكَ لِلْيُسْرَىٰ" اعلم أن التعليم له طريقان: أحدهما أن يسعى بالتعليم أن يوجد في كل فرد من خواص نوعه مثلاً أن يوجد في كل إنسان خواص نوع الإنسان، وهذا الطريق سهل لأن كل فرد يأخذ خواص نوعه بالسهولة.

الثاني أن يسعى بالتعليم في أن يوجد في أفراد نوع أشياء خارجة من خواص نوعه مثلاً في الإنسان، فيه خواص الحيوانية فيسعى في أن يوجد فيه خواص الملائكة على وجه يكون خواص الحيوانية معلومة بالكلية، وهذا الطريق مشكل، والمراد بقوله "لِلْيُسْرَىٰ" في قوله "وَلْيَسِّرْكَ لِلْيُسْرَىٰ" هو الطريق الذي ييسر لك التعليم على الطريق الأول.

"فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ" تعليم القرآن ليس لكل فرد من نوع الإنسان، بل الصنف خاص منه أعني الذين وجد فيهم خواص الإنسانية ومقتضاها على وجه الاعتدال، وإن الذين ليسوا كذلك فلا يجب عليك تعليمهم (الحاصل خاص لوگوں کو تعلیم دے کر ایک پارٹی قائم کر دے جو قانونِ قرآن کو تمام دنیا میں پھیلا دیں۔) (۱) "سَيَذَكِّرْكَ مِنَ الْخَشْيَةِ" الخشية هو الخوف من حيث المحبة أي محبة محبوب یہ نہیں کہتا کہ اگر تم نے ایسا کیا تو میں تم سے ناراض ہو جاؤں گا، بلکہ وہ خدوئی اثر ہے کہ ایسا نہ ہو کہ وہ ناراض ہو جائے۔ والخوف هو الذي يكون من حيث الحكومة والسلطنة (جس کو خدا کی محبت ہو گی، وہ قرآن پڑھ لے گا اور سمجھ لے گا، کیوں کہ جس کو خدا کی محبت ہو گی، وہ دوسروں کی بات سننا بھی گوارا نہیں کرے گا، بلکہ یہی چاہے گا کہ خدا کا قانون ہی رہا رہے اور یہی غرض ہے قرآن کی کہ اللہ کے علاوہ کسی کو حاکم نہ بنے جائے۔) (۲)

"قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّىٰ" التزكي جعل الظاهر والباطن مساوياً (۳)، بین یہ طریق العلم من تعلم القرآن تعلمًا صحيحًا یعنی بعد التعليم يقول إني تعلمت القرآن كما ينبغي فكيف يعلم أنه صادق أو

۱- ويقال هذا الصنف حزب الله، فتعليم القرآن لهذا الصنف فقط لا لأفراد نوع الإنسان كلهم، وهذا الصنف يعرض تعليم القرآن على الناس كلهم، فمن قبل فإزاء ومن لا يقبله يجعله هذا الصنف مغلوباً ومقهوراً ويكسر قوته الخلقية، فانتفع بهذا التقرير الاعتراض الوارد في هذا المقام، تقريره أن أفراد الإنسان كلها مخلوقه تعالى، وتعليم القرآن أيضاً من الله، فينبغي أن يستفيد منه الكل على السوية. وحاصل الجوابية تسليم أن الأفراد كلهم مخلوقه تعالى، لكن لا نسلم أن تعليم القرآن للكل، بل لصنف واحد منهم لو كان للكل منهم يستفيد منه الكل على السوية، لورد الاعتراض المذكور لكنه خاص للصنف، فلا اعتراض على عدم استفادة الكل، أما بقي انتخاب ذلك الصنف، فهو يكون مثل امتحان الدخلة في المدارس (في استخدام لفظ "الدخلة" لمسة من العجبة، فاللفظ المناسب للمقام هو الالتحاق).

۲- من كان له حجة للقرآن فسيفرأ القرآن ويفهمه ولا يستمع إلى الآخرين، بل يريد أن يكون قانون الله هو المقلب وهذا هو الغرض من القرآن بأن لا يعد أحد حاكماً إلا الله.

۳- ومعنى قوله يزكّيهم أي يجعل باطنهم مثل ظاهريهم.

کاذب، فانظر إلى باطنه، هل جعله مثل الظاهر أم لا؟ فإن كان باطنه مثل ظاهره (انظر باہر و توں برابر
ہیں۔) فهو تعلم القرآن (اور وہ کام یاب ہو گیا۔)

"وَدَكَّرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى" يعني الذي جعل باطنه مثل ظاهره يكون حاله أنه يذكر اسم ربه
فيستغرق في محبة الله ويححو من قلبه غيره، فكيف يمكن منه أن يسلم قول غيره تعالى، وهو المقصود من
تعليم القرآن، فهو تعلمه حق التعلم. "وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى" أي لم يجعل باطنه مثل ظاهره وإن تعلم القرآن
ظاهراً، فلا يفيد تعليمه. الَّذِي تَصَلَّى النَّارَ الْكُبْرَى (جزء مما فيه من يدمجى^(۱)) بسببه لم يجعل باطنه
مثل ظاهره، فلا بد من إحراق مادة يدمجى منعه من جعل الباطن مثل ظاهره، فمن يريد أن يتقي من
الحرق بالنار الكبرى فليجعل باطنه مثل ظاهره "بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا". اعلم أن تعليم القرآن
لتحصيل الدنيا والآخرة كليهما، لأن أحد جزائي الإنسان الحيوانية فلا بد لها من الضروريات، فمن زعم
أنه للدنيا فقط أو زعم أنه للآخرة فقط، فهذان الزعمان كلاهما باطلان، لأن الحيوانية والملكية كليهما
موجودتان في الإنسان، فلا بد من ضرورياتهما، فتعليم القرآن لكليهما، ففي الآيات تذكر الآخرة فقط
تكون المراد مع الدنيا كما في قوله تعالى "رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ
النَّارِ" للذين ينظرون إلى تلك الآيات التي ذكر فيها الآخرة فقط، فيظهر أن تعليمه للآخرة فقط وهو
غلط، فحصر تعليمه في الدنيا أو في الآخرة كلاهما داخل في الطريق العسرى الذي يخالف الطريق
للمذكور في قوله "وَلْيَتَوَكَّلْ الْمُتَوَكِّلِينَ" وتعليمه بكليهما فهو الطريق اليسرى لأن في حصره للدنيا غلبة
الحيوانية وفناء الملكية، وفي حصره للآخرة غلبة الملكية وفناء الحيوانية، فكونه أعسر أظهر. "إِنَّا هَذَا لَآفِي
الصُّحُفِ الْأُولَى. صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى". اعلم أن التوراة المعروفة في هذا الزمان يائيل مركبة من
صحف كثيرة من صحف الأنبياء الكثيرة، فمجموع تلك الصحف يسمى اليوم بالتوراة وبائيل، وفي
ابتداء التوراة كتاب الخلق، فيه بيان خلق آدم وغيره بطريق التمهيد، والمقصود فيه بيان حالات إبراهيم
وأولاده (اور آدم علیہ السلام اور ان کے بعد کے پیغمبروں کی پیدائش کا ذکر صرف ابراہیم علیہ السلام کا نسب نامہ بتانے
کی غرض سے ہے، تاکہ آدم علیہ السلام سے لے کر ان تک کا نسب نامہ معلوم ہو جائے۔)^(۲) وأما المقصود
بالذات في كتاب الخلق فهو تفصيل حالات إبراهيم وأولاده، هذه هي صحيفة إبراهيم، ثم بعد كتاب
الخلق كتاب الخروج، أي خروج موسى من مصر، فمن كتاب الخروج أربعة صحف متصلة هي صحف
موسى وأصل كتاب موسى الذي أعطاه الله تعالى مكتوباً في الألواح، هو عشرة أحكام فقط، فيقال
لذلك الأحكام العشرة كتاب موسى، وهذه الصحف الأربعة بمنزلة شرح الكتاب (جو موسیٰ علیہ السلام نے

۱- هكذا في الأصل ويريد به خشونة الطبع وسوء الخلق.

۲- وذكر ولادة آدم والأنبياء بعده إنما لغرض بيان نسب إبراهيم حتى يعلم النسب من آدم إلى إبراهيم.

لکھوائی تھی) کہا کہ ان القرآن کتاب النبی علیہ السلام ہو القرآن، وکتب الأحادیث شرح النبی علیہ السلام فالمراد بـ "صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى" هذه الصحف الخمسة في التوراة، وما قبل إن صحف إبراهيم وموسى ضاعت (یعنی کھو گئے ہیں) فهو مبني على عدم العلم بحقيقة الحال، ثم بعد موسى ضم صحف باقي الأنبياء مع تلك الخمسة^(۱)، فيقال بمجموع الكل اليوم التوراة وباقيل، ولم يكن بعد إبراهيم عليه السلام إلى زمان يوسف عليه السلام إلا صحيفة إبراهيم التي ذكرها آنفاً كما يدل عليه قول يوسف عليه السلام "وَأَتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ" ثم بعد ذلك صحف موسى الأربعة المذكورة (یعنی حضرت ابراہیم علیہ السلام سے لے کر یوسف علیہ السلام تک صرف صحیفہ ابراہیم ہی کا علم ہی اور ابراہیم ہی کی ملت جو اس صحیفہ میں تھی، دنیا میں رہے، کوئی نئی ملت نہیں آئی۔ اس کے بعد موسیٰ علیہ السلام کے صحف ہیں۔) (۲) وإذا علمت هذا فاعلم أن معنى الصحف في قوله "إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى" أن سورة الأعلى بمنزلة المتن والخلاصة، وصحف إبراهيم وموسى بمنزلة شرحه وتفسيره، فاعلم من هذا أن ما في القرآن هو بعينه ما في صحف إبراهيم وصحف موسى ليس فيه شيء غير ما فيها.

فائدة

اعلم أن موضوع القرآن إشاعة ملة إبراهيم في الدنيا كلها، لأن الله تعالى جعل إبراهيم إماماً للناس كلهم كما في قوله قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا لكن إمامة إبراهيم لم تتم في زمن إبراهيم وبعث موسى أيضاً لإشاعة ملة إبراهيم في الدنيا كلها لكنه لم يفز فيه (کیوں کہ ابن کو شاگرد تالا نہیں ملے) وبعث النبی علیہ السلام أيضاً لإشاعة ملة إبراهيم في الدنيا فهو فاز فيه، والمراد بقوله "هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ" المراد بالهدى ودين الحق هو دين إبراهيم وملة. فالخلاصة أنه بعث النبي عليه السلام بملة إبراهيم ليغلب ملة إبراهيم في الدنيا على الأديان كلها، ففاز النبي عليه السلام فيه. ثم هذا المقصد في خلافة أبي بكر وعمر وعثمان كما هو مشروح في إزالة الحفاء، فالقرآن ليس بملة جديدة بل هو ملة إبراهيم.

۱- اور یہ پانچویں صحیفہ موسیٰ علیہ السلام کے لکھوائے گئے تھیں۔ (وہیہ الصحف الخمسة أملاً ما موسى عليه السلام) یعنی صحف إبراهيم الأربعة الباقية.

۲- یعنی یہی فی الدنیا علم صحیفہ ابراہیم من ابراہیم إلى يوسف إلى يوسف ولم تأت ملة جديدة، وبعد ذلك صحف موسى عليه السلام.

سورة الغاشية

بسم الله الرحمن الرحيم

فائدة

قاعدة الجزء أن يكون كل إنسان حسب ذهنه وخیاله (یعنی ہر انسان جس شکل کو اپنے خیال اور ذہن میں پسند کرتا ہے، اس کو اسی شکل میں مثبت جزائے گی اور جس شکل سے اپنے ذہن اور خیال میں نفرت رکھتا ہے، اسی شکل میں اس کو جہنم میں سزائے گی؛ مثلاً نفس کھانا تو ایک طبعی امر ہے، لیکن اس کی شکلیں مختلف ہیں۔ کسی کے ذہن میں حلوة تو کسی کے ذہن میں گوشت اور اسی طرح دیہاتی اور شہری آدمی کی ذہنیتیں مختلف ہوتی ہیں۔ دیہاتی گڑ کے چاولوں سے زیادہ مانوس ہوتا ہے اور شہری زردی سے، تو ہر ایک کو اس کے ذہن کے مطابق جزا ملے گی، جیسا کہ حدیث میں ہے کہ ایک کھیتی پیشہ اللہ سے تیل و دہن وغیرہ طلب کرے گا۔^(۱) لہذا کھانا ہتھیانے المقصود من الجزء، أعني السرور والحزن لا يحصل إلا بهذا الطريق.

إذا عرفت هذا فاعلم أن ذهنية أهل العرب يعينها ما هو مذكور في هذه السورة بقوله: "وَجُودَةٌ يُؤْتِيهِ نَاعِمَةً" الخ یعنی اگر کوئی شخص عرب میں مال دار اور آسودہ حال ہو جاوے تو اس کی ذہنیت بالکل یہی ہے کہ ایک عمدہ باغ ہو اور اس میں چشمہ جاری ہو، اس میں بڑے بڑے اوچے تخت و پتنگ ہوں اور عمدہ عمدہ قالین اس میں بچھے ہوئے ہوں، بجلیے لگے ہوئے ہوں اور آنکھوں سے دکھے گئے ہوں۔^(۲)

فائدة

خص للمفسرون ما ذكر في سورة الغاشية وكذا في غيرها بالآخرة، وهذا التخصيص ليس بصحيح، بل هو يعم الدنيا والآخرة، نحن لا ننكر كونه في الآخرة بل ننكر تخصيصه بالآخرة.

إذا عرفت هذا فاعلم أن المراد بالغاشية في قوله "هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ" هو انقلاب الحجاز الذي أهل الحجاز كلهم يعني الانقلاب الذي يقع بتعليم القرآن في الحجاز في حياة النبي ﷺ عليه السلام أولاً في الحجاز ثم في باقي العرب، ويكون الناس فيه قسمين: قسم يخالف الانقلاب ويسعى في مخالفته حتى لا يفوز الانقلاب وقسم يؤيده، فيفوز هذا القسم ولم يفز القسم الأول مع سعيه الشديد في

۱- یعنی کل ما یخیله الإنسان في ذهنه من الشيء يكون جزاءه حسب، وما ينتظر عنه في ذهنه يكون جزاءه في جهنم حسب، مثلاً إن الأكل أمر طبيعي لكن أشكاله مختلفة بعضم يحب الحلوة وبعضهم اللحم، وكذلك يكون الفرق بين أهل الأرياف وأهل الأمصار، أهل الأرياف يستأنس بالأرض المصنوع بالسكر الأحمر وأهل المصر بالأرض الأصفر، فيكون جزاء كل واحد حسب ذهنه، كما ورد في حديث أن الفلاح يطلب من الله الثيران.

۲- یعنی إذا كان أحد من العرب ذا ثروة فيكون ذهنه أن يكون عنده خديفة فيه ثمر و سرير مرفوعة وغارق مصفوفة،

عناقتہ۔ "الْفَاشِيَّةُ" الانقلاب الحجازي وما حول الحجاز من العرب للحجاز، ثم بين حال عمالي هذا الانقلاب بقوله وَجُوهٌ يُؤْمِنُونَ أَي يوم هذا الانقلاب "خَاشِعَةٌ" ذليلة "عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ" يعني أنها ذليلة مع العمل الشديد الذي صارت به "نَاصِبَةٌ" في مخالفة الانقلاب حتى لا يقع لكن لم يفوزوا في محتها، فصارت ذليلة "تَهْتَلِي تَارًا خَامِيَةً"، لأن الناس يخرجونهم من الأمصار بعد الانقلاب إلى الصحاري، فيصلون شدة حر الحجاز، لأنه ليس في صحارى الحجاز ظل الأشجار "تُسْقَى مِنْ عَيْنِ آيَةٍ" في صحارى الحجاز، لأنه ليس فيها ماء بارد. "لَيْسَ لَكُمْ طَقَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ" أي من ثمره ضريع (يعنى تهر كا پھل) يقال ثمره الضريع اليوم في العرب يرثوي وفي هندوستان ناگ پھل (ام کی طرح ہوتا ہے، یعنی اس کا پھل) لأنه ليس في صحارى الحجاز إلا الضريع وذكر مال ناصري انقلاب بقوله "وَجُوهٌ يُؤْمِنُونَ نَاصِبَةٌ" (۸) لِسْقِيهَا رَاضِيَةً (۹) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (۱۰) لَا تَسْمَعُ فِيهَا لِأَعْيُنٍ (۱۱) فِيهَا عَيْنٌ مُجَارِيَةٌ (۱۲) فِيهَا مَسْرَرٌ مَرْفُوعَةٌ (۱۳) وَأَنْخَوَاتٌ مَوْضُوعَةٌ (۱۴) وَمَنَْارٌ مَصْفُوفَةٌ (۱۵) وَزُرَّاجِيٌّ مَبْشُورَةٌ" یعنی تمھل لناصر الانقلاب في الحجاز بعد الانقلاب جنات عالیہ (چوں کہ عرب کی ذہنیت کے اعتبار سے ان کو بھی چیزیں مرغوب تھیں، تو ان کو انقلاب کے بعد اس کا موقع ملے گا، کوئی طائف میں باغ و چشمہ وغیرہ بتائے گا، کوئی نمدہ سریر وغیرہ) تو پہلے بطور پیش گوئی کے کہ مغلکھ میں فرمایا کہ حجاز میں انقلاب ہو گا اور حامیان انقلاب کو ان کی ذہنیت کے مطابق بطور جزا جنات وغیرہ دینا میں بھی اور آخرت میں بھی ملیں گے اور انقلاب کے مخالفین کو جس چیز سے نفرت ہے، یعنی تھر سے اس کی شکل میں سزا دینا و آخرت دونوں میں ملے گی۔ (۱۶) افسی وقت نزول هذه السورة كان هذا بطريق الإخبار بالمستقبل والآن هي واقعة قد مضت.

فائدہ: انقلاب دو طرح سے ہوتا ہے: ایک طبعی دوسرا فکری، انقلاب طبعی کی صورت یہ ہوا کرتی ہے کہ جس ملک میں وہ ہونا ہوتا ہے اس میں ذراعت وغیرہ خوب اچھے پیمانہ پر ہوتی ہے۔ جب ذراعت پیشہ لوگ خوب کھاتے ہیں تو ان سے تاجر لوگ لوٹنا شروع کرتے ہیں، خرید و فروخت میں، کچھ بھاؤ میں، کچھ سود وغیرہ میں اور پھر لوٹتے ہیں بہشت و ظلم اور تعدی وغیرہ سے، تو وہ بے چارے باوجود کمانے کے اور محنت کرنے کے جب بھوکے مرنے لگتے ہیں تو وہ مخالفت میں کھڑے ہوتے ہیں اور لانے مرنے پر آمادہ ہو جاتے ہیں تو اس ملک میں انقلاب پیدا کر دیتے ہیں۔ اور انقلاب فکری یہ ہے کہ تعلیم کے ذریعہ سے لوگوں کے دماغ میں ایسی فکر پیدا کر دی جائے کہ اس

۱- "كان العرب يحبون هذه الأشياء فيكون لهم أن يستمتعوا بها، فقبل أولها هذه الانقلاب يكون في مكثوا قبل الانقلاب يكون لهم هذه النعم في الدنيا والآخرة فخالقوا الانقلاب بعد ذلك.

کے خلاف بات کو وہ سنتا بھی گوارا نہ کر سکیں تو ایسی فکر ان کے دماغ میں پیدا ہونے کے بعد وہ انقلاب کر دیتے ہیں۔^(۱)

إذا عرفت هذا فاعلم أن الله تعالى بغير بقوله "أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (۱۷) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (۱۸) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (۱۹) وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ" أن هذا الانقلاب في الحجاز لا يكون طبعياً، بل يكون فكرياً بتعليم القرآن حتى يعلم أن في القرآن قوة الانقلاب، لأن قطعة الحجاز ليس فيها أسباب الانقلاب الطبيعي من الزراعة وغيره، بل ليس فيها إلا أسماء فوقها والأرض تحتها والإبل والجبال (يعني مجالس اس کے سوا کچھ نہیں کہ اوپر دیکھو تو آسمان نظر آئے اور نیچے دیکھو تو زمین نظر آئے اور اُدھر اُدھر دیکھو تو انسان نظر آئیں یا پہاڑ)۔ الحاصل أن الانقلاب يقع لامحالة، وله صورتان: الطبيعي والفكري فالتفكي الأول لعدم أسبابه في الحجاز، فلا محالة يكون فكرياً، فيقع بتعليم القرآن. إذا علمت هذا فليذكر أي علم الذين فيهم مادة قبول تعليم القرآن "إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ" فلا تذكرهم لعدم مادة القبول فيهم فتعليمهم عبث، وحاصله ما هو حاصل قوله "فَلْيَكْفُرْ إِنْ نَفَعْتَ الذِّكْرَى" فقولہ إلا من تولى وكفر استثناء من قوله فذكر (يعني ان کے دماغ میں یہ فکر پیدا کر دے کہ ملت ابراہیمی کے سوا کسی بات کو مت سنو، فقط ملت ابراہیمی ہی ذریعہ ہے فوز دارین کا "فَلْيَكْفُرْ إِنْ نَفَعْتَ الذِّكْرَى" یعنی آپ کا کام فقط تذکیر ہے، یعنی قرآن کی تعلیم "لَسْتُ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ" آپ ان پر داروغہ نہیں ہیں، یعنی آپ کے پاس جبر و غیرہ اسباب ہی نہیں ہیں، نہ فوج ہے نہ طاقت ہے، وغیرہ وغیرہ، تو آپ کا کام صرف تذکیر میں تعلیم قرآن ہے، پس اس تعلیم کے بعد انقلاب خود بخود ہو جائے گا: یعنی آپ تعلیم قرآن سے ایک ایسے لوگوں کی سوسائٹی پیدا کر دیں گے، جن کے دماغ میں یہ فکر پیدا کر دیں گے کہ ملت ابراہیمی کے سوا دوسری کوئی بات مست مانو، تو وہ سوسائٹی انقلاب پیدا کر دے گی: چنانچہ ایسا ہی ہوا کہ آپ نے ایک سوسائٹی پیدا کی۔ انھوں نے حجاز اور ماعقل حجاز یعنی تمام قطر عرب میں انقلاب پیدا کیا۔ یہ تو آپ کے سامنے ہوا، لیکن وہ سوسائٹی ایسی پیدا ہوئی کہ انھوں نے آپ کے بعد تمام دنیا میں انقلاب کر دیا، قیصر و کسریٰ کی سلطنتیں الٹ دیں۔ یہ قرآن ہی انقلاب تھا۔ غرض فرمایا کہ آپ کا فرض صرف تعلیم

۱- الانقلاب أو الثورة على نوعين: طبعي وفكري، الطبيعي عبارة عن سمو مقام الزراعة في الدولة التي يكون فيها ذلك الانقلاب، فالتناسي يعملون في الزراعة ويكسبون تكثيراً ثم يسرق منهم التجار فينتج اللاصطدام بين الفريقين فيحصل الانقلاب. وأما الانقلاب الفكري فعبارة عن التبدل الفكري الداخلي في الناس بالتعليم فيحصل الانقلاب.

قرآن ہے، اس کے سوا آپ کے پاس کوئی اور طاقت ہی نہیں ہے، مگر آپ بے فکرئی سے اس کی تعلیم دیں، کیوں کہ خود قرآن میں یہ طاقت ہے کہ یہ انقلاب کر دے گا، چنانچہ ایسا ہی ہوا۔^(۱)

فائدہ

فعل من التقرير المذكور أن قوة الانقلاب موجودة في القرآن^(۲)، وفي هذا الزمان أيضا يقع به الانقلاب لكن علماء الزمان غافلون عن قوة القرآن فلا يتوجهون إليه.

فائدہ

قال مولانا عبيد الله معنى التذكير بیدار کروں، یعنی جن لوگوں کے دماغ میں قوت و صلاحیت ہے، لیکن وہ کچھ خوابیدہ سے ہو رہے ہیں، ان کو بیدار کر دو، یعنی قرآن کی تعلیم کے ذریعے سے ان کو بیدار کر دو اور جن کے دماغوں میں صلاحیت نہیں، ان کو تعلیم فضول ہے۔^(۳) "لَعَنِي مَنْ قَوْلِي وَكَفَر" فلا تعلمهم فيعلمهم العذاب الاكبر وقت الانقلاب في الدنيا "إِنْ إِلَيْنَا إِيَابَتُهُمْ" في الآخرة ثُمَّ إِنْ عَلَيْنَا جِسْمَاتُهُمْ فنقدبه في الآخرة.

فائدہ

مولانا محمد قاسم^(۴) نے قبلہ نمائیں دو تین مقام میں حضور ﷺ کے متعلق نہایت بہترین مضمون لکھا ہے، جس کا حاصل یہ ہے کہ آپ کے انقلاب کے اسباب دو تھے: ایک تو اخلاق جو کسی فرد بشر میں آج تک نہیں پائے گئے۔ یہ اخلاق تو تنخیر الناس کا ذریعہ تھے، کیوں کہ آپ کے پاس مال و غیرہ کوئی ذریعہ تنخیر کا نہیں، تو لوگوں کی تنخیر تو اخلاقی حمیدہ سے ہوئی، سوسائٹی تو اخلاق کے ذریعے پیدا کی، لیکن صرف سوسائٹی کا وجود انقلاب کے لیے کافی نہیں ہو سکتا۔ دوسرا کمال آپ کا علم تھا، یعنی قرآن شریف جس میں اس سوسائٹی کے لیے ایک دستور العمل انقلاب کے لیے دیا گیا، جو ایسا دستور العمل طاقت بشری سے خارج تھا، اس کے ذریعے انقلاب ہوا، غرض انقلاب کا ذریعہ قرآن

۱- لست عليهم بمسيطر يعني ليست عندك أسباب الجبر والإكراه ولا العسكرة ولا الطائفة وغيرها، إنما أمرك بالتذكير بالقرآن، فبعد تعليم هذا الكتاب يحصل الانقلاب تلقائياً، يعني أنك مستنطق بمقتضى يكون متبعا على ملة إبراهيم فبتشبه ذلك المجمع انقلاباً، فهكذا وقع. النبي أنشأ مجتمعا أنشأ الانقلاب في قطعة العرب، ثم هذا الانقلاب انتشر في الدنيا فانكسرت الامبراطوريات مثل قيصرو وكسرى، وكان هذا انقلاباً قرآنياً، فالخلاص أن الله قال إن واجبك هو تعلم القرآن، وليست عندك طاقة دونه فعليك أن تعلم القرآن بدون الفكر لأن القرآن فيه مقدرة الانقلاب، فحصل الأمر كذلك.

۲- في الأصل: أن في القرآن قوة الانقلاب موجود، والأنسب: أن قوة انقلاب موجودة في القرآن.

۳- معنى التذكير الإيقاظ، يعني أيقظ الذين في أعينهم قوة الاستيقاظ بتعليم القرآن وأما ليست عندهم هذه المقدرة فتركهم.

۴- هو العلامة المحقق محمد قاسم بن اسد علي النانوتوي، ولد سنة ۱۲۴۸ هـ ببلدة نانوتة وقرأ جميع الكتب على يدي الشيخ مملوك علي النانوتوي، وكان الشيخ جامعاً بين العلم والعمل، وهو الذي أنشأ مدرسة شهيرة دارالعلوم بدويند وله مصنفات دقيقة. (الحسن، المصدر السابق، ۷: ۱۰۶۷).

تھا۔ بعض لوگ یہ سمجھتے ہیں کہ یہ انقلاب حضور ﷺ کا ذاتی خصوصیت تھی، لیکن یہ غلط ہے۔ یہ قرآن کی خصوصیت تھی، گو حضور ﷺ کے اخلاق بے مثل تھے، لیکن انقلاب کے لیے کافی نہ تھے، انقلاب بغیر قرآن کے ناممکن تھا اور اگر انقلاب حضور ﷺ کی ذاتی خصوصیت ہوتی، تو حضور ﷺ کے بعد تمام دنیا کا انقلاب نہ ہوتا، کیوں کہ حضور ﷺ تو صرف عرب ہی کا انقلاب کر گئے تھے، مگر بعد میں تمام صحابہ نے دنیا میں انقلاب کیا۔ ان کے پاس قرآن کے سوا کیا تھا؟ تو معلوم ہوا کہ انقلابی طاقت قرآن ہی کی تھی۔^(۱)

فائدة

لو سلم أن القرآن ليس كلام الله، بل هو نتيجة فكره عليه السلام، لكن عجز بالإتيان بمثل قانون (بروگرام) الإنس والجان، فلا شك في هذه الصورة أيضا في كون القرآن معجزة للنبي عليه السلام، فتثبت به نبوته أيضا.

فائدة

اعلم أن في قوله: أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ثُبُوتِ الدَّعْوَى: إحداهما أن الحجاز ليس فيه أسباب الانقلاب الطبيعي (یعنی سرمایہ داری وغیرہ کے اسباب) لأن الإنسان إذا رأى عينا وحشاً وقدما وخلقا، لا يرى إلا الإبل أو الجمال، وإذا يرى تحته، يرى الأرض، وإذا يرى فوقه يرى السماء. الثانية أن في الحجاز صلاحية تركز الانقلاب العقلي والفكري، وأشار إلى هذا بلفظ كيف في المقامات الأربعة؛ لأن أرض الحجاز فيها صلاحية أن يجمع الناس فيها من الجوانب لسطوحها، وفيها مياحين واسعة مثل منى وعرفات وغيرها، وفي الإبل ذوات المعشية بقدر الضرورة كما مر، والجمال حوله من الجوانب الأربعة مثل الحصن لا يمكن إثبات العدو بالسهولة وفي سكانه استعداد قبولية علوم الوحي، لأنهم يقرون بالنبوة الإبراهيمية والإسماعيلية، وقائلون بنزول علوم الوحي من السماء مع رفعت. ^(۲)

۱- إن مولانا قاسم كتب مقالا جميلا في أكثر من موضع واحد من الكتاب قبله نما، وحاصله أن انقلابه كان له سببان: الأول الأخلاق لم توجد في بشر حتى الآن وكانت ذريعة تسخير الناس بدون المال والجاه، فالجتماع يحصل بالأخلاق، ولكن وجود المجتمع لا يكفي للانقلاب، وأما الكمالات الثاني فكان علمه يعني القرآن الذي أعطى فيه برنامج الانقلاب الذي كان فوق المقطرة البشرية، فذريعة الانقلاب كان هو القرآن، وبعض الناس يظنون أن هذا كانت خاصية ذاتية للنبي، فهذا ليس بصحيح، إن خلقه وإن كان عظيما بلا مثل فلنكن لم تكن كافية للانقلاب، الانقلاب لم يمكن بدون القرآن ولو كان الانقلاب خاصية النبي الذاتية لم يحصل انقلاب الدنيا بعده، فإن قد أوجد انقلاب العرب فقط والصحابة بعده أوجد نبوة الأنبياء ولم يكن لديهم سوى القرآن، فعلم أن الطاقة الحقيقية للانقلاب هي كانت طاقة القرآن.

۲- اعلم أن السماء لغة ما علاك: ثم اختلف الناس في تعيين السماء، فقال بعض يعني عوام الناس ما نرى فوقنا (برنگ نیل گوی) هو السماء، فقال بعض الحكماء: أن السيارات هي السماء، وأنها تسير بالاستقلال، وقال بعضهم السماء الجرم الذي ركزت فيه السميرات: وهو يسير بما. للحصول الكل قائل بوجوده إن اختلفوا في تعيينه. إذا

" وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (١٩) وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ " فيه إشارة إلى صلاحية الجبال للمركزية بين الأقواس؛ لأنها قابلة للقيام عليها لتكونها مسطحة ويكون الجبال حولها مانعة للدخول في الجحاز؛ فالدخول فيها ليس سهلاً بسببها.

قوله: "إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ" فيه إشارة إلى أن خلق الإبل وقع على وجه أنها تكفي للضرورات للعيشة؛ لحمها للأكل ولبنها للشرب وجلدها للنعال وغيرها ووبرها للثياب وغير ذلك. قوله: وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ

وقوله: "إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ" وقوله: "لَسْتُ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ" جملتان معترضتان بين الاستثناء والمستثنى منه.

علمت هذا فاعلم أن الأرض موطن الجزئيات المحسوسة وموطن الكلبي فوق السماء، وفي الأرض وجود الكلبي انتزاعي غير محسوس، ويمكن وقوع الخطأ في الانتزاع، والكلبي في موطنه مثل الجزئي محسوس مشخص، فهو جزئي في موطنه. الحاصل الكلبيات جزئيات محسوسة من موطنها مثل الجزئيات في موطنها، فيمكن رؤية الكل محسوساً ومشخصاً في موطنه؛ ولا يتطرق إليه الخطأ فيه لمن يراه في موطنه فالأنبياء يرون الكلبيات في موطنها مثل الجزئيات في الأرض فلا يقع الخطأ في علومهم.

سورة الفاشية

بسم الله الرحمن الرحيم

"هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْفَاشِيَةِ" عامة المفسرين جعلوها من حالات القيامة. طائفة تدخل جهنم وطائفة تدخل الجنة، وأن القرآن العظيم ذكر بعض أوصاف مساكنها^(١)، ونحن نجعل الانقلاب الذي جاء به القرآن العظيم مثل قيام القيامة ومثل مجيء الساعة، ومن مات في ذلك الانقلاب، فإن كان من الصالحين يدخل الجنة، وإن كان غير ذلك يدخل النار، وقد تقرر عندنا في حكمة الإمام ولي الله أن ما يأتي على الإنسان من حالات بعد الموت، تكون تشبه للملكات فيهم والتشبه إنما يكون بما اعتادته القوة الخيالية لهم، فإذا دخلوا الجنة أو جهنم يجدون هنالك الثواب والعقاب بمثل المرافق التي اعتادوها في دار الدنيا. على هذا الطريق نفسر تلك السورة.

"هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْفَاشِيَةِ" الحالة التي تغشى العرب كلها من الانقلاب، فيجعل كل القوم على القسمين، لا يترك لهم مساعاً لصنف ثالث: ١- الأول إما أن يكون من الانقلابيين الفائزين. ٢- وإما أن يكون من المرتجعين المخزولين، فمن فاز بالانقلاب القرآني^(٢) يصل إلى أعلى مرافق الحياة حسب التصور العربي، ومن خاب في ذلك الانقلاب لا يكون له مقام في البلدان والقرى، بل يلتحقون بالحيوانات في الصحارى، وإذا مات هؤلاء، يجدون بعد الموت أيضاً شيئاً مثل ما وجدوها في حياتهم بعد الانقلاب. الصورة تكون متحدة لكن الحقائق على حسب اختلاف الدارين تكون مختلفة اختلافاً بيناً. بهذه الصورة إذا فسرنا هذه السورة، كأننا لم نرد شيئاً مما كتبه المفسرون. هل أضفنا إليه أشياء طبيعية، لا بأس بها في أصول حكمة الشيخ، فالحالة الفاشية على العرب إذا غشيتهم، فهل تعرف ما يكون عليه حالات الناس؟ الطائفة التي خالفت القرآن وسعت في إقامة قانون على ضده خابت، فإن بقيت لها حياة التحقت بالصحارى، هذا: "وَجُوهٌ يُؤْمِنُ بِحَاشِعَةٍ" أدلة "عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ" عملوا بكل اجتهاد على ضد القرآن فخابوا وصاروا أدلة في الصورة. حياتهم في الصحراء تكون كأنهم يصلون نازلاً حامية، يسقون من عين آنية لا يكون لهم شراب من ماء بارد ولا يكون لهم طعام إلا من ضريع مما تأكله إبلهم. هذه حالتهم في حياتهم الدنيا، فإذا انتقلوا إلى الدار الآخرة، هم يجدون عذاباً بمثل تلك الصورة طائفة أخرى الذين فازوا في انقلاب القرآن.

١- في ن م: مساكنها، وفي ن إ: ساكنيها. ثم هناك في ن م عبارة سقطت من ن إ وهي: وعندنا في ذلك ملاحظة غريبة.

٢- في ن إ سقطت "فمن فاز".

"وَبُحُورُهُ بِمُؤْتَدِلٍ مُّاعِمَةٍ" الخ على وجوههم آثار النعمة موجودة فرحين. لسعيها راضية كل ما عملوا بالقرآن كان موافقاً لفرطهم " فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ " إلى "مبتوتة" هذه حكاية أشرف الحجاز في تمدنهم ومعاشهم اليوم، (١) ألو ذهبنا إلى بيت واحد منهم لوجدنا فيه سريراً مرفوعة وأكواباً موضوعة ونمارق مصفوفة وزرابي مبتوتة، فإذا انضم مع ذلك جنة عالية "فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ" وحكم السيد نافذ في تلك الجنة، لا تسمع فيها لاغية تحت صورة الحال مطابقة. ثم تصوير الحال. هذا هو الذي يرجوه العرب إذا فازوا في الدنيا من مرافق الحياة والدين فلزوا بانقلاب القرآن، كانوا راضين لسعيهم لأنها موافقة لوجدانهم وفازوا في الحياة الدنيا بما يروونه أعلى الحياة. الناس، يعرفون أن العرب بعد ما فتحوا الشام والعراق ونظموا بعد ذلك معيشتهم في الحجاز، هل كانوا على صورة غير هذه، وهذا كله حاصل لهم بسبب انقلاب القرآن.

فصل

الانقلاب نقول به نحن في العرب هل له فيه مواد موجودة ليس فيه شيء منها؟ الانقلاب يأتي في بلاد الثروة (٢) التي تكون باعثة للانقلاب طبيعياً هل هو موجود؟ جوابه ظاهر، ليس منها شيء. إن شئتم أن تعلموا كيفية الحجاز باعتبار الأسباب المادية فافروا "أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ" لا تجدون في الحجاز إلا الإبل والسماء والأرض والجبال، فالبواعث للانقلاب المحلي غير موجودة، فمن أين أتت القوة الانقلابية؟ أتت بالقرآن، حدثت بالقرآن فقط. القرآن يجمع العللين لا يقسم قوماً عن قوم وأسباب الانقلاب العالمي متهاة في الأرض بسبب الغلبة على كسري وعلى قيصر، فالقرآن يدعو العرب أن يصيروا مركزاً لإدارة ذلك الانقلاب، ويسهل لهم الوصول إلى تلك المرتبة، وقوله: "فَلَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ" (٣) عندنا إشارة إلى هذا. ذكر بالقرآن أيقظ قواعم الفطرية، أوجد فيهم قوة التفكير حتى يقدروا على الإدارة مع مواليتهم التامة. هذا لم يكن إلا جذكير النبي عليه بالقرآن، فمنصب النبي في هذا

١- حمل أمر الآخرة الخالص على أمر دنيوي، ليس له مبرر في النقل ولا في العقل، ومثل هذه الأمور مما يؤدي إلى الفساد في التأويل وحمل المصطلحات الدينية الثابت مفهومها سلفاً وخلفاً على مثل هذه الأمور يفتح مجال التأويلات الباطنية التي جرت الويلات إلى عكر دار الأمة، ومن المعجب للشيخ السندي -سأحه الله- كيف تأثر بالوضع الراهن في عصره حتى ذهب إلى تفكيك هيكل معنى النص مما توارثت عليه الأمة، فكما جاء جاك هريدا بمنهج تفكيك الميثاقية البيئية والأخلاطونية في الغرب، هل يمكن لنا أن نعيد الأعلام مثل الشيخ السندي بأنهم المفككون الإسلاميون؟

٢- هذه العبارة في ن م، ليست في ن إ: تنقل من قوم آخرين يكونون فقراء، ففي الحجاز الثروة التي تكون باعثة للانقلاب، طبيعياً هل هو موجود؟

٣- في ن إ نقلت الآية فَلَذَكِّرْ إلى نَفَقَتِ الْيَكْرَى، وهذا خطأ لأن الآية من سورة الأعلى.

الانقلاب ليس إلا "إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ" باصطلاحنا اليومي Organization Organizer^(١) بمعنى التنظيم والمنظم. لست أنت عليهم بمسيطر تجبرهم على شيء "إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ" الاستثناء راجع إلى ذكر وقد قلنا أنه لا يجب على النبي تعليم من تولى وكفر "فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ" هؤلاء إذا تولوا عن العلم وعن الانقلاب، يعذبهم الله إما بعذاب من غير أيدي المؤمنين بأسباب القدرة بمثل الطوفان والفرق والحرق، وإما بأيدي المؤمنين ثم يتصل بعد موته عذاب في جهنم فيكون هذا العذاب الأكبر ثم "إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَتَهُمْ . ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ" فلا يقدرون أن يفروا عنا أو يكون لهم مانع يمنعهم من عذاب الله.

^١ - المصطلح الإنكليزي ليس مذكور في ن ١.

سورة الروم

بسم الله الرحمن الرحيم

الم ۳۱ من ابتداء البعثة إلى ۳۱ فی خلافة عمر وقع تسلط الإسلام على ملك الشام وفتح بيت المقدس وغيره، وظهر مصداق قوله: "هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ" لأنه كانت في الدنيا سلطنتان عظيمتان حيطت إحداهما سلطنة أهل إيران كما يدل عليه قوله: "وَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَلَيْهِمْ مُتَبِعُونَ" عن قريب، والوقف لازم على قوله: "سَيَفْلُحُونَ"، وقوله: "فِي بَضْعِ سِنِينَ" لا يتعلق بقوله: "سَيَفْلُحُونَ" بل هو يتعلق بما بعده، أعني قوله: "لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ" وهو من باب تنازع الفعلين^(۱)، فالعبارة هكذا: لله الأمر من قبل في بضع سنين والله الأمر من بعد في بضع سنين، فالمراد من قوله لله الأمر من قبل في بضع سنين فتح الروم على الإيرانيين، ومن قوله والله الأمر من بعد في بضع سنين فتح أهل الإسلام على أهل الروم، وقع فتح أهل الإسلام على أهل الروم في سنة ۳۱ من ابتداء البعثة في خلافة عمر بهذا الفتح كان على أهل الدنيا كلها (كيون كہ تمام دنیا میں دینی بڑی سلطنتیں تھیں: ایران وروم، روم ایران پر غالب آگئے اور مسلمان روم پر، تو مسلمان تمام دنیا پر غالب آگئے) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ كَمَنْ يَمْشِي كَوْنِي پوری ہو گئی م ۲۰ و - مجموع ۳۱ و ۲۰ - ۷۱ وهو الإشارة إلى خلافة^(۲) معاوية رضي الله عنه، لأن في ابتداء البعثة إلى زمن معاوية يكون ۷۰، فرض ایک سال پہلے بحث کا ہے اور امیر معاویہؓ نے تو اپنا دار الخلافہ مکہ شام یعنی دمشق میں قریب بیت المقدس کے بنا لیا تھا۔ پس امیر معاویہؓ کے زمانے میں اسلامی سلطنت کا مکہ شام میں پورا استقرار ہو گیا تھا۔ لہذا تو مکہ شام میں خلافتِ عمر میں ہوا اور اس کا استقرار کامل طور پر امیر معاویہؓ کے زمانے میں ہوا اور سورۃ الروم میں یہی پیش گوئی ہے۔)

۱- [التنازع] أن يقدم فعلان متصرفان، أو اسمان يشبهانهما، أو فعل متصرف واسم يشبهه، ويتأخر عنهما معمول غير سببي مرفوع، وهو مطلوب لكل منهما من حيث المعنى. (جمال الدين عبد الله بن يوسف ابن هشام، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ت، يوسف الشيخ محمد البقاعي، بيروت: دار الفكر، س د)، ۲: ۱۶۷. هذا التعريف لتنازع الفعلين لا يستقيم هنا، فإن الأمر هنا يتعلق بالجار والمجرور، ثم هذا التأليف النحوي للمصنف فيه نوع من الخوازة لا يخفى.

۲- في حجة الله البالغة في الفتن وقال رسول الله ﷺ تَذَوُّرٌ رَحَى الْإِسْلَامَ تَحْسَبِي وَتِلَاكِينٌ، أو نَيْبٌ وَتِلَاكِينٌ فَإِنْ يَهْلِكُوا نَسِيلٌ مِنْ هَؤُلَاءِ وَإِنْ نَقِمَ لَهُمْ دِيْنُهُمْ يَقُمْ لَهُمْ سَبْعِينَ عَامًا" قال: قلت: أَلَمْ يَأْتِ مَضَى؟ قال: "بِمَا مَضَى"، فعدد ألم يوافق هذا الحديث، فأي حرج في أخذ ما ذكر فيه على وجه الاجتهاد يعني يمكن أن يكون المراد باللم الإشارة إلى ما ذكر.

فتحت مكة بعد سنة عشرين من ابتداء البعثة، فتحققت حينئذ الخلافة وأجريت الحدود بعدها وأما قبل فتح مكة لم تكن الخلافة تحققت كاملة بعد فتح مكة . صبح مصداق قوله تعالى: "إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً"، فصار النبي عليه السلام بعد فتح مكة خليفة الله تعالى وبقيت خلافته عليه السلام إلى سنتين ونصف، ثم بعد ذلك صار أبو بكر خليفة لكن لا خليفة الله تعالى بل خليفة رسول الله إلى سنتين ونصف، وصار مجموع خلافة رسول الله وخلافة أبي بكر خمسة سنين، وهو المراد ٥ لأن عددها خمسة، وهو المراد من قوله عليه السلام "قربني" في قوله: خير القرون قرني يعني زمان أبي بكر داخل في زمان النبي عليه السلام، لأن خلافة أبي بكر كانت على نصح خلافة النبي عليه السلام على وجه الكمال لا فرق بينهما منقار ذرة في أمر المساواة في كونهما بين الألفواهي) يعني حضور ﷺ في خلافت کے زمانہ میں جو شخص اسلام میں داخل ہوتا تھا تو اس کو لادوں کے برابر درجہ دیتے تھے۔ حبشی، ایرانی، عربی اور غیر عربی میں کوئی امتیاز نہیں تھا، بلکہ جس ملک کا آدمی مسلمان ہو جائے، اس کو اس ملک کا بادشاہ بنا دیتے ہیں۔ حضرت ابو بکرؓ کی خلافت میں بھی اس رنگ میں ذرہ فرق نہیں آیا، اس لیے ان کا زمانہ بھی حضور ﷺ کے زمانہ میں داخل ہے، تو ان کی خلافت گویا حضور ﷺ ہی کی خلافت ہے۔

فائدہ

یہ رائے ہے مولانا عبید اللہ سندھی^(۱) کی اور شاہ ولی اللہ صاحبؒ ابو بکرؓ کے زمانہ کو عمرؓ کے زمانہ کے ساتھ ملائے ہیں اور فرماتے ہیں کہ ان المراد من قوله عليه السلام "ثم الذين يلونهم" الأول خلافة أبي بكر وعمر كليهما ي ١٠ المراد به خلافة عمر، وهو المراد من قوله عليه السلام ثم الذين يلونهم الأول عند مولانا عبید اللہ (کیوں کہ حضرت عمر رضی اللہ عنہ کے زمانے میں کسی قدر قوم عرب کا تغلب اوروں پر ظاہر ہو گیا تھا، گو وہ قانونی رنگ میں نہیں تھا اور نہ ہی اس کو قانونی شکل دی گئی تھی، مگر تاہم لوگوں کی نظروں میں عرب کا کسی قدر تفوق نمایاں تھا، لہذا وہ حضور اور ابو بکر کے زمانے سے کسی قدر اتر ا ہوا تھا۔)^(۲) والمراد بقوله ثم الذين يلونهم الثاني خلافة عثمان (وہ زمانہ عمر سے بھی کسی قدر اتر ا ہوا تھا، اس لیے کہ ان کی خلافت کا ابتدائی حصہ تو بالکل ہی خلافت عمری کے مطابق تھا، لیکن ان کی خلافت کے آخری حصہ میں نیم قومیت کا رنگ آ گیا تھا، گو اس کو باقاعدہ قانونی شکل نہیں دی گئی تھی، مگر اندر ہی اندر قومیت کا رنگ آ گیا تھا اور امیر معاویہ کے زمانہ میں اس کو قانونی شکل میں لایا گیا تھا۔

۱- في مثل هذه المواضع يأتي في الجال أن المستعمل قد أدرج في إظام الرحمان ما سمح له من شرح وتفسير لأفكار مولانا السندي. وهذا الأمر يقوي موقف الذين يقولون بأن تلامذته قد أدرجوا من قبل أنفسهم في تفسيره ما ليس من فكرة الشيخ السندي. والله أعلم.

۲- لأنه في زمن عمر رضي الله عنه قد ظهر إلى حد ما تغلب العرب على الآخرين وإن لم يكن في الزم القانوني، ولكن تفوق العرب عند الناس كان قد وجد ولم يكن كذلك في عهد النبي وأبي بكر

ع ۷۰ مجموعہ ۱۰۵ یہ اشارہ ہے ولید بن عبد الملک کی خلافت تک، کیوں کہ خلافت سن بعثت سے ۱۰۵ تک ہے۔ ہوامیہ کی سلطنت کا اس میں انتہائی عروج تھا، قومیت کی بنیاد تو عثمان نے ڈالی اور اس کو امیر معاویہ نے قانونی شکل پہنائی اور اس کی تکمیل اور انتہائی عروج ولید کی سلطنت میں ہوا۔ ص ۹۰ مجموعہ ۱۹۵، اس میں اشارہ خلافت ہارون الرشید کی طرف جو سن بعثت سے ۱۹۵ پر ختم ہوتی ہے، اس میں انتہائی عروج تھا سلطنت بنی عباسیہ کا، جس کی بنیاد علی کرم اللہ وجہہ نے ڈالی تھی، غرض امیر معاویہ نے ہوامیہ کی عروج کی بنا ڈالی، اس کا انتہائی عروج ولید کے زمانہ میں ہوا اور علی کرم اللہ وجہہ نے ہواشم کے عروج کی کوشش کی۔ اس کا انتہائی عروج جو عباسیہ کے دور میں ہارون کی خلافت میں ہوا اور ہارون تک بارہ خلفائے ختم ہوتے ہیں، جن کے اسماء ہیں: ابو بکر، عمر، عثمان، علی، معاویہ، عبد الملک، ولید، سلیمان، ہشام، منصور، مہدی، ہارون الرشید (۱)

فائدہ

ذکر یا علیہ السلام نے دعا کیوں مانگی تھی؟ صرف اس لیے کہ میرے بعد میرے کام کو سنبھالنا والا کوئی وارث نہ ہوتا چاہیے تو کیا رسول اللہ ﷺ کو یہ فکر نہیں ہو گی کہ میرے بعد میرا کوئی خلیفہ میرے کام کو سنبھالنے والا ہو؟ یقیناً تھی۔ اس فکر کا جواب ہے اس آیت میں: "وَمَا تَنْتَظِرُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفُنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَبِيًّا" یعنی جو کام آپ کو سپرد کیا گیا ہے، وہ ہماری طرف سے نہیں ہے، بلکہ وہ خدا نے آپ کے سپرد کیا ہے اور آپ خدا کا کام کر رہے ہیں اور وہ بھولتا ہے نہیں، پھر آپ یہ فکر کیوں کر رہے ہیں کہ میرے بعد یہ کام کیوں کر چلے گا، بلکہ اس کی فکر تو خود اس کو ہو گی، جس نے تمہیں یہ کام سپرد کیا ہے، وہ خود اس کو آگے چلانے کی فکر کرے گا، اس لیے سورہ ہریم کے شروع میں ان الفاظ میں آپ کے بعد کام کرنے والے خلفاء کی طرف اشارہ کر دیا۔ (۲)

۱- یعنی لون تفوق العرب كان قليلا في عهد عثمان بالنسبة إلى عهد عمر، فإن أول جزء خلافته كان على لون خلافة عمر وأما في الجزء الثاني فقد ظهر فيه لون القومية، والذي تشكل قانونيا في عهد الأمير معاوية، وع ۷۰ مجموعة ۱۰۵ إشارة إلى الوليد بن عبد الملك فإن الخلافة من سنة البعثة إلى ۱۰۵ هـ، وكانت على قمته في زمن بني أمية، وعثمان وضع حجر القومية وشكلها قانونيا الأمير معاوية وجاءت على آخر قمته في عهد الوليد، ص ۹۰ مجموعة ۱۹۵ فيه إشارة إلى خلافة هارون الرشيد والتي تنتهي على ۱۹۵ هـ، ووضع حجرها على كرم الله وجهه، الغرض وضع حجر الأسس لخلافة بني أمية الأمير معاوية والتي وصلت قمته في عهد الوليد، وعلي كرم الله وجهه وضع حجر خلافة بني هاشم والتي وصلت قمته في عهد هارون الرشيد والتي انتهت سلسلة اثنا عشر خليفة أمراءهم: أبو بکر وعمر وعثمان وعلي ومعاوية وعبد الملك والوليد وسليمان وهشام والمنصور والمهدي وهارون الرشيد.

۲- لم دعا زكريا ربه؟ لأن يكون وارثا بعدني يحمل أمري، فهكذا هل لم يمكن أن يكون لرسول الله محمد فكر؟ يلي إنه كان، في هذه الآية إجابة عنه: وَمَا تَنْتَظِرُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفُنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ

فائدہ: پہلے چار خلیفوں کی خلافت راشدہ تھی اور بین الاقوامی تھی اور باقی آٹھ خلفاء کی خلافت بین الاقوامی نہیں تھی، بلکہ قومی تھی، مگر باوجود قومی ہونے کے انھیں اس قدر عقل تھی کہ انھوں نے اپنی قوم کو تفوق دینے کے باوجود ماتحت قوموں کو راضی کیا اور بغاوت نہیں کرنے دی، جیسے شرماع میں انگریزوں نے اہل ہندوستان کو ایسا خوش کیا کہ اپنے بادشاہوں پر بھی مسلمانان کو ترجیح دیتے تھے، لیکن آج وہی انگریز ہیں جن پر ہر طرف سے لعنت برس رہی ہے۔ اس کی وجہ یہ ہے کہ پہلے انگریز سمجھ دار تھے، انھوں نے عقل سے کام لیا اور اپنی قوم کو قائم رکھ کر اہل ہندوستان کو خوش رکھا اور آج کے انگریز عقل سے کام نہیں لے رہے۔ غرض ان آٹھ خلیفوں کی خلافت کو قومی تھی، بین الاقوامی نہیں، مگر تھی نہایت ہی شان دار اور انتہائی عروج پر قوم کو بغاوت کا موقع نہیں ملا۔^(۱)

فائدہ: بارہ خلفاء کی تعداد مذکور مولانا عبید اللہ صاحبؒ کی رائے ہے اور شاہ ولی اللہ صاحبؒ بارہ کو بنو امیہ ہی میں ختم کر دیتے ہیں۔^(۲)

نبیاً، یعنی الامر للذي كلفت به، ليس منا بل من الله تعالى الذي لا ينسى، فلم تذكر أن أمري لا يضي بعدى، إن الذي فوضك هذا الأمر فهو مسؤول بهذا العمل فلذلك أشار في بداية سورة مريم إلى خلفائه.

۱- كانت خلافة الخلفاء الأربعة الأول خلافة راشدة وعالمية، وأما خلافة بقية الخلفاء الثمانية ليست عالمية بل قومية ولكن مع ذلك كانوا أولي الأغلب بحيث اعتنوا برضا مأمورين كما فعل الإنكليز في البداية مع أهل الهند ومن اليوم هؤلاء الإنكليز ملعونين من كل جانب، وهؤلاء لبسوا بأكفاس:

۲- تورثت میں اللہ تعالیٰ کا وعدہ نہ کرے کہ بنی اسرائیل سے بارہ خلیفے پیدا کرے گا۔

سورة البقرة

بسم الله الرحمن الرحيم

"الم ذَلِكَ الْكِتَابُ" یعنی الكتاب کتاب اللہ۔ (۱)

قائدہ

حضرت ابراہیمؑ کو دس احکام نبائی بتائے گئے تھے، کوئی چیز نکلی ہوئی ان کو نہیں دی گئی، موسیٰؑ تک یہی صورت رہی۔ موسیٰؑ تک وہ احکام کتاب کی شکل میں دیے گئے، یا تو لکھے لکھائے دیے یا کو طور پر انھوں نے خدا کے حکم سے لکھ لیے۔ خدا کے حکم سے لکھ لینا خدا ہی کا لکھا ہوا سمجھا جاتا ہے کما فی قولہ تعالیٰ: ید اللہ فوق ایدیکم۔ یعنی لکھنے وقت موسیٰؑ کا ہاتھ خدا ہی کا ہاتھ اور موسیٰؑ کے ہاتھ کو خدا ہی کا ہاتھ چلا رہا تھا۔ اور وہ دس احکام کتاب اللہ ہے اور متن ہے اور پانچ صحیفے موسیٰؑ کے ان دس احکام کی شرح ہے۔ اور موسیٰؑ کے بعد جو اور پیغمبر آئے، انھوں نے بھی اپنے اپنے زمانہ کے مطابق جو ان دس احکام کی شرح میں صحف لکھے ہیں، وہ بھی صحف موسیٰؑ کے ساتھ ملا دیے گئے ہیں: ان سب کے مجموعے کو تورات اور بائبل کہا جاتا ہے اور قرآن شریف میں بھی وہ دس احکام سورۃ بنی اسرائیل و سورۃ انعام میں موجود ہیں جو متن ہیں قرآن مجید کا اور قرآن کی تمام سورتیں ان احکام کی شرح ہیں، لہذا یہ سب سورتیں صحف ہیں، لیکن چوں کہ حضور ﷺ اور آپ کی جماعت اسی تھے، اس وجہ سے وہ دس احکام، جو اصل کتاب اللہ ہے اور عبور قرآن جو اس کی شرح اور صحف ہیں دونوں مکتوب کی شکل میں آپ کو دیے گئے اور صحف

۱۔ قائدہ: جب تک مسلمانوں کا اقوام عالم پر اقتدار و غلبہ قائم رہا، اس وقت تک تو کسی نے قرآن کے حقائق لب کشائی نہیں کی، لیکن مسلمانوں کے غلبہ جانے کا قلب جانے کے بعد یورپین کا جذبہ انتقام بھڑک اٹھا اور قرآن پر تنقید کرنی شروع کی اور تنقید کا حاصل یہ ہے کہ قرآن بین الاقوامی کتاب نہیں ہے۔ اتفاقی طور پر حضور ﷺ کے قبضہ میں چند ناخواندہ لوگ آئے، انھوں نے انقلاب کر دیا۔ قرآن میں بین الاقوامی کی صلاحیت نہیں ہے، یہ ایک وقتی چیز تھی، اب یہ کام نہیں دے سکتا، اب یہ بے کار ہے۔ اس وقت جو مسلمان یورپ میں جاتے تھے، ان کی تنقیدیں سن کر اس کا یہ حال ہو جاتا ہے کہ وہ انکر بالکل ظاہری طور پر مرتد نہ ہو جائے، تو دل میں ضرور قرآن کے قانون کو بے کار سمجھتا ہے، گو ظاہر میں اپنے آپ کو مسلمان کہے۔ یورپین یہ کہتے ہیں کہ اس وقت جو کچھ ہم کر رہے ہیں ذریعہ ترقی ہے اور بین الاقوامی قرآن بالکل بے کار ہے۔ ان کی تنقید کے دو طریقے ہیں: ۱۔ جو علامہ مشرقی، مرزا یوں اور سرسید نے اختیار کیا ہے۔ علامہ مشرقی ذرا سچے اور مرزائی اور سرسید ذرا نرم ہیں۔ اور حاصل یہ ہے کہ تسلیم کر لیا جائے کہ جو طریقہ و طریقہ عمل یورپین کا ہے، صحیح نہیں ہے، مگر قرآن بھی تو جتنا ہے، جیسا کہ علامہ مشرقی نے کہا ہے کہ صحیح معنیٰ کر کے قرآن پر عامل انگریز ہیں۔ اس جواب کا حاصل یہ ہے، جیسا کہ کہا کرتے ہیں، ہاں صاحب پیسے ہمارے چچا جان بھی فرمایا کرتے تھے، تو اس پر انگریز نہیں گئے اور کہیں گے کہ صاحب آگے آپ لوگ کہاں تھے؟ جب ہم نے سب کچھ کر کے دکھایا ہے تو اب کہتے ہیں کہ ہاں صاحب قرآن بھی یہی بتاتا ہے۔ ۲۔ دوسرا جواب یہ ہے کہ قرآن اپنا ایک مستقل پرہ گرام بین الاقوامی دیکھتا ہے سیاسی

موسىٰ وغیرہ سب کا خلاصہ قرآن مجید میں لے لیا گیا ہے۔ تمام صحف میں جو ضروری اور کام کی چیزیں تھیں، وہ سب قرآن مجید میں موجود ہیں اور جو غیر ضروری چیزیں تھیں، قرآن میں ان کو نظر انداز کر دیا گیا ہے۔ ایک یورپین کا قول ہے کہ قرآن مجید میں یہ کمال ہے کہ بائبل میں جتنی کارآمد چیزیں تھیں، وہ سب قرآن میں ملتی ہیں اور جو کارآمد نہیں تھیں، وہ نہیں ملتیں۔ غرض بائبل کی باتیں وہی قرآن نے چھوڑی ہیں، جو غیر ضروری تھیں۔

حدیث رسول اللہ، قرآن کی شرح ہے جو قرآن کے لیے بمنزلہ صحف کے ہے۔

للمتقين أي لأنه غفر لهم بعبادته المتقون يعني الذين يقيمون في الدنيا كلها العدل والإنصاف ومعنى التقوى قوله تعالى: "إِنَّ اللَّهَ تَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ" الخ مکہ معظمہ میں حضور ﷺ نے حیرہ سال کام کیا، گو وہاں سیاست قائم نہیں کی، مگر وہاں سیاسی جماعت کھلے طور پر تیار کر دی جو آگے چل کر گورنمنٹ بن جائے گی اور تمام دنیا کی تمام قوموں کو مغلوب کر دے گی، کیوں کہ دنیا میں دو قسم کی جماعت ہوں گی: سیاسی اور الٰہی حکمت اور آپ نے اسی جماعت کو سیاست اور حکمت دونوں کی باقاعدہ تعلیم دے دی ہے۔ "وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ" پس ان کے سامنے نہ کوئی سیاسی جماعت ٹھہرے گی، نہ کوئی حکما کی جماعت ٹھہرے گی، بلکہ سب کی سیاست و حکمت کو پاش پاش کر دیں گے اور سب پر غالب آجائیں گے، پس معلوم ہوا کہ قرآن بین الاقوامی کتاب ہے۔

مکہ معظمہ میں مہاجرین و انصار دونوں کی جماعت تیار ہو چکی تھی؛ انصار بھی مکہ میں ہی تھے اور یہ سورت ہجرت کے بعد مدینہ منورہ میں نازل ہوئی، جس وقت اس جماعت نے سیاسی کام شروع کر دیا تھا جو قرآن کے بین الاقوامی ہونے کا ثبوت تھی۔

الفصل

اعلم أن متن القرآن هي الأحكام العشرية التي هي متن التوراة وهي المسمى بالكتاب وسور القرآن شرح لها فالسور بمنزلة المصحف، ثم اعلم أن السور شرح لها حسب ذهنية الأقسام المختلفة؛ فالبقرة لإفهام اليهود تلك الأحكام فهي شرح لها لليهود وسورة آل عمران للنصارى وسورة النساء والمائدة للعرب وسورة الأنعام للمجوس۔

فائدہ

ہندوستان میں دو مذہب پیدا ہوئے: برہمن ازم اور بدھ ازم: یہ ایسے ہی ہیں جیسے یہود و نصاریٰ اور بدھ ایک جیسے ہیں جیسے یہود و نصاریٰ سے مسلم ترقی یافتہ فرقہ ہے، اسی طرح برہمنوں اور بدھ سے مجوس ترقی یافتہ جماعت ہے۔ ایران سب اسی مذہب کا تھا اور ان کا مرکز عراقی عجم تھا۔ اسلام سے پہلے یا عیسائیت حاکم تھی دنیا میں یا مجوسیت؛ اعلیٰ حکومت ان دو مذہبوں کے ہاتھ میں تھی۔ سورۃ اعراف ان تمام باقی ماندہ لوگوں کے لیے ہے جن کو ان مذہب کی تبلیغ نہیں ہوئی۔

وسورة الأنفال والقوة فيهما قانون الجهاد (یعنی جنگ کا قانون) یعنی ان لم یسلم الناس هذه الأحكام یسلم منهم بالجبر.

فائدة

اعلم أن في هذه السور الثمانية أبواباً مختلفة وفصولاً شتى، یعنی في كل سورة من هذه السور أبواب وفصول، فالسور الكثيرة بعد هذه الثمانية شرح لأبواب هذه الثمانية ثم بعدها السور الكثيرة شرح لفصول هذه الثمانية، فبعض السور أبواب وبعضها فصول وبعد هذه الفصول عدة جملة بمنزلة العلوم المتعارفة أو الأصول للموضوعات، فهي تذكر في آخر القرآن على حدة.

علوم متعارفہ: وہ ہیں جن کو عام انسان اپنی فطری عقل سے سمجھ سکتے ہیں۔

اصول موضوعہ: وہ قاعدے ہیں جو عقل و فکر سے حقی کرنے والی جماعتوں نے تسلیم کر لیے۔

فائدہ: سورۃ نساء میں عربوں کو گھربنانا، یعنی نکاح وغیرہ کا طریقہ بتایا جائے گا: کیوں کہ گھربنا سے یعنی بیوی سے جنا ہے اور سورۃ فائدہ میں مادہ یعنی روٹی حاصل کرنے کا طریقہ بتایا جائے گا۔

فائدہ: مذہب میں سب سے پہلے خدا کا ماننا، اس کے بعد گھربنانا یعنی نکاح کرنا، اس کے بعد روٹی کمانا ہے، لیکن آج یورپ میں سوشلسٹ لوگوں کا غلبہ ہے جو ترتیب نہ کو رکھا بالکل عکس کرتے ہیں۔

عیسائیوں میں تین فرقے مذہبی تھے: ۱۔ رومن کیتھولک، اس کا مرکز روم (اطالیہ) میں ہے۔ ۲۔ پروٹسٹنٹ، اس کا ایک مرکز جرمن میں تھا، دوسرا مرکز انگلینڈ میں ہے۔ ۳۔ یونانی عیسائی، اس کا مرکز استنبول میں تھا، مگر فتح قسطنطنیہ کے بعد اس کا مرکز ماسکوروں میں آگیا۔ اب یہ تینوں فرقے سوشلسٹ لوگوں کے مقابلے میں کم زور ہو گئے ہیں۔

سوشلسٹ معنای اجتماعی، سوشل ازم معنای اجتماعیة۔ سب سے پہلے سوشل ازم کا مرکز انسان کو آج کے زمانہ میں روٹی پہونچانا ہے۔ حلال و حرام کا قانون ان کے نزدیک وہ ہو گا جو آج کا انسان خود قاعدہ بنائے، مثلاً یہ چیز میرے لیے جائز اور یہ چیز ناجائز، قانون سازی کا مرکز آج کی اسمبلی اور کونسل ہے۔ اس میں جو عقل مند جمع ہو کر قانون بنائیں گے، وہی قوم کے لیے حلال و حرام کا معیار ہو گا۔ اس روٹی حاصل کرنے کے مقابلہ میں نہ تو کوئی نکاح کا قانون مانا جاسکتا ہے اور نہ کوئی مذہبی عقیدہ۔ عقیدہ وہ ہو گا جس کو انسانی عقل خود اپنی سوچ بچار کے بعد قرار دے گی۔ یہ ہے وہ نیا انقلاب جو دنیا میں آرہا ہے۔ پرانی قانون عقلی ہوں یا نقلی سب اس کے مقابلے میں منسوخ سمجھے جائیں گے۔

روٹی کمانے کا طریقہ قدیم بھی ان کے نزدیک آج قابل اعتبار نہیں۔ ان کے نزدیک آج انسان وہ ہے جو مشین کے ذریعے روٹی کھاتے اور جو خود ہاتھ سے کام کر کے کھائے اس کو انسان نہیں سمجھتے، بلکہ حیوان سمجھتے ہیں: کیوں کہ مشین سے ایک آدمی دن میں سو آدمی کا کام کر سکتا ہے۔

مذہب میں سب سے پہلے خدا کا پچھنا تھا، دوم نمبر وہ بھی مقید چند قیود و رسوم نمبر روٹی کھانا، وہ بھی بذریعہ حلال، لیکن سوشلسٹ لوگوں کے نزدیک اس کا عکس ہے۔ نمبر اول روٹی، وہ بھی بلا قید حلال و حرام، دوم نمبر نکاح، وہ بھی بلا قیود، جائز ہو یا ناجائز، سوم خدا شامی ان کے ہاں کوئی چیز نہیں۔ غرض جو چاہے وہ کھا اور جس طرح چاہے زنا وغیرہ کرے، بالکل آزاد ہے۔

شاہ ولی اللہ صاحب کا فلسفہ

اس کے اصول یہ ہیں: ۱- دنیا کی ترقی یافتہ قوموں کو وہ حصوں میں تقسیم کرتے ہیں:

۱- حصہ ابراہیم کے بعد کی جماعتیں: یہود، نصاریٰ، مسلمہ، تورات کے اساسی اصول (جو قرآن نے انہی کو دہرایا ہے) ان جماعتوں کے اساسی اصول ہیں۔ انہی کو الکتاب کہا جاتا ہے۔

۲- جو قومیں ابراہیم سے پہلے پیدا ہوئیں اور اب تک ان کا بقیہ موجود ہے۔ قرآن کی اصطلاح میں ان کو آدم و نوح کے اتباع کہنا چاہیے، وہ سب سے سب صابی ہیں، ان میں محسوس سب سے ممتاز قوم ہے۔ اس کے سوا نجومی اور طبیعت پرست: دو فرقے پہلی تمام مذہبی تحریکوں پر قابض ہو چکے ہیں۔ کہیں نجومیوں نے مذہبی حکومت اپنے ہاتھ میں لی ہے اور کہیں طبیعوں نے۔ یہ دونوں فرقے خدا کو مانتے ہیں، مگر خدا کے احکام ستاروں کے ذریعہ اخذ کرتے ہیں یا عناصر کو واسطہ بناتے ہیں۔ طیب عناصر کے ذریعے سے لیتے ہیں۔ ان لوگوں کی عقلی افتاد ایک ہی طریقہ پر واقع ہوئی ہے۔ اس کو ہم فلسفہ یا حکمت کہتے ہیں۔ شاہ ولی اللہ صاحب اس پرانے فلسفے اور الکتاب کو منطقی کر سکتے ہیں۔ اس میں وہ متفرد ہیں۔ اگر اس حکمت کے مطابق قرآن شریف سمجھ لیا جائے تو اسے سوشلسٹ بھی قبول کرے گا اور تمام مذاہب بھی اس کی اطاعت کر سکتے ہیں۔ اگر یہ اس درجہ کی حکمت سے حل نہ کیا گیا، بلکہ مسلمانوں کی رسوم، عقیدوں، قانون اور عبادتوں کو قرآن کا مصداق قرار دیا گیا تو سوشلسٹ اس کو باقی مذاہب قدیمہ کی طرح منسوخ کر دے گا۔ اس لڑائی میں اگر مذہبی جماعتیں مشین سے معمری ہو کر سوشلسٹ فوج کا مقابلہ کریں جو مشین سے ترقی کرتا ہے تو بظاہر اسی کی کامیابی کی توقع ہو سکتی ہے، البتہ اسی دنیا کے نظام میں اللہ تعالیٰ کی بعض مخفی حکمتیں کام کرتی ہیں، جسے انسان معین نہیں کر سکتا۔ اس کے غیبی فیصلے سے جو کچھ ظہور میں آگے گا، اس پر کوئی حکم نہیں کیا جاسکتا۔ اسے خدا ہی اچھی طرح جانتا ہے۔

مشقل مضمون

قرآن کریم نے اہل کتاب، یعنی یہود و نصاریٰ، اور قیصر کی شاہنشاہی سے مقابلہ کرنے کے لیے جس قوم کو تیار کیا، وہ اسماعیلی اور ابراہیم کی اولاد ہے۔ تورات کے بنیادی احکام جیسے موتی سے پہلے اولاد ابراہیم میں زبانی یاد کیے جاتے تھے، اسی طرح ان لوگوں کو وہ اصول تورات کے ذریعہ سے اندر یاد تھے۔ اس میں ایک جماعت فاسقین کی موجود تھی، جو اصول ماننے میں مگر عمل کے دشمن تھے، ان کو سمجھایا جاسکتا ہے۔ ان کی ایک مثال نمونہ کے طور پر ان امیروں کی ہے جو لوگوں کی ماں بہن کے ساتھ زنا کرتے ہیں اور اس میں کوئی طبیعت میں کوئی رکاوٹ نہیں پاتے جیسے کہ ان کا فطری حق ہو؛ باوجود اس طرح زنا پر عمل کرنے کے وہ اس کے قبح کے قائل ہوتے ہیں۔ اس کو معلوم کرنے کی صورت یہ ہے کہ ان کی ماں بہن سے اگر کوئی زنا کرے تو وہ غصہ سے پھٹ پڑتے ہیں اور اس کو انتہائی سزا دیتے ہیں، اس کے باوجود وہ زبان سے زنا کے قبح کا اقرار نہیں کرتے۔ اس مثال سے سمجھا چاہیے کہ اسماعیلی قوم میں ابراہیمی اصول مسلم تھے، اگرچہ فاسقوں کا غلبہ تھا۔ اس قوم میں ایک طبقہ ایسا بھی ہے جو ان اصولوں کو سمجھ ہی نہیں سکتا، وہ ایسا ہے جیسا اندھا نور کو نہیں دیکھ سکتا اور بہر اسٹا نہیں، یہ ناقص الخلقہ ہیں، ان کو اصول کا حامل نہیں ماننا۔

فصل

اسی اسماعیلی قوم میں مجوسیوں کی حکمت اور کانوں کا مذہب بھی رواج پانچا تھا، اس لیے یہ صابی حکمت سے بعید الذہن نہیں تھے۔ ان کا مکہ میں مرکز تھا اور اہل کتاب کی ایک قوم یہودی حجاز کے دوسرے شہر یثرب میں مرکز رکھتی تھی۔ ان کی صحبت سے قحطانی عرب بھی ابراہیمی عرب یا مدنی عرب کی ذہنیت سے واقف ہو چکا تھا۔ یہ قحطانی عرب انصار کی شکل میں مدینہ کے مرکز کا باعث بنا۔ اس میں اسماعیلی عرب مکہ سے ہجرت کر کے آ گئے۔ یہ مجموعہ قرآن کی تعلیم کا پہلا قابل تقلید نمونہ ہے۔ اس میں تورات کے احکام بھی واجب القبول تھے اور صابی حکمت اور فلسفہ بھی اس کے تابع بن کر قیج رہے گا۔ یہ جیسا کہ قیصر کی حکمت میں انقلاب پیدا کر کے تورات کی حکومت پیدا کر سکتا ہے، اسی طرح کسریٰ کی حکومت میں انقلاب پیدا کر کے مجوسیت سے بہتر حکمت ابراہیمی اصول کے اندر رکھ کر اس ملک پر حاکم بنا سکتا ہے اور اس کا حاصل یہ رہے گا کہ قرآن کریم کی مرکزی جماعت جو مہاجرین اور انصار سے پیدا ہوئی، وہ تورات پر بھی عمل کرے گی اور حکمت پر بھی، وہ کسریٰ کی حکومت کو بھی اچھا نظام دے گی اور قیصر کی حکومت کو بھی اچھا نظام دے گی اور قیصر کی حکومت کو بھی۔ مسلمانوں کا یہ دور حضرت عثمان رضی اللہ عنہ کی شہادت پر ختم ہو جاتا ہے۔ شاہ ولی اللہ صاحب اسی دور کی تاریخ طبعی لکھتے ہیں۔ اس علمی تاریخ سے قطع نظر کر کے آج انسان قرآن کو سمجھ ہی نہیں سکتا۔ آج کا عرب ہمیں سمجھاتا چلتا ہے کہ جب تک عرب میں سے ایک بادشاہ مہدی پیدا نہیں ہو گا، اسلام دنیا میں نہیں چل سکتا اور ہمیں یہ بھی سمجھایا جاتا ہے کہ تورات اور قرآن کے اصلی احکام پر اس زمانہ میں عمل نہیں ہو

سکتا جب تک ایک نجات دلانے والا یعنی مسیح (مسیح کا ترجمہ منجی) جس کا اہل کتاب انتظار کرتے کرتے آئے، پیدا نہیں ہو گا۔ ہم ان دونوں ہستیوں پر قرآن کا عمل موقوف نہیں ملتے۔ اگر قرآن کو شاہ صاحب کے طریقے پر حل کر لیا جائے اور اگر اس پر حل نہ ہو سکے تو پھر انتظار کرو۔

ہماری سمجھ میں اہل کتاب جس منجی کا انتظار کرتے تھے، وہ رسول اللہ ﷺ ہیں۔ انھوں نے جو نمونہ قرآن اور تورات پر عمل کرنے کا پیش کیا اور جس طرح انھوں نے اسے دنیا میں غالب کر دکھایا، اس کی حقیقی تفسیر شاہ ولی اللہ صاحب کی کتابوں میں مفصل ملتی ہے۔ اگر وہ چیز سمجھ میں آجائے تو خدا کی کتاب کسی انسان کی آمد کا انتظار نہیں کرے گی۔

بسم اللہ الرحمن الرحیم

اعلم أن أعلى طبقات الناس لفهمون وهم على أصناف كثيرة واستعدادات مختلفة، وإذا اقتضت الحكمة الإلهية إلى قوله فهو النبي. منهم الكامل ومنهم الحكيم ومنهم الخليفة ومن ومنهم المولود بروح القدس ومنهم الهادي المزي ومنهم الإمام ومنهم المنقر، وأعظم الأنبياء شأنًا إلى قوله كبعث سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من حجة الله البالغة من باب حقيقة النبوة وخواصها.

لما انفرد كل قوم بملة إلى قوله ووقع منهم الجور فأهلوا كثيرا مما ينبغي، ولعن كل ملة أختها وأنكر عليها وفاتها واخفى الحق مست الحاجة إلا قوله مع الملوك الجاهرة.

وهذا الإمام الذي إلى قوله ودمغ سائر الأديان بملتهما والله الحجة البالغة. الجاهل به دولوں باب مطالعہ کے قائل ہیں۔

الأولون من المهاجرين والأنصار إلى قوله والعرك والسودان حجة الله باب الجهاد.

القرآن الكريم عمل عملا كبيرا وحصلت له النتيجة، فالنتيجة التي حصلت هو المراد من تفصيل القرآن.

الفوائد المخترقة من بيان الأستاذ

۱- كانت دعوى النبي عليه السلام إحياء ملة إبراهيم على طريقة إسماعيل عليه السلام، وكان سبب

له قيل ذلك نظير في إحياء ملة إبراهيم على طريقة إسرائيل بواسطة موسى عليه السلام، فالنبي

عليه السلام يتبع في خصوص شريعة موسى، وجاء ذلك في أوائل السور القرآنية.

۲- تحدى النبي عليه السلام العالم بأن يأتوا بتعليم مثل تعليم التوراة والقرآن، فإن كان شيء أهدى

منهما فالنبي يتبعه قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منها أتبعه. سورة القصص هذا كان

تحدي للعالم، أما تحدي العرب خاصة فكان بالقرآن وحده.

٣- رأينا الأمم الموجودة على وجه الأرض اليهود والنصارى من الحلفاء يتبعون التوراة وعند الصابئة (مجنوس إيران طائفة منهم) كتاب زردشت وعند الهنود وهم طائفتان مثل اليهود والنصارى البراهمة منهم كاليهود يتبعون. السمنية بودوا كالنصارى. عندهم كلمات بودوا وأتباعه فليس عند هؤلاء كتاب مثل التوراة هم يعترفون بذلك. من الصابئة جماعة يعتمدون على النظريات العقلية. كان مركزهم اليونان والروم. هؤلاء إذا جمعوا قوما واحتاجوا إلى قانون فوق قانون البلدان، يأخذون عن أهل الكتاب ويختارون منها ما يناسب آراءهم ثم إذا كانت أمة عامة فيستعينون إما بقوة ملك جابر (ديكتاتور) وإما يرجعون إلى دينه من الأديان، فليس في الدين كتاب يضبط الشرائع المأخوذة عن الأنبياء مثل التوراة.

٤- ما كان دين إبراهيم مختصاً بقطعة أو بقوم، بل كان عاقلاً لجميع الإنسانية على وجه الأرض، وما نشأ بعد ذلك رجل يلقي بنظرية عمومية لجميع الناس مثل إبراهيم، وهذا معنى قوله تعالى: إني جاعلك للناس إماماً.

٥- روح ملة إبراهيم إبطال ملوكية الناس في الاجتماعيات وإبطال ألوهية مخلوق من المخلوقات. هذا يسمى بالتوحيد، هو فكر يرجعه كل رجل سليم الإنسانية. الإنسان لا يقدر أن يتخضع الإنسان بمثله، ويجب كل رجل مرجعه إلى القشائر ويكون له دخل في التشاور وهذا كان فطرة الإنسان. الطائفة العالية عالية الدماغ من الإنسانية أثبت أن ما وراء الجسمانية إله يستظم هذه الكائنات بواسطة صفاته اللازمة، فالإنسان إذا تفكر في ألوهيته لازم أن يعتقد بمثل هذه العقيدة ويذكر ألوهية كل شيء محسوس يدرکه بحواسه، وبذلك يكون الإنسان حراً عن عبادة الدجاجة وهذا عين الفطرة الإنسانية.

٦- لكن هذه دعوة إبراهيم ما وصلت إلى جميع أصناف الإنسانية في زمانه، فهو أراد أن ينشئ قوة إدارية لتعميم هذه الفكرة في الإنسانية عمومًا من ذريته فطلب من الله ولدا فأعطاه الله إسماعيل وإسحاق، وجعل لهما مسجدين في مسجد القدس لإسحاق ومسجد مكة لإسماعيل، فكل رجل نشأ من ذرية إبراهيم أولى العزم يجب أن يكون إمامًا في نشر هذا الدين إلى جميع الإنسانية، كان موسى عليه السلام أيضًا منهم، لكنه ما قدر على ذلك لأن قومه الذي يجعلهم كالجوارح لبث فكره في الدنيا ما طواعته حتى المطاوعة بعد الإطاعة. كان يريد أن يخرجهم من مصر ويرجعهم إلى القدس، ويؤسس هناك في وطنه الأصلي إدارة تكميل مطلوبه لكنه وصل إلى

القدس وتم أمره في الطريق، ثم ما جاء بعد موسى في بني إسرائيل رجل يكون له همه مثل همه موسى.

٧- ثم جاء عيسى وأراد أن يقوم مقام موسى في تعميم هذه الدعوة لكن اليهود ما قبلوه، هو أسس بعد ذلك جمعية تبليغية فقط يغتنم هذه الفكرة في جميع الأقطار، وحصل لهم بعد ذلك أن السلطة الرومية الشرقية تنصرت ففقدوا على أشياء لم تكن اليهود قادرين عليها. وبخاصة اليهودية والنصرانية أن اليهودية أسست حركة قومية يهودية في بني إسرائيل لا يتجاوزون عن دين إبراهيم، وعصت وبغت على كل رجل قام لتبشير هذه الملة في غير بني إسرائيل. لما يس عيسى منهم انفرد بمصاحبة التبشير فكر الجينية في العالم وأخذ الحوارين عهدًا على ذلك فانتظمت ملتان: ملة مختصة ببني إسرائيل وملة مقصده في غير بني إسرائيل.

٨- إبراهيم كان جازما بوفاء الله وعده أن يخرج من أولاده رجلا يقيم هذا الدين في جميع أنحاء الأرض، وكان يتيقن أن يكون في أولاد بني إسرائيل ولذلك أسكنه في بر ليس فيه زراعة، لأن كل قوم يشتغلون بالزراعة ينضم إلى الوطنية، وإذا انضمت إلى العقيدة الوطنية تنجمد، فإن الوطنية تجعل الناس متفردة وتطلب على النسبية، فإن كان من أولاد آباءهم طائفة أخرى تسكن في وطن غير وطنهم، وهكذا إذا كانت ملة مؤسسة على اعتقادات حقة، فإذا حازت حصة منها بوطن ذي ثروة عالية لا يلتفتون إلى مصلحة أهل ملتهم الذين سكنوا في وطن غير وطنهم إذا كانت مصلحة الملة تنافي مصلحة وطنهم، فلما أسكن إبراهيم إسماعيل في البادية كأنه أراد أن ينشأ فيهم حب الوطنية ويكون الغالب عليهم مصلحة ملتهم، فكان يفرس أن هذا الرجل لا يخرج إلا من أولاد إبراهيم في مكة ويكون هو الفائز، وإن كان كثير منهم يسعون إلى هذا الفرض لكنهم لا يفوزون لأنهم انغمسوا في نوع من التمدن لا يقبل الناس الذين تمدنوا مثلهم فوقيهم عليهم، وهذا كان هو السبب أن موسى لم يصل إلى مقصده، وإلا فإن موسى كان كامل المهمة.

٩- يس عيسى عليه السلام من اليهود أن يكون لهم التفات إلى تعميم الدعوة، فنتبه أن إبراهيم كان يفرس في أولاد إسماعيل وتكون فراسته صادقة، فبشر برجل يأتي بعده، ينعم ما أراد هو إكماله وأوصى بذلك الحوارين، لكن الحوارين أيضًا خافوا من اليهود فما قدر على تصريح كان يتبغى له، بل أهم الأمر يقول آتي إليكم ثم يفسره إني أرسل إليكم الفارقليط، وهو مني، لأنه لا يقول إلا عن الله وكل من قال عن الله فهو مني، هو يأتي يعلمكم أشياء، أنا الآن لا أقدر

على ذلك يقيم ملكوت الله على الأرض، لاشك في ذلك أن كل هذا كان يشارة نبينا صلى الله عليه وسلم، لكن اليهود لا يقدرّون أن يتحمّلوا ذلك فمسخوها بالتأويلات الفاسدة، لكنهم لا يقدرّون أن يغيروا كلمات الله. كل رجل أكثر مطالعة التوراة والإنجيل يدرك الحق ويترك ما كتب هؤلاء الطغاة.

١٠- النبي عليه السلام هو الذي كان يرجوه إبراهيم وإسماعيل وكان بشر به عيسى، فيكون مقصد نبينا صلى الله عليه وسلم متعينا، إقامة حكومة قوية يتحد الأقوام منها على الخيفية، ولا يكون في الدنيا حكومة أخرى تقدر على معارضتهم، وهو فاز في مقصده إذا جمع معه مساعي الخلفاء الثلاثة: أبي بكر وعمر وعثمان، فهؤلاء الأربعة أكملوا ما كان المراد.

١١- القرآن العظيم بشر بفوزه بمثال محمد رسول الله ولايته نرى فيه روح ملة إبراهيم وهو عمل عملا لم يعمل في البشر أحد مثلاً. والقرآن لا ينسب ذلك إلى محمد وحده بل إليه وإلى أصحابه معه فلا يمكن لأحد أن يتخلّله إما أو ملكا، فإذا تلونا القرآن على هذه الطريقة يكون مرمى أفكارنا تثبيت هذه الواقعة، ولكون أقرب إلى مقاصد القرآن، سبقنا إلى ذلك إمام من أئمة الدين أعني الإمام ولي الله، فلذلك اقتبست من كتابه في الابتداء عبارات تشير إلى ذلك، والآن ليست تلك النظرية نظريتنا بل نظرية الإمام ولي الله الدهلوي ونحن بمحمد الله قادرون على أن تطبق التوراة والإنجيل ثم القرآن العظيم هذه الكتب كلها على ذلك.

١٢- ونضيف إلى ذلك أن الحكماء الذين اعتمدوا على نظريتهم العقلية ما جاءوا البرنامج الاجتماعي الإنساني^(١) مثل ذلك وهذا معنى تحدي القرآن فاتوا بمثله قل لئن ائتممت الإنسان والحيت على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا.

٢ ونضيف إلى ذلك إضافة أخرى أن الأديان الصائبة عند القرس والهند والصين كلها بمحومون^(٢) حول هذا المقصد وأوجدوا فيهم رجالا منفردين بالغين إلى أقصى مدارج الكمال ولكن ما قدروا على إنشاء دعوة اجتماعية تجمع عامة الناس كمثال دين إبراهيم، ولنا بمحمد الله معرفة بكتب الهند والإيران واليونان والصين لا يتقدمون عليهم كثير تقدم أفكار ذوي الأفكار تؤيد البعض البعض، والفكر الحق قد يكون لفردي، أما الاجتماعيات فلا تكون من فرد أصلا لا يكون إلا إذا تضام البعض وأجمعوا.

١- هكذا في المخطوط، ولعل الصواب: ما جاءوا بالبرامج الاجتماعية الإنسانية.

٢- اللفظ غير واضح في المخطوط ولعل المقصود: محومون حول الحق، والمراد أن هذه الأديان تشترك فيه.

وغير محمد الله عارفون بتاريخ الهند في القرنين السابقين فليس في المسلمين حركة اجتماعية تريد التقدم إلا من الإمام ولي الله الدهلوي وأتباعه، والطبقة العالية من المتدينين للمسلمين ثم على حنفية كالديوبنديين وعلى الأحرار كأهل الحديث وتلك الطائفة معترفة اليوم بإمامة ولي الله الدهلوي، خرجت مقالاته من في مجلة الجامعة من الدهلي بتفصيل تلك المسئلة من الشيخ أسلم معلم الجامعة^(١). فتتمكن من تصنيف إمامة الإمام ولي الله فإن ذلك كما يؤثر في المسلمين يؤثر في الهنود لأن أساس فلسفة الشيخ يوافق فلسفة الهنود.

النبي ﷺ كان هاديا ومزكيا لقومه قريش فأول توجهه لم يكن إلا إلى تكميل قريش لأنهم كانت حصلت لهم في الجاهلية رئاسة دينية على جميع قبائل العرب بقدر تعظيمهم هذا البيت. العرب عامة كانوا يعظمون إبراهيم وأولاده ويعرفون بمزاليا بني إسرائيل في علمهم وحكمهم لكنهم ما كانوا هم داخلين في قومهم والطائفة من أولاد إسماعيل سكنوا العرب وصاروا من العرب فكانت القبائل العربية إذا كانوا يعظمون إبراهيم ويعظمون مسجده فيحولون إلى أولاد إسماعيل أعني قريش مثل ميلهم إلى أقوامهم ويعترفون بأن الله اختارهم للدين ولمثل ذلك. وقريش كانوا أهل التجارة. الطبقة الوسطى من الإنسانية يفهمون الملوك وحالاتهم ويعاملون معهم معاملة ترتضون عنهم، وكان لهم يد طولى في تأليف عامة الناس لتنفق بضاعتهم وكانوا مجتمعين حول هذا البيت الحرام قبل مبعث النبي عليه السلام بنحو مائة سنة وأما أولا فكانوا منتشرين في قبائل العرب وكانوا مكرمين عندهم مثل ما تكريم أولاد المشايخ الكبار. إذا كان فيهم شيء من الصلاحية فإن قام هؤلاء أولاد المشايخ بأمر يحتاج الناس إليه عامة يكون مطاوعة الناس لهم السهل بالنسبة مثل تلك المنزلة حصلت لقبائل قريش لما تفرقت في قبائل العرب لبيوت فحصلت لبيوت قريش زعامة قبائل العرب بوجه من الوجوه ليست زعامة ثم جمعهم قصي حول بيت الله فحصلت لقبيلة قريش زعامة قبائل العرب عامة، وكان يحببهم في شمال العرب طوائف من اليهود سكنوا الحجاز، وكانت لهم في اقتصاديات الحجاز سطوة ظاهرة فكانوا بالطبع يميلون إلى قريش لأنهم تجار وهم كلهم ينسبون إلى إبراهيم فيجد اليهود في ولائهم الاقتراب للنبي أيضا.

هذه نبذة من حالات قريش قبل بعثة النبي ﷺ، ولما تعين النبي ﷺ لإقامة ملة حنيفة حسب الوعد فكان له على هذا الأمر شهادة من قبله ومن قومه هذا قبل أن يبعث ثم نزل إليه الوحي ما كان (٥٢ / ٣٥) من ابتداء عمره فهو ما كان يعرف النبوة وما كان يرجوها، ولكنه يهد إعلاء كلمة قريش على جميع الأرض بإحياء ملة جده إبراهيم قبله لجميع اللذين هذا كله كان مقتضى فطرته وطبعته قبل الوحي. ولما تفضل الله عليه بالوحي سهل له تكميل ما أراد. وكان برنامج النبي ﷺ لو سلم إليه أن يقدم إصلاح قومه قريش ومن والاه من القبائل في الحجاز أول شيء والله فإذا فرغ منه وحصل له قوة

في قومه يرجع إلى تكميل برنامجه في من يتصله من الأقوام الأدنى فالأدنى حتى ينتهي إلى آخر أقطار الأرض.

فصل

الإمام ولي الله يجعل لطريقة هداية النبي ﷺ وتركيبه أصولاً وردّها أن تحصيل خصائل أربع:
الأولى الطهارة الإنسان بفطرته يجعل بعض الأشياء نجساً، ويحسب عنها مثل البول والغائط، فإذا كان هذا الأمر أمراً مستقراً في قلب الرجل لا يقدر على مخالفته وإن كانت لحظة دقيقة، قلنا حصلت له هذه الخصلة، وتكمل هذه الخصلة بعده سهل كل كلام، كل فكر، كل عادة يكون لها تأثير صحيح مثل ما كان يتأثر بالبول والغائط يجعلها نجساً، يجعل قلبه مستمراً عازماً على إزالته على استمرار إزالته، وتلك الخصلة تكون ربيع الدين.

الخالصة الثانية الإخبات، وحقيقته أن الإنسان كلما عظم رجلاً من آباءه وغيرهم من الملوك والمرشدين وغيرهم فيجد في قلبه عند حضورهم خضوعاً لهم يريد أن كل شيء يأمر به هذا الرجل أطيعه في ذلك ويجب من قلبه أن يأمره بشيء ليقرب إليه بالطاعة، ويجد في تصور قلبه لذة في قلبه، وهذه فطرة إنسانية، يحده^(١) الرجل في نفسه بدون تعلم، فإذا كان الرجل مؤمناً بالله بهدايته من قلبه أو بإرشاد أحد من الصالحين وحدث في قلبه مثل ذلك الخضوع وحب التقرب لله إلى درجة لا يشترك معه فيها غيره، ويجعل إطاعة الآباء والمرشدين والملوك كلهم متفرعة على ذلك الخضوع، فإذا كان أبوه يأمر بأمر يعرف أنه يحبه الله، يتعجل في إطاعة أبيه لأنه وسيلة في تقربه إلى ربه، فإذا استقرت تلك الخصلة وصارت له ملكته، قلنا حصل له الإخبات لله، وحصل له الربيع الثاني من الدين.

الثالثة السباحة في قلب الإنسان حب أشياء كثيرة، مثلاً يجب أن يأكل طيباً ويلبس طيباً ويكون مسكنه طيباً، ويكون في اجتماع الناس عز، ويكون له عند الله تقرب، هذا كله تصوير لتكثير حاجات الإنسان. فإن كانت طبيعة الرجل أنه إذا أكل طعاماً طيباً مستليلاً غايته اللذة، وبعد فراغه من الأكل يذكر تلك اللذة ولا ينساها فيكون مانعاً له عند اشتغاله بتكميل حاجات أخرى، فإذا كان رجل على خلاف ذلك، إذا أكل طعاماً لذيذاً، يجد لذته في وقت أكله تاماً ويستوفيها، ويكون في ذلك لنفسه راحة. أما إذا فرغ من الأكل فكان نسيها، لا يلتفت إليها هذا الرجل يكون مستحقاً لتكميل أخلاقه. والمثال الآخر: الرجل القوي ينكح امرأة جميلة يحبها فيجد وقت المباشرة معها مثل ما يجدها الرجال، ليس في ذلك مقصراً عن أحد. لكنه إذا رجع مكتبة بعد الفراغ منها، وأخذ في مطالعة فكر علمي، لا يتذكر من مباشرة نساءه شيئاً، وإذا جلس في مسجده وذكر ربه لا يأتيه فكر من تلك الحاجات. هذا الخلق يعني وقت تلبسه باقتضاء الحاجات النفسانية يقتضيها تاماً والفراغ وينساها بعد

(١) - الأبيسي: ويجدها، ليكون لفظه الفطرة مرجعاً للضمير.

فراغه منها بالكلية، ويكون طبيعته مثل الماء ، إذا أدخلنا فيه إضبعا نجد فيه مساعا وإذا رفعناه عن الماء يسوي سطحه على الفور، كأنه لم يكن شيئا، فهذا الخلق نسميه بالسماحة، هذا هو الربع الثالث من الدين على طريقة الإمام ولي الله.

الرابعة العدالة هذا أمر بين في اجتماع الناس لا يجهلها أحد ممن له اعتناء بالاجتماعيات، فإذا كان الإنسان اجتماعيا بالطبع والاجتماع لا يستقر إلا بالعدل، فالعدالة تساوي الإنسانية وتلازمها. كل رجل أو كل بيت أو كل قبيلة أو كل قوم لا يكون له حظ بالقدر الصالح من العدالة ليسوا من الإنسانية في شيء، والإمام ولي الله يجعل هذه الخصلة مرجع خصائل الثلاثة الأولى. فإذا كان عند رجل طهارة أو إخبات أو سماحة ولمس له من العدالة نصيب فلا يعتبر شيء منها، وليس له من الدين ذرة وإن كان هذا الفرض كالحال. إذا كان الرجل صاحب الخصائل الثلاثة يكون كاملا في العدالة بالطبع، هذه الخصائل الأربعة يجعلها الشيخ مرجع مأمورات الشرع كلها، ويجعل أضدادها مرجع المنهيات ، وكتابه حجة الله البالغة شرح واف لهذا المقصد.

وما بقي إلا شيء واحد يسميه الشيخ تعظيم شعائر الله، وتحصيل هذه الأخلاق وترك أضدادها وتعظيم شعائر الله خلاصة الدين الإلهي الذي أتى به النبي ﷺ عند الإمام ولي الله.

فصل في تعظيم شعائر الله

نشرح تعظيم شعائر الله بكلمات مختصرة. الحكماء الإلهيون أدركوا بإجماعهم أن هذا العالم مؤثره وموجبه ومبدعه وخالقه لا يصل إليه الآن أفهام الناس إلا بالطرق الخصوصية، ولم في ذلك اصطلاحات وطرائق اتفقت جماعة من الاجتماعيين منهم على إثبات تجليات الله سبحانه، فالإنسان كما ينظر بمنظرته شيئا بعيدا عن بصره ولا يلتفت في تلك الحالة للمنظرة أصلا يجد في نفسه كأنه يرى هذا الشيء بعينه. إذا صار مخلوق من مخلوقات الله كالمنظرة لرؤية شأن من الشؤون الإلهية نسميه بالتجلي، وهذا البحث مستوفى في كتب الشيخ ولي الله، وكتاب العقبات^(١) لحفيده أقرب مقدمة لفهم كلام الشيخ.

الأنبياء عليهم السلام كافة اعتمدوا في معرفة الحق على إثبات التجليات، والتجلي الإلهي الذي يكون مستويا على العرش العظيم يسمونه بالرحمن، وهو آخر شيء يصل إليه الإنسان في ارتقائه واعتلائه في معرفة الرب، ثم لهذا التجلي الأعظم المستوي على العرش تجليات متنازلة في السموات والأرضين، فإذا تحقق عند الإنسان أن هذا الأمر تجلي إلهي، لزم عليه أن يعظمه بأقصى ما يكون عنده من التعظيم، وكل هذا التعظيم إنما يرجع إلى الله رأسا لأن الواسطة مثل المنظرة لا تنفك إليها فإذا كان

١- هذا كتاب نفيس للشاه إسماعيل الدهلوي، والذي يجمع بين مباحث التصوف والفلسفة والإلهيات. من الجدير بالذكر أن الكتاب يتطرق إلى مباحث تشبهت فيها أذهان المثقفين الجدد، وهي المباحث التي قد صاغه باللغة الأردية الشيخ مولانا مياظر آحسين الجيلاني.

عندنا التفات إلى هذه المنزلة التي نسميها تجلياً في وقت عدم التفاتنا إليها وتسميها شعيرة من شعائر الله في وقت التفاتنا إليه، فتعظيم شعائر الله الذي نحقق عنده أعظم أجزاء الإيمان بالله كأنه يقربه إلى الله بدون واسطة ولا يكون لإنسان فوق ذلك مرمى ومقصد. أما هذه الخصائص الأربعة فتجعل الإنسان كالملائكة المقربين عند الله. يختصر الإمام ولي الله تلك الحقائق بكلمتين : التطلع إلى الجبروت والتشبه بالملكوت. هذا هو غاية كمال الإنسان عند الإمام، وكل ذلك واجب على الإنسان باقتضاء اللطائف والقوى المقدسة الموجودة في جيلة الإنسان حب فطرته، فلا يكون تعليم الدين مثلاً إلا كرجل شاب حصلنا له أسباب نكاحه على وجه يحبه الاجتماع ويكرمه، فلو لم يكن في هذا الشاب قوة الرجولية في جيلته، لم يحتاج إلى شيء في أمر النكاح، فلو تركناه لتكميل شهوته على ما حصل من العلم بفطرته لربما عمل بأشياء شنيعة في اجتماع الناس، وما قدر بعد ذلك على إصلاح حاله، وإذا كان أبوه وأمه بمقتضيات الاجتماع ولهم تجارب في تحصيل طرق محسنة فأعانوا بذلك ولدهم الشاب لا يكون إلا تكميل مقتضى الفطرة، فإذا كان رجل مخلوق في فطرته قوة نصب التطلع إلى الجبروت وقوة تقتضي التشبه بالملكوت، فهل على الأنبياء والرسل تكميل مقتضى طبيعة لا يكون إلى تكميل فطرة الإنسانية. استفادة الشاب بمشورة الوالدین في أمر النكاح واستفادة هذا الرجل بنصائح الأنبياء ليس أمرها في نظر الحكيم إلا أمر واحد، وهذا البحث كافٍ تمهيداً لفهم طريقة النبي ﷺ في هداية قومه وتركيتهم ليجعلهم ذريتهم في بث الهداية إلى أقوام الأرض، ونحن بعد ذلك نجعل بعض الآيات لتكميل هداية قریش فقط، والبعض لبث الهداية إلى الأقوام.

العدالة أجملناها فيما مر وتريد إيضاحها في هذا الفصل، نقدم قبل ذلك كلمات :

١- الإنسان ما هو يعرفه طائفة من الحكماء (هو حيوان ناطق) معناه متفكر يقدر على تنظيم الأفكار وعلى تقسيمها على فنون وتعبير عنها بالكلام الفصيح بوجوده من عند نفسه، وطائفة أخرى يعرفونه بأنه حيوان يستعمل الآلات. المعنى الأول شرحنا مقتضاه في الفصول السابقة الذي يرجع إلى التطلع إلى الجبروت والتشبه بالملكوت، وفي هذا الفصل نفصل التعريف الثاني. الإنسان محتاج مثل عامة الحيوانات في تحصيل غذائه إلى أشياء أوجدتها القدرة الإلهية بدون دخل من هذا الإنسان في خلق هذه الأشياء. يشرب الماء، يأكل الفواكه، ليس في شيء دخل لقوته أو علمه. هو في ذلك مثل الحيوان، ثم يرى شيئاً يجب تحصيله، لكن لاتصل إليه يده ولافواه الطبيعية، فيتخذ بعض الأشياء المخلوقة لله ذريعة لتحصيل ذلك الأمر المطلوب. هذا هو استعمال الآلات يجد على رأس شجرة ثمرات لا يصل

إليها يده ولا يقدر على ارتفاعه على الشجرة^(١) فيأخذ حجرًا ويرميه إلى اللثم فيسقط، وهذا استعمال الآلات. ثم في بعض الأحيان يرجع إلى عمل فيه تمخلة على رأسها التمرات، لكن لا يوجد حجر فيقطع غصنًا من شجرة بقوة الطبيعية، ويأخذ هذا الخشب بيده ويضرب بالطرف الآخر لتمرّات فيسقط إليه غذائه. هذا استعمال الآلات فيكون له كل يوم حسب حاجاته نشاط في تجديد الآلات. كلما احتاج إلى شيء ولم يقدر أن يصل إليه، إذا أصّر في فكره لتحصيل آله يهندي إليها ولو بعد زمان ولو بعد مشقات طبيعية، فهذا الطريق كلما كان الرجل ذا الآلات الكثيرة كان غنيًا، ومن لم يجد آلة كان فقيرًا. الشيء يحصل بالقوة الطبيعية للحيوان مثل الفيل والأسد بصرفان قوة عظيمة، والإنسان ضعيف بالنسبة إليهما، لكن بإيجاده الآلات يستفيد بصرف أدنى قوة أكثر مما يستفده الفيل والأسد. هذا كانه تحصل للمتفعة من الأمور الطبيعية برفق بالنسبة إلى الحيوانات باستعمال الآلات وبواسطتها تحصيل الأشياء بالقوة القليلة يسميها الإمام ولي الله بالارتفاق، فالإنسان بقوته الحيوانية المتأثرة بنظرياته للملكية نسيه العقل، والحواس التي في الحيوانات هي بعينها في الإنسان. إذا جاء إلى تلك الحواس نور من الملكية وتميزت عن الحيوانات العامة نسيه بالعقل هو إمام القوى الحيوانية، وهذه القوة يشط لإيجاد الآلات المقلدة للقوة والوقت والمسافة والناس والرجل المسكين بالطبع يكون تابعًا للرجل الغني يستعمل الغني قوة المسكين لاستعمال آله ويجعله شريكًا في الانتفاع، فإن كان قويًا يصير ملكًا، وإن كان قوة طبيعية متشابهة مع المساكين يكون رجلاً علميًا (٢٨ / ٥٩) يأخذ بالمشورة ويرأس الجماعة. هذا كان تمثيلًا للارتفاقات. الارتفاق الأول لا يخلو عنه إنسان أيما كان. الباب الثاني آداب المعاش، الثالث تدبير المنزل. الرابع فن المعاملات. الخامس السياسة المدنية، السادس سياسة المدن. وهذه سياسة المدن تكون مختلفة بسميها الإمام بالخلافة، ولا يقصر الإنسان حتى ينظم خلافة كبرى لا يقدر جماعة من الناس على مخالفتهم. هذا هو تكميل استعمال الآلات.

فصل

الشيخ يجعل هذا من اقتضاء الفطرة الإنسانية. لاشيء يلزمون عن خارج. قال لو أن إنسانًا نشأ بيادية نائية عن البلدان ولم يتعلم من أحد شيئًا، كان له لاجرم حاجات من الجوع والعطش والغلة، واشتاق لاحتالة إلى امرأه، ولابد عند صحة مزاجهما أن يتولد بينهما أولاد وينظم أهل أبيات (٣٨ / ٦٠) وينشأ

^١ - لعل الصبر الإنسب: على التسلق على الشجرة.

فيهم معاملات يتعظم الارتفاق الأول عن آخره. ثم إذا كثروا لابد أن يكون فيهم أهل أخلاق فاضلة تقع فيهم وقائع توجب سائر الارتفاقات الخ. فإ إنشاء الملكية في قوم تحت نظام العدالة، وإنشاء الخلافة في أقوام بالعدل هو مقتضى النوع الإنساني، فالإنسان هو الجامع بين التطلع إلى الجبروت والتعبد للملكوت تكميل الارتفاقات. فالذي كما يعلمهم التوجه إلى الله وتعظيم شعائر الله ويعلم الأخلاق الفاضلة التي لا ترجع منافعها إلى أنفسهم خاصة بل ترجع إلى النوع الإنساني علة، وهم لا يتفهمون من تلك الفوائد إلا كمثل فرد من أفراد الجماعة، فهذه أخلاق الملائكة، كذلك يعلمهم النبي الارتفاقات كيف يتفهمون بما خلق الله في الدنيا والآخرة بقوة قليلة ويحصلون الفوائد الكثيرة بالمرّة ليجعّب الملائكة من أعمالهم، فأحد هذه الأشياء الثلاثة ليس منفصلاً عنها في شريعة من شرائع الأنبياء.

فائدة أخرى

الأشياء المرتبة إذا أثر فيها شيء واحد، يظهر آثارها في جميع الأشياء حسب استعدادها مثلاً رتبا قوارير وأقداحاً شمعاً بمقابلة قارورة واحدة، فيظهر شعلتها في جميع القوارير حسب ألوان القوارير، فالصورة وإن اختلفت لكن الحكيم يحكم أن الشعلة هي التي كانت في القارورة الأولى تنقل من هذا المثال إلى البدن الإنساني. أدنى أجزاء الإنسان هو ذلك البدن الذي يرفث في القبر بعد الموت أو يحترق. الجزء الثاني روح طبيعي كان في هذا البدن مساوياً حاملاً لجميع قواه. شكله شكل البدن لكنه هواء متجمد بقوة نورانية فكان تمثالاً لذلك البدن هو هو. في الحياة الدنيا كان مصداق الإنسان هذا البدن. أما بعد موته فلا يكون مصداق الإنسان إلا هذا الروح الطبيعي تسميه بالنسمة. وهذا الروح مشترك في جميع الحيوانات، الجزء الثالث النفس الناطقة هو شيء روحاني نوراني عكس من عكوس أمام الصورة الإنسانية الموجودة تحت العرش في الطبقة العالية من عالم المثال، فقرطاسه من عالم المثال، وصورته عكس من أمام النوع هو متحد مع النسمة، وامتياز النسمة عن الحيوانات بالصورة الإنسانية بتأييد هذه النفس الناطقة، ففي حياة الإنسان في الجنة وجههم يكون مصاحبة لهذين الجزئين لازمة، فإذا كان ارتقاء الإنسان إلى موضع لا يمكن للنسمة المرور عليها، لا يكون مصداق الإنسان في تلك الطبقة إلا النفس الناطقة. الجزء الرابع روح ملكوتي أو روح إلهي. شيء واحد قرطاسها من الملائكة ويطلع عليه صورة الحق من التحلي الأعظم. هذه النفس تكون متحدة مع النفس الناطقة مثل اتحاد النفس الناطقة مع النسمة، فإذا درجات عالية من الجنة تكون مصاحبة النفس الناطقة الروح الإلهي لازمة، لكن إذا جاء موطن لا يمكن للنفس الناطقة الوصول إليه، لا يكون مصداق الإنسان هنالك إلا الروح الإلهي والروح الملكوتي.

فصل

البدن والروح الطبيعي والنسمة والنفس الناطقة والروح الملكوتي، هذه الأجزاء الأربعة للإنسان مترتبة ترتيباً متاسقاً. كل شيء يكون في الروح الإلهي يظهر في النفس الناطقة موافقاً بمزاجه ويظهر في

النسمة موافقاً لطبيعته، ويظهر في البدن مناسباً لاستعداداته، فالصور وإن تبدلت لكن الأمر الحقيقي يكون واحداً في النظر الحكيم، فالأنوار الإلهية تشرق على الروح الملكوتي وتنزل إلى درجاتها الثلاثة، ثم بعد عملها في الجسم ترجع وتتضاعف حسب نزوله إلى الروح الإلهي. هذه فطرة إنسانية فطرها عليها فأحسن الارتفاقات ما كان بحيث يصعد روحه إلى الروح الإلهي وأفسدها ما كان لا يستفيد منها إلا بدن الإنسان لا يقبله النسمة أيضاً، وما قبله النسمة ولم يقبله النفس الناطقة يكون أحسن من الأول، وما قبله النفس الناطقة ولم يقبله النفس الملكوتي يكون أحسن منه وما قبله الروح الملكوتي هو يدوم بدامه، ويكون اللذة والسرور فيه تاماً لا يمكن فوقه، فإذا كان الإنسان في اتفاقاته الطبيعية مهذباً بالأخلاق الأربعة ويكون النفس الناطقة معظماً لشعائر الله تعالى ملكت الإنسانية، فإذا قلنا إن النبي ﷺ كان هادياً مركزياً لقومه، معناه يهديهم إلى الارتفاقات الصالحة ويجعلهم متخلقين بالأخلاق الأربعة ناظرين إلى الله بواسطة شعائر الله، فإذا تكامل (٤٠) النبي في قومه بإنشاء هدايته وتركته وبأمرهم يجمع الأقوام كلها على هذا التعليم والتهذيب وسهل لهم الطريق بالمشي في هداية كل قوم بما يتيسر عليهم، كان مقبلاً للخلافة وأتم الخلافة هو الذي أقامها نبينا ﷺ وأتمها الله على أيدي أصحابه أبي بكر وعمر وجعل الأرض المقدسة للنبي وعندها الله لإبراهيم متورة بأنوار الخيفية وجعل المساجد الثلاثة مسجدين لإبراهيم ومسجد مراكز لهذا التعليم وأخضع كسرى وقصر بالدين بهذا الدين، أما بقبول هدايته فيكون فرداً من الاجتماعية الإسلامية أو بقبول حكمه بأداء الجزية وتعظيم شعائره فكان هذا مثلاً مقدساً للإنسانية وبارك الله في عزمه في خمس مائة سنة حكم في تلك الخلافة قومه وحكم خمس مائة أخرى أقوام قبلوا دينه بخلوصهم، فكانت دليلاً ساطعاً على أن النبي ﷺ لم يرد حكومة قومه إلا إذا كانوا مقبسين للدين فشرايع دين النبي ﷺ كما كانت معمولية في زمن قومه كانت معمولية بعينها في خلافة أقوام آخرين نص القرآن العظيم على هذا في سورة الجمعة: "هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ" الخ... "وَأَخْرَجَ مِنْهُمْ لِمَا يُلْحَقُوا" الخ... هؤلاء أقوام دخلوا في الإسلام من الفرس والروم والهند والترك أقاموا إمبراطوريات لإقامة دين الله في أطراف الأرض فإذا تبدل نظام الإنسانية بارتفاقاتهم في الارتفاقات لازم أن تبدل صورة الحكومة موافقاً لاجتماعياتهم فيعدل الألف إذا تغير الناس عن الألف الأول ما قدر زعماء المسلمين عامة على تبدل منهجهم وحفظ رفعتهم وعظمتهم، لكننا بحمد الله لما تفقها في الدين على طريقة الإمام ولي الله الدهلوي أيقضنا أن القصور كله منا، والله ورسوله بريهان منه.

سورة العصر

بسم الله الرحمن الرحيم

"وَالْعَصْرِ. إِنَّ الْإِنْسَانَ لَقَبِي تُهْمِرُ." في الكتب الشرعية الإلهامية أصول موضوعة مشتركة بينها وعلوم متعارفة. تلك المسائل العظيمة يبحث عنها في قصار المفصل، إذا فهمنا ذلك في تلك السور المخصوصة بما، فإعادة تلك المسائل في السور الطويلة لا يحتاج إلى بحث جديد، مثلاً الذين آمنوا وعملوا الصالحات تكرر في عامة السور مراراً، ومعناه المراد في القرآن اصطلاحاً خاص يبحث عنه في سورة والعصر، فالذي لا يهتد على مثل هذه الارتباطات يغلط كثيراً في تعيين المقاصد القرآنية، لأنه هو يعين في كل موضع. معنى تلك الكلمات حسب ما يقتضيه ذهنه بالنظر إلى هذه السورة الخاصة، والإثم في ذلك أن الناس ما فهموا أن القرآن كتاب علمي غاية فكرهم بالنسبة إلى القرآن أن القرآن كتاب اعتقادي، يعني أن المراد الطائفة من أصحاب الأديان يعتقد عقائد خاصة فالقرآن مبني على بيان تلك العقائد فقط. كثير من الأشياء يحتاج إليه أرباب الفهم إلى الاستدلال عليها، ويرى القارئ أن القرآن لا يبحث عن دليله فيضعف يقينه بكونه كتاباً علمياً لكنه إذا قرأ بهذا الطريق من البيان أن القرآن العظيم لما بحث عن تلك المسئلة في موضع خاص وأتم البحث بما يحتاج إليه الناظر فلا يجد استدلاله في كل موضع يحتاج إلى بيانه تلك الحقيقة. والمانع الثاني الذي خفى عن كثير من الناس في الحكمة القرآنية اعتمادهم على ما وصل إليه مشايخهم من التحقيقات العلمية ويكون فيه مداخل كثيرة للسياسيات للتبدل في تاريخ الإسلام، فهؤلاء طلبة العلم يعتقدون أن ما علمه مشايخهم من الحقائق هي بعينها لازم أن توجد في القرآن وإذا يسوا من ذلك يضعف اعتقادهم في القرآن بأنه كتاب علمي. نتيجة بحثهم تكون أن القرآن كتاب خطابي مناسب لأهل ذلك العصر من بادية العرب. أما نحن فوصلنا إلى تحقيقات عالية وهذه كلها باجتهاد مشايخنا فالأشعري يذكر أئمة الأشاعرة والخنفي يذكر أئمة الماتريدية وكذلك الشيعة والمعتزلة كلهم يجزمون بأن ما أخذوا من أئمة مذاهبهم هي الحقيقة الحققة، وأما القرآن فذكر كلاماً مناسباً للأُميين من العرب كأنه كتاب الدعاية عندهم للاجتماع، وهذا المعنى أخذه من الطوائف المبشرين من النصارى وغيرهم وهم يخدمون بالنبي ﷺ كان حادقاً في التنظيم فقط. أما المسائل العلمية والسياسية الاجتماعية فليس في القرآن إلا شيء قليل وهم يشتون في ذلك أيضاً أغلاطاً، فطلبة المسلمين الذين يتعلمون في الغرب أكثرهم يتأثرون بدعاية المبشرين، فإذا وجدوا شواهد كلام المبشرين عند مشايخهم يخدمون بحقية الدعاية ويحكمون بجهل المسلمين عامة، وعندنا مثل هذه النقائص التي حدثت في الاجتماع الإسلامي منهاها ليس إلا عدم اعتناء الحكماء من المسلمين بكتاب الله مجرداً عن التفسير المكتوبة في الأعصار المظلمة للمسلمين، ونحن نحمد ربنا باتصالنا للإمام ولي الله، فإنه الفاتح لهذا النوع من فهم القرآن وعلى أساسه أتبعه أولاده وأتباعه فتخلصوا من تلك المغريات التي تعتدي على علماء

المسلمين وليس معنى كلامنا أنهم أمثروا الأمر إلى آخر ما ينبغي، لا بل هم فتحوا الطريق وحققوا حقائق كثيرة طيبة، لكن الزمان يتبدل والقرآن لا منتهى عجائبه. تم التمهيد. الآن نشرع في تفسير سورة العصر.

والعصر صيغة القسم وقد تقرر في الشرع الإسلامي أن القسم والحلف لا يجوز إلا باسم الله. جاء في بعض الأحاديث الصحيحة من حلف بغير الله فقد أشرك وإن كان المراد في الحديث أدنى مراتب الشرك لكنه أدخله تحت الشرك ونراه في القرآن، وحله أن المراد من القسم في العرفيات العامة والتعنيات المشتركة هو إبداء شهادة على المقصد، والأدلة الدالة على المطلوب تكون على القسمين: ^١ - قسم إذا فصلناه بمقدماته يستفيد منه السامع للفكر، ^٢ - وقسم إذا فصلناه يكون محلاً لإشارة شكوك، وإذا أجزأنا فالإنسان يستفيد منه بالعرف الذي استقر في عامة أذهان الإنسانية ولا شك في أن استعمال كل قسم من الأدلة ينبغي أن يكون في محله. إذا رأينا الإنسان ليطمئن خاطره بمسئلة بعد ثقلنا بمثال خاص وتصل تلك المسئلة بعد ذلك إلى ذهنه على صورة التحقيق لأن اعتقاده في ذلك للمثال كان قوياً وإذا بسطنا الأدلة يكون هذا الرجل محل إشارة شكوك كثيرة، ففي حقه إيراد مثال مخصوص وإجمال الكلام أولى وأنفع، وإذا عرضنا تلك المسئلة بعينها على رجل يستفيد من بسط الأدلة فنحن في تفصيل الأدلة في ذلك للموضع لا يكون هذا النوع من تقسيم البيان إلا مثلاً على البلاغة فإن هذا الذي تأتي به على سبيل التمثيل نذكره بكلمة القسم. هذا هو طريق بيان القرآن وأما الشرع الإسلامي فلا يميز الإتيان بالقسم إلا إذا لم يكن عند الرجل بينة على دعواه، فحاصل للقسم في ذلك الموضع أن المدعي يشهد الحق سبحانه على صدقه فإن كان كاذباً فهو يجازيه، فهذه الشهادة مقبولة من المسلمين المتدينين بالإسلام. لا يجوز لأحد أن يعتقد أن غير الله سبحانه أي مخلوق كان من المخلوقات يعلم من الغيب الذي يتعلق بتصديق تلك القضية ويقدر أن يجازيه على كذبه، ففي هذه الصورة من حلف بغير الله أشركه مع الله في أنه يعلم الغيب وأنه قادر على المجازاة.

فالقسم في القرآن على منهج مخصوص، و وقوع الحلف باسم غير الله منهج آخر، فهما لا يتعارضان. والعصر معناه العصر يشهد، فاختلف المفسرون في تعيين معنى العصر فالمراد منه لأنهم يعتقدون أن القسم يكون بأمر شريف عظيم فكل منهم عين عصرًا يجب أن يكون أشرف العصور وهذا خطأ بين ليس معنى هذا القسم أنه لشرفه يقسم به وإن كان هذا كلاماً مسرّحاً لكنهم لا يلتفتون إلى هذه المناقضات ورفعنهم يعرفون كل شيء تحت آية من كتاب الله وإن كان أغلط الأغالط وأكذب الأحاديث. وطائفة من المسلمين لابد أن يكرموها فالعصر ليس معناه وقت ذو شرف بل معناه الدهر والزمان لكن بوصف الانقضاء فيكون معناه الزمان المتقضي ونقول بعبارة أخرى إن التاريخ يشهد بالاستدلال بالتاريخ من أهم الاستدلالات العلمية لكن هؤلاء لعدم تديروهم في القرآن ملؤوا تفاسيرهم بمضاحك الصبيان، فالعنى أن التاريخ شاهد على أن الإنسان كان دائماً في الخساسة، الاجتماع الإنساني ما فاز أبداً في زمان من الأزمنة المتقدمة الذي حفظنا تاريخه إلا إذا كانوا ملتزمين لأربع فضائل: الإيمان

إلا الذين آمنوا. الآن لا يفرحوا منا أن تفسر الإيمان على طريق الأشاعرة والمعتزلة والشيعة، بل نفسره على ما تواتر في كتب الأديان السابقة وينطبق على جميع الأديان فيكون من العلوم المتعارفة أو الأصول الموضوعية.

الجملة المعترضة

قال مولانا محمد قاسم الديوبندي إذا أردتم عملاً أي عمل، لا بد أن يكون لكم نية قبل ذلك، فإذا كان لرجل نية جامعة أن يعمل بجميع ما أمر الله به، فهذه النية الجامعة هو الإيمان فأهل الكتاب مثل التوراة والقرآن قررت لهم أصول معينة إذا اعترفوا بما واعتقدوها يطلق عليهم اسم الإيمان ومن لم يكن من أهل الكتاب فما وصل إليه من العلم الصحيح الأعلى الذي يقدر أن ينسبه إلى الله للتسليم لتلك العلوم والعمل لمقتضاها وإرادة العمل بمقتضاها في الاجتماع الإنساني هو الإيمان، فالتاريخ يشهد لنا أن كل رجل ليس له إيمان ما قاز في الدنيا أبداً. لانظر بالمخاطبين أنهم يغلطون في فهم كلامنا أن البحث في الإنسان الاجتماعي لا الانفرادي وقد حقق الإمام ولي الله أن موضوع جميع شرائع الله هو الإنسانية العامة وتختلف الشرائع باختلاف أصناف النوع الإنساني فإذا لم يكن للإنسان عقائد صحيحة يسلمها الاجتماع الإنساني ويحملها مطمح نظره، هل يكون له فوز؟ وإن كل رجل يعرف الاجتماعية يحكم عندنا بالبداهة أنه لا يمكن ذلك تعيين لازم في فوز السياسة الاجتماعية.

"وعملوا الصالحات." كل حركة من البدن الإنساني موافقة لإيمانه وتكميل له عمل صالح، فصلاحيته لأعمال ليست باعتبار الصورة بل باعتبار المعنى والنية التي تبعث على ذلك العمل. نرى الصلوة لله من أعظم الأعمال الصالحة عند جميع المتهدين بل عند جميع العقلاء وإن كان بعضهم نظراً إلى بعض الصلوة المشروعة عند المتهدين. أما الاعتراض بالمبدأ الحق والعزم على التقرب منه الذي هو ترجمة الصلوة بلسان أهل النظر، فلا يختلف فيه رجل عنده عقل. هذه الصلوة إذا صلاها رجل رياء للناس يكون من أقبح الأعمال. نص القرآن عليه "فويل للمصلين" وقيل الإنسان من أقبح الأعمال الإنسانية لكن إذا كان لإعلاء كلمة الحق ورفع الظلم عن الضعفاء يكون من أحسن الأعمال وقد تقرر أن صلاحية الأعمال لا تكون إلا بالنظر إلا معانيها ونيتها. فهل يأتي لنا شاهد من التاريخ أن الرجل إذا لم يجهد غاية جهده في تمشية إيمانه فاز؟ فلا يمكن نقل شيء منه في التاريخ فيكون العمل بمقتضى الإيمان من لوازم الفوز ومن تركها فقد خاب وخسر. "وتواصوا بالحق" إذا حصل لرجل إيمان صحيح وعزم على الاجتهاد التام بمقتضاه، لا يفوز في المجتمع الإنساني إلا إذا جمع معه رجالاً لإيمانهم مثل إيمانه ويجهدون لتكميل ذلك على مسلكه وتلك المحنة لجميع الرجال ليس له حد محدود، فأي مقدار اجتمعوا يجعلون مناجاة اجتماعهم هو ذلك الإيمان والعمل لا شيء غيرها فإذا رأوا من واحد منهم تقصيراً في ذلك يجب عليهم أن يوصوا باتباع الأمر المشترك، وهذا هو الحق فإذا تفاخروا في ذلك فهل يمكن الفوز؟ لا يشهد واقعة من واقعات التاريخ للرجال الاجتماعيين أنهم فازوا بترك هذا التواصي.

"وَقَوَّاصُوا بِالصُّبْرِ" معنى الصبر عندنا عدم تزلزل القدم عن موضعه بسبب عروض المشقات والمصائب في التقدم لتكميل إيمانهم بالعمل الصالح. ح يجوز للرجل العامل أن يسكن في حالة ما ولا يتقدم إذا لم يجد قوته تقدر على دفع الموانع عن الطريق، أما ارتجاعه عن ذلك للموضع بسبب هجوم المصائب فلا يجوز أبدًا في صورة ما؛ إما يقتل في ذلك الموضع وإما ينتظر إذا وجد فرجة تقدم، أما الرجوع إلى الوراء فلا يجوز بحال ما وإن جوز رجل هذا الرجوع أيضًا ففوزه ليس يلزم ولا يفوز إنسان إلا بالصبر على تلك الحالة، فهذه الجماعة إذا رأوا في رجل منهم تزلزلًا في استقامة وإرادة الرجوع إلى الوراء وما منعه عن ذلك هل يمكن فوزهم؟ شواهد التاريخ تذكر ذلك فكان حاصل السورة أن تاريخ الإنسية شاهد على أن الإنسان في حركته الاجتماعية ما فاز إلا بالتزامه الأمور الأربعة: اثنان منها راجعان إلى كل فرد، إذا لم نجد في رجل مائتين الفضيلتين لا يكون له حق التداخل في ذلك الاجتماع واثنان راجعان إلى الجماعة من حيث الاجتماع ومثله. هذه نسميها أصلًا من الأصول للوضوغة. أينما جاءت في القرآن كلمة الذين آمنوا وعملوا الصالحات لا يراد منها إلا جماعة حازوا على الأمور الأربعة فمن يريد تفسير القرآن ليس له حق أن يفسر تلك الكلمة بمعنى يعرفه من اللغة وبما حصله من العقلية بل يجب عليه أن يحمله على ما تقرّر في تلك السورة.

سورة الحمزة

بسم الله الرحمن الرحيم

فيها بيان أن العذاب لا يأتي على الإنسان إلا وهو يكون تبدل صورة شيء من أعماله، وهذا يكون بأسباب خارجية معدة للتبديل وهذه قاعدة كلية، والقرآن يذكر في مواضع كثيرة مجازاة رجال وأصناف وأقوام بعذاب من النار بعذاب في جهنم ولا يتكلم على بيان الحكمة في ذلك، لأنه راجع إلى ذلك الأصل الذي قرره في هذه السورة أي سورة الحمزة، ونحن لم نقدر على فهم هذه المسئلة إلا بعد ما حصل لنا نوع من الإحاطة لحكمة الإمام ولي الله. (عم التمهيد).

"ويل لكل همزة" الخ صيغ من الناس غاية مهم جمع المال لا يصرفوه في قضاء حاجاتهم بل ليكتثروه ويحبذون في ذلك لذة ولذلك يعدونه مرارًا مثل العاشق يرى وجه المحبوب. هذه الطائفة لها ذهنية خاصة يحسبون أن جميع الحاجات تفضي بسبب وجود الأموال فيحتقرون كل من ليس له مال، فلا يكون حديثهم إلا الحمز واللمز على رجال لم يجمعوا المال، ولا يفتكحون إلا باللمز والهمز، والرجل الذي ليس عنده مال، يستهونه ويظعنون عليه وإن كان حكيماً أو نبياً. إن الرجل الذي ليس له مال ويقول إني أعمل كذا وكذا، وهم يفتخرون في أنفسهم أن عندنا أموالاً وكل شيء مهين لنا إذا أردناه إن لم يكن عندنا شيء فلا نفعنا إنا لا نريده. أما إذا أردنا فهو عندنا، فمعنى قوله "يَحْتَسِبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ" عندنا أنه يكتفي لقضاء جميع الحاجات. هذا الخلق الفاسد لا يتحمله الإنسانية أبداً لأن كل فرد من الإنسان لو جرى على هذا المسلك لمات الكل في يوم.

الاجتماعية هي اقتضاء الفطرة الإنسانية فإذا أفسدها أحد يخرج منها نار. هؤلاء أعمالهم إفساد للإنسانية فهي تبدل بصورة النار "كلا" ليس فكر أن المال يكفي لجميع حاجاتهم صحيحاً. هذا الخلق الذي يجتمع في قلوبهم تبدل نارا فهل يمكن إطفاء تلك النار بالأموال. فكرهم هذا باطل وهذا الخلق الباطل يوصله إلى الحطمة. ومعناها "نار الله الموقدة الخ" فيكون مثال هذه النار مثال الحمى. فساد الأخلاق بسبب فساد الأغذية يكون باعثاً لتقلب النار على البدن الإنساني ويكون منبعها معدة الإنسان. هكذا فساد الأخلاق الإنسانية يكون سبباً لفساد القوى القلبية ولشأ منها نار أولاً يظهر على القلب، يطلع منها ثم يحرق البدن فيكون مثل الحمى. ورد في الأحاديث الصحيحة الحمى من فيح جهنم، يشير إلى تشابه بينهما وهذه النار التي تطلع على قلوبهم تمتد إلى زمان. بقاء فساد القوى القلبية، هذا معنى قوله "إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ" تبدل تلك الأعمال وفساد القوى القلبية بالنار يكون بعد معدات لحصل له كما أن فساد الأخلاق يفضي إلى الحمى إذا مشى الإنسان في الشمس أو عمل مجهداً. كذلك هذا الإنسان إذا وصل إلى طبقة من جهنم، وهنا نار مجمعة في عهد ممدودة. العمود

الممدود في زماننا معروف مستعمل في النار مخرج في النار ويكون مجموع فيه نار مخصوصة، فإذا أمر الإنسان يقرب ذلك الممدود تتأثر قواه القلبية فتتقلب نارًا مثل تأثر الأخلاط. هذا الفن ممنوع. ثم رد الشيخ قوله بامتناع التدوين وبين أن الله تعالى وهب له القدرة على ذلك.

سورة الكوثر

بسم الله الرحمن الرحيم

"إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ" الخ معناه في اللغة الخير الكثير وفسره القرآن بالحكمة. ومن يؤت الحكمة الخ والقرآن هو نصيب الحكمة، من حصل عليه كأنه حصلت له الحكمة "يسين والقرآن الحكيم" فخلص من هذا الترتيب أن معنى الكوثر هو القرآن العظيم، وهذا تقرر عندنا أن النبي ﷺ ما كان يرجو أن يلقي إليه الوحي. إنما كان صمم العزم على إحياء الخليفة ملة إبراهيم وعلى جعل حكمه غالباً على جميع الأحكام الدنيا بحسب اتحاده في العلم والعمل، وكان جازماً بنجاحه وفلاحه في الآخر لأن هزيمة إبراهيم وإسماعيل كانت مستقرة في قلبه، لا يوازنهما رجل من رجال الدنيا وهما أسسوا هذا المسجد وهذا المقام لأولادهما، فإن قام رجل من أولاده لإحياء طريقتيهما نظراً إلى عزمتهما، لا بد أن له من أن يكون خائراً. هذا القدر كان محققاً مجزئاً به في قلب النبي وكان قلبه طائفة من قومه على هذا المسلك، كان يقتدي بهم في أمور لا تكون مشكورة على رأيهم، يعني لم يكن مقلداً لهم، بل كان ينظر فيما وصلت إليه أفكارهم، ينظر النقد فإن اطمئن خاطره بصحة أفكارهم وأعمالهم كان يتبع طريقتهم، وأما إن كان هو يرجو أن يكون نبياً ويلقى إليه كتاب من الله، فهذا ما خطر بباله قدر ذرة في طول عمره حتى فاجأه الله بالحق، فاندعشت طبيعته منه لأنه لم يكن ينتظر ذلك ولو كان منتظراً لما تأثر ولما اندعش بالربوب والدهشة ولما قال دثروني، زملوني^(١) فالقرآن إنما أعطاه الله كله بفضله. هذا معنى قوله: "إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ" هذا العلم الذي استفاض من النبي ﷺ أقوام من العالمين. هذا فيضان العلم يتمثل يوم القيامة في الخضر وفي الجنة بصورة الخوض والنهر فأخبر بذلك النبي ﷺ أنه أوتي كوثراً وكان للرد منه القرآن. قال الإمام ولي الله في حجة الله في ذكر شيء من الوقائع الخشوية، قال وهناك أمور متعقلة تتساوى النفوس في مشاهدتها كما لهداية المبسوطة بيعة الله للنبي ﷺ حوضاً^(٢) "فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ" تشرحه على الآية السابقة يدلنا على أن العلم أعطيناك نحن وأنت تنظم جماعة لإحيائه ومغالبة على الباطل.

فصل

كيف تشكل الجماعة وكيف تتحد الأفراد بالصلاية والقوة؟ مرجع هذا إلى أمرين: الاتحاد في الفكر. الاشتراك في الأحوال الكافية لحاجتهم فمعنى قوله "فصل لربك" علمهم القرآن الصلوة كما أمر به في سورة المزمل وهذا الطريق يوصل إلى الاتحاد في الفكر إلى غاية لا يرجى فوقها. الإنسان يأخذ العلم

^١ - هناك يمكن إيراد السؤال بأن الشيخ قد تقي هذا المعنى المعروف للادثار و الازدمال في تفسير سورة المزمل والمذكور كما مر، فكيف يأخذ بهذا المعنى هناك؟

^٢ - لينظر: الشاه ولي الله الدهلوي، حجة الله البالغة، ١: ٨٩.

عن شيخ ويحبه مثل حبه لأبيه ويعظمه مثل تعظيمه لأبيه فإذا اشترك رجل آخر معه في الأخذ عن الشيخ ويستويان، يحصل لهما اتحاد في الفكر، لكن دائماً يفرق الشيخ. فإذا أراد الشيخ أن يفرقهم، هو يقدر على ذلك، وإذا كان تعليم الشيخ مفضياً إلى اتحاد الفكر والشيخ يكون مرفوعاً من بين، يصير هذا الفكر مملوكاً لأهل الفكر، هم بأنفسهم مسؤولون عند ربهم عن هذا الفكر، لا يمكن إيجاد الاختلاف فيهم، فالتعليم الذي يكون في الصلوة لله، يؤدي إلى مثل هذا الاتحاد، ويرتفع الأستاذ من بين ويكون بالقدر الذي حفظه وأحصاه مالِكاً لفكره قابضاً عليه ويكون مسؤوليته عند ربه رأساً. مثل هذه الأشياء ظاهرة في طريقة النبي ﷺ في الصلوة وكان مأموراً بأن يرتل القرآن، ويقرئه بالتلخيص لا بالتعجيل حتى يقدر الناس على الإحاطة بمعانيه، فإذا صلى النبي ﷺ لربه وذكر فيها عظمته وعقله، يفضي هذا الذكر إلى رفع الوسائط من بين الرب وعبيده، وإذا قرأ القرآن ليفهم عنه الناس، يكون الناس خاضعين على حكمة عالية. هذا الطريق لا طريق أعلى منه في إنشاء اتحاد الفكر. "وَأَنْتُمْ" هو ذبح الإبل ليأكله الناس الذين يأتون للصلوة معه ولتفهم القرآن عنه، فلا يكون طعام النبي ﷺ خاصاً لنفسه ولأهل بيته، بل يشترك فيه جميع ممن اشتغل عليه بطلب العلم. هذا أساس الاشتراكية في الأموال المكتفية لحاجاتهم ويكون التكفل لحاجاتهم راجعاً إلى أولى الأمر، فالنبي ﷺ يعلمهم القرآن ويتكفل لهم جميع ما احتاجوا إليه في معاشهم ويكون هذا بذراً لتأسيس جماعة، فإذا تحيات تلك الجماعة لتبليغ هذا الذكر في العالمين ويقلب أمره على جميع الأديان، ثم ما أمر به النبي ﷺ ثم في هذه السورة كانت الآية الأولى تشير إلى موهبة الله نبيه بالعلم والحكمة والثانية تشير إلى ما يجب على النبي ﷺ لتكميل هذا العلم، فإذا تم الأمر، تكون النتيجة واضحة. "إِنْ شَأْنُكَ هُوَ الْأَبْتَرُ" يعني أنت تكون فاكراً وعذوك لا يتم أمره، وبعد موت أعدائك لا يكون الناس خلفائهم عنهم، فكانه لا أولاد لهم وأما أنت فمن تعلم منك القرآن وقام لإقامته يكون أمره سواء في حياتك وبعد وفاتك كأنك لك أولاد كثيرة. قال النبي ﷺ إنما أنا لكم بمنزلة الوالد^(١) وسمى الله تعالى أزواجه أمهات المؤمنين واستنبط منه شيخنا محمد قاسم أن النبي ﷺ أم لهم.

فصل

هذا الذي ذكرنا من تأسيس الجماعة على الاتحاد في الفكر والاشتراك في الأموال تلك الحكمة أوجبت في كل دين إقامة الصلوة وإيتاء الزكاة وذلك هو الدين القيم الذي لا ينسخ أبداً. صورة الصلوة وصورة أداء الزكاة تختلف على حسب اختلاف الأتواء والأعصار والأسنة، وأما روح الصلوة واتحاد الجماعة على إقامة أمر الله الواحد الحي فلا يختلف أبداً، فمن كان تاركاً للصلوة فإما

١- أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، سنن أبي داود، كتاب الطهارة، باب كراهية استقبال القبلة عند

إن كان لا يؤمن بالله الواحد الحق، فهذا رجل ناقص الإنسانية مثل الأعمى والأصم وأما رجل يريد الاتحاد في الفكر على إقامة الأمر الحق فهذا رجل جاهل بالاجتماع الطبيعية الفطرية للإنسانية.

كان سنة الله دائماً حتى خلت صلوة قوم عن روحها يأتي الله برجل آخر ينسخ هذا الدين ويسن لهم الصلوة بنحو روحها يكون حياً، وأما صورة الصلوة بدون المعنى فليس لها قيمة عند الحق، فالمسلمون أيضاً يتلون بمثل الأمم السابقة ينسون ذكر الله في الصلوة ولا تتجدد فيهم نبوة أخرى، بل يبعث الله رجالاً يوصلون القرآن إلى قلوبهم، قلوب طائفة من المؤمنين فيكون السبب لإقامة صلاحهم واجتماعهم على إقامة أمر الدين، فكل ما كانوا أعقل وأبصر بعواقب الأمور، يفوزون بقيام الدين، وأما إذا كان رجال ليس لهم نظر إلى صور الأعمال فيخسرون مراكاً ولا يرجع للئامة في ذلك إلى الدين الحق أبداً. إنما قصروا بأنفسهم في فهم القرآن ومقاصد الحكمة منه وأقام الله تعالى فينا حكيمًا (تشكره عليه) يفهمنا الحكمة القرآنية فنحن نعتزف بظلمنا أنفسنا لم تقدر على إنشاء جماعة حكيمة على أساس الشيخ ولي الله، ونرجو الله أن يوفقنا إلى ذلك. هذا يتعلق بالصلوة وكذلك الزكاة، ليس معناها الاقتصاد على صورة مخصوصة كانت كافية في زمن من الأزمان، بل روح الزكاة أن لا يبيت رجل جائعاً يعلمه المسلمون فلم على أرباب الأموال أن يتفقدوا في آقارهم وحوائجهم، هل أحد يحتاج إلى شيء من المعاش فلا يجوده إلى السائل، بل يقضون حاجاتهم مثل قضاء حاجات أنفسهم لا يأكلون إلا إذا علموا أن كلهم فرغوا من الأكل. هذا المعنى هو الذي نريده من الاشتراك في الأموال. إذا ملك رجل مالا فما يحتاج إليه هو وأهله ومن يتعلق به إلى أقصى ما يمتنون من ذلك، ثم حق التقدم في ذلك، فإذا بقي عندهم شيء بعد قضاء حوائجهم حسب ما يحملون، فيجب عليه إيصاله إلى من قرب من الأقرب فالأقرب إذا كان هو محتاج إليه، فإذا انتشر هذا الروح في جماعة من المسلمين، فكل رجل منهم يكون مستريح البال في قضاء حوائجه ولا يكون ذلك مانعاً إياه عن أداء فرضه، بل هو يصرف جميع ماله إلى أداء ما وجب عليه من اجتماع المسلمين، لأن الأموال الزائدة في بيوتهم كالأموال الموقوفة، يشترك في منافعها كل المسلمين وتنفق هؤلاء على أرباب الأموال ولذلك منع المسلمون عن السؤال في كل حال إلا بالاضطرار، فإذا لم يكن في يوم في بيت رجل طعام ولم يأته شيء من بيوت المسلمين، وجب عليه أن يصبر ويكون كالصائم ويدعو ربه والله سبحانه يلهم في قلب أولي رجل بالصلاح وإن كان بعيداً عنه أنه يأتي إلي بصدية أو مثليها، وسيرة جماعة المسلمين في أوائل زمانهم طيبة عمودة معلومة. هذا روح الزكاة، وأما نصابها الذي قرر في كتب الفقه، فمعناه أن الحكومة الإسلامية تتكفل نفقة من احتاج من المسلمين، وإذا أدى المسلمون إلى الحكومة بقدر ذلك، فالحكومة تتوب من المسلمين في أداء هذا الفرض، فإن لم يكن هذا المقدار عند الحكومة فهي تزيد في ذلك من خمس الغنائم والقيود، وإن يكن عنها شيء من ذلك فهي تستحق أن تضرب على المسلمين خراجاً دائماً عن نصاب الزكاة بعد مشاورتهم وأداء الحساب إليهم أن ما أنفقت الحكومة على المساكين، مقداره كذا وما حصل للحكومة من أرباب

الأموال، مقداره كذا وليس عند الحكومة شيء يجر به هذا النقص، فما تشيرون إليها المسلمون؟ فما زاد على النصاب يجب عليهم بإيجابهم على أنفسهم وتقدير هذا الواجب يتجدد في كل سنة حسب الضرورات فإذا التزم المسلمون أولى الأمر منهم والعامه يتكفل معاش من احتاج من المسلمين صلح أمرهم وأدوا زكاة أموالهم وإلا ففي الآية الثالثة "إن شئتكم هو الأبعد" القصد منها بيان فوز المملحين إذا افتقروا في العلم على القرآن ونظموا اجتماعهم باتخاذ الفكر باجتماعهم في الصلوات والناس كلهم مجتمعون على أن الصلوة لا يقرأ فيها شيء سوى القرآن، فإذا جعلوا الصلوة منشأ اتحاد فكركم فكأنهم جعلوا القرآن حاكماً عليهم في جميع أمورهم ومن كان عندهم فضل أموالهم، يواسون به من ليس عنده بدون إيجاب وتقدير وترفع وتثليل يكون الخسران على أعدائهم منحصر فيهم، لأن أدنى الفوز هو النجاة من الخسران. هذا القدر من العمل يكفل لعدم إتيان الخسران إليهم.

سورة التين

بسم الله الرحمن الرحيم

"والتين والزيتون" القسم عندنا معناه الشهادة بالتمثيل، مثال مطابق مثالا لا يكون أقرب إلى تفهيم المعنى للمبتدئين والأميين، فإذا أدركوا وبعد ذلك إن احتاجوا إلى التفصيل يدركون ذلك بسهولة فالقسم عندنا لا يفيد إلا درجة ابتدائية من العلم وكل الدرجات التكميلية يكون مبنيا على الدرجة الابتدائية فإذا قدرنا في تعليم الدرجة الابتدائية على الصحة والسهولة فتحنا أبواب التكميل بالجهداءهم، والمثال الصحيح التام يمثل المعنى بالسهولة والصحة فإذا عبرناه بالقسم وهو طريق التأكيد في لغة العرب نهناه على صحته وسهولته. فهذه السورة تؤسس أساسا هو كالأصول الموضوعية في تعليم القرآن والإيمان بالله إذا لم يكن في أحد فالقرآن لا يعده إنسانا وإذا لم يفتقر الإيمان بالله بالإيمان بالدار الآخرة لا يعد كاملا وصحيحا فالناس إذا قرؤوا القرآن ورأوا أن معيار الإنسانية هو الإيمان بالله والإيمان بالآخرة، وكثير من الصور الإنسانية خالية عنهما فيحتاجون إلى تنبيه يفهمون به لزومهما للإنسانية ولو بالدرجة الابتدائية لأن تكميل الدرجات إنما يكون بعد فهم الإنسانية بكمالها فهذا لا يكون إلا في آخر الدرجات فالتنبيه على بعض الحقائق بالأمثلة ضروري في الدرجات الابتدائية بحكم ما لا يدرك كله لا يترك كله..

فصل

وحاصل بيان هذه السورة يرجع إلى تقويم الحقيقة الإنسانية من أركانها، واقتضاء تلك الأركان الإيمان بالله والإيمان باليوم الآخر فمن سلم الإنسانية على هذا المثال الذي نذكره، لابد له من أن يسلم أن هذا من لوازم الإنسانية وأما البحث بتلك الأركان كاملا، فيحتاج إلى درجة أخرى والأقسام الأربعة شهادة على "لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ" والتقويم معناه التركيب، فهذه الشهادات الأربعة كأنها إشارة إلى الأركان الأربعة لهذا التركيب، فالتين إشارة إلى الجسم الإنساني أي شيء صغير ومنافعه كثيرة ليس مثل الجبال ولا مثل الفيول ونفعه أكمل منهما فكان مثل التين ثمرة صغيرة لكن منافعه: منافع الأغذية والأدوية فيه كثيرة. الزيتون معروف باشتماله على الزيت، دهن نفيس يستعمل في الأكل والتسريح وهو سائر في أجزاء الزيتون في كل جزء منه، فالنسمة الإنسانية الجزء الثاني من الإنسانية سرياقها في بدن الإنسان مثل سريان الزيت في الزيتون، وتلك النسمة شيء مبارك مثل زيت الزيتون.

جملة معترضة

الشخص الأكبر وهو عندنا اسم العالم كله مرتب على عوالم مختلفة، فالعالم الأول منها نسميه بالعالم الملوكوتي والثاني منها حول الأول نسميه بالعالم الروحاني، والثالث منها حوله نسميه بعالم المثال والرابع حوله نسميه بعالم الجسمانيات. هؤلاء العوالم متوازية فإذا قضى الله شيئا في العالم الإلهي، يكون هذا القضاء نازلا إلى العوالم كلها على حسب استعدادها مثل ما نجعل نحن تحت الورقة الناقلة إلى أربعة

أوراق نكتب على الورق فوقاني الأول شيئاً منتقل إلى الأوراق الباقية حسب استعدادها تحت مقدمة واحدة من المعارضة.

الجملة الثانية من هذه المعارضة

إذا قضى الله في العالم الإلهي بإنسان ينتقل إلى العالم الروحاني، ثم إلى العالم المثال، ثم إلى العالم الجسماني فصورته في عالم الأجسام نسميها بالبدن، وصورته في عالم المثال نسميها بالجن، وهذا يكون قرين الإنسان، وصورته في العالم الروحاني نسميها النفس الناطقة، وصورته في عالم الملكوت نسميها روحاً ملكوتياً تحت المقدمة الثانية من المعارضة ونرجع إلى التفسير.

سراية النسمة في بدن الإنسان مثل سراية الزيت في الزيتون وهذه النسمة تكون خليفة القرين الذي سميها بالجن، فالجن موجود مستقل في عالم المثال وكثرة الجنة تكون مثل كثرة أفراد الإنسان في عالم الإنسانية وإذا انتقل أثر هذه الجن إلى قوة جسمية مخلوقة في البدن وامتزج معه فتلك القوة نسميها بالنسمة و هي خليفة الجن في بدن الإنسان والقرين دائماً بمده.

نبحث ههنا عن المقدمتين: المقدمة الأولى وطور سينين. الله سبحانه وتعالى تجلى في قلب إمام النوع الإنساني الذي نسميه بالإنسان الكبير والنفس الناطقة كل إنسان تكون عكساً من عكوس ذلك الإمام. الفيوض التي حصلت لإمام النوع بعد قيام التجلي تنقسم إلى نوعين: الحكومة فيكون منبعها القوة العازمة المستقرة في القلب والمحبة. والفناء والاضمحلال في الحب للتجلي ويكون منبعها القوة المدركة المتعلقة بالدماغ.

المقدمة الثانية أنبياء الله نسبتهم مع الله أن يكون نسبة الحكومة، يكونون إمام التشريع الإلهي، فلوهم عالية على جميع من عداهم، فإذا اتصلوا بالتجلي الإلهي يكونون سبب إيصال حكم الله إلى جميع الناس وإمامهم موسى عليه السلام والطائفة الثانية من الأنبياء يكون مرجعهم إلى المحبة والخلة وإمامهم إبراهيم. تمت المقدمة الثانية.

نبحث عن الأمر الثالث. طور سينين إشارة إلى اشتمال النفس الناطقة الإنسانية على آثار التجلي ظهر لموسى في الطور. "والبلد الأمين." إشارة إلى اشتمال الجزء الروحي الملكوتي في الإنسان الذي ينضم إلى النفس الناطقة ويصيران كشيء واحد إلى اشتمال هذا الجزء على آثار الخلة الإلهية التي من آثار البيت الذي بناه إبراهيم خليل الله، فإذا قلنا إن هذه الأقسام الأربعة إشارة إلى عناصر الإنسانية، والتين إلى البدن، والزيتون إلى النسمة، وطور سينين إلى اشتمال النفس الناطقة بآثار التجلي الإلهي. "وهذا البلد الأمين" إلى اشتمال الروح الملكوتي عند عامة أهل النظر وإشارتنا على أن البدن يشتمل على شيئين والروح على شيئين بتركيب هذه العناصر الأربعة يخرج الإنسان إلى عالم الوجود. إذا عرف وراعى الإنسان بترتب أجزاء الإنسان وعرف ترتب أجزاء العالم أولاً يحكم بأنه على أحسن تقويم. العالم كله ترتيبه حسن لا يختلف فيه أحد إذا كان في الإنسان رعاية ذلك الترتيب بمعيار صغير يحكم عليه

بأنه على أحسن التقويم. هذه مقدمة واحدة نبه عليها في التعليم الابتدائي بالأمثلة. "ثم رددناه أسفل السافلين". المركب محتاج إلى أجزائه فإذا كانت أجزائه خلاصة العالم كله فكأنه محتاج إلى كل أجزاء العالم ولا يكون مخلوق لا من الملائكة ولا من الجن ولا من الحيوانات إلا محتاجاً إلى جزء من أجزاء العالم وإذا عرفنا أن المحتاج أسفل من المحتاج إليه فإذا كان مخلوق من مخلوقات الله محتاجاً إلى جزء من أجزاء العالم، كان كل مخلوق من السافلين، ثم رأينا الإنسان محتاجاً إلى جميع أجزاء العالم، فلا يكون أسفل سافلين ولتفهم قول سعدي لبيان تلك الحقيقة: آتاكه غنى تر اند محتاج تر اند. فهذا الرد إلى أسفل السافلين هو اقتضاء طبيعته وفطرته فإن توجه إنسان بقوته المخلوقة فيه إلى تحصيل ما احتاج إليه من أجزاء العالم، أتعب نفسه ولم يحصل له مقدار يعتد به إلا بطريق مخصوص يفوز بال مطلب. هذه الأوصاف الروحانية والملكوئية كانت لها تعلق ما بالتجلي الإلهي، فالتوجه إلى التجلي الإلهي بواسطتها وما يترشح عليه من التجلي يجعله إيمانه ويعمل على تكميله فقط (ويهم لتكميله فقط) يحصل له جميع أجزاء العالم بدون تعب، لأن أمر التجلي نافذ في كل جزء جزء منه فقط، فالخروج من حالة أسفل ليس له سبيل إلا الإيمان بالله والعمل بالصالحات إلى آخر ما جاء في سورة العصر. فهذا معنى قوله "إلا الذين آمنوا".

الأجر معناه تبديل صورة عمله والارتقاء في هذه الأجزاء الروحانية والملكوئية لا ينتهي إلى حد فأعماله يكون لها أجر غير متناه إذا كان مؤمناً بالله ويكون في أسفل سافلين ولا يخرج من هذه الحالة إذا لم يؤمن، فلما كان الخروج من حالة أسفل سافلين من مقتضى الصورة الإنسانية وفطرتها، كان الإيمان بالله ألزم شيء لها، ومقتضى فطرتها. يظهر بذلك ما أراده القرآن. الرجل الذي لا يؤمن بالله ليس من الإنسانية في شيء وهو يجهل نفسه ويجهل مقتضى نفسه فكيف يكون إنساناً هو حيوان في صورة الإنسان. "فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالْدينِ" الدين معناه الإنصاف. يوم الدين يوم الإنصاف الإلهي. خلق الله الإنسانية وكل أحد فيه أنانية تدعي حقوقاً لنفسه. إذا كان إنسان ذا عقل، ذا تجربة، ذا اجتماع والإنسان في اجتماعه يجمع طبقات مختلفة غاية الاختلاف يظلمهم بعضهم بعضاً، والله بفطرة الإنسان علمه التحاكم إلى القضاة لفصل الخصومات، وبذلك تنتظم اجتماعيتهم وترتقي، والإنسان يعرف بطبيعته أن هذا الإنسان ليس تاماً في إيصال الحقوق وبعض الناس يكون مظلوماً ولا يقدر على أن يأتي إلى القضاة وبعض القضاة يظلمون بأخذ الرشوة أو لعناد مع بعضهم وبعض القضاة لا يفهمون حقيقة الأمر وإن اجتهدوا كل الاجتهاد لتلييس المتخاصمين وإن كانوا يريدون إيصال الحق لكن لا يقدر على ذلك، وإذا كانت الإنسانية ورجوعها إلى إمامهم يجمعهم في مستوى واحد فلا يترافع القضايا إلا إلى الله الحق من كان مظلوماً، لأن اجتماعهم هذا يقتضي استوائهم في الحقوق، فما كان من اعوجاج في حياتهم الدنيا، لازم أن يصلح ذلك. هذه مقتضى الصورة النوعية الإنسانية. إذا تقرر هذا فلا ينكر بيوم الدين إنسان ويجعل إقراره بيوم الدين من اقتضاء تكميل الصورة النوعية، فإذا كان الإنسان الاجتماعي يعترف بطول الحياة الإنسانية ويعترف بمروره من طبقات إلى طبقات أخرى لاشتمالها على الأجزاء المختلفة لازم إلحاق كل

عنصر مقرر، وهذا يقتضي مرور الإنسانية من جميع الطبقات فيعرف هذا الإنسان أن الإنسانية تقتضي
 تسوية حقوق أفرادها فيما بينهم. هذا الذي تكلمنا يقرر للمتعلمين في الدرجة العالية. أما في الدرجات
 الابتدائية تأتي مثال يشير إلى ذلك، وهل الإنسان إذا كان مظلوماً لا يقتضي المرافعة إلى القاضي الأعلى،
 فإذا كان هذا مقتضى الإنسانية وترون في الاجتماع يبقى ويدوم الظلم في الإنسانية، أفينكر يوم الدين
 الذي يكون فيه المرافعة إلى الله الحق، اليس هو يستحق الحكم على المالكين. وهو أحكم الحاكمين
 فما يكذبك بعد بالدين. إذا فهمت أجزاء حقيقتك وعلمت أن تحصيل ضرورتك لا يمكن بدون
 الاعتماد على الله فليس من الضرورات المرافعة لدفع الظلم، فأي شيء يكون باعثاً لك على تكذيبك
 يوم الدين يوم الإنصاف رد كل مظلمة. "ليس الله بأحكم الحاكمين" فالإنسان لا يكون إنساناً إلا إذا
 كان مؤمناً بالله واليوم الآخر.

سورة العاديات (١)

بسم الله الرحمن الرحيم

أكثر المفسرين يزعمون أن القسم إنما يأتي بالأشياء المتبركة المعظمة فاختلف آرائهم في تفسير السورة. قال بعضهم إنما قسم بخيل الغزاة والسورة مكية فاستشكلت عليهم فأولها البعض بأن الآية إشارة إلى أن الغزاة يكونون فيما بعد. وقال البعض إنما أهل العرفات وخيلهم وهذا لا ينطبق فإن المفترات صبيحا لا تكون في أهل العرفات وعتدنا ليس المراد الأشياء المتبركة المقدسة بل خيول المشبهين المغتربين الذين يعرفها العرب بطبيعتهم ويعرف خاصيتها فالرجال إذا أراحوا أن يغيروا لا يغيرون على من يقرب منهم، بل يركبون الخيل ويمشون طول الليل و وقت الصباح يكون وقت الإغارة، فتلك الخيول شاهدا على كون الإنسان كئودا لربه، لأنه أولا يكون منها العدو ويؤثر على نفوسهم على أنفاسهم ذلك العدو ويخرج منها صورة الضج، والطريق يكون فيه الجبال، فتعالها يخرج النار، لكنهم يستمرون في العدو مع كون الطريق وعرا حتى يصلون وقت الصباح إلى محل الإغارة، فيشتعلون وينتفون النفع يسترون بذلك صورة راكبهم فيهمجن وسط جمع الأعداء. تلك الأعمال من الخيول إنما تصدر لأن راكبها هيا لها ما يأكل ويشرب، ليس للراكب إحسان إلا هذا، والخيل يحازي ذلك الإنسان بتلك المشقات التي تعترى عليها، فلينظر الإنسان إلى ما أنعم الله عليه وإلى ما يعمل هو لله ويقسه بمحنة هذه الخيول تشهد

١- في هذه السورة بيان أمور تشخيص مرض الكؤودية. بيانه في قوله إن الإنسان لربه كئود. هذا جواب القسم. الشاهد عليه بيانه في قوله والعاديات صبيحا الخ هذا فللقسم به وأنه على ذلك لشهيد. قال شاه ولي الله في ترجمته: وهو آئنه آدمي برئاسه ليس خود مطلع است. قال شاه عبد القادر في ترجمة: اور وہ یہ کام سامنے دیکھتا ہے۔ کل مؤمن فعلى المؤمن أن لا يدخل فيه غيره تعالى. وإن من شيعته لإبراهيم إذ جاء ربه بقلب سليم. سورة الصافات: وَلَا تُخِزِّي يَوْمَ يُنْفَخُونَ. يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ. إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ. سورة الشعراء. مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْعَلِيمَ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ. سورة ق. لَمَّا كَانَ الْقَلْبُ بِبَيْتِ اللَّهِ فَعَلَى الْمُؤْمِنِ أَنْ لَا يَدْخُلَ فِيهِ غَيْرُهُ تَعَالَى. اعلم المحبة أقسام محبة الإنسان ابنه وغيره لكن المحبة المفرطة التي يعبر عنها بالمعشوق لا تكون إلا بالواحد لا تسع مدة العمرين لفلان معشوقين فعلى المؤمن أن لا يدخل في قلبه المحبة المفرطة إلا لله تعالى لأنه هو الم محبوب الحقيقي وفي الدرجة الثانية بعد محبة الله تعالى محبة النبي ﷺ فهو أحب من ما سوى الله تعالى. قال عليه السلام لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده. (البخاري ج ١، ص ٧) لأنه ذريعة الوصول إلى الله مثلا من تضمنه لوصول ليلي فهو أحب إليه من والده بدل عليه عدم تسليم قوله عند الدعاء لأخراج محبة ليلي من قلبه وهو لا يجترئ على عدم تسليم قول الذي تضمن له لوصول ليلي فإدخال أحد في القلب (بيت الله) شرك مثل وضع الأضنام في بيت الله مثل قريش مكة. إذا علمت هذا فاعلم أن الذي دخل في قلبه محبة المال المفرطة كيف يتوجه إلى شكره تعالى لأن محبوبه ماله أجله في علمه وليس كل وقت في تحصيله مثل طلب مجنون للبلى فلا محالة يكون كئودا لربه.

الخير إن الإنسان في لربه لكنود، وهذا نظرًا إلى هذا القسم والمثال الذي هو كالدليل لكون الإنسان لربه لكنود. هل يقدر الإنسان أن ينكر ذلك، أي إنسان كان فإنه لذلك لشهيد بعد أن ينظر لحال الخير. هذا نموذج ظهور المطلب على طريق القسم. إيضاح هذا المقصد بتلك الدرجة يعترف الإنسان بصحة مشكل غايته الإشكال وإن جئنا بألف دليل لكن بعد استشهاد بتلك الأمثلة هو يشهد على نفسه ولا يقدر على الإنكار. "وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ" هل كونه كنودًا لربه كان بسبب عدم قدرة الإنسان على أداء حق الرب. ليس ذلك بل هو أنه رأى منفعة مالية يشتد في تحصيله. وأنه لحب الخير يشتد فكونه كنودًا لربه كان جرماً يعتمد. ثم هل يعترف بكونه شديد الحب للخير حتى يتم عليه الحجة بالبداية عند عامة الناس لا يعترف بذلك يأتي بالمحاذير "أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ" أي يظهر هذا الأمر كل واحد أنه كان كنودًا مع حبه للخير لشدة يعني في وقت البعث يفهمه عامة الناس فليعرف الإنسان أن ربه يومئذٍ خير. يوم ينكرون ويخفون يعرف. جعل المفسرون كلمة يومئذٍ يوم القيامة عجيب كان الله أيضًا يحتاج إلى أن يقوم من القبور فتلك السورة أصل من أصول الفطرة الإنسانية. هذا مختص بمن يعترف بربوبية الرب ويظهر للناس أنه متدينون فصورة التدين لقيمة لها إذا لم يكن فيها روح.

سورة التكاثر

بسم الله الرحمن الرحيم

"أَلَمْ أَكُنْ الْمَكْتُوبُ" الخ الإنسان إذا اشتغل بالأعمال لتحصيل مقصد، فعادة عامة الإنسان أنهم يكثرون الأعمال ولا ينظرون إلى معناها وحسنها فالرجل المشتغل مثلاً بالشرعيات يقرأ كتباً كثيرة أو يصلي النوافل كثيراً وغيرها. هذا أمر مذكور عند الله، ليس بمحبوب إذا كان خالياً عن تحصيل ملكة الإحسان أو تحصيل علم اليقين. "أَلَمْ أَكُنْ الْمَكْتُوبُ" أي التكاثر في الأعمال بإبقاء ظاهر صورته. "حَقِّ زُؤْمُ الْمُقَابِرِ" يعني حصل لكم الموت إلى آخر الموت وبعد الموت ينكشف عليكم أن الذي عملتم لا ينفعكم كثيراً بل كان لازماً أن تحصلوا شيئاً من اليقين بمسائل تتعلق بالفطرة الإنسانية فترون أن تلك الأعمال تنتج نتائج تكون كالنار فإن كنتم اشتغلتم في حياتكم بتحصيل مثل ذلك اليقين كان أبلغ لكم. "كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ" فالجميع ليس إلا نتيجة أعمالكم وصورة من صورها فكنتم ترونها في حياتكم الدنيا بتظركم ورؤيتكم تحت الشتر تحت الحجاب والموت كان دافعاً لذلك الحجاب، هذا معنى قوله "لَتَرَوْهَا عَيْنَ الْيَقِينِ". ثم لتستلن يومئذ عن النعيم" فسر بعض أهل بيت النبوة بالقرآن والنبي يعني طريق تحصيل اليقين كانت حاصلة لكم لو قرأتم القرآن باتباع نبيكم، فزعم بالمقصد أنكم قرأتم الكثير وتحسستم بالألفاظ كأنكم لا تستفيدون بذلك النعم التي^(١) أنعم الله عليكم. لو كان ذلك، لكنتم تدرهم في المعاني والانقلابات التي أتت على الإنسانية، كان استفادتكم شيئاً آخر فضعكم في الحياة الآخرة كثير نفع. جاء في بعض الروايات الصحيحة أن أصحاب النبي كانوا معه في المدينة وأكلوا طعائماً يحتاجون إليه وشربوا الماء البارد فقال النبي هذا من النعم الذي تستلن عنه.^(٢) عندنا معنى هذا الحديث أن الاستفادة من صحة النبي كانت واجباً عليكم متحتمة وأن لم يحصل لكم مثل ذلك الطعام والشراب، فإذا حصل لكم ذلك أيضاً فالقصير في الاستفادة يستل عنه باستيفاء حق هذه النعم. النعمة الشراب والطعام يعني هذه النعمة كانت توجب عليكم أن تستفيدوا من صحة النبي بالاجتهاد البالغ. مثل ذلك طالب العلم إذا كان فارغاً من حوائج المعاش من جهة إرادة المدرسة ثم هو قصر في طلب العلم يستل عن النفقات التي أنفقها، لم أضاعها فليس الغرض هنا الإشارة إلى قيمة النفقات، بل التنبيه في قصوره في تحصيل العلم تقصيراً بيانه فهذه السورة أيضاً تشير إلى أصل من أصول التعلم.

١- في الأصل الذي والصواب النبي.

٢- مثل هذه الآثار قد أخرجها ابن كثير في تفسيره. لينظر: أبو الفداء إسماعيل بن عمر كثير، تفسير القرآن

العظيم (بيروت: دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٩٩٩ء)، ٨: ٤٧٥.

سورة الماعون

بسم الله الرحمن الرحيم

"أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ. فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ. وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ" الرجل المنكر يوم الجزاء إذا كان يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين، فهذا الفعل وإن كان منكراً لكن له وجه أنه لا يعترف بدله الآخرة، فكيف يصرف ما اكتسبه في الدنيا إلى رجال لا تأتي منهم إليه فائدة؟ مثل هذا الفكر يدل على شدة غباوة هذا الرجل لكن في الجملة يعذر يعني هو بالقصد لا يهجر الإنسانية. تفهمون مع هذا حال رجل يظهر أنه مؤمن بالله وباليوم الآخر، بل هو يعمل أعمالاً حسب ذلك الإيمان وهو يصلي فإذا كان هذا الرجل يمنع عن الماعون، الأشياء التي تستعمل وترد لا يكون باستعمالها نقصان راجع إليه، فهذا الرجل جعل الإيمان والصلوة لا ينفعان الإنسان في الاجتماعية بأدنى نفع، وهذا ليس مراد الله ورسوله، فالصلوة لازم معها الإنفاق على رجال لا يكونون على مسلكه لا بأس بذلك لكن حسب الاشتراك في الاجتماعية هو مقتضى الصلوة ولذلك حارب أبو بكر من فرق بين الصلوة والزكاة، فالرجل الذي يصلي كأنه متدين إلى غاية الدرجة ومنع الماعون يدخل فيهم. هذا معنى قوله "قَوْلٌ لِلْمُصَلِّينَ . الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ . الَّذِينَ هُمْ يُؤَاغُونَ . وَيَتَعَوَّنَ الْقَاعُونَ." وهذا الاعتراض إنما هو لبيان الحقيقة أن الصلوة لا يقتضي ذلك إلا أن هؤلاء غافلون عن صلاتهم؛ لذلك يعملون مثل تلك الأعمال. هم لا يصلون إلا لرياء الناس وإلا فحقيقة الصلوة لا يمكن أن تنفك عن الزكاة وعن الإنفاق، حاصل هذه السورة أن غير المتدين بالكذب يوم الدين إذا لم ينفق، يكون الاعتراض عليه مرة واحدة والمتدين المصلي إذا لم ينفق يعترض عليه إلى حد لا يمكن تصوره في هذه الدنيا.

سورة الكافرون

بسم الله الرحمن الرحيم

"قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ الْح" هذه سورة الإنذار بالحرب والسورة مكية. انتظمت في مكة جماعتان: جماعة مؤمنة بالقرآن أقامت حكومة اجتماعية فيما بينها لا يعملون عملاً إلا تحت أمر إمامهم. هذا هو معنى الحكومة لكن ليس معها العسكرية ولذلك سميناها حكومة اجتماعية، مثل ذلك جريناها في اتباع مشايخ الطريقة في بلادنا يتبعون مشايخهم مثل الحكومة يودون الخراج ويرفعون الحصومات كلها إلى المشايخ ويتبعونهم في كل ما أمرهم به، والحكومة العسكرية عليهم للإنكليز موجودة، فمثل تلك الحكومة الاجتماعية كانت منتظمة في مكة لجماعة المسلمين وكانت القبائل حول مكة مثل أسلم وغفار وجهينة أيضاً داخلية في تلك الحكومة. الإمام ولي الله أشار إلى انتظام الحكومة في فتح الرحمن في آخر سورة الرعد وفصلها في فيوض الحرمين ونحن إذا دخلنا في سياسات العصر عرفنا أن سوسيلزم منطرح نظره إقامة حكومة مثل الحكومة تأسفاً على كثير من اللصفيين المسلمين أنهم لا يعرفون مثل تلك الحكومة ولا يعرفون بما قرأناهم محرومين عن فهم كثير من الحكمة في الأحكام الشرعية، وهم وصلوا إلى درجة عالية في زمان خلافة كبرى للمسلمين فالمسلمون يقلدونهم وليس عندهم إلا نظرية الحكومة العسكرية فكانت سبباً عظيماً في تأخيرهم المسلمين في اجتماعياتهم أنا بحمد الله صحبت مشايخ الطريقة الذين ينظمون أتباعهم في إقامة أمر الجهاد فانظمت منهم حكومة اجتماعية بدون شعور منهم ثم اشتغلت بمحكمة الشاه ولي الله فحصل لي علم بمزية هذا النوع من الحكومة أيضاً، لكن أعترف جهراً أنني ما أدركت حقيقة تلك الحكومة وفوائدها إلا بعد ما اطلعت على كتب سومياليست، فالآن بحمد الله أنا قادر على تبديل صورة الاجتماعية الإسلامية موافقاً على ما قرره أهل النظر في ذلك العصر ويكون حكم القرآن محفوظاً فيها مدة في مئة. وأردت تقليدات السلاطين والعلماء الذين حكموا في الإسلام من مائة السنين وهذا ليس ببركة. إني ما أخذت أصل هذا العلم إلا من رجل حكيم إمام في الإسلام وأعرف من طبعي لو وصلت إلى تلك الحقيقة بواسطة رجل يتكلم الإسلام ويرد عليه، ما كنت بعد ذلك قادراً على تطبيق الإسلام على تلك النظرية، فهذه الجماعة المؤمنة المنتظمة في مكة المعظمة بجسها جماعة منظمة، وأخرى عدو لها معاندة لكل ما يستحسنها الجماعة المؤمنة، اسم تلك الجماعة في القرآن الكافرون. هم إذا رجعوا إلى وجدانهم وتأملوا في تلك الجماعة المؤمنة، وجدوها موافقة لطبيعتهم، لكن ثروتهم وسلطانهم التي حصلت لهم بتقاليد الأوضاع القديمة، لم تكن محفوظة في النظام الجديد، وهم قد اعتادوا حياة يبدون

الموت ألد إليهم من الضيق في حياتهم، فلذلك عاثوا الجماعة المؤمنة ^(١)، فالقرآن العظيم سماهم بالكافرين كأنهم يسترون ما عندهم من العلم فعنى هذه السورة الآن ليس بيني وبينكم اتحاد. "لَا أُعْبِدُ مَا تَعْبُدُونَ" فكما أن الاتحاد بيننا وبينكم متعبد في الحال كذلك نحن عازمون مصممون على عدم الاتحاد في المستقبل. هذا معنى قوله "وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ" فبيننا وبينكم الاشتراك لا يمكن فنقطع علاقات المواصلات "لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ" هذا قطع المواصلات كان إنذاراً بالحرب. قوم واحد سالكون في بلدة واحدة، مبادئهم مختلفة نشأ فيهم حزبان مبادئهم مختلفة لا يمكن الجمع بينهما وليفهم بعد ذلك ماذا يكون. السورة مفعلة بالإنذار وفسروها على عكس ذلك و جعلوها منسوخة بأحكام الجهاد، فعرف بذلك ذهنية تلك الأكابر كيف كانوا يفهمون الجهاد وتنبهوا في تطبيق آيات القرآن بعضها ببعض، وكثير من الجاهلین يتوقعون الإسلام بتفسيرهم هذا يكون حاكماً على الأرض كلها وهذا ليس إلا مثل ما كانت اليهود، ابتلوا بالألماني. ^(٢)

١- قد استخدمت في تفسير هذه السورة صيغ المضارع تعبيراً عما مضى أكثر من مرة، ولكنها لم تكن تناسب لتصوير الأمر، فبدلتها بالماضي لتكون العبارة ملائمة للفرض المقصود، فمثلاً كان في الأصل هناك يعاندون.

٢- لم يقل جمهور المفسرين بنسخ الآية الأخيرة من هذه السورة. قد ذكر الشوكاني هذا الموقف بصيغة التبرير، وذكر موقفاً آخر بأنها ليست بمنسوخة لأنها من قبل الأخبار والأخبار لا يدخلها التسخين. (البنظر: محمد بن علي

الشوكاني اليمني، فتح القدير (بيروت: دار ابن كثير، ١٤١٤هـ)، ٥: ٦٢١).

سورة النصر

بسم الله الرحمن الرحيم

"إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ" اقتران السورتين في ترتيب المصحف يشير إلى أن هذا الإنذار كان فتح مكة. بعد هذا الإنذار استمر المسلمون في الأعمال حتى جاءهم الله بالفتح، وفتح مكة كان فتح الجماعة للمؤمنين على الكافرة في مياستهم لأن مكة للمعظمة كان كندار السلطنة، فسياسة الكفار صارت منهزمة بعد فتح مكة ودخل العرب في الإسلام فأخر آية "كُنْتُمْ بِحَقِّكُمْ وَإِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا" يشير إلى قرب وفاة النبي ﷺ فكانه تم ما كان بعث لأجله. هذا يكون مثل الحديث ألا إن في الجسد مضغة^(١) إذا لم يزل يفتحها كان قلب العرب وجعلها النبي ﷺ مستقر الإسلام وبعد ذلك عمل أصحابه الذين تعلموا الطريق منه ليثبت للناس أن سبب النجاح هو تعليم النبي ﷺ القرآن والعمل به، لا ذاته للكرمة، فأصحابه كانوا يعملون على تعليمه وعلى طريقه، فكانوا يقدمون على بسط الهداية التي كانت في القلب إلى تمام الجسد. ونزيد مرة أخرى حكاية كلمة الشيخ ولي الله أن الأولين من المهاجرين والأنصار كانوا سبب دخول قريش ومن حولهم في الإسلام، هذه الدرجة كلها مخصوصة بذات النبي ﷺ. تعليم المهاجرين والأنصار وتأليفهم حتى فتحوا مكة، فدخلت قريش في الإسلام ومن والاهما من قبائل العرب، هذا الأمر كله كان يسمى النبي ﷺ إنما بعث لإقامة هذا الأمر. قال الشيخ ثم فتح الله على أيدي هؤلاء العراق والشام ثم فتح الله على أيدي هؤلاء الفرس والروم، ثم فتح الله على أيدي هؤلاء الهند والترك والسودان، فالنفع الذي يترتب على ذلك يزيد حيناً فحيناً وصار بمنزلة الأوقاف والرباطات والصدقات الجارية. كان في كلام الشيخ كلمة الجهاد يدلناها ذلك. والباقي على حروفه.

١ - صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب فضل من استقرأ لديته، رقم: ٥٠٢؛ صحيح مسلم، كتاب المساقاة، باب

أخذ الحلال وترك الشبهات، رقم: ١٥٩٩.

سورة الذهب

بسم الله الرحمن الرحيم

تأملنا في ترتيب هذه السور في المصحف، فحصل لنا فكر نريد أن نبينه. تفسير الآيات في ضمنها يأتي الفتح السياسي إذا حصل لجماعة على جماعة، فإن بقي للمنهزمين قوة اقتصادية قائمة على حالها، فهم يقفرون على مقاومة الفاتحين مرة ثانية. أما إذا بطل اقتصادهم أيضًا وتبدلت اجتماعياتهم، لا يقدرّون على أن يقوموا بمخالفة الفاتحين إلا بالمشقات الطويلة العريضة، فالمسلمون كما غلبوا على مركز سياسات الكافرين في مكة وفتحوها وكان ذلك في سورة البقرة، كذلك هم غلبوا على اقتصاديات المشركين واجتماعياتهم وهو المراد من سورة الذهب. أبو لبّ كان رجلاً اجتماعيًا اقتصاديًا. "ما أغنى غنّة" الخ اقتصادياته بطلت والاقتصاديات تنشأ تحت الاجتماعية. "سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ". تشير إلى إبطال اجتماعياتهم أيضًا. النبي ﷺ أنظر قريشًا وقام على الصفا وقال لهم لو أني أحدثكم أن جندًا تأتي من وراء هذا الجبل، الجبل الذي مقابل الصفا، ما تقولون بي؟ قال كلهم صدقت فأخبرهم أنه يأتي لهم عذاب شديد. (١) تلك ألفاظ مروية وفهمنا منها أن النبي ﷺ يأتي لهم بجند من وراء هذا الجبل، وكان النبي ﷺ انكشفت عليه واقعة الفتح، فأذكر ذلك أبو لبّ، فنزلت تلك السورة، ففهم منها أبو لبّ ما كان من رؤساء العسكر، وكان صاحب المال وصاحب الأولاد وكان له نوع سياسة في تنظيم المسجد الحرام، فالذي نزل رداً عليه، كان له إعلام بأن تنفّس أنك تفخر على العسكر، ولا حق لك في ذلك، فإنه يهزك إلى ما تصير أنت. هذا الاقتصاد والاجتماع الذي تفتخر به يكون مفتوحاً أيضًا مستهلكاً، فليس في ذلك سبب مقابل سبه. أيوطب من عائلة للنبي ﷺ وعمه، فتسمية ذلك لا يحصل منه ضرر، ولو كان هو من غير عائلته، فظن أن التسمية ما نزل بها القرآن، فإن ذلك يكون سبب تنفير أولاد ذلك الرجل وعائلته وقومه أبداً الدهر، لكن لما كان هو عم النبي ﷺ فلا يخاف منه شيء بل يكون فيه إظهار أن النبي ﷺ لا يريد إلا نصرة الحق لا نصرة نفسه وبه. رفيقنا الشيخ عبد الحميد (٢) أراد أن يجعل أبا لبّ فرعون هذه الأمة، وبسبب ذلك صرح باسمه عنده وعندنا لانبسة لأبي لبّ بفرعون بوجه ما. قراعتة النبي ﷺ كسرى وقبصر وإن كان في قومه رجل على طريقته، فأبوجهل يستحق مجازاً أن يسمى فرعون هذه الأمة، لأنه سيد هذا الوادي وأبو الحكم، فربما عجبنا أن النبي ﷺ يأخذ البيعة من

١- لينظر: محمد بن رزق بن طهوني، صحيح السيرة النبوية المسماة السيرة الذهبية (القاهرة: مكتبة ابن نسيمة، ١٤١٤هـ)، ٢: ٩٧.

٢- لعل المراد منه الأستاذ المحقق في علوم القرآن و التفسير الشيخ عبد الحميد الفراهي صاحب تفسير نظام القرآن، والذي أطلب في بيان عدلوة أبي لبّ للنبي ﷺ في تفسير سورة الذهب. (لينظر: عبد الحميد الفراهي، تفسير نظام القرآن و تأويل الفرقان بالفرقان) أعظم كرم الجدة: البائنة الحميدية، ٢٠٠٨هـ)، ٥٧٩ وما بعد.

قريش يوم فتح مكة ويقوم على الصفا، المقام الذي قام عليه بالإنذار وحفظ من دعاء النبي على الصفا. الحمد لله الذي صدقنا وعده و نصر عبده وهزم الأحزاب وحده، فعلمنا أن إتيان هذه العسكرة من وراء هذا الجبل كان موعوداً له ﷺ. إذا تدبر الرجل في سيرة النبي ﷺ أحسن التدبر، لا يحمد يد النبي ﷺ لها مدخل كبير، كأنه يد الله يفعل ما يشاء وهو علم النبي كيف يعمل.

سورة الإخلاص

بسم الله الرحمن الرحيم

"قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ" القوم إذا انكسرت اقتصادياته واجتماعياته، لا يقدر على أن يقوم مرة ثانية في مدة متقاربة بالسهولة. أما بعد جهد جهيد ومرور الدهور، مقدّر أن القوم إذا كانت فلسفته العقلية التي كان بناء الاجتماع والاقتصاد ما بطلت وبقيت على حالها، فهي تعلّم أولادها تلك النظريات، فيحصل له بعد زمان الاجتماع والاقتصاد ويقوم لانتصاره وأخذ ثأره من أعدائه. أما إذا بطلت فلسفتهم العقلية أيضًا وغلبت فلسفة الفاتحين على فلسفتهم وغيّرت ذهنيّتهم، فلا يرجى منهم القيام مرة ثانية، فالإسلام وتعليم القرآن كما فتحا قوة الكافرين السياسية ثم فتحا قوتهم الاقتصادية والاجتماعية، كذلك فتحا على فكرهم أيضًا وغلب على ذهنيّتهم فلسفة الإسلام والقرآن.

وهذه السور الثلاث: الإخلاص والمعوذتين عندي بيان فلسفة الإسلام، وإذا كان فتح الإسلام على ذهنية أهل الكفر تأمًا، ما بقيت حاجة إلى نزول الأحكام من الله بعد ذلك. في ترتيب المصحف جعلت هذه الثلاث في آخر المصحف.

الحركة الفكرية الإنسانية-الفلسفة ما معناها- فعين مركز أو نظم الأفكار المختلفة هو له كالدائرة فيذهب التعارض الذي يرى في ظاهر الأفكار ويقر محله كنقطة واحدة بعد أن تعينت كالدائرة الواحدة، فالأفكار الإسلامية مركزها هو توحيد الرب فقط، وهذا معنى سورة الإخلاص، فبيان التوحيد مثل ذلك كأنه لا يوجد في كتب الديانات كلها وإن كانت آية الكرسي أكثر إيضاحًا للطبقة الراقية من المتدينين. أما هذه السورة فمراعاهما لذهن أوساط الناس وبيان التوحيد كأنه لا نظير له.^(١) هذا هو مركز الأفكار الإسلامية. فرغنا بذلك من تعيين جزء من أجزاء الفلسفة.

١- يقول الشيخ السندي في كتابه قرآني شعور انقلاب إن في هذه السورة البليغة رد على أربعة أنواع الضلال، وهي: الثنوية (التي كانت عند الفرس القدامى والشفاعة المطلقة والابنية والوثنية، فهذا الاعتبار يمكن أن نقول إن هذه السورة كما أنها تراعي لذهن أوساط الناس فإنها أيضًا تثبت أمر التوحيد على المستوى العالي. (لينظر: عبيد الله السندي، قرآني شعور انقلاب، جمعه ورتبه، بشير أحمد لدهيانوي و خدا بخش، راجعه، عبيد الغني القاسمي (لاهور: مكّي دار الكتب، ١٩٩٩ء)، ٢٧١.

سورة الفلق

بسم الله الرحمن الرحيم

"قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ" الخ هذه السورة من أشكال السور كانت على تنسيق آياتها. قرأت تفسير الفتح العزيز للإمام عبد العزيز الدهلوي وما شفاني، ثم رأيت شيخ شيخنا محمد قاسم النانوتوي، إنه سئل عن تفسير المعوذتين فكتب جوابه ولما قرأتها انشرح صدري. (١)

بعد ما فرغنا من تنسيق الآيات نقول على طريقتنا أنه محيط دائرة مركزها سورة الإخلاص والتوحيد وتنظم حولها جميع المخلوقات.

حكمة أخرى

الأشياء ننظر إليها بوجهين نستفيد منها فائدة أو نحفظ أنفسنا من ضررها، فالحكيم لا ينظر إلا إلى أقل الأشياء لا يتعدى فكره من أقل الأشياء فالتحفظ من الضرر هو ما أعظم الفوائد عند الحكيم، لأن الفوائد التي ترجى منها إن لم تحصل فلا يحصل ضرر فكانت كالمندوب والمستحب فنجمع المخلوقات كلها حول توحيد الرب باعتبار التحفظ من شرورهم.

"الفلق" معناه الشق والشق معناه الخلق. البدر يشق الظلمة والحب يشق الأرض، فمعناه قل أعوذ برب المخلوقات كلها من شر ما خلق أي خلق، أي خلق للشر في خلقه مثل الحيات هي تحصل غذائها يكون فيه موت الإنسان فكل شيء يكون بطبيعته ضاراً لنا نستعيز من شرها بالله. مثلاً إن الإنسان في تكميل حياته يحتاج إلى التحفظ من الشرور، فإذا قسنا الإنسان على ذلك الإحاطة بالمضرات فالنبات إذا خرج من الأرض أول شيء يضره الحيوان الذي يأكل الخضروات فمقتضى طبيعة ذلك الحيوان شر للنبات فلذلك يجعل حول النبات حظيرة تمنعه عن الحيوانات ثم هذا النبات يحتاج إلى تحصيل الغذاء من أجزاء الأرض والماء وغير ذلك فإذا منع من ذلك يكون فيه موت النبات. قد علم الناس العالمون بالنباتات أن ضوء القمر أيضاً ينفع النبات ويحصل له نوعاً من الأغذية.

١- ذكر الشيخ السندي في كتابه قرآني شعور انقلاب أن الشيخ النانوتوي قد أوضح مطالب هذه السورة في ضوء تمثيل الشجرة الصغيرة التي تحيط بها أخطار مختلفة مثل الحيوانات التي تأكل أوراق الأشجار ووقودان الغذاء المناسب لها والآفات الطبيعية مثل الرعد والبرق ونحوهما، وهكذا الإنسان محاط بأخطار مختلفة في حياته، وليس السبيل من النجاة منها إلا تفويض الأمر إلى الله تعالى، فإن مشيئته سار في جميع أجزاء الكون، وهو وحده جدير بأن يصون الإنسان من كل شر. ثم إن المنافع التي يمكن للإنسان تحصيلها، إنما هي بيد الله تعالى، فمال الأمر أن النفع والضرر كليهما بيد الله تعالى وأن تدبره وتأثيره يجريان في كل شيء، وهو المهيمن على كل شيء، وإذا استقر هذا الأمر في ذهن الإنسان، إنه يضطر إلى التسليم والانقياد له تعالى، وهذه هو موضوع السورة. (لينظر: السندي، قرآني شعور انقلاب، ٢٧٢، ٢٧٣).

"وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا وَقَبَ" معناه من شر قعر إذا غرب يشير إلى ذلك يعني منع الغداء عن النباتات في شرها نستعيد برب الفلق ثم النبات ينزل عليه الثلج والبرد من السماء فيكون سبب موته فتحفظه من ذلك أيضًا لازم، ومثال ذلك في الإنسان الدعابات من الجماعات التي تحلل عقائد لهاية لهذا معنى قوله تعالى : "وَمِنْ شَرِّ اللَّفَّاكَاتِ فِي الْعُقَدِ" فإن اعينوناها مثل البرد والثلج التي تأتي على النبات فالتحفظ منها كان لازماً، كأنها إشارة إلى جميع المضرات التي تأتي من الخارج، ثم يكون من الشرور التي تلحق النبات، رجل له عداوة لصاحب النبات، أما النبات نفسه فلا تعلق له بذلك الرجل انتقاماً من مالك النبات يستأصل النبات فلأى مثل تلك الشرور إشارة في قوله : "وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ" فإذا حصل للنبات تحفظ من تلك الشرور الأربعة يكمل حياته فالإنسان في فكر الإنسان نوع تنظيم المخلوقات حول توجيه الحق، فهذه الدائرة العظيمة للفلسفة الإسلامية.

سورة الناس

بسم الله الرحمن الرحيم

"قُلْ أَغُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ" هذه دائرة في وسط هذه الدائرة حول ذلك المركز. هذه الاجتماعية الإنسانية فقط التي هي موضوع الشرائع الإلهية عامة والإسلام يكمل جميع الشرائع بجمعها تحت نظام واحد، ففي درجة الكمال لا يبعث عن الاجتماعية إلا الإسلام وتعليم القرآن، فالإنسانية في اجتماعاتها تدور حول مراكز ثلاثة:

١- الأول: مركز الربوبية الذي يصدر من الآباء فكثير من الناس لا يتجاوزون ما وجدوا عليه آباؤهم وليس ذلك إلا أنهم رأوا منهم التربية.

٢- المركز الثاني الاجتماعية الإنسانية المملوكة، فالناس كثير منهم يختلفون في جماعات وأحزاب ولا يكون مرجع للتحرر والملاجماع إلا ملك منهم أو سلسلة الملوك منهم.

٣- المركز الثالث الاجتماعية الإنسانية الألوهية معناها عندنا المحبوبة الجناية للوصلة إلى درجة العشق أو فوق ذلك وكثير من أهل العم وأهل الأخلاق العالية أصبحوا فكرا وعشقا فمن رأوه مصدر ذلك الفكر عبدوهم فالقرآن العظيم بإرشاده وهدايته يثبت لعامة الناس أن ربوبية الناس ليست متحصرة في الآباء بل هي منتهية إلى الرب رب الناس كلهم لأن آباؤهم كانوا محتاجين للتربية وكذلك أثبت بالدلائل الواضحة والبيّنات أن الحكم والملوك لا يصلحان إلا للإله الحق، فالملوك أيضا يحتاجون إلى ملك، قرب الناس هو ملك الناس وكذلك أثبت بدلائله أن الحب البالغ إلى درجة العشق كل شيء رأيتم أنه يستحق إذا تأملتم وتبصرتم رأيتم كل ذلك يرجع إلى الإله الحق إله الناس، فهو يتجلى بتجليات مختلفة يغلط بعض الناس في فهم التجلي فقط فرب الناس ملك الناس إله الناس هو الإله الواحد الحق الصمد لكن ترجع في إثبات هذا التوحيد وتأثيره هنيئا إلى تحفظ الشرور التي تنشأ في أنفسنا فالإنسان يعرف نفسه أنه واحد ويأتي فيه أفكار باطلة بالنسبة إلى الربوبية مرة وبالنسبة إلى الملوك مرة أخرى وبالنسبة إلى الألوهية في بعض الأوقات فالإنسان في توجهه إلى تلك المراكز الثلاثة لا يكون إلا إنسانا واحدا والقوة الفاسدة التي هي موجودة في قلب الإنسان وفي نفس الإنسان وإن كانت تتظاهر بمظاهر مختلفة

لكنها واحدة وقد أثبت القرآن العظيم أن الربوبية تستلزم الملوكية والملوكية تستلزم الألوهية، فلا شك في توحيد الإله الحق. (١)

"قُلْ أَصُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ" كل إنسان له قرين في عالم المثال. إما يكون مائلاً إلى الشيطان وإما يكون مائلاً إلى الملائكة فهذا الحق إن كان شيطاناً يفسد أفكارنا وإذا حصل لنا في بعض الأوقات البخل من نعمة نجد في قلبنا البرد والاطمئنان بما علمه القرآن من كون الإله الحق هو رب الناس ملك الناس إله الناس فهذا البرد والاطمئنان هو مقتضى فطرتنا وهذا الانتشار والاضطراب يحصل من ذلك القرين الشيطان الذي هو من الجن؛ والفلس يميلون بطبعهم إليه، فهو يوسوس في صدورنا لا يأتي لنا بدليل وبرهان، وإنما يأتي تشكيكاً ووهماً، فهذا هو الوسواس مركز الوسوسة، وإذا جمعنا خاطرتنا بعد عناء فهذا الشر الذي هو حادث في أنفسنا هو انتشار الفكر وعدم اجتماع الخاطر على الأمر الحق، فمن هذا المرض تعود برب الناس ملك الناس إله الناس؛ والاستغلاص من هذا المرض تأماً لا يكون إلا إذا اعتمدنا أن ربنا وملكنا وإلهنا واحد. هذا هو تعليم الفلسفة القرآنية المخصوصة بالاجتماع الإنسانية. إذا غلبت هذه الفلسفة أيضاً على جماعة الفلسفة الكافرة وتبدلت ذهنيتهم موافقة لتعليم القرآن، فلا يكون فتح الإسلام فتحاً تاماً مكملًا.

كلمة واحدة استدراك

في عمدة ممددة النار التي تطلع على الأفق هي تكون من فساد الأخلاق ونستمر حتى يذهب فساد الأخلاق بالكلية وكل شيء خرج من يحفظ عليهم في عمدة ممددة، فليس ينقطع عذابهم بخروج النار مرة بل كلما خرجت جمعت عليهم.

كلمة واحدة استدراك

كلمة استدراك في سورة الناس. القرآن العظيم أثبت أن رب الناس ملك الناس هو الرب الواحد الحق مستعبد به من جميع الوسواس الخفريات التي تأتيها في ربوبية الحق أو في ملوكيته أو في الألوهية يكون ذلك انتشار الخواطر وتشويش الأفكار من جماعة من الجن والناس. إمامهم يكون القرين الذي خلق مع كل رجل في عالم المثال. هذا الجن إن كان غلب عليه قوة الملائكة الملائكة السافل يلتحق بالملائكة، وإذا غلب عليه مخالفة الملائكة فهو الشيطان وشيطان كل رجل قرينه الذي يخالف الملكة فالإنسان إذا كان ملقى الطبع يجمع حوله جماعة من البشر يوافقونه في الرأي، كذلك هذا القرين يجمع حوله جماعة من الجنة والناس يعملون

٢- هذا التقسيم يرجع إلى فكرة الشاه ولي الله الاجتماعية عن الارتفاقات التي استوفى البحث عنها في كتابه حجة

الله البالغة. (انظر: الشاه ولي الله، حجة الله البالغة، ١: ٨٢ وما بعد.)

عمله في انتشار الأفكار في قلب هذا الرجل، فهذا الذي هو إمام هو الوسواس. كل ما تمكن
 الناس من جميع شواطره الموافقة، فطرته ميلاته إلى الملكية، يحدث في قلبه برد وثلج واطمئنان في
 تلك الحالة، يذهب تأثير الوسواس عن قلب هذا الرجل مثل ما تزول الظلمة عند طلوع
 الشمس، وهذا معنى قوله تعالى: الخناس فالاستعاذة من هذا الشر راجعة إلى الفطرة الإنسانية.
 الإنسان المجهول على الطهارة يزول عن نفسه وبدنه الأنجاس والأوراث بدون تعليم من الخارج، ج
 كذلك الرجل سليم الفطرة يتباعد عن شر هذا الوسواس بكل قوته وإذا كان ضعيفاً بمقابلته،
 يستعين بالله فيذهب عنه أثره، فهذا دليل على أن الإنسانية في حفاظتها الفكرية تدور حول
 الرب الواحد الكريم، فتتظيم هذا الفكر هو الفلسفة الإلهية وإذا غلبت فلسفة القرآن على ذهنية
 الناس يتم إيمانهم بالقرآن ويكون فتح الإسلام قد بلغ كماله.

سورة القدر

بسم الله الرحمن الرحيم

"إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ" في حكمة الإمام ولي الله صلى الله عليه وآله ما يصل إليه الإنسان بتفكيره هو التجلي الأعظم الذي ظهر على النفس الكلية التي هي نفس واحدة. تدبير جميع العالم أو الشخص الأكبر مثل تدبير النفس الناطقة المختصة بكل فرد فرد من الناس ليدنه، فهذا التجلي الأعظم الأول ثم لهذا التجلي يحمل على القوة العازمة للشخص الأكبر والمحل المختص بتلك العقدة يسمى بالعرش. نسبته إلى الشخص الأكبر نسبة المضغة القلبية إلى الشخص الأصغر في المركز كالواحد منها للعقدة العازمة. فالتجلي على العرش في الحقيقة عكس التجلي على النفس الكلية، لكنه هذا أيضاً يسمى بالتجلي الأعظم لأن جميع الأفاعيل التي تصدر من الشخص الأكبر تنسب أولاً إلى العرش العظيم، فهذا التجلي صار قبلته، يمتنع كل القوى العاملة من الملائكة العظام وهم على قسمين: قسم نورية محضة وقسم عنصرية لكن أرواحها لها نسبة مخصوصة بالتجلي القائم على العرش، لا تحصل تلك النسبة إلا لمن وصل إلى درجتهم وهم يلتحق الكاملون من البشر الأتقياء الكرام وأتباعهم. تلك الجماعة المتولفة من ثلاث أصناف تسمى بالملأ الأعلى، كل ما ينزل من التجلي الإلهي القائم على العرش العظيم إليهم ينزل أولاً وبواستطاعتهم يصل إلى الآخرين في قلب كالواحد عكس للتجلي الأعظم القائم على العرش، له مناسبة لفطرته وأعماله فنجعلون هؤلاء مثل الكواكب ثم يجتمع الملأ الأعلى في الأوقات فيحل اجتماعهم يسمى بحظيرة القدس، ففي حظيرة القدس بسبب اجتماع التجليات المتكررة ينشأ وحداني يستتر تحته التجليات المختصة بقلب كل فرد فرد، فهذا النوع الوحداني يصير مظهر عكس للتجلي الأعظم القائم على العرش فكان نزل إليهم من عرشه، فكل شيء يصدر من حظيرة القدس، يكون حكم الله حقيقة وهو مجتمع الشرائع كلها. حظيرة القدس فيها درجتان: الدرجة الأعلى إنما يبحث فيها عن الاجتماعيات الإنسانية فقط. الدرجة الثانية يبحث فيها عن كائنات العالم سوى الإنسانية، ثم تحت حظيرة القدس أئمة الأنواع في رأس عالم لثال، ففي تلك الأئمة الإمام للنوع الإنساني، يكون كالمركز والتجلي القائم على العرش يكون بجميع تفاصيلها يتطبع في قلب إمام النوع الإنساني فمن هذا التجلي ينشأ معرفة كل إنسان بربه، لأن معاد كل فرد من النفوس الناطقة وصوله إلى إمام النوع الإنساني لأن كلا منهم نشأ من ذلك الإمام، فالنفس الناطقة الشخصية عكس واحد لإمام النوع الإنساني فيكون مثله مثل شعاع الشمس. فمعاده ليس إلا الرجوع إلى إمام النوع الإنساني. وإذا وصل في حظيرة القدس إلى إمام النوع فقد تم سفره ويدركه بفطرته التجلي القائم بقلب إمام النوع الإنساني.

فصل

الأمر الإنساني تنشأ من حظيرة القدس بأمر التجلي الإلهي القائم فيها وموافقة الملائكة الأعلى على ذلك الأمر فكانه اقتضاء للملائكة الأعلى، والرب إنما حكم به إجابة لدعوتهم ويكون مصدرها إمام النوع الإنساني فتنشأ الأحكام فتنزل الأحكام في السموات والأرض ويكون لها تأثيرات خصوصية ولما تم الأمر يعرج في السماء حتى يصل حظيرة القدس. نحن لانعرف الأمور من مبدأها لأن حياتنا حادثة من زمان معلوم، وقبل ذلك ما جرى في الشخص الأكبر لانحيط به، فلذلك نبتدأ من الوسط. الله سبحانه أمر أمراً بعد دعوة الملائكة الأعلى بذلك الأمر. هذا الأمر يكون متوجهاً إلى إمام النوع الإنساني، ويصدر من تجلٍ قائم في قلبه ومع هذا الإمام خدام من الملائكة مثل الحواس والأعضاء والجوارح لنا، فهم يأمرون بذلك الأمر وينزل من سماء إلى سماء حتى يصل إلى الأرض فيؤثر على قلب أركي رجل في ذلك العصر أولاً يأمر هو ويعلم الناس يأخذون به، وطائفة تخالقه وبالتدريج يغلب الأمر ويحيط بتلك القطعة الإنسانية التي كانت مرادة مخاطبة فلما تم ما أراد الله تعالى يرجع حاصلاً. هذا الأمر كله يعرج إلى السماء بالطريق الذي نزل أولاً حتى يصل إلى حظيرة القدس فيعرض على التجلي القائم في قلب إمام النوع الإنساني فتنشأ إرادة جديدة من الله مراعيًا تلك الوقائع كلها كان حاصلات الأمر الأول صارت معدة لنزول القضاء الثاني، وهذه الدورة نسميها دورة واحدة من ابتداء نزول الأمر إلى انتهاء رجوعه إلى الله. نحن لانحيط بالدورات التي تقدمتنا والتي تأتي بعدنا فرض الإنسان ليس إلا تعميل ما اقتضته دورته تكميله. (١)

١- إن مسألة الوجود من أعظم مسائل الفلسفة والتي ما زالت موضوع الكلام عند الفلاسفة منذ التاريخ اليوناني القديم، وأما الشيخ الشاه ولي الله فقال في هذه الصدد: لما ننظر إلى الموجودات نرى فيها حيثيتين: الاشتراك والامتياز، يعني أن الموجودات يشترك بعضها بعضاً في الأوصاف المختلفة، مثلاً إن أفراد الإنسان يشتركون في الإنسانية، وبعد ذلك يتميزون فيما بينهم في الميزات، وكذلك إن الأمر المشترك في الأجسام الحية أنها حية، ونفس الأمر في الموجودات كافة فإنها تشترك في الوجود، والوجود هي الصفة المشتركة في الممكن والواجب، والمراد من الوجود كون الشيء موجوداً وهذا الوجود يحوي الأشياء كلها، وما كان خارجاً من إحاطة الوجود يكون معدوماً، فالأشياء بدون الوجود أمور اعتبارية محضة، ومن ثم قال بعض الصوفية إن الله عبارة عن الموجودات، يعني أنه أظهر نفسه في الموجودات وهؤلاء الصوفية يسمون بالوجودية العينية. والنسبة بهذا الواحد كنسبة الوحدة مع باقي الأعداد، مثلاً الواحد يكون قبل الاثنين ويكون داخلاً في جميع الأعداد حتى يبقى في النهاية هو وحده. وهناك طائفة أخرى من الصوفية يقال لها الوراثية والذين يعتقدون أن الوجود الذي يشترك في جميع الموجودات، هو الذي يضمن بقاءها وقيامها، وهو في ذاته عكس الوجود الأعلى، فالمراد من الوراثية أنهم يعدون ذات الإله ما وراء الكون. إن فلسفة ابن عربي امتزاج لهاتين الفلسفتين، فإنه تارة يقول عن الموجودات بأنها عين الذات وتارة يعدون ذات الإله وراء الكون. يقول الشيخ الشاه ولي الله إن الحقيقة في حد ذاتها أمر واحد ولكن ظهورها يكون في صورتين: لما تتجلى في الزي الأصيل لوجودها نقول لها الجوهر، ولما تتجلى في صورة لباس الوجود الآخر فإننا نقول إنه عرض. فالحاصل أن الإنسان وصل بعد تفكير طويل إلى نتيجة أن النفس

الفصل الثاني

هذه نبذة من الحكمة الإلهية هذبها واتبعها الإمام ولي الله. ليس مرادنا أنه أوجد هذه الفكرة وهذه الحكمة، بل هو مقتضى الفطرة الإنسانية ومنتهى أنظار الكاملين منها، فهذا من خصوصيات بيان الشيخ و إلا فالأئمة الذين أخذ عنهم الشيخ بالواسطة أو بدون الوساطة كثيرون وكلامهم محفوظ منقول إلينا، وأهل طريقتهم يبنون لنا مقاصد الشيخ لكن لانها كافية لفهم المقاصد القرآنية وتطبيق الشرائع الإلهية ثم تطبيق الأحاديث النبوية ثم تطبيق معارف الكاملين من الأمة المحمدية. الآن نشرع في تفسير السورة.

أقرب الدورات دورة ألف شهر بالتخمين، ويكون ذلك عندنا مائة سنة بحسبنا لأن شهر رمضان وشهر ذي الحجة مخصوصان بأشياء خاصة، فالأمور العامة إنما تكون في السنة في عشرة أشهر، فمائة سنة تكون كآلف سنة. ينطبق بهذا ما ورد في بعض الروايات أن يجدد هذا الدين على رأس مائة سنة. **إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ** ليله القدر يكون ليلة التخمين والتقدير من جهة الملائكة الأعلى للسورة الآتية ويترد قضاء الله تعالى، فيكون نافذ الأبد في تلك الدورة لا يمنعها مانع، فمعنى الآية عندنا أن تنزل القرآن ابتداء دورة خاصة ففي تلك الدورة يكون الحكم النافذ والغالب القاهر ما نزل في هبدا الدورة، فالقرآن العظيم لما أنزله الله في ليلة القدر، يكون أمره نافذا قطعيا وحسن ترتيب المصحف يظهر من تعقيب هذه السورة.

الكلية هي منبع جميع الموجودات وجميع الأشياء تنبثق منها وتنتشر، وعند الشاه ولي الله قد صدرت هذه النفس الكلية من ذات الإله بطريق الإبداع، يعني أن النسبة بين النفس الكلية وبين الذات الإلهي هي نسبة الإبداع وليست نسبة الخلق، ومعنى الإبداع إيجاد شيء من العدم، وبألفاظ أخرى تخلق شيء بدون المادة، والظاهر أن ذات الحق بعيد عن هذا العالم، فما هو طريق الإبداع؟ يقول الشاه ولي الله إن النسبة التي تتحقق بين المبدع والمبدع بمنأى عن الفهم بمقتل شيء من العالم المادي، والتحقيق أن المراد من الإبداع نسبة معلوم حقيقتها مجهول كيفيتها والعقل يعجز عن إدراكها. وخلاصة الكلام السابق أنه توجد وحدة بين ذات البارئ والنفس الكلية (أي المبدع والمبدع) ولكن ليست هذه الوحدة وحدة حقيقية، وإن العقل الإنساني يمكن وصوله إلى النفس الكلية (لوجوده للنسبة) ولكنه عاجز عن ما وراء ذلك، وأنه عاجز عن إدراك النسبة التي توجد بين النفس الكلية وذات الحق، والتي تعبر عن الإبداع، ولاهو قادر على إقامة التمييز بينهما، فتسج ذلك أن المبدع والمبدع بعدان تارة بمثابة شيء واحد. (لينظر: غلام حسين جيلاني، شاه ولي الله كي تعليم (لاهور: سندرس ساكر أكاديمي، ٢٠١٧ء).

ذكر بعض الاختلافات

اقرأ سورة العلق كانت أول ما أنزل من القرآن، وفي هذه السورة ضمير راجع إلى الغالب وهو القرآن فتعقيب اقرأ معناه نزول القرآن ابتدائه في ليلة القدر. أهل العلم عينوا للتاريخ الذي نزل فيه القرآن فحكموا بأنه رمضان وأنه يوم الفرقان يوم بدر، لنا ملاحظة مخالفة لهم.

المسئلة الأولى عندنا الأشهر المباركة تكون بعد أيامها. ليلة عرفة بعد اليوم التاسع، ومثل هذا عندنا ليالي رمضان. لما رأوا هلال رمضان، فالترابيح في أول ليلة ليست عندنا مسنونة، بل عليهم أن يصوموا يومها، ثم يصلوا الترابيح، ويقوموا ليلاً، ويظهر ذلك من عمل نبينا ﷺ في اعتكافه في العشرة الأخيرة في رمضان، كان يدخل معتكفه بعد صلاة الصبح الحادي والعشرين، لا بعد صلاة المغرب التي تأتي بعد ليلة العشرين وكان يخرج من معتكفه بعد صلاة الصبح من يوم العيد، لا بعد رؤية هلال شوال على الفور بعد المغرب،^(١) وينحل بذلك مسئلة مشكلة في تعيين ليلة القدر في أحاديث مسلم وأبي داود. القاضي يسهل الصحابي في تلك الرواية أنهم أعلم منا بعد الليالي فالحادي والعشرون أي ليلة، فيمن الصحابي الراوي للحديث الليلة التي بعد صوم الحادي والعشرين. هذا نذكر بمعنى الرواية لا بالفاظها ويستشكلونه أهل العلم ويؤولونه بتأويلات بعيدة.

المسئلة الثانية: نزول الوحي على الأنبياء بعد صيامهم واعتكافهم. أمر الله تعالى موسى عليه السلام بالصيام. النبي ﷺ كان مأموراً لكننا نظن أنه بقطرته صام ذلك رمضان كله. كان يخلو بفار حرام ويعتكف، والاعتكاف الصوم معه لازم، كانوا يعرفونه من بقايا شرائع إسماعيل ويمكن أن يكون شرع في صيامه بعد عشرين من شعبان. فقم ميقات ربه أربعين ليلة وفي آخر ليلة من رمضان الذي يكون بعد الثلاثين، ونحن نعهده من ليالي شوال. نزل الوحي ومن صباح ذلك اليوم سن لنا العيد عيد نزول القرآن الكريم. هذه المسئلة أكملتها باجتهادي وتكثيري الكثير لكن تنبعت أولاً بمطالعة كلام السيد أحمد خان مؤسس عليكره.^(٢)

١- عند جمهور العلماء من أولاد الاعتكاف في العشر الأواخر من شهر رمضان، إنه يدخل معتكفه قبل غروب الشمس من ليلة إحدى وعشرين، وهناك قول ثانٍ أخذه الشيخ السندي وهو أن بداية وقت الاعتكاف بعد صلاة الفجر للواحد والعشرين من رمضان. هذه رواية عن الإمام أحمد ومن المختارات الفقهية لابن القيم من القدماء وابن باز من علماء الماضي القريب في المملكة السعودية. وبهذا القول أخذ علماء اللجنة الدائمة، وكلتا الطائفتين أدلة ومستندات. (لينظر: محي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج (الأزهر: المطبعة المصرية، ١٩٢٩م) ٨: ١٦٨. أحمد بن عبدالرزاق الدويش، فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (الرياض: دار العاصمة للنشر والتوزيع، ١٩٩٦م)، ١١: ٤١١.

٢- لم أحمد أمين قال سر سيد. هو السيد أحمد بن الخطي الدهلوي المعروف بسيد أحمد خاں، هو من مشاهير الشرفي وكان يتمتع بموهلات عظيمة، والثاني فيه على طبعين، طبقة يجعله كثيراً وأخرى تنقص من شأنه، قد أنشأ

"وما أدراك ما ليلة القدر" لأن هذه الأمور لا يعرفها أصحاب الشرائع. محل اجتماع الملائكة محل تقرير الشرائع تعيين الدورات فيها إنما يعرفه الحكيم الرباني لاعامة الخاملين للشرائع "ليلة القدر خير من ألف شهر" تكون عمل عمله، وتقرر عند أهل العلم إذا أردنا أن نتعمق أمراً، يكون له جزآن: الأول تقرير البرنامج والأمر العلمي تفصيل بكل ما يتعلق بتفاصيل العمل، الثاني العمل وتنظيم الإدارة بإتقان وثقت، فإذا اجتمع الأمران تكامل الأمر المطلوب، ثم تقرر عندهم الجزء الأول خير من الجزء الثاني. إذا تقرر البرنامج فقط قطعنا أكثر من نصف العمل وما بقي إلا النصف الناقص الأقل من النصف، فلما تقرر الدورة في تلك الليلة كان خيراً من ألف شهر. "تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا" الخ نزول الملائكة عندنا إنما يكون على رؤية عكوس التجلي فالملائكة العظام يكونون موجودين في مقامهم الأعلى، فإذا ظهر تجليهم في السماء الدنيا، قلنا إنهم نزلوا إلى السماء الدنيا وهكذا نزولهم إلى الأرض يكون بمظاهر العالم المثالي، وقد عرف في السنة أن النبي ﷺ ما رأى جبريل بصورة الأصلية إلا مرتين.

ونزول الروح المرادفة تجلي إمام النوع الثاني. هذا هو الروح الأعظم فالملائكة يكونون معه كالخيلام له ففي تلك الليلة لا يكون فقط تقرير البرنامج العلمي بل زائداً على ذلك. إصلاح العمل الثلاث العملية وجعلها موافقا لإتمام الأمر المطلوب أيضاً يتم في تلك الليلة بنزول الروح فيكون سبباً لتغيير ذهنية الناس. يظهر أثره في الأركى فالأركى العمل الثلاث.

والملائكة ينزلون فيصلحون الأرض والجبال والبحار والسحاب كلها لإتمام ذلك الأمر إذا دعا نبي من الأنبياء الله لإنشاء السحاب بدعوته فقط تجتمع مثل الجبال وإذا دعا أن يرتفع السحاب على الفور ينكشف فجعلها راجعة إلى تأثير تلك القوى بتأثير النبي. هذا يكون عمل الملائكة في تلك الليلة. "من كل أمر" يهيئون سلامة الأمر المطلوب لا يناقضه شيء من الأسباب الأرضية.

"حتى مطلع الفجر". ذلك العمل تقرر الشريعة لتلك الدورة مفصلاً وإصلاح جميع القوى العاملة في السماء والأرضين موافقة له يتم في تلك الليلة، فلا يمكن نجاح شيء يخالفه في تلك الدورة. بقي الكلام على ألف شهر. قد ذكرنا أن ذلك يساوي مائة ألف عندنا تلك المائة دور القرآن. "قاف والقرآن والجديد". عندنا قاف مائة سنة وفي آخر هذه السورة. فذكر بالقرآن من يخاف مائة سنة إذا كان مهدياًها من المبعث تتم بعد السابعة والثمانين من الهجرة، وهذا كان في عهد الوليد أبي عهد الملك جعل عمر أبي عبد العزيز عاجلاً على المدينة وهو الذي ابتداء بتدوين الحديث وجمع الفقهاء بعد المشورة على المدينة. العمل بالحديث هذا نسميه ابتداء دورة السنة في الدور الأول. ما كان الناس يقرأون إلا القرآن وحديث النبي وسنته وسنة الخلفاء الراشدين والفتاوى من أهل ذلك العصر والقضاء من القضاة كلها كانت

جامعة على كره وكان يريد بث التعليم الجديد في المسلمين له كتب مثل آثار الصناديد ومجلة تذيب الأخلاق وغير ذلك.

درجة واحدة بالنسبة إلى القرآن، فكل شيء تعين عند المجتهد أنه يوافق القرآن أو يشرحه أو يعين له مبادئ فيأخذ به سواء كان قضاء من القضاة أو فتوى من المفتين أو السنة الماضية من النبي وخلفائه أو حديث من أحاديث النبي ﷺ. ليس شيء منها ينظر إليه كأنه أصل للإسلام ما كانوا ينظرون إلا للقرآن العظيم، وهذا الذي نراه مشروطاً في كتب السنة أن أياً بكر إذا ورد شيء نظر في كتاب الله فإن لم يجد فيه سئل عن النسبة، فإن لم يجد فيها فاستشار مع أصحابه تعين هذا الترتيب إنما من صنائع الدور الثاني. رواية تلك الأخبار هم الذين دونوا الحديث في المدينة وذهبتهم غير ذهنية الدور الأول قال النبي ﷺ حين احتضر ليتوفي بدواة اكتب لكم كتاباً لا تضلون بعدي فقال عمر حينما كتب الله (١) عمر هذا الذي كان رأيته موافقاً للوحي وموافقاً للمصالح العامة. النبي عليه السلام مرة أمر أبا هريرة إلا يشر كل من يشهد لإله إلا الله بالجنة. ضرب عمر أبا هريرة ورده والنبي ﷺ يقره على فعله. (٢) النبي ﷺ خطب خطبة في حجة الوداع وأمرهم بشيء إن تمسكتم به لن تضلوا. القرآن فقط ثبت ذلك من حديث مسلم من رواية جابر ليس فيه ذكر السنة ولا ذكر أهل البيت. كل هذه الأمور من صنائع الدور الثاني. اشتبه للرواة ولم يفهموا فرفضوها (٣) إلى الدور الأول، فهذا الدور الأول دور القرآن، خمسون سنة منه كانت في الارتقاء وازدياد، ثم ظهر الحزم على ذلك الدور بالتدريج، والناس شرعوا يضمتون إلى القرآن أشياء غير ذلك، فلما انتهى دور خمسين سنة أيضاً، قام المجددون لإصلاح ما ضمتوا إلى القرآن في نصف الدور الآخر وقرروا له قواعد كل شيء كان للعمل به في زمن عمر ضمن الاتفاق، والارتقاء يكون مقدماً على جميع المعارضات وأسسوا معها قواعد ثم فتم وباتباع تلك الطريقة شرعوا في تدوين الأحاديث والآثار، فكان عندهم إذا كان شيء نطق به القرآن صراحة لا ينظر فيه إلى شيء ويعمل به وإذا لم يجدوا في القرآن فليعملوا بسنة النبي ﷺ التي تقررت زمن الشيخين، فإذا لم يجدوا فيه شيئاً فلينظروا إلى ما تقررت زمن عثمان، وإذا لم يكن عندهم من ذلك فليختاروا قول من كان أقرب إلى ذلك القرن بعد الفتنة، فاختار جماعة قول أبي مسعود لأنه توفي زمن عثمان، واختارت جماعة قول ابن عمر لأنه نجى الفتنة كلها، وعلى قريش من ذلك أسسوا الفقه برياسة الأمير عمر ابن عبدالعزيز في المدينة. فقه أهل المدينة كان له التقدم، والدرجة الثانية منه حصلت لأهل العراق الذين اتبعوا ابن مسعود لأنهم صاحبوا علياً الخليفة الراشد بعد ابن مسعود ولم يكن عند أهل المدينة علم بفقه علي بعد خروجه من المدينة ففقه أهل المدينة يوجد في موطن الإمام مالك وفقه أهل العراق يوجد في جامع سفيان الثوري، والناس بعد ذلك تابعون لذلك الفقه. الأئمة منهم يعملون ذريعة لفهم القرآن، والعامة منهم يكفون به مثل اكتفائهم بالقرآن

١- صحيح البخاري، كتاب المرضى، باب قول المريض قوموا عني، رقم: ٥٦٦٩.

٢- لينظر: صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك فيه دخل الجنة وحرم على القارة، رقم: ٥٢.

٣- هذه اللفظة اشتبهت على في المخطوط.

فجميع العلوم التي تكامل بها للمسلمون يرجع إلى الدور الثاني والدور الثاني يرجع إلى الدور الأول وأما
يرجع إلى الدور الأول رأساً فجميع ما استفاد المسلمون من العلم من البركات والخيرات للعلوم التي
انتشرت في الألف اشتهر الأول.

سورة البينة

بسم الله الرحمن الرحيم

"لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْخ" أهل الكتاب كانوا ينتظرون سبيما اليهود والنصارى والمشركون في مكة ينتظرون خروج ولد من أولاد إسماعيل، وهم تركوا العمل على شرائعهم وكانوا ينتظرون ذلك المبعوث، فالملة الحنيفية اشتاقت إلى خروج هذا الرجل وإذا خرج هو وعمل بما كانوا يأملون منه من الأماني، تقوم عليهم البينة فإن خالفوه يكونون تاركين بما قضوا به على أنفسهم، وهذه البينة يحتاج إليها أهل الكتاب والمشركون كلهم وهو رسول معه كتاب. "رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَخْلُقُ صُحُفًا مُطَهَّرَةً" الصحف المطهرة عندنا السورة القرآنية، كل سورة كأنها صحيفة مستقلة. "فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ" التي كتبت فيها والأحكام التي ذكرت فيها كلها مقتضى الفطرة الإنسانية التي تبدل، فتلك كتب قيمة فتج بذلك أمر الدين. معنى هذه السورة عندنا أن الناس لا ينتظرون رجلاً بعد ذلك يخرج ويقيم لهم الدين الذي كان منتظراً هو هذا، فإن اختلف أهل الكتاب وما قبلوا فلا يكون ذلك سبيماً في الردد في قبول ذلك الرسول لأنهم صارت لهم عادة التفرق بعد قيام البينة عليهم. "وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ الْخ" تفرقهم في دينهم واختلافهم ما كان إلا بعد قيام البينة عليهم وهذا الاختلاف مثل اختلافهم في دينهم وخلاصة للدين الحنيفي لا يمكن منها حذف ثلاث أشياء:

١. عبادة الله وحده لا شريك له.

٢. إقامة الصلوة.

٣. إيتاء الزكاة.

الأمر الأول عبادة الله ومعناها عدم الانقياد لشرع غير شرع إبراهيم، فحذف شيء من هذه الثلاثة لا يمكن من الملة الحنيفية، وهذا الرسول ما يأمرهم إلا بتلك الثلاثة وهم يختلفون فيها، وهذا التفرق يكون للحق. هذا معنى قوله "وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ" ... دين القيمة. وبعد بعثة الرسول ونزول القرآن، صار الأمر معيماً. من آمن به كان على الحق ومن كفر كان على الباطل. وضع الأمر وضوح الليل والنهار لا يرجى بعد ذلك خروج رجل يقيم الدين أكمل منه حتى ينتظرونه فليس النجاة إلا بالعمل بما في القرآن الذي أتى به النبي. هذا معنى قوله إن الذين كفروا إلى آخر السورة فالقرآن هو الفصل بين الحق والباطل بعد نزوله إلى يوم القيامة.

سورة الزلزال

بسم الله الرحمن الرحيم

"إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زُلْزَلًا". مفعلة القيامة نذكر في فصل مستقل إن شاء الله تعالى، وابتداء ذلك اليوم يكون من زلزلة الأرض. من حسن ترتيب المصحف أخذنا لطيفة. القرآن كان فاصلاً بين الحق والباطل تبين ذلك في البينة فيكون حكم القرآن نافذاً في الأرض إلى يوم زلزالها وفي آخر السورة. "فمَنْ يَعْمَلْ" الخ معنى ذلك عندنا سقوط حكم القرآن بعد تلك الزلزلة وقيام الخشر أيضاً لا يكون الفصل في ذلك اليوم إلا بعمل خير أو بعمل شر. من يكون خير البرية يرى خيراً ومن يكون من شر البرية يرى شراً. وخير البرية وشر البرية عينه القرآن وبحكم بحكم القرآن.

سورة القارعة

بسم الله الرحمن الرحيم

"القارعة" من أسماء القيامة الكبرى على طريقة الإمام ولي الله في الحكمة الإلهية. صورة إمام كل نوع، أما نوع الإنسان فصورته في وسط حظيرة القدس^(١) وصورة الأنواع الأخر من الحيوانات والأشجار والمعدنيات تحت حظيرة القدس في رأس عالم المثال. هذه الصور كلها تحت إمام صورة النوع الإنساني وبأني يوم تلك الصور كلها تمحي في صورة إمام النوع الإنساني فيبطل النظام الموجود بين العناصر والأشجار والحيوانات. أما العناصر فصورها راجعة إلى صورة الماء فلا يؤثر فيها صورة إمام النوع الإنساني، فإذا تجلبت كل صورة إلى صورة إمام النوع الإنساني، فمعناها انضمام التجليات القائمة في أئمة الصور القيومية لها إلى التجلي القائم في قلب إمام النوع الإنساني، فلما اجتمعت القوة القيومية كلها يبطل نظام كل حيوان وشجر ومعدن، فبطلان هذا النظام تصدع وتقرع ببعض فيالقرع والصدعة الكبيرة تبطل صور المعدنيات الجبال والنباتات والحيوانات وترجع مدارها إلى قيومية الماء. أما الإنسان فهذه الأرضي يكون متفككا عنه وأما السمات والأرواح كما كانت قائمة بعد موتها في البرزخ في أيام القبر وكانت شخصيتها بارزة على نوعيتها الآن تتبدل فتكون نوعيتها بارزة على شخصيتها بذلك تنجذب إلى النوع الإنساني وإمام النوع الإنساني ينزل عكس تجليها إلى موطن في عالم المثال يكون قيام النوع الإنساني بتمامه ممكنا فيها. هذا هو المحشر في هذه السورة ذكر أوصاف منها. وابتدأت الحركة إلى المحشر إلى الاجتماع وفساد العالم الجسماني هو الذي نسميه بالقيامة. ذكر في هذه السورة أوصاف اليوم الذي تبدئ فيه تلك الحركة، فالجبال تترك صورها الجبالية للمعدنية وترجع مادتها بعد تلفها بالتسريح إلى الماء. هذا معنى "كالعهن المنفوش". الجبال لذاب فتكون كتلاء ثم تؤثر فيها الحرارة فتصعد منها بخارات فتكون كالسحاب وينظر من بعيد كالعهن المنفوش، ثم تتبدل حتى تنتهي إلى الماء الأصل. هذا هو ابتداء الثغرات فيها. وذكر الوصف الثاني منه "يكون الناس كالقراش المبتوث" فتلك نسيم الأفراد الإنسانية بدون بدنها الأرضي تنجذب إلى تجلي إمام النوع الإنساني، مثل انجذاب القراش إلى النار أو إلى النور.

١- إن مسئلة حظيرة القدس لها موضع خاص في فكرة الشاه ولي الله البعلوي، إذ نزول جميع الفيوض الإلهية لصالح الإنسان يكون بواسطة حظيرة القدس، وهي منبع جميع الأمور للهمة (مثل بعثة الأنبياء وقيام الملل وغير ذلك). والمقام الروحاني الذي يتحصن فيه الملائكة للقرين. وأرواح الكاملين، فنتيجة لذلك تنشأ لورانية عظيمة تكون بمثابة حلقة للروح مثل حلقة القمر، ومجموع كلها يسمى بحظيرة القدس، ولها أسماء أخرى مثل اللأ الأعلى والرفيق الأعلى والندي الأعلى، وهذا الروح هو ما نسميه الإنسان الأكبر أو إمام النوع الإنساني. ومنبع جميع الأرواح الإنسانية روح واحد، وهذا الروح الأعظم في صورة الإنسان، وبذلك هناك إمام على حدة لجميع أنواع الحيوان. (لينظر: جليلي، شاه ولي الله هكي تعلیم، ٣٢٥ وما بعد).

تلك القيامة لا يد أن تأتي لأن ذلك مفتضى نظام أئمة الأنواع. كل شيء يظهر في الأفراد يكون مركزه الحركة في إمام النوع، فإبطال نظام تحت نظام أكمل منه ليس يبدع في التدبير، ذكر تلك القيامة يأتي في الكتب الإلهية كلها بألفاظ مختلفة لأنها كيفية من كفيات معاد.

النوع الثاني. الآن البسط والتفصيل الذي جاء به القرآن لم يأت به نبي من الأنبياء، والفرض منه تثبيت نظام النوع الإنساني تحت تجليات الإلهية النازلة من العرش، وهذا القدر من الإلهيات يدركه عامة البشر، فالدين الذي يجمع الأديان ويكون آخرها، له اتصال بابتداء المعاد الإنساني، لأن نزول الصلي الأعلی الذي قام به هذا الدين لا يرجي، فلم يبق إلا الرجوع إلى المعاد. هذا الاتصال الذي يكون بين انتهاء هذا الدين وبين ابتداء الحركة المعادية فوق عالم الأجسام، إذا رأيناها لم نر فيه شيئاً يفصل أحدهما عن الآخر، فيتزل في هذا الدين إشارات إلى استدامة الدين حتى يتبدل الحركة المعادية، وهذا لازم على من انكشف عليه تلك المعرفة أن يبينها ولا يفهمها إلا من يصل بانكشافها إلى رؤية تلك الحالة، فالعلماء الذين لم يصلوا إلى تلك الدرجة إذا تكلموا فيها يقع التخطئ. القرآن العظيم لم يبين مقدار الوقت الذي بين هذا من ابتداء هذا الدين إلى ابتداء هذا اليوم يوم القيامة، بل نص على أنه لا يعلمه إلا علام الغيوب، لكن الناس لا يتركون التخمين والقياس على خلاف حكم كتاب الله، فهذا يوم إن انكشف على أحد موته، فالحقيقة أنه لا يقدر أن بهذا العلم، فما كانت معرفته وكشفه إلى بالنظر إلى جهة وحيدة خاصة ويجعلها الله بالنظر إلى حثية أخرى لها أمداً طويلاً، فيظهر غلط صاحب هذا الكشف، فكذلك القرآن العظيم منع كل واحد أن يحزم بتعيين مدة إتيان هذا اليوم، لكن يحكي منه كفيات كثيرة لأنها مظهر الأعمال الباطنة الإنسانية الاجتماعية، فهذا يتعلق بالإحسان والخلق بتكميل تعليم الأخلاق وهو المقصد من بعثة النبي ﷺ فيذكر الله في آخر هذه السورة كفياتها. الإنسان له معرفة بربه وخضوع له في قلبه، يختلف في كل فرد عن الأفراد الآخرين، فحساب كل واحد في ذلك اليوم إنما يكون بمقدار المعرفة التي حصلت له ويقدر ما استوجبت تلك المعرفة الانقياد لله، فهذا هو الميزان؛ إذا كان معرفة وخضوع لربه، وأعماله موافقة له، فقلت موازينه بالقدر الذي كان يعرف، وإذا لم تكن أعماله بحسب تلك المعرفة، خفت موازينه، فلا بد أن يبقى في مستشفى حتى يحصل فيه قوة تقيم التوافق بين الأعمال والنية، فتلك هي النار الحامية التي يحكي عنها هو يحتاج أن يغير بعض الكفيات منه كما يحتاج الدرهم المصوغ على هيئة غير صالحة لذاب وتصاغ مرة أخرى على هيئة صالحة، فهذا المثال لا ينطبق على فهم الإنسان إلا بقليل للفهم فقط.

تتمة لتلك المباحث القيامة والساعة تستعملان على معنى غير الذي قرناه. هذا يحتاج إليه كل رجل تدبر في القرآن لأن الناس إذا سمعوا النبي ﷺ متى هو؟ يجيب عنها عسى أن يكون قريباً وقد ثبت عند الحكماء الربانيين أن انضمام التجليات في أئمة الصور إلى التجلي القائم في قلب إمام النوع الإنساني تكونت تحت معدات تظهر بالتدرج في عالم الأجسام، وهم أدركوا أن ذلك بعيد لأنها تحتاج

إلى أن يطل من دماغ الإنسان عدد التسنين والحساب وكل من يعرف أحوال الإنسان، يعرف أنه بعيد عن تلك الكيفية. هذا ذوق الحكماء لا يكلف به عامة الناس. أما عامتهم أيضًا يعرفون أن القرب الذي يترشح من بيان الآيات القرآنية لا ينطبق مع هذا البعد الذي وقع اليوم نحن في القرن الرابع عشر وكثير من علماء التفسير النظري لا الكشفي والمتكلمون لا الحكماء جزموا مرارًا بأن القيامة تأتي بعد مائة سنة أو بعد خمس مائة سنة، وحكموا بأن مدة هذه الأمة لا تتجاوز عن ألف حتى احتاج إلى الرد على ذلك، مثل السيوطي جامع الروايات بنود تدبر فيها. وهذا إشكال دائمًا يشوش أفكار العلماء والذي اقتنع أكثرهم إن من مات فقد قامت قيامته، صحيح لأشك فيه. وهذا معنى القرب لأن الفصل الذي بين كل رجل رجل وبين القيامة ليس إلا موت الرجل وموت كل رجل قريب منه ليس بعيد، وهذا المعنى صار معنى قوله: "عسى أن يكون قريبًا. عسى أن يكون ردف لكم بعض الذي تستعجلون". موجهاً عندهم ولنا في ذلك ملاحظة غريبة لا توجه إليها كثير أهل العلم هي: مبعث النبي انقلاب كبير في الإنسانية وما عرفنا معنى الانقلاب إلا بعد دخولنا في السياسات الأوروبية فالانقلاب الآن صار موضوعًا ذات أهمية كبيرة كبرى والاجتماعية الإنسانية بطبيعتها تحتاج إلى انقلابات عظيمة. الصورة نفهمها من الانقلاب يفهمها كل إنسان بالسهولة. يغلب جماعة من الناس على أكثر الناس ويعملون فيهم بغير الحق الذي يعرفونه حتى ظلمهم إلى درجة لا تحتملها الإنسانية بطبيعتها، فتبطل تلك الاجتماعية ويطل سلطان الظالمين ويقع الانتشار في النظام، فيأتي الله بقوم من المظلومين المظلومين الضعفاء يقيمون نظام الإنسانية على أحسن ما يمكن في تلك الحالة وهذا نسميه بالانقلاب والقرآن العظيم ملؤه على الانقلاب الذي أتى على تلك الأرض المقدسة التي جعلها في التوراة لإبراهيم وأولاده، والأرض المقدسة عندنا معناه يكون مركز حركة الاجتماع، وكل انقلاب يأتي في المركز لازم أن يأتي في الأطراف ولو بعد زمان، والانقلاب الذي جاء به الله علي يد نبينا هو مبشره في التوراة والإنجيل وهو انقلاب عظيم علمي، فإذا جعلنا الدعوة القرآنية بشارة بهذه الانقلاب للضعفاء والمساكين وإنداءًا لكسرى وقهصر الحاكمين على الاجتماعية الإنسانية بقواعد لا تحتملها الإنسانية ونحن جازمون بأن الحجاز أيضًا كانت متأثرة بدعاية كسرى وقهصر، وكان عقلائها يرددون في الانضمام إلى أحدهما، فآلني ﷺ كان مأمورًا بتبليغ الناس بأن هذا الانقلاب لابد أن يأتي، وكان مأمورًا بتنظيم هيئة منفذة لذلك الانقلاب وجازيًا بفلاح هذه الحركة التي ابتدأت بنزول القرآن والناس كانوا يعملون من هذا الوعد، وهذا الانقلاب هو يسمى بالقيامة في لغة عامة الأديان فآلني يقول عنها عسى أن يكون قريبًا ويعلم القرآن أن الساعة آتية لا ريب فيها، معناه عندنا ذلك الانقلاب ونجاحه وقيام الخلافة الإلهية وغلبة هذه على جميع ملوك الأرض. هذا قريب ليس مثل القيامة الحقيقية البعيدة عن الناس.

فصل

أئمة الانقلاب الذين يأتون بالحق والأئمة الذين قاموا بالباطل حتى جاء هذا الحق، حالتهم في معادهم ليس مثل حالة عامة الناس، مثلاً قرعون كان إماماً لإقامة الباطل وجاء الله بالانقلاب وأغرقه في البحر، فمات فالآن هو يجعل في برزخ في مثل عامة الناس ويكون تأثير العقاب عليه خفيفاً، بل هذا لا يجوز في الحكمة فبدخل في جهنم. قال الله "أَغْرَقُوا فَأَذِجُوا تَارًا"^(١)، وهكذا انبياء الله يكونون في الجنة وفي السماء وهذا متفق عليه بين الناس ومن دون هؤلاء الأئمة رجال يقتلون في الانقلاب ويسمون بالشهداء، فأرواحهم أيضاً تجعل في جوف طير خضر ويدخلون الجنة، ثم لمقتضى يوم المحشر، هؤلاء الأئمة أيضاً يجمعون إلى المحشر من منازلهم سواء كانوا في الجنة أو كانوا في جهنم، ثم يقضى بينهم بمقتضى الإنسانية العامة، وبعد ذلك يدخلون مثل الناس في منازلهم مرة ثانية، هذا حقهم الطبيعي. أما الدخول الأول فكان لمصلحة خاصة، وتلك المسئلة غفل عنها أكثر من كتب في القبر والمحشر، وهذا لا يخالف نصاً من النصوص بل يكون جمعاً بينها، وتقدر على استنباط ذلك من بعض إمامات كلام الشيخ، لكن بهذا التفصيل الذي ذكرناه ما وجدنا في كلام أحد من أهل العلم. يمثل تلك الأمثلة نبين أن العلم لا يتكامل إلا بتلاحق الأفكار ويكون ممزوجاً في الشرح وعدتنا إلى إمامة ولي الله الدخولي القرآن العظيم. إذا ذكر أئمة الظلم وذكر أنهم غلبوا في الانقلاب فينتقل منها إلى بيان حالتهم في جهنم لينتفكر الناس بقياس حالتهم مع حالة هؤلاء ولما كان هذا عندنا صحيحاً لأنهم لما أخذوا في الانقلاب لا يتركون مهملين بل يدخلون في جهنم، فهذا الموت الذي يعقد بهم في الانقلاب يقرهم إلى المحشر، فإن أراد واحد أن يفهم أن المراد بالقرب هو قرب العذاب، فعلى طريقته أيضاً يكون صحيحاً، لأن أئمة الظلم أولاً يؤخنون في الدنيا، ثم على الفور يدخلون جهنم ويعذبون، وبهذا الطريق سهل علينا تفسير جميع آيات القرآن التي تتعلق بالقيامة إن كان أنها لا يعلمها إلا علام الغيوب فمعناه القيامة الحقيقية وإن كان معناه قرع، إما بالعذاب الدنيوي وإما بالعذاب الأخروي، فالمراد منها الانقلاب الذي أتى به النبي ﷺ بالقرآن.

فصل

موت رجل يسمى بالقيامة وكذلك موت قوم أيضاً بالقيامة. نبينا كان مبعوثاً إلى الناس كافة، لكن بعثته كانت مترتبة في الدرجات، فالبعثة الأولى إلى قومه الأميين وقريش وبعثته الثانية إلى الآخرين، فالتالي كما ذكر أن من مات فقد قامت قيامته، كذلك يذكر قيام القيامة الثانية على قومه وتسلب منهم الحكم، وهذا يكون قريباً من خمس مائة سنة وهكذا وقع في أمر خلافة قريش فإنها قامت خمس مائة سنة تامة للأرض، ثم ظهرت علامات الضعف وجاءت القيامة. عندي أحاديث المهدي من إشراف تلك

الساعة وتلك القيامة وقد مضى المهدي العباسي وكان مطمح النظر في أحاديث النبي ﷺ لأنه يذكر في تلك الأحاديث أن بني هاشم يكون فيهم كذا وكذا وهذا بمقابلة بني أمية لا غير. أما جعل خلافة رجل من ذريته وتلك النكرة لا يتحملها تعليم القرآن، وكل ما جاء في ذلك عندنا هو موضوع وموضوع وأحاديث نزول المسيح عندنا معللة ليس فيها من الصحيح وهي روايات إسرائيلية نخط فيها بعض الناس. أنا جازم بأن القرآن لينكر أن يأتي بعده شيء أعظم منه إلى يوم الحشر يوم ينزل الرب. أحاديث الدجال بأجوج ومأجوج إنما كانت تتعلق ببني إسرائيل وبعض أهل العلم اعتبروا زوال بني إسماعيل على زوال بني إسرائيل وجعلوا فيهم أيضاً دجالاً وبأجوج ومأجوج، ثم اشتبه على الناس أمرهم، فجعلوا ما ورد في بني إسرائيل مفصلاً معاً في بني إسماعيل والأمر عندنا ليس كذلك.

بنو إسرائيل وقعت فيهم واقعة عظيمة، وهي خروج بيت المقدس من أيديهم إلى أيدي بني إسماعيل، وتلك الواقعة لها أهمية كبيرة في التوراة والإنجيل، فيذكرون الواقعة ويشتمزون فيها. أشار الله في القرآن إلى تلك الواقعة في قوله: "وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ" (١) لما وقع عليهم لما أخرج بيت المقدس من أيديهم فهذا كان قولاً حقيقاً عندهم في التوراة والإنجيل، هم يجزمون بوقوعه أخرجنا لهم راکباً دابة من الأرض، بل رجل واحد يركب دابة يكلمهم ويطلب، يعطونه المفااتيح. إن الناس ما كانوا يؤمنون أن بني إسماعيل يفلون بتلك الخلافة ويخرج الأمير من أولاد يعقوب عندنا. هذا وقع بسفر عمر إلى فتح القدس وتسليم المفااتيح للملكة. إنا ذكرنا هذه الأشياء لأنها عندنا من آثار القيامة التي قامت على قريش فقط.

يخسروا وهلكوا دخلوا على العرب مثل ما حل بأجوج ومأجوج على بني إسرائيل في رؤيا قد رآها ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم بأجوج ومأجوج مثل هذه. (٢) تلك الرؤيا كان تصويرها أن أقواماً مثل بأجوج ومأجوج يهاجمون على العرب، وهذا وقع بعد خمس مائة سنة حكمت قريش على الأرض فكان من آثار القيامة. أما النبي ﷺ فلم يكن في قريش والعرب خاصة فقط، فإذا ماتت قريش تنتقل القوة الإسلامية إلى آخرين يقدمون بالقرآن الكريم.

لطيفة

سئلت شيخنا عن معنى الحديث الأئمة من قريش والشيخ كان راغباً إلى انتصار الخلافة العثمانية مثل شيخه فقال: إذا لم يكن في قريش صلاحية فماذا تمت. فالإسلام يدوم في أقوام حتى تأتي القيامة الحقيقية والقرآن العظيم هو كان في تثبيت الإسلام في الأرض، وإنما يحتاج إلى رجال يقرؤون ويصدرون ويجمعون لنصرتهم. أما رجل واحد فهذه سنة اليهود والنصارى انتقلت منهم إلى المسلمين. إن

١- التمل: ٨٢.

٢- صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قصة بأجوج ومأجوج، رقم: ٣٣٤٦.

الذي ﷺ رأى في منامه أن عيسى بن مريم يطوف بهذا البيت ويطوف خلفه المسيح الدجال^(١)، هذه الرواية حق وحديث صحيح، ولكنه يحتاج إلى التفسير، وقد غلط الناس في التفسير وأخذوا فكر اليهود والنصارى بأن المسيح يأتي، والحقيقة أن المسيح للبشر به قد أتى وهو نبينا ﷺ، لكن كفر اليهود والنصارى ما آمنوا بالنبي ﷺ وجعلوا ينتظرون المسيح، فللعلماء الذين أخذوا من أهل الكتاب من الصحابة والتابعين، تأثروا بدعائهم، وعبروا هذه الروايات بإتيان المسيح بعد نزوله إلى البيت. عندنا هذا بناء باطل على باطل، والتأويل الذي يظهر لنا - والله أعلم - بمراد نبيه أن هذا البيت يخدمه رجال روحانيون مثل المسيح ابن مريم وعندنا مثل الشيخ عبدالقادر الجيلاني رجال كثيرون، منهم الشيخ أحمد السرهندي الهندي، ومنهم الإمام ولي الله الدهلوي، كلهم مصداق هذه الرؤيا. والملوك الفاجرة الذين يستعينون بالدعاية الدينية لتثبيت ملكهم على قاعدتهم العائلية لا على الطريق القرآني هم أيضاً يخدمون هذا الدين، والبيت في الرؤيا هذا الذين هم يفتحون البلاد باسم الإسلام وليس مراهم ترويج حكم الإسلام في تلك البلاد، بل تثبيت الملك في عائلتهم على طريقتهم القومية وبأئي الربانيون من الحكماء والمتكلمين والصوفية والفقهاء، فيجعلون اجتماعية تلك البلاد اجتماعية إسلامية، وهم يعلمون القرآن لأقوام المملكة ولا يترضون بالملوك وحكمتهم هؤلاء عندنا هم مصداق الرؤيا للمسيح الدجال، وكان ذلك الأمر في بني إسرائيل على منهج آخر وفي الرؤيا ليست المشاهدة في كل الأمور بم مرآة. عندنا هذا يكون أغلب حال الإسلام في حكومة الحج وليس مرادنا أن المعجم كلهم يكونون هكذا. فهم يكون صالحون راشدون لا يريدون إلا نصرة نبيه وإن كان في نظام الحكومة يرجعون إلى حكم العائلية مثل قريش وبني أمية وبني عباس. هذا الأمر فيهم أيضاً موجود. أما ما عدا هذا فهم يتجهون دين النبي ﷺ بخلوص قلوبهم وظاهرهم مثل السلطان صلاح الدين وكان قبله السلطان قطب الدين زنكي ومثل السلطان عمر فاتح ومثل السلاطين الكثيرين من بلادنا. أولهم محمود الغزنوي، آخرهم السلطان عالمكهر وهكذا فكرنا أن أمر الإسلام يدوم بقيام جماعة من المسلمين يتديرون القرآن ويدعون أقوام العالم إلى ذلك.

وتلك الأيام نداوها بين الناس. يتزع من قوم ويعطيها الآخرين. هذا التفصيل مسئلة القيامة الحكم لله والاجتماعية للأقوام وليس الفتح للأمر وحده دائماً، الفتح للجماعة وإذا ادعى لنفسه إلا فهو موت

١ - هذا الحديث يوجد في البخاري ومسلم ومسنده أحمد وغير ذلك من المواضع، وألفاظ البخاري من حديث ابن عباس عن النبي ﷺ قل: رأيت ليلة أسري بي موسى رجلاً آدم طويلاً جعداً، كأنه من رجال شجرة، ورأيت عيسى رجلاً مربوعاً، مربوع الخلق إلى الحمرة والبيضاء، سبط الرأس، ورأيت مالكا حازن النار، والدجال في آيات أراهم الله إياه: {فلا تكن في مرة من لقاءه} [السجدة: ٢٣]، قال أنس، وأبو بكر: عن النبي صلى الله عليه وسلم: «تقرص الملائكة المدينة من الدجال»، (كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحليكم: آمين والملائكة في السماء، آمين [ص: ١٢٤] فوافقت إحداهما الأخرى، غفر له ما تقدم من ذنبه، رقم: ٣٢٢٩).

الاجتماع. الأستاذ يعتقد أن الغزنوي الهندي وقع أميراً للأتراك. القوم يكون عليهم أمير ومليك، أما الأقوام فليس عليهم إلا الهند ومن ادعى الأمانة على الأقوام فهو شيطان.

سورة الفيل

بسم الله الرحمن الرحيم

"أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ" الخ اليمن كانت فيها نصرانية، وكانت لها علاقة بإمبراطورية الروم، والروم كانت تريد أن تغلب على الأرض. عندنا للعرب مصالح كثيرة. كان عند العرب المقاتلة للفرس وكانوا يحبون أن يتخذوا جنودًا من العرب، وكذلك الفرس كانت لهم مراكز وكان للفرس حكومة على شرق العرب، فاصطنع النصراني معيذًا أي الكنيسة في اليمن والعرب أهانوها، فالروم قاموا بعسكرهم ليهجموا على بيت الله، وكان أرياب الكنيسة يحبون أن يجعلوها مركزًا للعرب ويطلقوا مركبة الكعبة، فمن هذا الطريق حدث لقرش منافرة على الروم، ثم لما تنصر بعض قرش، كان لهم وداد للروم، وكانوا يحبون أن يكون الحجاز داخلًا تحت حماية الروم، لكن الخفاء منهم ما كانوا يرتضون بذلك، وبيت النبي منهم، فلما جاء هذا النصراني يهجم على مكة، فوصل إلى وادي الحسم واستقبلته قرش وتركوا مكة خالية وما كانوا يقدرين أن يعارضوه، ولكن كانوا يرجون من الله شيئًا يكون فيه النصر. من مردلفة إلى مكة على طرف الطريق جبال سلسلة، فهم كانوا جالسون على قبل تلك الجبال، وكانوا يرجون من الله أن يكون شيئًا سيئًا لقبيلتهم. حكى الله من بعض أولاد بني آدم أنه قتل أخاه وكان لا يعرف ما يفعل بالبيت، فألهم خربًا ففعل فعلًا مثل فعله، فقتل القراب ثم دفنه في الأرض، فاهتدى بذلك ولد آدم ودفن جيفة أخيه في الأرض، ففي تقدم الإنسانية الحيوانات يجدونه بشيء من الفهم. لما كان العرب في اليأس وكانوا جازمين بأن هذا البيت لا يفتح ويكون منيرًا لشيوع الخنيفة على الأرض بخروج رجل من بني إسرائيل، فكان من الضروري في تلك الحالة أن يلتجئوا إلى الله بأن يهديهم طريق الصواب في تلك المخصصة. إلى هنا كل ما ذكرناه على سبيل الفطرة الطبيعية، وليس شيء مخالفًا بعد ذلك، والآن نذكر شيئًا خاصًا لنا ما أخذناه من أحدهم فبعث الله في تلك الحالة طيورًا تعمل حجارة صغارًا من سجيل، فلما حافوا رأس العسكر، هذه المهاجمة رمتهم بتلك الأحجار، كان تأثيرها مثل تأثير البرد، فلما لقي الفيل مثل هذا من فوق، تغير واضطرب، وهو كان مركز عملياتهم بقوة هذا الفيل، وكانوا يهجمون على البيت فحدث الانتشار في صفوف المهاجمين وتأثر الفيل بذلك، ولما رأى العرب ذلك، اهتدوا مثل ابتداء ابن آدم وشرعوا يرموهم من فوق الجبال من كل جانب بالحجارة وهم لما وصلوا إلى جمرة العقبة، فنيق قوتهم، وتلك الجمرات تخصصت بسبب الوقائع في تلك المهاجمة، وهؤلاء العرب رموهم بالحجارة تبعًا لأبائهم تبعًا للطيور. القرآن العظيم في بيانه يتبدى بالعلة الأولى ويترك سلسلة العلل بينهما وبين المعلول. ويترتب المعلول على العلة الأولى. كل ذلك مراعاة للأذهان الأميين، والراسخون في العلم لما علموا بالواقعة وعلموا بابتداء

العلّة، وهم بالنظر إلى حوالي الأمور وقليل من التفرس، يقديرون على إكمال سلسلة العلق،^(١) فكان فتحنا للحنيفية على النصرانية وفتحنا للحجازية على الرومية وفي تلك السنة ولد نبينا ﷺ فكان مباركاً يرجى منه الخير الكثير. هذا الذي شاع بين عامة أهل مكة. إن رمي الجمار تذكّار لرمي إبراهيم الشيطان لما أراد ذبح إسماعيل واعتوى الشيطان في الطريق لمنعه. هذا عندنا لأن ذبح إسماعيل إنما كان على اللوة لا في منى عندنا، هذا تذكّار من محاربة أصحاب الفيل، ومعنى هذا إذا هجم على الإنسان عدو بما عنده من شيء موجود، ولو كان حجراً ملقى على الأرض تعليمًا لاستعمال هذه الآلات التي لم يتوجه إليهما أهل الصنائع والحكومات يستعين بها المسلمون في دفع أعدائهم، فأقاموا سنة رمي الحجارة قومياً لهم وأبقاه الإسلام على حاله، لأن عامة المسلمين لا ينتفعون إلا بمثل تلك الأشياء الحقةرة، والفضل في ذلك إنما يكون للتنظيم، فإذا انتظم جمع واستعانوا بما عندهم من القوة وصابروا في ذلك تكون لهم غلبة على المهاجمين على أوطانهم.

رفيقنا الشيخ القراهي يثبت أن رمي الحجارة إنما كان من العرب والطيور إنما تبعت تلك العسكر لأكل الجيف. فكره مثل هذا نحن نقبل أن العرب رموهم بالحجارة، لكن الطيور ورميهم بالحجارة الصغيرة، لها أهمية كبرى عندنا في تلك الواقعة. على تنظيم هذه الواقعات لا تخرج عن ذهنية عامة المسلمين بعيداً، هم يجعلون موت هذا العسكر على سبيل خرق العادة برمي الحجارة من الطيور. نحن نضم إلى رمي الحجارة رمي العرب إذ كان ثابتاً في أشعارهم وينتظم الأمر على أحسن ما يمكن.

^١ - جمهور المفسرين على أن العرب لم يكن لهم نصيب في هزيمة أصحاب الفيل، وكانت الحجارة المرمية من الطيور هي السبب الأسنى لهلاكهم وهذا الأمر كانت معجزة لحفظ بيت الله. ولعل أول من انفرد بمثل هذا التفسير الذي ذهب إليه الشيخ السندي أيضاً هذه السورة، هو المعلم الهندلي الشيخ عبد الحميد القراهي (م ١٩٣٠هـ)، والذي ذهب إلى أن العرب لم يتخلوا عن بيت الله، بل نافحوا عنه، وقتلوا بجيش أبرهة بما استطاعوا وما تيسر لهم، وهو أنهم رموهم بحجارة من سميل، ولكن رميهم هذا لم يكن لينفع ذلك الجيش الجرار فأرسل الله الجيش الجرار، فأرسل الله عليهم حاصباً أهلكتهم، كما أهلكت به الأمم الطاغية الأخرى، وكانت تلك آية عظيمة من آيات الله. وقد شبه رمي العرب بجيش أبرهة بالحجارة ورمي الله إياهم بالحاصب في الوقت نفسه بما وقع في غزوة بدر إذ أخذ رسول الله ﷺ حفنة من التراب فرمى بها على الكفار. (لراجع: عبد الحميد القراهي، تفسير نظام القرآن وأصول الفرقان بالفرقان، تفسير سورة الفيل (أعظم كره: الدائرة الحميدية، ٢٠٠٨هـ)، ٤١٧ وما بعد).

سورة قريش

بسم الله الرحمن الرحيم

"إِلَآلَافٍ قُرَيْشٍ" الخ في اليمن حضارة راقية، وفي سوريا كانت خلافة داود وسليمان أحسن الحكومات على دين الخنثية وكان بين اليمن والشام طريق التجارة مفتوحة من الزمن القديم، وبذلك كانت ثروة اليمن وسوريا كليهما، ثم بطلت كل شيء، بطلت حضارة اليمن، وانقرضت خلافة بني إسرائيل من سوريا، فشد طريق الاتصال بين المملكتين في التجارات، فقريش لما كانوا بملك التجارة في الصيف كانوا هم أصحاب طريق الارتقاء في الإنسانية الاجتماعية أميتت من زمان، هذا الأمر العظيم هل كانت قريش في صلاحية لهذا؟ الجواب ظاهر. ليس عندهم كثير من الثروة وليس عندهم قوة إيجاد الأمن في الطريق الذي بعدهم كان الانقطاع حدث بين الشام واليمن، وليس عندهم قوة إلا شيء واحد، وهو أنهم يعرفون بخدام هذا البيت. بذلك يربح تجارتهم ويحصل لهم الأمن في الطريق ويكونون في يدهم ويبتهم أحراراً. ليس عليهم حكومة لأحد، فإله رب هذا البيت فنظرًا للحالات التي اشتملت على قريش، لا يجوز لهم التمتع بحركة سياسية والاجتهاد في نجاحها إلا ما اشتمل على تمركز هذا البيت وعبادة رب هذا البيت فقط، فمن كان يدعوهم إلى الدخول في إمبراطورية الروم والفرس يدعوهم إلى طريق غير طبعي. القوم لا يتم كماله المكتوب له إلا إذا كانت نشأته على طريق طبعي، فبالنظر إلى ذلك لازم لهم أن يتقيدوا بالدين الحنيفي الذي عرف به هذا البيت ولا يسلّمون على أنفسهم حكومة غير حكم رب هذا البيت الذي هيأ لهم الأسباب في حالة فقرهم، وهذا يكون دعوة إلى إخلاصهم في الدعوة القرآنية.

سورة الضحى

بسم الله الرحمن الرحيم

"وَالضُّحَى" معنى القسم قد ذكرناه أنه شهادة على المدعى كالدليل الذي يتجلى به المطلوب. النبي ما أنزل عليه القرآن دفعته الأولى، وقد حبس عنه الوحي إلى أيام تكلم الناس في حق النبي ﷺ أنه صار مهجوراً، والنبي كان يشنق من نفسه إلى علوم الوحي وانكشافاته لذلك، ويأتي في بعض الروايات أنه كما يصعد على جبل ويريد أن يلقي نفسه منه^(١) فكان يرى جبريل يقول له أنك على الحق، وبعد مضي زمان على ذلك السكوت جاء الوحي. "والضحى الخ" هذه أول سورة في الدفعة الثانية، فذكر الله الشهادة بالضحى وبعده بالليل على أن ربك ما ودعك وما قلبى كما كان يأتي في قلبك أو كما كان الناس يقولون. طريق الدلالة أن النور والحرارة التي تكون في وقت الضحى تجددونه مثل زمان نزول الوحي، فهل يحكم رجل رأى بعد الضحى ليلاً أن الشمس لا تطلع بعده، بل معنى الليل أنه يأتي بعده يوم جديد، فكيف صار الظنون أن الوحي قد انقطع. إذا رأينا تلك الشهادة وقسمها على حاله يظهر بطلان تلك الأوهام. "وَلَا خَيْرَ لَكَ مِنَ الْأُولَى" الحالة الآخرة من الوحي تكون قوية بالنسبة إلى الحالة الأولى، المفسرون دخل فيهم الزهاد فكل ما وجدوا لتثبيت فكرهم ما غفلوا عنها، وفسروا القرآن كأنه نزل لتعليم الزهد عن الدنيا وهم لا يعرفون أن القرآن إنما نزل لإقامة الخلافة على العالم ففسروا "وَلَا خَيْرَ لَكَ مِنَ الْأُولَى" بالضعف والسكنة في الدنيا. الشيخ ولي الله فسر تلك الآية في التفهيمات فقال الحالة الآخرة خير لك من الأولى، ومعنى ذلك إنما جاء التأخير يتحدث في قلبك تشوق التحمل القرآن ليكون قوة التحمل زادت فبك، هل أنت راضٍ فقط بملاقاة جبريل لك كل يوم، أم أنت تريد إقامة ما زودته في قلبك من إعلاء الكلمة الحنيفية على جميع أقطار الأرض، فأي شيء واجب في هذا التأخير وإيجاد التشوق والتحمل وبسط قوة التفكير، نريد أن نعطيك ما ترضى. هذا معنى قوله: "وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى" الناس كيف صارت ظنونهم في حقك بتأخير جبريل وكيف

١- قد جاء في المواضع المختلفة من صحيح البخاري الحديث في هذا المعنى وهذا من جملة البشر و طبيعته كما جاء في القرآن عن موسى عليه السلام أنه خرج خائفاً يترقب، وليس هذا يناق شأنه للعصوم، كما أورد بعض المشككين الجدد الشبهات حول هذا الحديث. هذا على سبيل التسليم لثبوت هذه الألفاظ عن عائشة رضي الله عنها والتي روت هذه القصة، ولكن قد تكلم علماء الحديث أن هذه الألفاظ هي من زوائد الزهري، فيقول الحافظ ابن حجر "ثم إن القائل " فيما قلنا " هو الزهري ، ومعنى الكلام : أن في جملة ما وصل إلينا من خير رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه القصة ، وهو من بلاغات الزهري وليس موصولاً ، وقال الكرماني : هذا هو الظاهر. " (أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل الصفياني الشافعي، فتح الباري شرح صحيح البخاري (بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩هـ)، ١١٢ : ٣٥٩) وتكلم المحدثون الآخرون أيضاً على وثاقة هذه الزيادة.

تأثرت أنت بأفكارهم. ألا ترى إلى ما أنعم الله عليك وألا يرون هؤلاء معاملة الله معك. "أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى" ووجدك وجعلك مكرمًا في عائلتك. ما كان مجلس في عبد المطلب إلا النبي ﷺ (١)... ولما توفاه الله وصار عمه كبير العائلة أبو طالب هو أكرمهم فوق أولاده، ففي حالة اليتيم ما جعله محجًا إلى غير أكابر أهل بيته، وما جعله عندهم في الدرجة الثانية. هذا معنى الإيواء وهذا مثل ما قال لموسى. "ولتصنع على عيني." "ووجدك ضالًا الـ"خ هذا الذي كنت تحبه وترضى به أن تكون الحنيفة في الدنيا عالية خلا لبعض أفراد قومك الذين تنصروا فيحبون الروم والذين تصابوا صار يحبون الفرس، والذين هم مشركون يحبون الفارس وأنت بخلافهم؛ كنت تحب أن تمشي على طريقة إبراهيم فقط وتكون الغلبة السياسية العالمية. كنت تحب أن تمشي على طريقة إبراهيم فقط، وتكون الغلبة السياسية العالمية لاتباع إبراهيم. كنت تحب ذلك ولكن لا تهتدي ببرنامج ذلك نقدر يومًا كذا. وفي يوم آخر ترده هذه الحيرة التي اعترت للنبي، عبر عنها بالضلال فيأنزله إليك القرآن هداك الطريق.

أول هذه السورة اقرأ والثانية نون تكفيان لك لبرنامجك. كان يلزم عليك أن تتفكر فيها، لا تنتظر إلى شيء ينزل إليك كل يوم، معناه عندي أن طالب العلم إذا طالع مستقبل درسه، يحيط بأفكار أستاذه، فالنبي أيضًا لازم عليه أن يشتغل بمطالعة الحالات التي تحدث بعدما ينشر تلك السور التي أنزل الله إليك. "وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى" أنت كنت ذا عائلة كبيرة، ذا شرف وعظمة، وليست لها من الثروة ما يناسب شأنها، ففي تلك الحالة إذا كان تربية الرجل في العائلة يحدث في قلبه حب وجعل المال موقوفًا عليه كثير من الارتقاء والترقي، أما أنت فكنت عائلًا يعني كأنك أنت مسؤول عن حاجات العائلة، فإنك إن كنت صغيرًا في السن، لكن العائلة تعظمك وتجد في نفسك لو قدرت على مال لأغنيته مع إحاطة مثل تلك الأحوال لنفسك جعل نفسًا غنيًا. قال النبي ﷺ الغنى غنى النفس، (٢) وقال لو كان لي مثل هذا الجبال... (٣) ما وجد بخيلًا، وهذا غنى النفس التي جبل عليه النبي ﷺ مع مخالفة النفس الحالة الطبيعية، إذا نظر وتفكر الرجل البصير، ما يهين أمره، بل يعتقد أنه يصير عظيمًا لابد، فهذه الحالة الطبيعية التي أنت عليك من ابتداء عمرك إلى هذا اليوم، لو تفكر فيه الناس، ما أسأروا بتلك الظن، ولو التفت أنت ما ضاق صدرك.

١- العبارة ناقصة في المخطوط هناك، ويظهر مفادها أن النبي ﷺ كان في كنف جده عبد المطلب أولاً ثم كفله عمه أبو طالب.

٢- قال النبي ﷺ : لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ وَلَكِنَّ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ. أخرج هذا الحديث في كتب الحديث المختلفة. (لراجع: صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب الغنى غنى النفس، رقم: ٦٤٤٦؛ صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب ليس الغنى عن كثرة العرض، رقم: ١٠٥١ / ١٢٠؛ سنن الترمذي، أبواب الزهد، باب ما جاء أن الغنى غنى النفس، رقم: ٢٣٧٣؛ سنن ابن ماجه، كتاب الزهد، باب القناعة، ٤١٣٧.)

٣- اللفظة هناك غير قابلة للقراءة.

قال كثير من المفسرين "فاغنى" أي بالفكاح بخديجة. نحن محققون ببركة هذا النكاح ونعرف عظمة خدمة خديجة لدين الإسلام، لكن لا نجد غناها سبباً لغنى النبي ﷺ، بل النبي ﷺ بعد نكاحه أفقرها لأنها جعلت كل ماها تصرف في سبيل المؤمنين، فلو كان هذا محل غناه، ما أتفق منه أبداً، فالذين كتبوا مثل تلك الكلمات، ما عرفوا النبي ﷺ وما فهموه وما فهموا دينه وأخطأوا في ذلك غفر الله لهم. الرجل القوي إذا فاس ذلك على نفسه يجد نفسه يشمئز من ذلك الغنى الذي يحصل بسبب النساء إذا لم يكن هذا المقصد كما يظهر من عناية الله به من أيام كما ذكر الله في الحكمة في تأخير هذا الوحي حتى ساءت الظنون بين الله ذلك.

"فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ" النبي أمي وأمه أمية، إذا تلقنوا كلمات كثيرة، ولم يقدرها على إحصائها وحفظها، ضاعت عنهم، وأولى الطريق للحفظ أن ينشأ جماعة يتعلمون القرآن. كل ما نزل من القرآن شيء، لا يحفظه النبي ﷺ وحده، بل الجماعة المتصاعدة في الكثرة تشترك معه في الحفظ، فلا يخاف على ضياع القرآن بشيء. وتلك الجماعة كيف تنشأ في الحالة الابتدائية ضعفاء الناس يجمعهم النبي ﷺ من ليس بالغاً إلى درجة الرجولية، فليختر منهم اليتم ويولميه وهو هادي للمواسات ينضم إليك، ومعنى أدين المواسات هو عدم قهره لأن الناس صارت عادتهم إذا رأوا فرقاً لاوارث له يجعلونه ذليلاً ويقهرونه، وأنت إذا تركت قهره، ينظم إليك ومن الرجال من رأيت سائلاً، الرجل لا يعمل هذا الفعل إلا بالضرورة والمشقة، فإذا جاء إليك سائل فلا تنهره، بل تلتفت باللطف والمواسات بما أمكن، يفضمون إليك، فذلك الجماعة يكون لها خصوصية معك، يجتمعون عندك، لا يلزم عليك في ذلك مصارف كثيرة، بل إنما هو حسن الأخلاق وبسط الوجه، فإذا اجتمعوا عندك فعلمهم القرآن، وهذا معنى قوله: "وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ" ونعمة ربك هو القرآن وإذا حدثت به مع هؤلاء الضعفاء يحفظونه ويندر قلبهم به فلذلك العمل كان التأخير.

سورة الانشراح

بسم الله الرحمن الرحيم

"أَلَمْ تَخْرُجْ لَكَ صَفْرُكَ." العلم الصحيح إذا أدرك الرجل حقيقته وانبعثت معه همة الرجل^(١)، ولا يجد في قلبه مشكلة في إتمام ذلك الأمر إلا يجد طريقاً لحلها أيضاً معه، يعني أنه لا يخاف من شيء يضاده، بل يجزم وطبيعته توفقه في هذا الجزم أنه قادر على تحصيله وتكميله، ويكون في ذلك الفلاح يقيناً، فيقال حصل له شرح الصدر في ذلك العلم. جاء في بعض الأحاديث أن النبي ﷺ شرح صدره في صفرة الملائكة، وأخرجوا منها شيئاً يقال له حظ الشيطان، وهكذا جاء في وقت المعراج أنهم شرحوا صدره، فنحن لاننكر تلك المواقفات^(٢)، ولا نجعلها تفسيراً لتلك الآية. قال موسى: "رب اشرح لي صدري" فمعناه^(٣) أنهم يشقون صدره وقلبه. ثم إن موسى عليه السلام دعا لذلك، والذي حصل له ذلك بدون الدعاء، ومن ضمن ترتيب المصحف تأخيراً شيئاً. النبي ﷺ كان مقصده عظيماً، وأمره الله في سورة الضحى أن يجمع إليه ضعفاء الناس، اليتيم وسائرهم وكان غير مناسب لدعاه على ما تقتضيه طبيعة الرجال، هم يجهلون أن يأتي إليهم أقوياء الناس لموارثتهم، لكن الله شرح صدر نبيه بالتمار ذلك الأمر، وجمعه ضعفاء الناس إلى نفسه، وجزم النبي ﷺ أن هذا يكون سبب نجاح الحركة وفلاحها، وكان كذلك، فالحمد لله على نبيه. "أَلَمْ تَخْرُجْ" لجعلك راغباً في عمل تحت خيم كثير، لكن في ظاهره هو أمر حقير، فلو لم يشرح الله صدر نبيه لذلك، ما أقامه كما كان حقه، وببركة هذا الشرح يذكرها له في سورة الانشراح. "وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ" عندنا الوزر الذي انقضض ظهر النبي هو عدم اجتماع رجال أولي الأفهام الأقوياء يوافقون على طريقة النبي ﷺ، فإذا رأى لا يأتي أناس مثل هؤلاء والأمر عظيم، ولا يجد في قلبه ميلاً إلى ترك هذا الأمر، فهذا له الوزر لا يقدر أن تتحمله طبيعة النبي ﷺ، ثم لما توجه النبي ﷺ إلى الضعفاء تفكر المتفكرون^(٤) الأقوياء الصالحاء الأتقياء أن هذا الرجل لو أراد قوة لنفسه ولعائلته، ما توجه إلى الضعفاء أبداً، بل الرجل ليس عنده مقصد إلا إتمام هذا الأمر بيد أي رجل كان، فإذا عرفوا من سورة الضحى ﷻ تلك العلامة، توجه أهل الحق إلى الانضمام معه مثل أبي بكر وبواسطة كثير من أكابر قريش،

١- في ن م هناك: لإكماله.

٢- هذه الحادثة تسمى بحادث شق الصدر في روايات السيرة، وقد وقع ذلك ثلاث مرات: الأولى في أيام طفولة النبي ﷺ حينما كان في رضاعة السيدة حليمة، وقد خرجت من قلبه علقه، وقد ورد هذا في صحيح مسلم (كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السماوات، وفرض الصلوات، رقم: ١٦٢٢ / ٢٦٦) وغيره، المرة الثانية عند بعثته، وذكرت هذه المرة في كتب السيرة، والمرة الثالثة عند الإسراء والمعراج.

٣- في ن م: فجعلناه، فهذا خطأ الناسخ.

٤- في ن م: تفكر المتفكرون، وهذا خطأ النامخ.

فهذا معنى "وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ" ولما جاء هؤلاء الأقوياء وجلسوا مع هؤلاء الضعفاء، عرف النبي ﷺ أن هذا نصر من الله فقط، وأنشرح صدره على الاجتهاد بأوامر الله أكثر من الأول. "وَوَضَعْنَا لَكَ وِزْرَكَ" هذا أيضًا تسمية لوضع^(١) الوزر الأمر العظيم، لا يتم إلا بعد دعاية فاشية؛ فهذا الذي يريد عليه السلام يحتاج إلى رجال وأموال وإلى إدارات لبيت الدعوة في القبائل والأقوام، لكن الله جعل يرحمه أعدائه الذين يخالفونه باعًا في انتشار ذكره في الأقوام والقبائل، وهو في مقام يجتمع الناس إليه كل سنة، وفي موسم الحج يكون اجتماع عظيم ويكون سفر الناس إلى الحرم للاحترام طول السنة. رؤية^(٢) النبي وامتداده أيضًا من ضميمه ذلك السفر، وإذا رآه وصحبوه ورأوا جماعته ورأوا أعيانهم يرتفع صيته ولا محنة في ذلك للنبي عليه السلام، فهذا من أعظم الانعامات عليه من الله ويريد كل يوم ينشر الأقوام ذكره إلى أقوام آخرين.

"فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا". هذا اليسر الذي حصل له بفضل الله وموهبته، لا بد أن يكون له سبب في الظاهر أيضًا وهو تحمل النبي ﷺ المشاق في أفق الأعمال؛ جمع العظمى والمساكين وتعليمهم الدين، فأشار الله أن هذا العسر الذي تحملت أنت في أعمالك، كان سببًا لتحصيل ذلك اليسر الذي حصل لك بوضع الوزر ورفع الذكر. هذا كان في الماضي، ثم أعاد الله تلك الآية أيضًا للمستقبل. هكذا دائما يكون: تتحمل عسرًا فيكون سببًا لليسر. على قدر أهل العزم تأتي العزائم.

"فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ" إذا فرغت معناه، اعمل دائمًا، فاجعل بعده عملاً أشكل وأثقل عليك منه محل همتك وعزمك لتكون في نصب. هذا معنى قوله: "فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ" ولا بد في ذلك أن يكون الرجل متوجهًا إلى الله في إتمام مقصده؛ لأن الأمر الذي شرع منه فوق طاقته، فدائمًا يتوجه إلى الله ويرغب إليه، فإذا فرغت من قومك فاشتغل بقبائل العرب، وإذا فرغت من قبائل العرب، فانصب الجندل والقتال مع كسرى وقيصر بل جميع ملوك الأرض.

١- في ن م: لفظ "وضع" ساقط.

٢- اللفظ هكذا في ن إ ر ن م، ولكن المفهوم فيه غموض، وقد أبقته على حاله.

سورة الأعلى

بسم الله الرحمن الرحيم

"سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى (١) الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى (٢) وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى (٣) وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى (٤) فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى (٥) مَنْقُورُكَ فَلَا تَنْسَى (٦) إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى (٧)" في حكمة الإمام ولي الله أن العالم كله مثل شخص واحد كبير، فالجسمانيات كلها الكواكب والسموات والأرضون^(١) مجموعتها كالبدن الإنساني لشخص واحد، فكما أن لكل شخص نفساً ناطقة تدبر بدنه، هكذا لهذا الشخص الأكبر أيضاً نفس الكل، فجميع النفوس الناطقة تكون كالأجزاء لها، وكذلك نفوس الكواكب والأفلاك كلها متفرعة منها فوق هذه النفوس، يعني نفس الكل التجلي الرحماني، وهذا التجلي أعلى ما يصل إليه كل مخلوق لله، والفيوض التي تظهر من هذا التجلي، أولها خلق أئمة الأنواع والفيض الثاني بعد ذلك خلق الأفراد للأنواع حسب استعداد المادة وتدبيرها، ومعنى التدبير استيفاء حقوق أئمة النوع في أفرادها، لأن المادة في بعض الحالات مختلفة عن قبول أحكام الأنواع، ففي تلك الحالة ما يمكن عليه من أحسن الحالات لتوفية أحكام أئمة الأنواع يتصرف الرب المتجلي على النفس الكل في المادة وترجيح بعض الصور على بعضها بوجه يوصل إلى أحسن ما يمكن، فهذا التدبير يشغل به الرب المتجلي في كل آن. هو المعبر عنه في القرآن العظيم كل يوم هو شأن وإلى الإشارة في قول النبي ﷺ بيده الميزان يرفع القسط ويخفضه من هذا التدبير يتفرع فيض التشريع للإنسان. أفراد فطرهما أن تتجلى فيها إمام النوع الإنساني فكلما كان فرد من الأفراد أولى بالتجلي كان أقدم على أقرانه فسهل الأمر لكل فرد أن يتجلى فيه الإمام أعلى ما يمكن هو التشريع والنوع الإنساني يقتضي بطبعه أن يفاض عليه العلم بواسطة رجل منهم. هذا الرجل يكون نبياً. بيان حكمة التشريع أنه يرجع إلى تدبير النوع الإنساني فيكون فضل من الله الرب الأعلى.

مقصد هذه السورة "سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى" كل ما يعزى في قلبك من نسبة خلق شيء مما لا يناسب الإنسانية منزوعة عن ذلك، ليس مثل ذلك الأمر كله إلا فن اقتضاء التدبير الذي يحيط بالنوع الإنساني وكل إنسان بطبيعته لا يجب إلا ذلك الأمر، هو مقتضى نوعه، فإذا كان مقتضى إمام النوع مقصد كل إنسان ومحبوه، وذلك المقتضى يقتضي لذلك الأمر المكروه، فهذا ليس نسبة إلى الحق صحيحاً بل نسبة إلى طبيعة النوع الإنساني هو الصحيح، فيكون مثل هذا تفسير ما جاء في بعض الأحاديث حكايمة عن الرب يوم الحشر، إنما هي أعمالكم أردناها عليكم فمن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه، فجميع المستكرهات التي تظهر للإنسان، ليس مصدرها

^١ في كلتا السختين: الأرضين، والصحيح الأرضون، لأن اللفظة في موضع الرفع.

إلا اقتضاء التدبير النوعي، والله سبحانه لا يترك تدبيره وحكمته لاتباع هوى بعض الناس، فإن كان الناس ينكرون هذا، فليتكروا منشأ التدبير، يعني اقتضاء إمام النوع الإنساني، ويجردوا أنفسهم عن ذلك الاقتضاء، وهذا لا يتأتى منهم، لأن كل فرد من الأفراد ولا يجب إلا أن يكون من ذلك النوع.

"وَالَّذِي خَلَقَ فَسْوَى". خلق الأنواع وسوى لهم مقتضاها. الأسباب تحت هذه الدرجة كلها تكون موافقة لتوفية كل نوع بخواصها، وهذا معنى قوله "خلق فسوى". هذا باعتبار الخارج ويمكن أن يقال شئوي الكل في الداخلية أيضًا متاسبًا بمقتضى النوع. لما خلق نوع الإنسان لمعنى مخصوص فأعطى الأعضاء والقوى لتوفية ذلك المعنى مستوي، فهذا تسوية النوع في داخلته فيكون الذي "خلق فسوى" شاملًا للأميرين.

"وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى" قدر المعنى المخصوص في النوع وقدر له طريقًا مخصوصًا في توفية مقصده، فهذا الذي قدر في النوع يكون تأثيره في أفراد النوع حكمًا لازمًا، فهذه الأفراد فسوى لهم الطريق لتوفية خواص النوع. هذا هو التشريع. الأمر مقدر لكل فرد الوصول إليه كماله، فتيسر ذلك الطريق حسب الاقتضاء النوعي يكون تشرية فالتشريع ينشئ من التقدير. تفصيل هذه المسئلة في باب انشقاق التكليف من التقدير من حجة الله البالغة، وهذا من خواص حكمة الإمام. قرأنا كثيرًا كثيرة في حل هذه المسئلة من أئمة، ونخرج بأنهم يعرفون المسئلة بحقيقتها لكن يباينهم مشغول إلى الغاية غير مبني على مبادئ يترقى منها الطالب إلى المقصد. يقرأ الطالب الكتاب مرارًا ولا يحصل منه شيء، وإن استقر مقصد المصنف في ذهن بعض الأركياء فكأنهم أخذوها بالحدث لا بالفكر والرؤية، فهم بعد ذلك لا يقدر أن يفهموا أحدًا. لانقول إن الإمام ولي الله تفرد بحل هذه المسئلة، لكن نقول إنه وفق لبيانه بوجه يتضح لكل أحد ذي بصيرة مسلمًا كان أو غير مسلم، ويتلاحق الأفكار مع بيان الإمام صارت المسئلة مشروحة إلى الغاية. (١)

"وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى" تذكر في تفسيرها كلمة من كلمات الشيخ، فكما أن المستبصر إذا رأى نوعًا من أنواع الحيوان لا يتعش إلا بالحشيش، استيقن أن الله دبر له مرعى فيه حشيش كثير، فلذلك للمستبصر في صنع الله يستيقن أنه لما كان اعتدال مزاج الإنسان بحسب ما تعطيه الصورة النوعية لا يتم إلا بعلوم، وجب في حكمة الله ورحمة أن يهيئ في غيب قدسه رزق قوته العقلية، يخلص إليه أركائهم، فيتلقاه من هنالك وينقاد له ساكن الناس بمنزلة ما ترى في نوع النحل من يعسوب (٢)

١- في ن م هناك نسط من العبارة ساقط من ن هـ، وهو: شيخ شيخنا مولانا محمد قاسم يذكر المسئلة في الجميع العامة تجتمع فيها الخنود والنصارى والمسلمون خاصتهم وعامتهم، يخطف فيهم وبين المسئلة، كل أحد يفهم كأنه أدركه. كل ذلك ليس إلا باتباعه طريق ولي الله وأيضاحه بالفاظ مناسبة لأذهان المتعاطين.

٢- في ن م: يعسوب، وهو خطأ. يعسوب هو طائر أصفر من الجراد، وقال صاحب القاموس الوحيد مبيثا معنى اللفظ بالأردية: شهد كل كميون كى رالى- وهذا معنى أنسب للمبيث. (لينظر: وحيد الزمان قاسم كيرانوي، القاموس الوحيد، تحت ي.)

يدبر سائر أفرادها، فهذا قوله "وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ" إلى "فَلَا تَنْسَى". لما كانت حكمة الله ذيرت للحيوان إخراج المرعى في مواعيد، ثم جعله غطاءً أحوى في غير ذلك الموسم ليتعش به الحيوان، أفلا يكون ذلك الرب الأعلى يدبر للإنسان غذائه العقلي، فلذلك ستقرئك وتكون أنت أستاذًا وإمامًا تعلمهم وهذا هو مقتضى نوعهم. "فَلَا تَنْسَى إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ". ما شاء الله هو بحسبك الفطرة، والمعلوم يتبدل إذا انتقلت من قرن إلى قرن لا تكون غصًا طريًا مثل أيام نروطا. "إِنَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَمَا يُخْفَىٰ" يعرف الأنواع وأسمائها ويعرف الأفراد ومقتضياتها، فيراعي كلنا المصلحتين.

فصل

لتعليم النوع الإنساني طريقتان: ١- الأول تقديم الملكية على البهيمية ولايراعي فيها مصلحة البهيمية. ٢- الثاني: رعاية الملكية والبهيمية كليهما، النوع الأول يسميه الشيخ بالتجاذب، والثاني يسميه الشيخ بالاصطلاح. بيان الطريقتين مستوفى في مقدمة حجة الله البالغة. التجاذب هو خلاف الفطرة وصعب سلوكه، والاصطلاح ملائم للفطرة ويتيسر سلوكه لكل صغير وكبير، فالأنبياء يهتدون لبيان الطريقة الثانية فقط، ويشيرون بالتلميحات إلى الطريقة الأولى، وأولياء الله قسمان: ١ قسم من أتباع الأنبياء وقسم يكملون الطريقة الأولى، ولعدم انضباط حدود الطريقتين عند أكثر أهل العلم، يشكل عليهم تطبيق معارف الأنبياء بمعارف بعض الأولياء والإمام ولي الله حقق كل طريقة بكلام لايرجي فوقه، وهذا أيضًا من خواص ذلك الإمام. نحن نذكر ذلك لأن الناس يمرّون على تلك المباحث كأنها سهلة لايتوجهون إليها، فلا يفهمون الفرق بين الطريق اليسرى والعسرى، فسور من القرآن يمرّون عليها بدون فهم واعتمادهم في القرآن على التفسير المكتوبة تحت آيات قرآنية، والتفسير لايتبحث إلا عن اللغة أو ما نقل من حديث وأثر أو ما يتعلق بنوع من التعلق من كلام الفقهاء ومن كلام أهل الكلام، ويتردّدون عليها الإسرائيلية والحكايات الموضوعة، فمثل هذه التفسير هل تنفع الناس في فهم مسائل الحكمة؟ وإذا بحث حكماء من الحكماء الربانيين في مسألة تتعلق بكتاب الله، وأتى بكلام مستقل لازم على طلبة العلم أن يوجهوا إليه بكل فوقهم لينفتح لهم طريق الفهم في كتاب الله. وأنا لا أدعو إلى كتب الإمام ولي الله إلا لذلك الغرض، وليس دعوتي تلك لكل أحد بل الذين مقصدهم فهم كتاب الله. هم إذا صرفوا أوقاتهم في فهم مسائل الحكمة في كتب الشيخ، يفتح لهم طريق الفهم في كتاب الله. في حجة الله البالغة في مبحث السعادة يذكر الشيخ تينك الطريقتين فلان أن يتوجه الرجل إلى استيعاب مطالعة هذا الباب. "وَلْيَسِّرْكَ لِلْيُسْرَىٰ" قال الشيخ والثانية أتمتها لفهمون وذووا اصطلاح هم القائمون برياسة الدين والدنيا معًا، ودعوتهم هي المقبولة وستهم هي المتبعة، وينحصر فيها كمال أكثر الناس، ويمكن منها التكمي والغني والمستقل والفارغ ولا حرج فيها وتكفي العبد في استقامة نفسه ودفع اعوجاجها ودفع الآلام المتوقعة في المعاد عنها. هذا كله مقتضى الطريقة التي سميناها باليسرى. "فَلْيَسِّرْكَ لِلْيُسْرَىٰ"

قد غلط بعض الناس في فهم دعوة الأنبياء أنه يجب عليهم هداية كل فرد من أفراد النوع، والذي نراه أنه باطل بدهشة. من الناس جماعة يتأهلون أن يسمعوا كلام الأنبياء ويستفيدوا منه. هؤلاء هم الذين يجب على الأنبياء أن يعلموهم، لكن تلك الطائفة مختلطة مع المعاندين للكذابين. لذلك يخاطب الأنبياء جميع الناس. فإذا تبين أن الرجل معاند مكذب لا يريد الاهتداء، فالتوجه إليهم ليس بواجب على الأنبياء، بل هو تضييع للوقت، وعلاجهم إنما يكون بعد قيام الهيئة الاجتماعية للمؤمنين بحكومة البلاد، فإن تبع هؤلاء أولى الحكومة وتركوا المنازعة مع الحكومة، يصيرون ذميين، وإن كان عنادهم إلى درجة يعارضون الحكومة أيضًا يقتلون، فالجهاد وإقامة الحكومة من لوازم دعوة الأنبياء بعد إبراهيم عليه السلام، وقبل ذلك لم الجهاد لازماً بل كان يأتي العذاب من الغيب وبهلك الكفار، فدعوى أن الأنبياء يلزم عليهم أن يهدوا كل من يبلغ إليهم تخيل باطل. هذا معنى قوله: "فَلَذَكِّرْ إِنْ نَفَعْتَ الذِّكْرَى". "سَيَذَكِّرْ مَنْ يَخْشَى" الإنسان يفكر وهذا من لوازم الإنسانية، وإن كان الإنسان خالقاً عن التفكير، فهذا حيوان في صورة الإنسان، وكل أحد إذا تفكر، ينظر في نجاة نفسه من مهالك الدنيا، وإذا كان الرجل ذكياً وصحب الأئمة الأكابر يفكر في نجاة من مهالك الآخرة أيضاً، وفي هذا التفكير يبدوا للناس طريقتان : ١ - طريقة نفعها راجع إلى نفسه وإلى من ينضم إليه من أهل بيته. ٢ - وطريقة يكون نفعها راجعاً إلى عموم الناس أولاً وفي ضمنه يحصل له أيضاً. والإنسان في ابتداء فكره لا يصل إلى تعيين طريقة عمومية بالسهولة. أما الطريقة التي ترجع إلى نفسه وإلى أبناء عشيرته، فهذا يصل إليه كل متفكر بسهولة، وبعد ذلك يختلف هؤلاء إلى قسمين : ١ - قسم يجعل هذا كافياً لهم، لا يريدون التحول منها إلى شيء أعلى، وهم أكثر الناس، والقرآن الكريم يحكي عنهم: "إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ" مثل ذلك. هؤلاء الناس هم قليل الفكر، والقسم الثاني منهم ينظر في أحوال الناس أخبار الدنيا، فيحزم بأن استقرار تلك الحالة لهم لا ينوم. يخشى أن يأتي حركة عمومية فعومية، فيغلب عليهم هؤلاء دائماً يحثون عن حركات عمومية فعومية، وهكذا إلى فوق، وعندنا معنى يخشى هم هؤلاء للناس يعرفون قوة الحركة العمومية وتغلبها على الحركات الخصوصية. هم إذا وصلوا إلى حركة عمومية لعامة الناس ولا يتفكرون في حركة أعلى من ذلك، تنهب عنهم الحشية إذا التزموا تلك الحركة العمومية. وهذا معنى قوله: "سَيَذَكِّرْ مَنْ يَخْشَى" لأن الدعوة القرآنية هي للإنسان عامة. وكنا نحن نستشكل تفسير قوله: "إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ" فإن التحرية بخلاف ذلك، ونرى رجالاً عامة إذا ذكر الله عندهم يخشونه، وإذا ذكر عند العلماء والعقلاء لا يزالون إلا بقدر الرسم. إذا رأوا أنهم يخالفون الأمر الإلهي هذا فيقيم العامة القيامة عليهم يظهرن التشخيص لأمر الله، وإذا لم يخالفوا من اعتراض العامة، فذكر الله وعدمه سواء عندهم. هذا حكم عامة الناس. نعم قد رأينا رجالاً من العلماء يخشونه، والذي وضع لنا اليوم أن المراد من العلماء، العلماء بالاجتماعية الإنسانية والعلماء بالفطرة الإنسانية، فكل رجل منهم إذا عمل في نفسه عملاً يخالف الفطرة الإنسانية، يخشى من ربه بانتقام الفطرة، وكل رجل اعتمد على اجتماعية

ناقصة مخصوصة، يخاف من انقلاب الحقيقة الاجتماعية العمومية. هؤلاء دائماً يخافون ربح انتقام الفطرة أو انقلاب الفطرة، والذين ليس لهم معرفة بتلك الحكمة، هم يفترون بعض الأشياء الفاسدة ويذهب عنهم الخشية من الله، فالتبي عين له للمخاطبون في الدعوة. كل رجل يرى منه أنه يعرف الفطرة الإنسانية ويقس كل أحد على نفسه أو رجل له توجه إلى الاجتماعيات والسياسيات العلمية، فكل منهما سيذكر بدعوة نبينا ﷺ. "وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَتْقَى" إلى "وَلَا يُخَيِّ" في النصوص السابقة على إبراهيم كان أمثال هؤلاء الرجال يهلكون بنزول العذاب عليهم، فيدخلون النار الكبرى. الناس طائفة منهم يمكنون في قبورهم منتظرين وبعد الحشر يدخلون النار مثلاً. عندنا المراد من هؤلاء صنف مخصوص من الناس الذين لم يؤمنوا بالحق وما جادلوا وما عاندوا الحق. أما الذين يعاندون الأنبياء ثم يهلكون بعذاب من الله، يدخلون على الفور جهنم، ثم يخرجون منها إلى الحشر ويجري عليهم الحساب ويدخلون مرة ثانية. وبعد إبراهيم عليه السلام كل رجل يقتل بأيدي المجاهدين، يدخل النار الكبرى على الفور مثل ما ذكرنا أولاً.

"قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى" باقتضاء الفطرة الإنسانية السليمة والأنبياء لا يأمرؤن إلا بتوفية اقتضاء الفطرة السليمة والمراد منه التطهير، التطهير من الأنجاس والأوراث في اللباس في الجسم والمكان وكذلك ترك الخصلات الخبيثة التي يتنفر عنها الإنسان مثل ما يتنفر عن الأنجاس.

"وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى" التوجه إلى الله هو اقتضاء الفطرة الإنسانية. يعرف بتفكره أنه ما أوجده إلا من خلق السماوات والأرض، فإن حاجاته كلها متوقفة على السماوات والأرض وهو يستفيد منهما بسهولة فيعرف بالوجدان أن خالقه وخالق هذه هو رب واحد فتوجه إلى الله، ولا يكون مثل هذا التوجه توجهه إلى شيء فإذا هو صاحب المتألهين مع منهم أسماء الرب، يتخبط اسماً واحداً يناسب فكره، فيذكر ربه دائماً بذلك الاسم، وعندنا الاسم الإلهي لله، معناه الغاية في الحيوية أو مثل ذلك. الأسماء الإلهية تبنى على صفة خاصة، فهذا الرجل دائماً يجمع فكره إلى ربه يذكر اسم ربه، فهذا الاسم يكون له في دماغه صورة خيالية، ويحبه غاية المحبة، فيؤثر في جميع حالاته، فيكون مثله مثل الخطيب تحيط به النار، فهذه الحالة تسمى بالصلوة عندنا، والصلوة التي نحن نصليها، ليس إلا طروقاً لتحصيل تلك الحالة في الاجتماعية. (١)

١- هناك قطعة من العبارة في ن م، وليست في ن إ، وهي: أنا تعلمت العلم في مدرسة ديوندد. مشايخنا كلهم كانوا من الحنفية، فصرت أنا حنفياً بالطبع، ثم وفقني الله للمطالعة ورأيت مسائل الأئمة مثل إمامنا الإمام الأعظم والإمام الشافعي في زمن أخذ الحديث، فبعض الأوقات كنت أسير إلى الإمام الشافعي وإلى تلميذه، ثم ظهرت لطيفة غريبة واستقيت على الحنفية، وكان ذلك عندي بتأثير معنوي من شيخنا مولانا سيد أحمد الدهوندي حين كنت أخذ منه سنن الإمام أبي داود، ثم بعد ذلك كان يظهر لي بعض الفوائد العامة في فقه الإمام أبي حنيفة أكثر. وكنت أعرف بمطالعة كلام مشايخنا على أن رعاية الحكمة والملة في فقه الإمام أبي حنيفة أكثر. وهذا يوفق مزاجي.

نذكر مسئلة حكومية وصلنا إليها بعد أن قطعنا المدايح الكثيرة في الاجتماعيات هي هذه. رجل حكيم يعرف الاجتماعيات العلمية، ليس بمسلم يصل إلى هذه أول مرة من القرآن الكريم معرى مجرداً من جميع الذهنيات الإسلامية من التفسير والحديث والفقه والكلام والتصوف وغيرها، وهو يعرف العربية أو كان معه ترجمة ألفاظ كتاب الله باللغة التي هو يعرفها. نريد بذلك أن ليس عنده مسلم يعلمه شيئاً من أحكام الإسلام وأنه لم يقع بيده كتاب من الكتب التي صنفها المسلمون لشرح كتاب الله أو لتنظيم أحكامه، فهذا الحكيم يطالع في أوقات فرصة القرآن الكريم مراراً حتى يفهم منه ما ظهر له من مراده، فهذا الحكيم يجد في كتاب أصولاً أساسية عامة للاجتماعيات العلمية والسياسة وينشرح صدره لقبولها ويؤمن بأن ذلك الكتاب لا ريب فيه، ولا نظير له في باب؛ ففي القرآن العظيم بعض الأوامر الفرعية أيضاً هي عندنا أمثلة لفهم التشريعات. ليس هو استيفاء شريعة تامة، بل هذا الأمر موكول إلى النبي ﷺ (١) وهذا الرجل يأخذ من الفروع الإسلامية بشيء غير تام. هذا الذي قلنا يقدر عليه كل رجل متفكر، ليس فيه شيء يشكل على أولي الألباب، وعلى هذا يحدث عندنا سؤال: إذا التزم هذا الحكيم الأوامر الفرعية القرآنية وأسلم لذلك واستمر على أفعالها، هل يكون حكمه حكم المسلم الكامل أو لا؟ والذي نفهم من كلام الإمام مالك والشافعي ومن سلك مسلكهما من الأئمة التآخريين، أنهم يجعلون مثل هذا الإسلام كلا إسلام ناقصاً مخدجاً. إذا سألهم الرجل كيف يصلي؟ يذكرون له كل ما أوجبه النبي ﷺ من التشريع الكامل، فإذا كان الرجل ترك شيئاً منها، فعندهم كأن الرجل ما صلى، فإذا أخذنا حكم هذا الحكيم من فقه هؤلاء، يظهر أن لاصلوة له ولا شيء من الأعمال أو أنه سجد أولاً وركع بعد، يقرأ جالساً ويقوم قائماً، فهذه الصلوة ليست بصلوة عند هؤلاء الأئمة، فكان الكتاب الإلهي لا يجوز الاعتماد عليه مجرداً من انضمام الآخر.

فصل

الإمام أبو حنيفة يفرق في فقهه بين الفرض والواجب، فإذا أخذ الرجل أحكام الفروع من كتاب الله وما قصر في اجتهاده وما أساء، يكون عمله كاملاً مقبولاً عند الله. إذا كان لم يصل إليه شيء من التشريعات التي أوجبهها النبي ﷺ والمسلمون، والإمام أبو حنيفة يجعل ما ثبت من التشريع الكامل من النبي ﷺ في درجة الواجب، إذا تركه أحد متعمداً فهو مسيء، وإذا أدى الفرض تكون إساءته في الدرجة الثانية. أما إذا تركه لعذر، فلا مواخذة عليه، فيجعل الإمام جميع ما شرعه النبي ﷺ واتفق عليه المسلمون في زمن البواشدة كله في الدرجة الثانية لم يجعله مساوياً لما ثبت في القرآن الكريم.

١- قول الكتاب الإلهي باسم الكتاب

٢- بيان نينا بعد ذلك يوجب هذا الفرق المسلم الذي أثبت الإمام أبو حنيفة.

ويمكن لنا أن نجعل دعوتنا الأمم إلى الإسلام منحصرة في الدعوة إلى كتاب الله وحده، فإذا دخلوا في المسلمين فيحكم اجتماعية للمسلمين يأخذون أحكامهم لا بد. أما إسلامهم فيكون تاماً إذا أظهروا الخضوع لكتاب الله. هذا الفرق كنت محتاجاً إليه في طريق تفكيري، فلما وجدته في فقه الإمام أبي حنيفة أحبته حباً بليغاً.

فصل

الإمام ولي الله في كتاب حجة الله البالغة يبين حكمة جميع ما ثبت عن النبي ﷺ ويقسمه على قسمين: ١- رعاية المصالح العامة في معاني التشريعات. ٢- رعاية التيسير وتخفيف في صور التشريعات، فهو فصل كل حكم إلى مصلحة وإلى تشريع، فنسمي المصالح فروضاً ونسمي التشريعات واجبات وقد صرح أنه إذا لم يمكن الجمع بين صورة الحكم ومعناه، فالحكمة الشرعية تحمل الصورة للتشريع، وتلتزم المصلحة، فكانه يجوز الشرع ترك الواجب وأمر بالتزام الفرض، وكتابه هذا صار قدوة في التفريق بين الفروض والواجبات، ونحن نعتقد أن القرآن الكريم يحيط بجميع المصالح الشرعية ويأتي بالشرائع على قدر الضرورة، ثم جاء شيخ شيوخنا مولانا محمد قاسم وصرح بتفسير كلمة الفرض والواجب بالمصلحة والتشريع في كتابه مصابيح التراويح، فنتم وأكمل ما لم يصرح به الإمام ولي الله بتعيين الفرض والواجب مع كونه بالغا في البحث عن حقيقتيهما، ثم راجعنا كتب الفقهاء الحنفية في أصولهم، وما رأيناهم يقدرون على الفرق بين الفرض والواجب، فنحن بمحمد الله نعتقد في مشايخنا أنهم أحرف من كثير السابقين في الفقه الحنفي أيضاً، عرفنا بذلك سر بقاء الحنفية عمدة إلى زمن طويل وهو إقامة الله فيهم مجددين في كل عصر. أما هذا التقليد البحث لأوراق الفقه فلا يجدي نفعا.

فصل

استنبط الفقهاء الحنفية من قوله: "قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى. وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى" إن تكبيرة الافتتاح خارجة عن الصلوة. مثلاً الطهارة يتوقف عليها الصلوة أخذاً من قوله: "فَصَلَّى" والآخرون لا يسلّمون لهم ذلك أخذاً من التشريعات، فيمكن الجمع في درجة المصالح والفروض هي خارجة وفي درجة الواجبات والتشريعات هي داخلية. "بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا" بيان الفرق الثاني مقابل للمفلحين. "قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى. وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى". للمفلح لا يكون تاركاً للدنيا، بل إنما يقدم في ذهنه مقتضيات الفطرة الإنسانية الطهارة ثم ذكر الله والصلوة على الحالات الطبيعية، مثل الأكل والشرب، وطبعا التقدم يصير مقدماً في الدنيا تاجياً في الآخرة، فكانه قد أفلح حياته. أما ذلك إذا أخر هذا عن الأكل والشرب ومقتضيات الحياة الدنيا، يصير مؤخراً في الدنيا. الحياة الإنسانية إذا انتظمت على فطرتها، لا يقدم مثل هؤلاء الحيوانات على الإنسانية، وفي الآخرة ضرره أشد، فمقابل هؤلاء المفلحين الذين لم يلتفتوا إلى دعوة

القرآن، يؤخرون في الحياة الدنيا إذا حصل الفلاح للمؤمنين وحكموا على الأرض والآخرة يكون حرمانه منها طويلاً عريضاً.

"والآخرة خير وأبقى" معناه أن الدنيا إن كان تركها واجباً لتحصيل الآخرة، ففي تلك الحالة أيضاً تكون الآخرة خيراً وأبقى. لا يخطر ببال الإنسان أنه يخسر شيئاً، فإذا كانت الدعوة القرآنية تجمع بين المصلحتين الدنيا والآخرة، فالإعراض عنها ما جئني من أرباب العقول السليمة. "إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى" هذا التعليم المختصر في تلك السورة الدعوة إلى تكميل الفطرة الإنسانية، هذا هو خلاصة تلك الصحيفة الطويلة العريضة التي تنسب إلى إبراهيم وموسى. والسفر الأول من أسفار التوراة الخمسة، سفر التكوين هو عندنا صحف إبراهيم، والأسفار الأربعة الباقية من سفر الخروج إلى سفر التثنية هي صحف موسى، فالأسفار الخمسة هي صحف إبراهيم وموسى هي أم الكتاب في الدين الحنيفي والقرآن العظيم أتى بخلاصتها في سورة قدر صفحة واحدة من كتاب الله ونحن نريد إظهار الشكر لله تعالى بإعادة تلك الكلمة. ما كنا ندرك تفسير هذه السورة إلا بعد ما أحطنا بحجة الله البالغة وبعد ذلك نحن نتمكن أن نقرأ الأسفار الخمسة لأخبار اليهود والنصارى مثل ما نقرأ كتاب الهداية للفقهاء الحنفية أو جامع الترمذي لفقهاء أهل السنة.

سورة البلد

بسم الله الرحمن الرحيم

"لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ (۱) وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ (۲) وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ (۳) لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (۴)" الإنسان مقطور على أن يعمل بكل قوته واجتهاده في إتمام ما أدى إليه نظره من الحق، فإذا خالفه رجل أو قوم يعرفون الحق ولا يسمعون له بكل قوتهم، لا يرجي لهم شيء من الخير، لأنهم غيروا الفطرة الإنسانية. في بعض الأوقات أمهات الفلاح تكون مستقلة، فالتاس الذين لم يجتهدوا بالصدقة قد يستفيدون من هذا الفتح، وليس هذا قانوناً، وهم بعد ذلك يجازون بقدر ما أخذوا من فوائد هذا الفتح، ويضيق عليهم، وهذا تسمية نحن انتقم الفطرة الإنسانية ففي هذه السورة ذكر الله الشهادتين بصورة القسم وإضافة كلمة لا كأنها لتأكيد القسم، يعني أن هذا القسم بظهوره وصل إلى درجة لاندكره، ونفرض إلى المخاطبين فهموا ذلك القسم. هذا البلد لما كان النبي نازلاً فيه بعد البعثة، فذلك السنون ۱۳ كيف كانت حياته صعبة ضيقة. إذا قسناها مع حياة الناس الآخرين، لانجد مثلها في المشقة. هذا خاتم النبيين أفضل الرسل في بلده في بلاد لا يكون أشد منه، فإن كان رجل يستغنى من تلك المشقات بسبب كماله، لكان نبياً أولى بذلك. والقسم الثاني "وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ" الطفل وقت ولادته كيف يضيق عليه وكذلك يضيق على أمه، فالإنسان من مبدأ حياته كما هو مفتضى القسم الثاني إلى منتهى كماله كما هو مفتضى القسم الأول، مبتلى ببلبات، فيكون القسمان شهادة على قوله: "لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ" في صنف من الإنسانية أرباب الأموال، فيهم ذهنية باطلة، يحسبون أنهم إذا أنفقوا الأموال، يحصل لهم كل مدارج الكمال. هذا فكر باطل. المال يرفع الرجل في ارتقائه إلى مدارج، إذا تحمل محنة التفكير أولاً في أي موضع ينفعه؟ وهذا أيضاً نوع من المشقة، لا يحصل نعيم المحل الصالح للإنفاق بسهولة لكل أحد، ثم مع ذلك المشقة راجعة إلى بدن الإنسان لازم تحمله، ففي تلك الحالة يمكن أن ينفعه المال. تجرد الإنسان من المشاق تغيير للفطرة الإنسانية، والذين يقولون نحن بدون تحمل المشقة نرتقي إلى الكمال. هذا الفكر يكون في أرباب الأموال، وأرباب الحكومات أرباب السيادة الاجتماعية مثل المشايخ والعلماء، إن لم يكن في كبارهم يكون في أولادهم وإذا استقر هذا الفكر في الطبقة العالية من قوم، يتقنوا أن موخم قريب. (۱) هؤلاء الذين يجوزون لأنفسهم دفع المشقة عنهم كأنهم حاكمون على أنفسهم ليس عليهم حاكم آخر لو سلموا الحكم إلى أحد فوقهم تركوا له حق أن يضيق عليهم فإذا نفوا عن أنفسهم التضيق كأنهم في سكرتهم يتفنون حكم الحاكم عليهم هذا معنى قوله: "أَلَيْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ"

۱- في ن م هناك بيت للشاعر الأردني الشهير مولانا الطاف حسين محالي مأخوذ من المجموعة مبدع محالي: تن
آسانیل پائیں اور آبرو بجای قوم آن لادے گی گر کل نہ دلی.

رجل آخر يصرف الففات الكثيرة لتحصيل الراحة، فلا نحصل له. هو يصير مأبوساً عن تحصيل الراحة في هذه الحياة الدنيا. هذا أيضاً غلط. إذا سلك رجل طريقاً يتحمل فيه المشقة الفكرية والعملية، ويكون سلوكه موافقاً للفطرة الإنسانية، ففي العاقبة يحصل له راحة تامة، مهد الله طريق تحصيل الراحة مع كون الإنسان مجبولاً على المشقة. "يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَا لَا بُدَّ" يعني لم يحصل من شيء فورد الله عليه "اَلْخُسْبُ أَنْ لَمْ يَزِدْ أَحَدٌ" أنه أخطأ الطريق "أَلَمْ تَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ" فينظر بعينه إن كان فيه بصيرة، ويسأله بلسانه إذا لم يقدر على حل المشكلات، وكان حصل له بهذا الطريق إما ينظره أو يسأله، طريقان واضحيان كان يختار أيهما شاء، ووصل إلى المطلوب.

الطريق الأول صعب يوصل إلى الدرجة الأولى، والطريق الثاني يوصل إلى الدرجة الثانية، ولا يكون على الرجل يأمن إذا حصل لإحدى الطريقتين، لأننا هدينا الإنسان بمجموعه النجدين طريقاً واضحاً يرى منه بعيداً، لأنه يرتقي على الجبل، فإن تفكر ونظر وسأل، كان لازماً أن يصل إلى أحد النجدين لأن الإنسان لا يخلو عنهما.

"فَلَا اقْتَحِمَ الْعَقَبَةَ" الخ فإن كان الإنسان لا يريد أن يتحمل المصيبة في ابتداء الأمر، فلا يرجو له الخير، فالاحتحام على العقبة لازم لسلوك طريقة النجد، فسر العقبة بقوله: "فك رقبة" الخ والإنسان إذا صار أسيراً أو عبداً أو مديوناً لا يقدر على أداء الدين. رقاب هؤلاء بيد الغير. فك تلك الرقبة وتحصيل حرية هؤلاء، هو أعلى ما يمكن من أعمال الخير لأرباب الأموال ومن يكون على طريقتهم وبعد ذلك درجة ثانية.

"إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْخَبٍ" هذا هو الخير الثاني، فإن تكلف أحد للصعود على العقبة، ونفع الإنسانية بأمواله، فذلك المشقة تكون له سبباً للراحة وتتم الراحة إذا كان عمله هذا سبباً لدخوله في جماعة تصل الخير، والتين حكى الله عنها في سورة العصر.

هذا الرجل إذا "اقتحم العقبة" تأتي في قلبه الشجاعة، فلازم عليه أن يستمر على هذه الخصلة الخيرية التي حصلت له، والاستمرار على ذلك لايسهل إلا لمن يدخل في جماعة الذين إرادوا تصحبة أنفسهم لدفع المشقة عن الإنسانية وجعلهم سالكين على مناهج الفطرة الإنسانية، فإذا انضم هذا الرجل في تلك الجماعة، تمت أسباب الراحة له. هذا معنى قوله "لَمَّا كَانَ مِنَ الَّذِينَ آخَذُوا" الخ نأخذ من تلك السورة فائدة لا يتنبه لها الدعوة إلى الإيمان بالقرآن وإلى العمل به، طرقها مختلفة، يجب على إمام الدعوة أن يتفكر في فطرة الرجل المدهور. أي شيء يهيم في فكره ويهديه من ذلك الفكر إلى نوع من الخير، فإذا استقر هذا في قلبه وأحب ذلك الخير، فليدعه إلى الانضمام في جماعة المؤمنين ليكمل جذبة^(١) ذلك في اجتماع الصالحين. بعد ذلك هو يتفكر في طرق الإيمان والواجبات الدينية، وأما الفقهاء

١- اللفظ الأنسب في العربية: العاطفة.

والمتكلمون لا يتركون أحدًا أن يدخل في الإسلام إلا بطريقهم، المتكلم يوجب عليه أن يعتقد بحقية فرقته، وهو لا يدري شيئًا من ذلك. والفقيه يوجب عليه خمس صلوات في يوم وليلة ويجعلها شرطًا في دخوله في الإسلام. وهو لا يفهم شيئًا من ذلك، وهو رجل مفكر صاحب المعاملات وصاحب التجارات والمزارع جمع أموالًا يحكم على طوائف من الناس. والفقيه والمتكلم يجعلانه كالصبي والمبتدئ، وهذا طريق غير فطري، فالأمر الذي بهم ذلك الرجل، فليبحث الحكيم معه في ذلك الأمر خاصة، ويثبت عنده أن الإخلاص له من تلك للمشكلات التي أبغى بها وحيرته إلا إذا سلك طريقًا هذا وهذا وهذا، فهو يدرك تلك الحقيقة بتحقيقه؟ ثم يقول له هذا الذي استفدته فهو يتوجه بذلك الطريق إلى القرآن، فيدخل في اجتماع المؤمنين الذي يريدون نفي الظلم عن وجه الأرض ونفي كل شيء يناقض الفطرة الإنسانية، هو يدخل في تلك الجماعة بسهولة، فيلتزم واجبات الاجتماع مثل الصلوات الخمس ويتفكر في نفي الشكر الذي يناقض الفطرة الإنسانية. إما إذا كان مبدأ تلك الدعوة تلك الأعمال وهو لا يلتفت إليها، ثم يقبل الإسلام، فهذا كله من سوء صنعة أرباب الدعوة.

"أولئك أصحاب الميمنة" السابقون يدخلون في الإسلام من جهة النظر والفكر أولًا والذي تشبثوا بالأعمال ولما تفكروا في الاهتداء الصحيح من تلك الأعمال، أفضى بهم ذلك الفكر إلى الدخول في الإسلام، فهم دون السابقين من أصحاب الميمنة. والذين كفروا الخ الذين لم يهتدوا في صرف أموالهم بالمعاديات القرآنية ما حصل لهم شيء إلا الشوم. كانوا قدروا على الوصول إلى الحق مما وصلوا. هؤلاء أرباب الأموال، لهم أخلاق فاسدة توجب عليهم نازًا مؤصدة ذكرت في سورة الممتزة فإذا لم يهتدوا بمداية القرآن يكون عليهم نذر مؤصدة.

سورة الشمس

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) الإنسان لم يكلف بالأعمال الشرعية؟ واثقنا تلك المباحث ثم رجعنا إلى مباحث لطائف النفس الطبيعية، الإنسان يجبل عليها بفطرته، ورأينا أن غذاء تلك اللطائف ومبنى تكميلها الخواطر التي تحدث في القلوب، ورأينا أن الخواطر لها أسباب تؤثر تأثيراً وجوئياً، فتأثير الجبلة الإنسانية من ذلك، فيحدث في قلبه كيفية خاصة، كل ذلك من الفطرة التي خلق الله الناس عليها وتلك المادة المهددة في القلب تكون سبباً للتكليف بالأوامر والنواهي، وهذا كالتكميل لطلب الحالة، ولما فرغنا من تلك المباحث، ثم قرأنا السورتين، وجدناهما مشتملة على تبين سر التكليف. الخواطر التي تأتي من الخارج تحدث العزائم في القلوب، فهذا باب من أبواب أسرار التكليف، وفي آيات منها تبحث عن تلك الدرجة وبعد حدوث العزائم، تؤثر في الجوارح وتعين صوراً مخصوصة للأعمال. هذا باب ثانٍ من أبواب أسرار التكليف، فبالسورة التالية تبحث عن تلك الدرجة، فكأننا وجدنا مطلوبنا من فهم تينك السورتين، وحصل لنا بعد ذلك أن مبادئ فهم القرآن الحكمة الإلهية التي تبحث عن الفطرة الإنسانية كان ضرورية، وأغفلها الناس فصاروا محرومين عن فهم كثير من الآيات القرآنية. وحدث لهم عذر في ترك البحث عن الآيات، عدم فهمهم معنى المحكمات ومعنى المتشابهات، وكل شيء استشكلوه جعلوه من المتشابهات وفرغوا من السعي لفهمه، وهذا أيضاً نوع من الضلال. تلك الطائفة يحرمون الناس علم القرآن ويجعلونه مشكلاً عليهم. تم التمهيد.

"وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا" هذه شهادات على كل إنسان صرف الخواطر الحادثة في قلبه بأسباب طبيعية لا دخل في قدرته في شيء من ذلك، فصرف تلك الخواطر إلى مقتضى الفطرة الإنسانية كان فاتراً أفلح في حياته، وإذا صرفها إلى خلاف فطرته، يكون قد خاب، وفطرته يتركها بنفسه، يقيسها في اجتماعه مع آياته وإخوانه وجيرانه، فإذا أحب شيئاً أن يعاملوه على تلك الطريقة معه، فقد أدرك الفطرة.

١ - في بداية تفسير هذه السورة هناك عبارة في ن م لا توجد في ن إ، وهي: "تلك السورة والتي بعدها ما استفدنا فائدتها من تفسير قط، فإن التفاسير لا تبحث إلا عن الألفاظ اللغوية أو تأتي بالحكايات والقصص التي تناسب بعض الآيات. الارتباط بين آيات السورة والوصول إلى نتيجة معينة من تلك السورة لا نرى أرباب التفاسير، والإنسان قد يتحير ما المقصود من تلك السورة؟ ونحن بحمد الله لما أبطلنا بحكمة الإمام ولي الله نوحاً من الإحاطة فهمنا سر التكليف."

جاء في بعض الأحاديث أن نوح لأخيك ما نوح لنفسك^(١) وتلك الكلمة كلمة الحكمة متوارثة في أرباب الملل والنحل كلها، لأن ذلك ذريعة إهراك الفطرة الإنسانية المبسرة لكل أحد، وهذا معنى قوله "وَلَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا" الخ فالتقص الإنسانية مولاها الرب، إنه يتأثر بأخذ الخواطر بالتأثيرات الخارجية. لها حواس تدرك بتلك الحواس الكيفيات المتبادلة في الشخص الأكبر، وإدراكه كيفية تحدث في قلبه خواطر، فالتأثيرات ذكرها الله في أول السورة، أعظمها الشمس، لو لم تطلع ما حدث في الأرض نبات ما فضلا عن الحيوان والإنسان. "وَالْقَمَرُ إِذَا تَلَّاهَا" نور الشمس يظهر في القمر، ويكون له تأثير مخصوص في حال غيبوبة الشمس في غو النباتات، وإحداث الاعتدال في البلاد الحارة ليسهل على المفكرين التفكير وأمثال ذلك. "وَالنَّهَارُ إِذَا تَجَلَّاهَا" الخ كما يكون التأثير من الشمس في الأرض، كذلك يحدث في الأرض حالة مخصوصة تؤثر في الإنسانية، فالليل والنهار من آثار الشمس، لكن لما مداخلت تامة في الفطرة، تقسيم الأعمال أو المعاش للنهار والسكون والاستراحة لليل، لا ينظر الإنسان في ذلك إلا إلى الليل والنهار، تعلقها بحوث الشمس لاهتوجه العادات هو أساس تنظيم الفكر الإنساني، وبأخذها الإنسان من الليل والنهار، وينتظم منها الشهور والسنون، فهذا المخلوق في عالم النهار والليل من العادات وغير ذلك كلها يحدث في قلب الإنسان خواطر مختلفة. الإنسان الذي يصل منهما إلى إيجاد علم الهيئة وعلم التاريخ، والغبي لا يلتفت إلى شيء منها. "والسماء وما بناها" فالسماء التي ترى بحيثها المخصوصة، حقيقتها ما هي؟ لا نبحت عنها، والسماء مع الكواكب المبتوتة فيها، لها تأثير خاص في الإنسانية. الأذكيا ضبطوا سير السينرات وأسندوا إليها الحوادث. وأجدوا علم النجوم وكانت عليها بناء الاجتماعيات في الأديان الصائبة كلها، فطلوع كوكب وغروب كوكب يؤثر في الأشخاص والاجتماعيات.

جملة معترضة

في حكمة الإمام ولي الله تأثير النجوم في حوادث الأرض على ما أثبتته الملل الصائبة صحيح ثابت مسلم. إنما نسخها الملل الخنيفية لأن العلم الصحيح صار كالمفقود والأفكار الباطلة مستندة إليها أخذت مقام العلم الحق، ولذلك نسخها الملل الشرائع الإبراهيمية كلها، ومنعت عنها التوجه إليها، فهذا لا يكون إلا كما منع الشرع الإسلامي من النظر في الكتب المقدسة التوارة والإنجيل لفساد قد اعترى من النظر في تراجم تلك الكتب، وكان المنع مدًا للذريعة، فإن كان أحد يقدر على تمييز تحريفات المترجمين لا يمنع، بل يجعله خواص أهل العلم من مبادئ التفسير إذا كان مخصوصًا في جماعة العلماء المحققين، وهكذا يمكن استثناء بعض الناس من تحريم النجوم عليه. الملل الخنيفية عوضت عن ذلك استبعاد الحوادث

١ - هذا الحديث أخرجه عديد من المحدثين بألفاظ مختلفة مفادها واحد.

إلى الملائكة والأمر واحد. الحوادث كانت مستندة إلى الملائكة والكواكب في مراتب مختلفة، فإذا فسدت درجة من العلم، متعوا الناس عنها وفتحوا لهم باباً إلى وصول الدرجة العالية من ذلك العلم.

"وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاها" هذا الأمر معروف. إن الناس يتأثرون باختلاف أنحاء الأرض، فالذين يسكنون الجبال والرمال والأودية المخصصة في طبيعتهم، يحدث الفرق لحدوث المخاطر المنبثقة من الأرض، فهذه المؤثرات في النفس الإنساني، والنفس الإنساني بعد تأثيرها وحدوث المخاطر فيها يحكم على كل خطرة أنها توافق فطرته أم لا؟ هذا هو إلهام الفجور والتقوى، فتلك حكاية عن الفطرة الإنسانية في بعض حالاتها وحكم الفطرة في ذلك أن كل خاطر يأتي موافقاً للفطرة يتبع فتصفو بذلك الفطرة وتنطهر وتتزكى. يعرف ذلك بالنظر إلى أبناء جنسه، فإذا جاء خاطر موافق للفطرة في قلب رجلين متوافقين في الحياة أحدهما اتبع ذلك الخاطر والآخر خالفه، فالأول يتزكى في الاجتماعية الإنسانية، الناس يحبه ويفقدونه في الاجتماع والآخر يتأخر يشتمون منه، وإذا أراد هو التقدم بمعونه. مثال للإيضاح النكاح بالمحارم فكر يخالف الإنسانية، النكاح بالأمهات والبهات لائحته الفطرة الإنسانية، والعلم وصل إلى ذلك بعد لتجارب الكثيرة العريضة. النكاح في أول الأمر يكون سهلاً، وكل يوم يزيد المشكلات، لا يمكن التخلص منها. مثل تلك المضرات أدركتها الإنسانية، وبعد ذلك حكمت بأنها تخالف الفطرة. وإذا يتجنب نكاح المحارم وآخر يتكبح، ترون آثارهما في المجتمع، الأول يتقدم وينتشر ويتزكى، والآخر يتأخر. هذه الشهادات التي ذكرت في أول السورة أقسام على قوله "قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا" الخ فاتباع خاطر الفطرة موجب للفلاح واتباع خاطر يخالف للفطرة موجب للفساد والخيبة والخسران، فالتكليف ليس إلا إيجاب خواطر توافق الفطرة والمنع عن خواطر تخالف الفطرة. هذه الموافقة وهذه الممانعة لاثنين لكل أحد بالسهولة، بل تحتاج إلى اجتماعات وتحارب طويلة وعريضة لكل من أراد التحقيق، فالباب له مفتوح يستعين بالتاريخ ويستعين بالعصر الحاضر، والقرآن العظيم يسمى الاستعانة بالتاريخ التذكير بأيام الله، والتذكير بالعصر الحاضر التذكير بالآء الله، فإذا توجه الرجل للتحقيق يتبين النتيجة. إن هذا الخاطر الذي أوجبه الله كان موافقاً للفطرة والذي حرّمه الله كان مخالفاً للفطرة. مثال ذلك المعاملة بالربا يخالف الفطرة الإنسانية لكن يتبين كونه مخالفاً بالسهولة، فلذلك اقبل في القرن الماضي أوروبا بالمعاملات الربوية بواسطة البنوك، وارتفعت إلى درجة كان الناس يريدون أن يصلوا إلى تلك الدرجة ويتمنوها، وبعد حوادث إفلاس العمال وغلبتهم على الاجتماعيات ظهر فساد تلك النظم التي كانت مبنية على الربا، ومثل هذه المخالفة للفطرة ليست ظاهرة بينة تحتاج في تحقيقها إلا الاستعانة بواقعات التاريخ ونتائج للمعاملات العصرية. وإذا تفرغ رجل لتحقيق هذا، يعلم قطعاً أن هذا العمل يخالف للفطرة الإنسانية، وبعد تجويز كون شيء غير واضح موافق للفطرة بالبدهة يحكم بالدعوة القرآنية أن الإنسان لا يوجب عليه إلا ما تقتضيه فطرته، فمن الخواطر إلى العزائم يبحث عنها في تلك السورة خواطر موافقة للفطرة بموجب العزيمة الموافقة للفطرة، واتباع تلك العزيمة هو الفلاح، وانبعاث عزيمة تخالف تلك الخواطر هو سبب

الخفية والخسران. ذكر لها مثال ثمود حدث فيها الطغيان، والطغيان لا يحدث إلا رأى الطاغى نفسه مستغنياً، فالنظام في الاجتماعية يجعل طوائف من الناس تابعة لرجال يستفيدون بخدماهم ويستغنون عن كثير من الأعمال التي يعملها هؤلاء يكونون طبقة عالية الأشراف الحكام، أما ما سمعوا أنفسهم فكان فرضاً عليهم بحكم الفطرة الإنسانية أن يعملوا لتلك الطائفة الفقيرة يعقوبهم الراقية ويفراغ حاصل لهم ولهذا كانوا في تلك الصورة مثل الخادمين. للطبقة النازلة وكانوا كالذين يتبادلون المصالح برضاهم وكانت رياستهم موافقة للفطرة الإنسانية، لكن هؤلاء استغنوا، فخالفوا الفطرة وكانوا طغاة، فإذا قام عليهم المساكين بينهم على تلك الفطرة يعاندون في غيهم ولا يرجعون إلى اصطلاح معهم، وليس لهم سبيل إلا أن يجعلوا الطبقة السافلة راضية عن أنفسهم برضاهم، فيقوم إمام يصلح بين الناس، فيأمرهم باتباع الحق فيكذبونه وهذه مظاهرة ثانية بمخالفة الفطرة الإنسانية بعد تكذيب ذلك الإمام. وعدم رجوعهم إلى الاصطلاح يعين لهم ذلك الإمام أدنى حق الطائفة السافلة، يوجب عليهم أن يراعوه، وهم بطغيانهم لا يلتفتون إلى أي رعاية كانت مع العامة، فإذا خالفوا في رد أدنى الحقوق لهم، تكون منهم مظاهرة ثالثة لمخالفة الفطرة الإنسانية، يتم نصاب الانتقام، فيهلكون باقتضاء من الفطرة. زلزلة تحدث في الأرض صاعقة تنزل من السماء. بيان تلك المراتب الثلاث في قوله "كذبت ثمود بطغواها" فالطغيان التكذيب، وكان آخر شيء لرجاء الصلح بينهم، هو تقسيم الماء للناقة والمساكين في اليوم، والطبقة العالية في يوم آخر، فالدرجة الثالثة إهلاك الناقة بإبطال المعيار "إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا" الخ إذا كان قوم يخالف الفطرة الإنسانية بمثل ذلك الإصرار والعناد، وعنادهم يظهر بمعاملة خفية مثل عقر الناقة يهلك القوم كله، لا لعقر الناقة فقط حتى يتعجب بقضاء الله ذلك الحكم، بل بمخالفة الفطرة الإنسانية بالإصرار والعناد والاستكبار وإذا عرف الإنسان سر هذا العقاب، يجعل عقابها لازمة عليهم. لا يكون بذلك اعتراض على حكمة الله المبدع للفطرة والمخافظ عليها.

سورة الليل

بسم الله الرحمن الرحيم

"وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى" الخواطر تأتي موافقة لجبلة الإنسان، فتقلب بصورة الإرادة والعزم، كل ذلك يكون فيه مراعاة للطرفين موجودة. أسباب الخواطر والإنسان الذي يقبل الخواطر باختلاف التأثير والتأثير تحدث أطوارًا مختلفة في أفراد الإنسان، بعض الأطوار تكون موافقة للفطرة الإنسانية والبعض لا، فالفطرة الإنسانية تقسم الإنسان بين الحق والمبطل، والبحث عن تلك المبرجة كان في سورة الشمس، كانت زيادة ثمود وعزيمتها هي التي أردته كما يحدث الاختلاف في العزائم، ولذلك تنقسم الإنسانية بعد ذلك تنقسم مرة أخرى. تلك العزائم تكون أسبابًا للأفكار والأخلاق، فباعتبار الأفكار والأخلاق ينظر في الإنسانية مرة أخرى، أيهما أقرب إلى الفطرة الإنسانية، فيمكن أن يكون رجل في درجة العزيمة لا يتباعد عن الفطرة كثيرًا، و في درجة الأخلاق والأعمال يتباعد عنها، لأن الأعمال والأخلاق تؤثر فيها الاجتماعية أيضًا. رجل في نفسه يحب الحق، لكن قومه يعاندون القائم بالحق. هذا الرجل لا يقدر غير نصرة القائم بالحق ويتبع قومه. بذلك ينقسم الإنسانية إلى الحق والمبطل مرة ثانية والبحث عن هذا التقسيم في سورة الليل.

والليل إلى تجلّى هذه أسباب حدوث الخواطر "وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى" هذا اختلاف الجبلة، باجتماعها تحدث العزيمة، ولا تبحث عنها والعزيمة تكون سببًا للأعمال. هذا معنى قوله "إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى" باختلاف العزائم تكون الأعمال والمسااعي مختلفة، ثم للمسااعي تكون تحت قانون مستقل، فلا تحدث بالعزيمة فقط حتى تختلف، وبذلك تختلف الاجتماعية الإنسانية عامة، فالبحث عنها إنما يوافق الفطرة الإنسانية، فتكون حسنة وأنها تتباعد عنها عن اقتضاء الفطرة، فتكون قبيحة، والبحث أيضًا يكون هنالك عن الإنسانية التامة لا عن أصنافها، مثلاً الهندي يختلف عن العربي، وهذا البحث لا يأتي تحت هذه السورة فقط عزائم الإنسانية تؤثر في الإنسانية وتكون مختلفة "فَأَمَّا مَنْ أُضْطُرَّ وَاتَّقَى" الخ الطريقة لتكميل الفطرة الإنسانية وتكملها متحتم على الإنسانية. لا يترك سدى، فهذا الطريق على قسمين: طريقة الفطرة الإنسانية تؤيده على المشي على القدام، فهذا يكون طريقة يسرى، وطريقة الفطرة الإنسانية تأتي عنها والإنسان يجبره على المشي بذلك الطريق. انتهاء هذا الطريق أيضًا لازم أن يكون على نكمل الفطرة، لكن في الطريق تأتي مصائب، منها جهنم مثلاً فمن جهنم أيضًا واجب عليه أن يخرج منها ويتكامل فطرته، هذه طريقة عسرى، نحن نأخذ إشارة من هذا البحث أن بعض الناس اطمأنوا أن الإنسان إذا دخل جهنم، فتم سيره ويكون طول عمره في تلك المرحلة، ونحن فهمنا من حكمة الشيخ ولي الله أن ذلك أيضًا طريق لكن صعب، لا يفهم للرجل كيف يسلك فلا تأتيه مصائب الإنسانية

مصابب فوقها أخرى، ولا سكن لنا أن نقول إن الإنسان في مدة كذا وكذا يتخلص من جهنم، وهذا اعتمدوا عليه في أنه لا خلاص من جهنم، والإنسان لم يخلق لجهنم فيصير إلى ما خلق له.

أما انقسام الإنسانية إلى طريقتين فهذا أمر مقرر، فكل ما جاء من النصوص تشعر بأن تلك الجماعة مخلوقة لجهنم، معناها أنها تسير ذلك السيرة وهذا الذي يجبر طبيعته على خلاف الفطرة، ويمشي على الطريقة العسرى. أظهر الله بعض كفياته "أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ" ^(١) هذا هو الذي يمشي على خلاف الفطرة وكأننا بحمد الله فرغنا عن تفسير العسرى واليسرى والأعمال التي تعد الإنسان للعسرى تكون كبيرة، والأعمال التي تكون ميسرة لليسرى تكون حاصلة، "فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى" وَصَدَّقَ بِإِحْسَنِي" تلك الأعمال حسنة والإنسان أول ما يعمل في الاجتماعات باقتضاء الفطرة هو كسب المال للرزق، فإن كان خلق إن ما زاد عنده من الأرزاق، ورأى رجلاً محتاجاً إليه يعطيه، يكون ماشياً على مقتضى الفطرة، لأن هذا الرجل الذي أعطى إن وقع على سبيل التصادف في الضيق يوماً، فالناس يعطونه بطيب نفس. هذا عمل صالح للارتقاء في الاجتماعات، ثم بعد ذلك كل اجتماع يكون عنده قانون وسنة لفصل الخصوصيات ومواساة المحاويع وإذا كان أحد ملتزماً لذلك القانون الاجتماعي، كان ملتزماً بالتزم قانون العدل والإحسان وهذا الرجل يعد في القوم من الأشراف والأكابر، سلم قوله في الاجتماعات، وكل من كان ارتقى باعتبار ذلك القانون هو يكون رئيساً طبيعياً في ذلك الاجتماع، وهذا أمر حسن، وبعد ذلك لا يكون الرجل واقعاً على حد من القانون أو الرسوم، بل كل شيء سمع وعلم أنه أحسن من الأول يأخذه ويترك ما كان يعمل أولاً. هذا الرجل هو يمشي ويرتقي باقتضاء الفطرة. مثاله يكون مثل الطفل. الفطرة الإنسانية لا يجعله كبيراً في يوم واحد لكن إذا كان سليم البدن كل يوم يرتقي حتى يصير رجلاً قوياً، وهكذا هذا الرجل أيضاً في أول يوم يصل إلى درجة الأنبياء والصدّيقين، ليس ذلك من اقتضاء الفطرة، لكن إذا مشى على هذا الطريق، كل سمعه أنه أحسن من الأول اتبع، فهذا يكمل آخر الدرجة الإنسانية في يوم ما وإن كان زمان يمكن فيه النبوة يمكن أن يصير نبياً، فإذا ختمت النبوة يصل إلى درجة الصدّيقين والشهداء لا بد إن شاء الله. لهذا حسني من صدق بالحسني عمل عملاً حسناً. هذا خلاف لبعض قاصري النظر من الفقهاء والمتكلمين أنهم يوجبون على كل أحد أن يكون نبياً أو رجلاً كاملاً في أول يومه، ثم لا يؤثر تعليمهم ولا يتبع شيئاً فيقولون فسد الزمان، والحقيقة أنهم فاسدوا العقول، ليسوا من الإنسانية في شيء. هم إذا رأوا رجلاً عادته كل ما أدرك من الحق يتبع لا بد، لكن لم يصل إليه الإسلام ولا الدعوة القرآنية، يجعلونه من أشد الكفار والمساكين هم يزعمون أنفسهم من أكابر المؤمنين. هذا كله بسبب عدم تدبيرهم في القرآن وبسبب اتباعهم لسياسة رجال مخصوصين أو طوائف مخصوصة والقرآن والإسلام يرى منه. "وَأَمَّا مَنْ يَجَلُ وَاسْتَفْتَى" الخ كمل هذه

من أعمال الشر، لأنها معدة للطريقة العسرى. الإنسان إذا اكتسب في الاجتماعيات في الحقيقة، لا يكون متفردًا في كسب المال، بل يكون للاجتماع كله دخل في اكتسابه، فإن كان في الاجتماعية حاجة إلى ما زاد عنده من الأموال ولا يفقه، فهو غصب حق الاجتماعية الإنسانية وخالف الفطرة فيكون قبيحًا وبالصدفة لو وقع هذا في مضيق، فالاجتماعية ترحمه ويرى إساءة فعله طاهرة، فإن وقع له في حياته وتنبه على ذلك، فهذا أيضًا سعيد. أما من جرى على غير الحق إلى آخر الحياة، يكون طريق سلوكه عسرى بالمرّة. "واستغنى" ما اتبع القانون والسنة التي فُروها لإقامة العدل والإحسان، فظاهر أنه يفعل فعلًا عاقبه شر له. من هنا يحدث الطغوى. يقوم يظل القانون الصحيح الذي قرره الاجتماعية، فيكون من المعتادين للحق. وكونه قبيحًا واضح. "وكذب بالحسنى" كل شيء يأتي عنده أحسن من الأول يعانده ويكذبه. هذا يسد طريق الارتقاء الإنسانية الذي هو من اقتضاء الفطرة، فيكون شرًا، فالذي يسلك هذا الطريق يدخل بماله، لا يتبع طريق الإنصاف الذي وصلت إليه الاجتماعية في زمانه، فالاجتماعية تكون معاندة له، ثم لا يترك طريقه الباطل، إذا وضح عنده طريق الحق، هذا الرجل في تكميل الإنسانية تأتي عليه مصائب ومصاعب لو كان ممكنًا أن يموت أو يتروك سدى، لوجد فيها راحة لكن لا يترك، والطريق ليس سهلًا فيعسر عليه و تكون تلك الأعمال باعتبار الإنسانية شرًا.

فصل

"وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى" بعد الموت هذا الرجل الذي سلك طريق العسرى، ماله ينفعه شيء، لا يذهب معه حتى ينفعه، وفي حياته أيضًا إذا وقع في مصيبة، والاجتماعية متفردة عنه معاندة له لا ينجو بما له من المال، هذا أساس الفكر الباطل. أن المال ينفعنا في قضاء الحوائج، وفق الاجتماعية أساسى والمال بعد ذلك ينفع، فالاعتماد على المال بمخالفة الاجتماعية فكر باطل. رأينا رجالًا جمعوا أموالًا وخالفوا الاجتماعيات فرأينا المجتمع المتفرد أحرق أموالهم وهؤلاء الرجال كانوا أصدقاء للحكومة الإنكليزية، والحكومة ما قدرت على أن تحافظهم في الشدائد، شدائد الاجتماع. هذا معنى قوله: "وما يغني عنه ماله إذا تروى" الله سبحانه خلق الإنسان وجعل للفطرة الإنسانية اقتضاءات خاصة ودير لها حوائجها، فإذا كانت الفطرة الإنسانية تقع في المهالك، وتغطي الطريق الصحيح فأنه برحمته التامة يتوجه إلى جبر هذا النقصان، لا يمنع رحمته شيء، هذا معنى قوله إن علينا للهدى. تغيير الفطرة الإنسانية ليس مقصودًا، لأن الأسباب التي توجب ذلك قوية قائمة على حالها بدون تغير ما يمكن من إصلاح الفاسد، فالرحمة الإلهية قلهم الإنسانية دائمًا. هذا معنى قوله: "إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى" وهذا الإلهام له طرق، في بعض الأوقات رجل زكيا، فيقبل الإلهام وفي بعض الأوقات هو ليس صالحًا لأن يقبل الإلهام، فيلهم الرجل الآخر ويؤمر في إلهامه أن يبلغه ذلك، ويسعى في النجاة عن تلك المهالك، هذا هو أساس بعثة الأنبياء "وَأَنْ لَّنَا لَلْآخِرَةِ وَالْأُولَى" هذه الرحمة التي تقتضي إلهامه بالخير ليس منحصرًا في الحياة الدنيا، بل في

الحياة الدنيا وفي الآخرة. كل شيء يمكن لإصلاحه بدون تغيير الفطرة، فالله يهيئه له لأن الآخرة والأولى كُتِبَهما بالنظر إلى الحق في درجة واحدة، فالإنسان لازم عليه أن لا يقطع رجائه عن الحق، ولو ابتلي بمصائب "فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى" هذا من اقتضاء رحمته في الحياة الدنيا. ألهم طريقة ينجو بها الإنسان عن سلوك العسر، فعقد النبوة وألهم إليه كتاباً فَأَنْذَرُهُمْ وبشرهم. أُنذَرُهُم عن النار التي تلتهب، حقيقتها أعماله. "فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى" الخ لا يصلحها إلا الأتقى الذي كُتِبَ وتولى، فمن كذب هذا الإلهام وتولى عنه، فهذا فعله الذي يكون سبباً لدخول جنهم يعني تلتهب تلك الأعمال عليها نارا. "وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتَقَى" الاتقى الذي يتبع قانون العدل والإحسان أكثر ما يمكن في ذلك الاجتماع. هذا أحسن أعماله، ثم هو يعطي من ماله مع عدم حاجة الناس إليه، بل يعطي للرجال الميسرين ليكملوا مساهمهم وليكونوا سبباً لقضاء حاجات الناس الآخرين. هذا لا يقتصر على ما حفر من الحالات، بل ينظر ما تعترض على الاجتماعية في المستقبل ويعالجها بأحسن العلاج، فلا ينظر إلى حاجات الناس بل ينظر إلى أن التدبير الإلهي يقتضي قضاء حوائجهم في السنين الآتية، فعمل أعمالاً لموافقة ذلك التدبير، ينتهي بذلك رضا ربه الأعلى، لأن في الملأ الأعلى الملائكة والكاملون من الإنسان، يعملون أعمالاً لموافقة التدبير الإلهي، وهذا غاية ما قدر عليه الإنسانية من الخير الأعلى. هذا الرجل أيضاً يعمل في حياته الدنيا أعمال الملأ الأعلى، فالله سبحانه يرضى عنه ويحصل لهذا الإنسان ما رضي به عن رضا الحق، هو لا يريد رضا الناس عنه. هذا كأنه تفسير للاتقى. هذا معنى قوله: "الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى" (١٨) وَقَدْ أَخَذَ عِنْدَهُ مِنَ نِعْمَةِ تُجْزَى (١٩) إِلَّا انْتِفَاءً وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى (٢٠) وَلَسَوْفَ يَرْضَى (٢١) وجعل نزول هذه الآيات في حق رجل معين كما أتى به أكثر المفسرين تحريفاً للقرآن الكريم. نعم يمكن أن يذكر السلف اسم رجل يكون نظيراً لتلك المرتبة. هذا لا بأس به. أما جعل هذه الآيات حجة على إثبات مناقب رجال مخصوصين ظلم لا ظلم أكبر منه.

سورة الفجر

بسم الله الرحمن الرحيم

"وَالْفَجْرِ الْخ" أنواع من الزمان تقع فيها مجازاة لعصر الإنسان، فإذا تبصر الرجل في تلك الأزمنة يتيقن بأن الإنسان لم يترك سدى، لكن اللازم أن يكون الرجل صاحب بصيرة وعقل ناقد. أعظم مانع في انتفاع الإنسان من أسباب ارتقاء حياته، ومنها تكون النبوة هو أن يغلب على فكره أن لا جزء على عمله، أنه لا يكون مجازى على أعماله. يعيش كما يهوى ثم يموت، فلا يكون شيء فيجري مطلق العنان على حسب أهوائه، وإذا تيقن الإنسان أن الأمر ليس كذلك، فهو بعد ذلك حسب فطرته يجمع أسباب الارتقاء، وكل نبي يسعى بجميع ماله من القوة أن يجعل قومه كأئمه يشاهدون المجازاة إن كان عندهم عقل وبصيرة. أما من لم يخلق على تلك الدرجة من الفهم، فالأنبياء لا يكلفونهم ولا يجب عليهم أن يهدوهم. قانون الاجتماعية يوجب عليهم تقليد المبصرين واتباعهم، فيجبرون بنوع من الجبر على ذلك إن لم يطاعوا بأنفسهم، والفجر كل يوم جديد تأتي للإنسان ما اكتسبه أمس في جميع أنواع الإنسانية وفي جميع أصناف الحياة. هذا القانون نافذ قطعي، لكن الإنسان لا يتوجه إلى ذلك. الفجار والصناع لا يفعلون في ذلك اليوم الجديد إلا ما هيئوا في أمس الدابر، فلو قاس الإنسان على ذلك جميع أنواع الإنسانية لما وجد في ذلك اختلافًا، لكن الإنسان يتغافل عن ذلك، ويتأني يوم يجزى بجزء كل الأيام مرة واحدة، لأن الاجتماع الإنساني له قانون، وفي أفراد الاجتماع، لكل منهم حق والقدير الإلهي يراعي كل المصالح، فيفسد رجل منهم في يوم ما إن جازاه الله في ذلك اليوم يتأثر حقوق أفراد كثيرة، وإبطال تلك الحقوق ليس بمرضي عند الرب، فيؤخر جزاءه، وهو يزعم أنه لا يراه أحد ويمد في غيه حتى يأتي يوم يكون جزائه غير مبطل لحقوق الآخرين، أو كان الآخرون أيضًا اشتركوا معه في الجرم، فيجازى كل القوم، ولا يتأخر غير لحظة ما. قال الإمام في حجة الله البالغة والضابط في المجازاة الخارجية أنها تكون على نضاعيف الأسباب فمن أحاط بتلك الأسباب ويمثل عنده النظام المنبعث منها، علم قطعًا أن الحق لا يدع عاصيًا إلا يجازيه في الدنيا مع رعاية ذلك النظام، فالأمر هنا يشبه بحال للجزء فإذا كان يوم القيامة (يوم اقتضى نظام أسباب الدنيا التي كانت قنح من كون الجزء نازلًا على القوم) صار كأنه تفرغ وإليه الإشارة في قوله: "سنفرغ لكم أيها الثقلان الخ" فالبصيرة في فهم قسم الفجر هو المجازاة في الأعمال اليومية وفي الاجتماعية الإنسانية أعمال لا تتم في يوم واحد، مجازاتها لا تكون بطلوع كل فجر. أما الأعمال التي تنتهي في كل يوم وليلة، فوقت مجازاتها يكون بعد طلوع الفجر الثاني إذا لم يوجد مانع، والأسباب الاجتماعية تكون أكثرها مانعة عن فورية الجزاء، في السورة بعدها ليس إلا تفصيل تلك الأقسام الأربعة وتفهم جزاء كل نوع، فالتى تتعلق بقسم الفجر نقرأ أولاً "ألم تر إلى إن ربك

لِإِلْمَرَصَادِ" الرب بالمرصاد كل يوم إذا انتهى العمل يريد أن يجازيه على الفور، لكن المصالح الأخرى في الاجتماعية الإنسانية تمنع من إحجاز المجازاة. عاد قبيلة قنمة أساس العرب في جنوب الجزيرة، وثمود في شمالها وفرعون في مصر. تلك القطعات من الأرض كانت محلاً للاجتماعات الخصوصية.

جملة معترضة

نحن نجعل القرية بمعنى المجتمع ومعنى الاجتماعية، فالقرآن العظيم يحكي عن القرى أو عن القرية، والغاص يفهمون منه محل الاجتماع، اجتماع الناس الذي دون المدينة وفوق البادية، ونحن نفهم منها الاجتماعية العامة فمكة المعظمة إنما سميت أم القرى لأنها محل اجتماعيات متعددة من اليمن والنجد والعراق وسوريا ومصر وشمال العرب. تلك المحل كانت محل اجتماعيات مخصوصة، وبالتدريج بارتقائها صارت مركزاً لها. هذا عندنا معنى أم القرى. تمت.

عاد وثمود وفرعون محطة بمكة، وذكرت اجتماعيات كانت في عصور صلحة، وبالتدريج سرى فيهم الفساد. ولما أكثروا فيها الفساد، صب عليهم ربك سوط عذاب. إن ربك ليالمصائد، والفساد كان في الحاجات التي تعترض الإنسان كل يوم من الأكل والشرب واللبيت. في مثل هذه الأشياء أقسوا الأمر، وفي الآخر أهلكوا. مثلاً النفس في المكيال والميزان والتجبر في أخذ أموال الضعفاء والفساد في التكاح باجتماع الرجال على امرأة واحدة، وبشروع اللواط، فمثل تلك الأعمال بالتدريج يكون سبباً لاستقبال القوم عن وجه الأرض، ثم ما يتعلق "بالفجر وليال عشر" الغالب في تفسيرها أنها ليالي رمضان في العشرة الأخيرة، وتلك الليالي تكون لحساب الأعمال الشرعية مقياس على تعليم المعارف. أئمة المعارف وأساتذتها للأقوام المختلفة للإنسانية جعلوا دورة واحدة لارتقاء الإنسانية سنة واحدة. بذلك تبدل الأصناف وترتقي. هذا دليل أن مركز الأفكار والخيالات في النفوس الإنسانية لا تأتي في يوم واحد أو شهر كما ينبغي، فأدنى المدة التي نرى فركز الأفكار إلى درجة ما سنة، فالأعمال الشرعية كلها تعليمات للإنسانية.. نحن لانفرق بين الأنبياء وبين أئمة الاجتماع فرق الأنواع، بل نجعلهم أصنافاً مختلفة. الأنبياء هم كاملون وما دونهم هم ناقصون. تعليمات الأنبياء أيضاً تكون حسب تأثيرها في القوم سبباً والأقوام المختلفة يكون لهم أيام مختلفة، لأن تلك الأيام لا تتجاوز عن ليال عشر، وعندنا هنا مخصوص بالأقوام الخفيفة ومن والأهم، حسبهم يكون في العشرة الأخيرة من الشهر التاسع من السنة، ربع السنة يترك لجبر نقصان من لم يكامل في السبعة من الأشهر، فيكون لتلك التعليمات اختباران: اختبار في الشهر التاسع واختبار ثانٍ في الثاني عشر. "والشفع والوتر" الصحيح أن المراد منها عرفة ويوم العيد، وهذا وقت الامتحان الثاني، فتكلم على تفصيله على حدة منفصلاً، والآن نبين بيك القسم في ليال عشر "فأما الإنسان إذا ما الخ" الإنسان يكون له أسباب الارتقاء^(١) مهينة، فالتعليم الشرعي يوجب

١ - في ن : الارتقاء. والأنسب ما في ن م، فإن لفظ الارتقاء استخدم فيما بعد في هذا السياق.

عليه أنهم يكرمون اليتيم ويحضون على طعام للمسكين، فالإكرام بتيسر الارتفاقات والتضييق في الرزق بتقدير الارتفاقات هو صنع الإلهي، يأتي تحت نظام غير مختص بالإنسانية، بل يجعل المخلوقات ذلك النظام، فيالطبع باقتضاء ذلك النظام بعض الناس الذين لا يكونون مستحقين للتضييق يضيق عليهم، والبعض الذي لا يكون مستحقاً للتيسر، يكرم، فالتعليم الشرعي يحبر هذا الفحصان الذي أكرم وجعل له الأموال الكثيرة. الأمر التشريعي لا يجعل له حقاً فيما زاد عن حاجاته، يحبره على إنفاق ما زاد عنده على رجل قدر عليه رزقه بذلك النظام موافقاً لاقتضاء الفطرة الإنسانية، فالشرع ليس إلا إيجاب ما اقتضاه الفطرة الإنسانية، بحاسب الناس بعد سنة في ذلك. فزود كثيراً منهم لا يكرمون اليتيم. أترون لليتيم جرماً لذلك منع عن الرزق؟ لا بل هو تحت نظام أعلى من الإنسانية المجردة، فباقتضاء الإنسانية مثل من له أب حي. فإن كان رجل عنده رزق فاضل ويرى طفلاً يتيماً، يحب عليه أن يربيه مثل أولاده. هذا هو معنى التشريع، وكذلك للمسكين الذي لعمله مدخل في مسكنه ألا يستحق مثل ما يستحق الناس، فالتشريع بأمر بقضاء حوائجه، وهؤلاء الناس بأخلاق المال بدون عمل منهم بطريق الميراث ويجمعونه ويحبونه حباً جاً. أترون تلك الشريعة لها تأثير في هؤلاء فيجزون؟ وهذا إذا تفكر رجل في حالة الأقوام المتضرعة يظهر بينا كل قوم يواسي المساكين واليتامى فيتقدمون في الرقعة والعظمة، وكل قوم يخالفون ذلك، ينزلون في درجات الهوان، الناس يفهمون أن الناس أمروا بواسطة نبي يتشرع، وهم آمنوا بذلك وإن هذا يوجب لهم الجنة والرفعة في الدنيا. كلا إذا كان أعمالهم هذه، فلا ينقمهم لشرع ولا إيمان، وإذا وصل أصحاب التشريع إلى تلك الدرجة تنسخ شريعتهم.

"والشفع والوتر." هذا متعلق بأصحاب الشرع ويكون الحساب في أعمال تخصص بالكاملين من أصحاب الشرع. الشريعة تسوي بين أفرادها في الحكم، وهذا معروف في جميع الشرائع، لكن الشرائع بطبيعتها تقتضي تقديم صنف منهم وذلك لأن الشرع ليس إلا تعليماً، والتعليم لا يقوم إلا بالمعلم، والمعلم لا يكون بالطبع أعلى من المتعلم، فطبقة المعلمين تكون صنفاً مخصوصاً في أصحاب الشرائع. في شريعتنا الإيمان والإسلام أمران مشتركان بين جميع أفراد الأمة، والإحسان مختص بطائفة منها، وهؤلاء المسلمون المحسنون هم المعلمون للتشريع، فإذا فسد قوم باعتبار العموم ينظر إلى ذلك الصنف بالخصوصية، فإن كانت فيها صلاحية موجودة فيرجى تجدد الأمة بمهنتهم ولا يحتاج إلى التنسخ وإتيان الشريعة الجديدة فإذا بطل هؤلاء أيضاً وصاروا كاللحمسويين صورهم مثل القائم بالشرعية ومعناهم كالمفكر المعاند، فتلك القوم يهلكون وشريعتهم تنسخ، هذا كان كالمقدمة.

"والشفع والوتر." المراد منها أيام الحج وهذا لئلا الخيفية كاعتبار المحسنين. وأحسن معناه ما هو؟ أن تعبد الله كأنك تراه الخ كما في الحديث وجعلوا هذا كالدرجتين لكن أنكروا مولانا رشيد الديوبندي وجعلها مرتبة واحدة، وجعل الثانية علة للأولى لا درجة أخرى، وجاء في بعض روايات مسلم:

فإنك إن لا تراه فإنه يراك^(١)، ونحن نعتقد به، فالمحسن من يعبد ربه كأنه يراه وإذا كان وجعل مثلباً بصورة المحسنين ومقدماً على القوم في صنف للعلمين، فإن كان محسناً حقيقة في يوم القيامة، يرى ربه جهرًا وإذا كان مبطلًا في صورة الخفين يظهر بطلانه يوم القيامة تأثمًا، وواجب عليه أن يصلح أخلاقه ومعارفه بأداء الحج للبر، ففيه يكون ثمرين كأنه يرى ربه وإذا لم يصلح نفسه بذلك فكأنه لم يتفهم بالشفع والوتر، وحالاته المذكورة في تلك الآيات المذكورة. "كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا إِلَى قَيَوْمٍ يَذَّكَّرُ لَا يُعَلِّدُ عَذَابَهُ أَحَدٌ" المحسنين، إذا كانوا في معنى المبطلين إذا تجلى الرب يوم القيامة بعد ذلك الأرض لا يعرفون الرب ويدخلون جنهم فيكون لهم عذاب لا يكون لأحد لأن ضلالتهم متعديّة وعظائمهم يفسد الإنسانية من باطنها، والله خلق في قلب كل أحد ميلاً إلى الله، وتكميل تلك القوة يكون بالإحسان. والشريعة هي التعليم الابتدائي لتخصيل الإحسان فمن أئسد هذا الليل فكأنه أبطل الإنسانية كلها. هذا معنى قوله: "قَيَوْمٍ يَذَّكَّرُ لَا يُعَلِّدُ إِلَى أَحَدٍ".

"وَاللَّيْلُ إِذَا يَمُزُّ" كل ليلة إذا قارب تمامه وبقي الثلث الآخر وما دون ذلك ينزل الرب تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا. إلى هذه الحقيقة إشارة في "وَاللَّيْلُ إِذَا يَمُزُّ" وإذا كان الإنسان في كل ليلة يتوجه إلى الرب ويكون ميله إلى الله يقظان، فهو لا ينافض الفطرة لا في ارتفاقاته الطبيعية التي كان في محاسبتها كل يوم، ولا في قانون التشريع ولا في تقديم المحسنين من هؤلاء القوم، بل يراعي جميع الحقوق ويكون خالصًا متوجهًا إلى الحق، ففي كل ليلة في آخر أوقاتها إذا ناجى ربه يحده حاضرًا عنده. النبي عليه السلام علم ابن عباس شيئًا صالحًا من بني أعمامه، فقال: يا غلام احفظ الله، يحمدك بحاله. هذه مرتبة تحصل له، يظهر عنده في كل ليلة. هذا الإنسان هو نموذج الإنسانية، إن كان هو لا يجمع الأمور كلها السلوكية لإدارة الارتفاقات الطبيعية وإمامة الدين لإقامة الشرائع الإلهية ورياسة المعلمين للدين لقيام درجة الإحسان. فإن لم يتول ذلك الرجل المناصب كلها، فلازم للإنسانية أن لا يتجاوز عن رأيه وعن قراءه فمن نصبه في الدرجة الأولى أو رضي به، يكون هو الملك، وكذلك أئمة التشريع وأئمة التعليم كلهم يكونون موافقين لقراءته، وإن كان في قلبه وسعة وأراد أن يجمع جميع المناصب لنفسه، تمت الإنسانية إلى آخر ما يمكن في الدار الدنيا، فإذا أراد قوم أن يكون حياتهم السعيدة طويلة، فليخرج منهم رجالًا كثيرين حائزين لذلك الكمال. هذا للقسم الرابع بيانه في السورة "يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ إِلَىٰ جَنَّتِي الْمَلَأُ الْأَعْلَىٰ. هذا هو الكمال الانتهائي للفطرة الإنسانية، إن يحصل الإنسان مقامًا لنفسه في الملأ الأعلى. هذا هو مقصد بعثة الأنبياء، وهذا هو نتيجة التعليم عند الإمام بولي الله. ليس للإنسانية كمال أعلى منه يريد الأنبياء تعليقه، هذا لا ينبغي ما وهبه الله للناس من الكمالات، لكن لا يجعل ذلك مقصد التشريع الذي أتى به الأنبياء، فالمقصد عنده من تعليم الأنبياء هو تسوية قوى النوع الإنساني حتى

١ - صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الإيمان ما هو بيان خصاله، رقم: ٩/٥.

يخرج منه رجال يلتحقون بالملأ الأعلى، طريقهم معين. بعد موتهم في البرزخ يكونون في حالة انفرادية ثم يجتمعون في المصنر. هذا مظاهرة للنوع الإنساني. والذين تمججوا على منهاج النبوة والأنبياء يدخلون الجنة، والجنة فيها طريق إلى الملأ الأعلى، يكون الارتقاء في المندارج حسب الاستعداد، لكن لا يكون فيها كلفة، حتى يجتمعون في الملأ الأعلى ويرون ربهم، تفهم ذلك الطريق المعين وتيسر سلوك ذلك الطريق هو مقصد النبوة، والذين لا يدخلون الجنة يذهبون إلى جهنم والذين جرمهم قليل يستشفعون من ذلك المرض عن قريب، فيؤمر الأنبياء بشفاعتهم فيخرجون من جهنم ويدخلون الجنة ويسلكون طريق الضالين، وهذا العمل أيضًا يكون محتملًا مع الجهنمين إلى أمد بعيد. والضابطة أن كل اعوجاج في الفطرة الإنسانية كان له رسوخ في ذلك الإنسان، فبقائه في جهنم يذهب عنه ذلك الاعوجاج بالتدريج وإن كان الإنسان في ملة نبي من الأنبياء فيشفاعة ذلك النبي يخرج من جهنم، وإن لم يكن في ملة نبي وأصلح فطرته، فالله يخرج به برحمته بدون توسط أحد من الناس والأنبياء وإن بقي فيه أحد إلى أمد غير محدود، فهو الذي اعوجاجه لا يستقيم في زمن محدود وأمره إلى الله، ونحن نجزم متى حصل فيه إصلاح ذلك الاعوجاج، فالله يخرج به ثم يسرون في دخولهم الجنة حتى يلتحقون بالملأ الأعلى. هناك تتم الدورة من الإنسانية، هذا ما استفدناه من حكمة الإمام ولي الدهلوي.^(١)

١- في ن م هناك عبارة ليست في ن إ، وهي: "الحمد لله تمت بهذه السورة اثنان وثلاثون سورة، الفاتحة والقلم والمائدة والمزمل، ١٥ أغسطس ١٩٣٧، يوم الأحد.

سورة المجادلة (١)

بسم الله الرحمن الرحيم

"قَدْ سَمِعَ اللَّهُ الْخ" وقعت حادثة أن رجلاً ظاهر من زوجته، والظاهر في الرسم الجاهلية كان تحريماً موبقاً لا تحل بعد ذلك أبداً وهذا للظاهر كان محتاجاً إلى المراجعة والأحكام كانت تنسخ بالدين الجديد حسب المصالح، فارتفعت هذه المرأة لعل يكون لها مخرج، فجاءت إلى رسول الله ﷺ، وكانت المسئلة محتاجة إلى تخلية من النبي ﷺ لأن زوجها طلقها وهي تريد الرجوع، وهذا خلاف طبيعة النساء فكانت تحجب عن الناس وتذكر للنبي ﷺ، فجاءت إلى بيته عند عائشة وكانت هي قريبة ولم تسمع ما جرى بينهما، وكانت المرأة تشتكي وتظهر الحاجة إلى نسخ ذلك الحكم، ولم يجرى الوحي حتى يحكم به النبي ﷺ، فقال لا علاج لذلك، فأخذت بعده تشتكي إلى الله وحده، فإله سمع قولها وأمر نبيه أن يأمرها بالكفارة، فنسخت سنة الجاهلية، فهذا الآيات إلى قوله وللكافرين عذاب أليم، تزلت في واقعة مخصوصة، وهذه المسئلة كانت من مسائل المعاصرة، لإصلاح المجتمع يحتاج إلى مجلس سري ثبت هذا من هذه الواقعة.

فصل

القوم كانوا أميين فلا يمكن تلقين العلوم العالية لهم إلا إذا توجهوا بحاجاتهم الطبيعية إلى شيء ويكون ذلك الشيء متشابهاً بحكمة، فتعليم الحكمة في تلك الحالة بعد قضاء حاجاتهم التي توجهوا إليها يمكن بانتقال لطيف. كان في الشعراء عندهم عادة يقدمون تشبيهاً في مبدأ القصيدة، ثم ينتقلون منه إلى مقصدهم من المدح، فإن كان ذلك الانتقال لطيفاً، يُعَدُّ من كمال الشاعر، وهذا الأمر كان معروفاً عندهم. الانتقال من مسئلة إلى أمر بعيد عنها في الظاهر بإيجاد مناسبة لطيفة بينهما، وهذا كان معروفاً عند شعرائهم، فنزول الوحي يستفيد فحيتهم ذلك. تحدث واقعة يتوجهون فيها بكل همهم، ويكون تلك الواقعة مناسبة لطيفة للعلوم العالية التي يريد القرآن تعليمها، فينتقل منها إلى تلك الحكمة، فلا تنقل عليهم ويحفظونها ويعلمونها. الأمور السياسية تنظيمها يحتاج إلى تقرير مجالس سرية مخصوصة، وهي تناق في أول الأمر لمصلحة نزول القرآن. القرآن يلقيهم انقلاباً ظاهراً يحتاجون إليه. ليس فيه تخصيص لرجل دون رجل، وهذه المساواة إثباتاً في قلوب الناس من أهم مقاصد القرآن. الله مالك الأمر واحد، وكل الناس عبيده سواء سواء، ومن هذه الجهة تأتي الحياة في الأقوام، والأمور السرية الأغلب فيها المنفع لرجل

١- خالف المفسر منهجه في ترتيب تفسيره حسب نزول السور فوضع سوراً مدنية كثيرة بين السور المكية مع اعتزاله بمدنياتها، فقد وضع سورة المجادلة والحشر والممتحنة والصف والجمعة والمناقون والتغابن والطلاق والتحريم، وهي سورة مدنية، بين سورتي الفجر والملك، وهما مكيان، ولم يبين لنا سرهما. ولم أعرف لم فعل ذلك؟

مخصوص، أو لطائفة مخصوصة، فاتخاذ المجالس السرية ينافي بوجه من الوجوه لمقصد تعميم الدعوة القرآنية، فينظر في ذلك إلى واقعة يكون فيها اتخاذ مجالس سرية لا لتنع راجع إلى ذات النبي ﷺ، و لا لتنع راجع إلى طائفة مخصوصة، بل طبيعة تلك المعاملة تقتضي الأسرار، فلمثل ذلك للمقصد اتخاذ المجالس السرية لا يكون باعث ريب عند أحد من أهل العقول، فانتقل البيان في القرآن بعد كفاية الظاهر إلى مخالفة الكفار. إنهم يجتمعون في اجتماعات سرية لمخالفة القرآن والرسول والدين، فيأتي في قلب الإنسان بالسهولة أن المسلمون لازم عليهم أيضًا إنشاء المجالس السرية لتكميل سياستهم، فإذا زال الشبهة ووضح الأمر يعلمون كيف يؤسسون المجالس السرية، وهي من أهم أبواب السياسات. السياسة كلها تكون قائمة صحيحة إذا كان نظامهم في المجالس السرية قويًا. قوله: "إن الذين يحادون الخ" انتقال لطيف إلى المقصد لدفع الضرر عن بيت واحد. يجوز التخلية مع النبي ﷺ، فلمقصد عظيم وهو رد نفاق المنافقين، كيف لا يجوز تنظيم المجالس السرية. والمراد من الذين يحادون الخ هم المنافقون. "كتبوا كما كتب الخ" معناه كما صار الكفار مغلوبين وهؤلاء المنافقون الذين يستترون بالكفر أيضًا يغلبون وقانون المقابلة مع المنافقين غير قانون المقابلة مع الكفار. هذا معنى قوله: "وقد أنزلنا آيات بينات إلى مهين." والآيات البينات هي الأحكام التي تأتي في هذه السورة لرد كيد المنافقين. "يوم ينعهم الله" إلى "شهيد" فيه إشارة إلى أن المنافقين عملوا أعمالًا فازوا فيها بزعمهم، لأن النظام الذي يردهم ما جاء أوان قيامه في المؤمنين، ففي هذه الآيات تحديد لهم. إن الله أحصى جميع ما عملوه ويجازيهم الآن بعد قيام النظام كما يكون الحساب لكل شيء في الآخرة.

"ألم تر أن الله يعلم إلى عليم." بين الله علم التفصيل بجميع الجزئيات. "ما يكون من لجوى الخ" فالمجالس السرية هي اللجوى. إذا اجتمعوا ثلاثة، فالله رابعهم الخ أي المجلس أن يكون رئيس واحد واثنان عضوين، هؤلاء الثلاثة وإذا تضاعف الأركان صاروا أربعة والخامس يكون رئيسهم، فهذا مثال أي مجلس يكون فيه العدد أكثر من ذلك أو أقل. الله معهم يعلم جميع تفاصيله مثل رجل يجلس معهم فيبيتهم بما عملوا يوم القيامة. وتعرفون في حكمة الشيخ تأخير المجازاة إلى يوم القيامة إنما يكون لرعاية نظام الأسباب، فإذا وافق الأسباب على المجازاة يجازون على الفور، فإذا انتظمت المجالس السرية في جماعة المسلمين، فالنظام المانع كأنه ارتفع، فيأتي العتاب على الفور. البداية في المجالس السرية كانت من المنافقين، فذكر الله عنهم: "ألم تر إلى الذين هؤا إلى المصير". قوله: "ثم يعودون لما هؤا" الخ الأثم عندنا في الحكمة ترك المصلحة والعدوان ترك التشريع ومعصية الرسول في الأمور الإدارية، فهذا عمل المنافقين ولرد هذا العمل يحتاج المسلمون إلى تنظيم للمجالس، فالأمر الذي نرده صار معيًّا "وإذا جازوك حيوك" الخ يقولون السلام عليك، لكن بوجه يتبدل اللفظ ويتغير المعنى، فهذا أمر خفيف في الظاهر لا يقدرُونَ على هتك الحرمه، وفي غيبتهم يعملون أشياء باطلة. الإعراض عنها وعدم إشاعتها هو المصلحة الدينية،

لأن في ذلك يكون فتح لباب التسويل وفتح لباب الاحتيال على العامة وإذا لم ينكشف إليهم وعلم بعض الناس بجهلهم، وهم يعملون عدم توجه المسلمين إلى ذلك تجملاً منهم لأنفسهم، فلا يؤثر ذلك في قلوب الناس. تلك المسئلة هي عدم مواخذتهم في الدنيا، لكنهم يذبون بها يوم القيامة، لأن نفوسهم اكتسبت أمراً سيئاً. هذا عندنا معنى قوله "وإذا جاوزوك" الخ هم جعلوا تلك المخادعة في التحية ذريعة في فهم افتتان المسلمين، إذا لم يلتفت المسلمون إلى الك التأسيسية في التحية، فكأنهم لما يعملون من مخالفة الإسلام في المجالس السرية. أغفل الله سبحانه بين الحكمة في عدم المواخذة في حقهم في التحية، لكن أمر المسلمين أن يقاوموا رد جميع ما قرروه من مخالفة الإسلام فأجاز لهم تنظيم المسلمين المجالس السرية. "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ الخ" فأمر المسلمين بالمناجاة بالسر والتقوى. السر يشمل جميع المصالح الدينية والتقوى جميع التشريعات الدينية. هذا أساس المسئلة ومع ذلك يكون نفي المناجاة بالإثم والعدوان ومعصية الرسول. قدم ذلك النفي في الذكر لأن الراعي لتنظيم تلك المجالس هو كان رد كيد المنافقين، لكن لا يكون مقتضراً عليه فقط، بل تكون المجالس مجالس العلوم العالية، والحكمة التي لا يشترك فيها عامة الناس إذا كانت المباحث تفصيلية، وفوله: "وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ" تعملون هذا العمل كأنكم مأمورون من الله بذلك، فلا تتجاوزون فيها عن الحدود. رد كيد المنافقين لا يفضي إلى تأسيس العداوة بين الطوائف مستقلاً. إنما يقتصر على القدر الضروري من الرد ويكون الغرض تأليفهم إلى المؤمنين، فإذا قام المسلمون بذلك العمل ولا يعلم به عامتهم وهم إذا علموا من المنافقين أنهم يعملون لكيد الإسلام في المجالس السرية يحزنهم ذلك، لكن بسبب مدافعة المسلمين لذلك العمل لا يضرهم، فعدم علمهم إلى زمان والحزن الذي يمتري لهم، يجبرونهم بالتوكل على الله ولا يياسون ولا يجزنون، فخفي الحزن ونفي اليأس يوجد فيهم النشاط، فينضمون للمجالس السرية للمؤمنين لحديث الاسعداد فيهم بذلك النشاط..

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ" الخ المسلمون إذا حدث فيهم النشاط لرد كيد المنافقين يتفكرون في أنفسهم لم لا يعلمون مثل مجالسهم السرية التي لا يعلمها هؤلاء المؤمنون، فوجب على المديرين أن يدخلوه في مجالسهم، وفي هذه الحالة الأعضاء الذين كانوا من الأول يجذون في أنفسهم حرجاً أن يساووهم الرجل الجديد فأمروا برفع هذا الحرج. "إذا قيل لكم" الخ فيحتاج المجلس إلى قائل يقول لهم انشزوا أو يقول لهم تفسحوا، وهذا هو الرئيس، فالمعنى أن المجلس لا يتنظم إلا بتعيين الرئيس فيهم، فإذا أجاز الرئيس لرجل أن يدخل في المجلس، يجب على الأعضاء أن لا يتقبضوا عنه. بذلك تتوسع المجالس. قوله: "يرفع الله" الخ إشارة إلى قانون تعيين الرئيس. "الذين آمنوا منكم" جميع الأعضاء رفعهم الله على الكفار والمنافقين ثم "يرفع الله الذين أوتوا العلم درجات" على المؤمنين

فألذي أوتي علم تأسيس المجالس وإدارة الأمور السياسية، هو يرفع درجة يعني يكون رئيسًا "والله بما تعملون" خير حفظ هذا النظام ظاهرًا و باطنًا لازم. هذا معنى قوله خير.

"إذا تاجعتم الرسول الخ" أخذنا منه أن الركنية في تلك المجالس المهمة الأصلية أن يجعل معها غرامة مالية أيضًا، بذلك يتبين به فكر الرجل ظاهرًا وباطنًا. هذه الصدقة معناها مثل الإعانة التي توجب الجمعيات على أعضائها والأمر بالمعروف بأن النبي عليه السلام لا يأكل الصدقة، فكانت فيه إشارة أن هذه الأموال لا تجمع لتفج الرئيس، بل لمصلحة المجلس والجمعية.

"فإن لم تجدوا الخ" بعض الناس يكون أهلًا لركنية الجمعية ولا يقدر على المال، فإذا تبينت أهليتهم لها وعلم فقرهم، يعفى عنهم هذه الصدقة. هذا أمر مقرر عند جميع العقلاء لا يختلف فيه أحد.

"أأشفقتم الخ" الأكثرية من المؤمنين الصادقين ما كانت ذات أموال، فوجدوا في قلبهم من هذا الحكم شيئًا من تقصيرهم، فأرادوا أن يجهدوا لجمع الأموال بالقصد الخصوصي، يعني يغيرون البرنامج الذي كان عندهم هؤلاء لخدمة الإسلام ويعينون أوقافًا فارغة لجمع الأموال ليؤدوا الصدقات وليدخلوا المجلس وكان فيه مشقة زائدة عليهم فأمرهم الله بالإقامة على البرنامج الذي كان لهم سابقًا في خدمة الدين، فإذا لم يقدروا معه على تقديم الصدقات ويعلمون الله ما أوجب عليهم في هذه الحالة، فلا يتكفون لها. هذا معنى قوله: "أأشفقتم الخ". "فإذا لم تفعلوا الخ" يعني لا تقدر على تسهولة بالمشي على البرنامج السابق. "وتاب الله عليكم" أي أجاز لكم "فإن لم تجدوا الخ" فلا تتكفوا واعملوا على طريقتكم "فأقيموا الصلوة الخ" هذا هو مسألة استثناء بعض الأركان عن أداء الإعانات لعزيم في زماننا. ونحن إذا تفكرنا في هاتين الآيتين على الوجه الذي ذكرنا، ما وجدنا فيه مجالًا لنسخ آية بآية أخرى. أليس هذا عجيبًا؟ نصف الآية للتأخر فإن لم تجدوا الخ ينسخ نصف الآية المقدمة فقدموا الخ. ألا يجعلون هذا بيانًا لعدم الوجوب إلى حاجة إلى القول بالنسخ إن لم يكن لهم ممارسة بالمجالس السياسية. وما وجدنا فيه إلى حسب تقديم رجال من أصحاب النبي بتخصيص بعض الآيات على الآخرين، فيقولون ما عمل بما إلا علي ونعرف أن ذلك لا يكون إلا من جماعة سياسية، غرضهم متعلق بتقديم علي بن أبي طالب وإلا فكيف يتصور العقل أن الآية تنزل ولا يعمل بها إلا علي وهي مثبتة في المصاحف إلى يومنا هذا. وهذا كما قالوا في قوله وسيجزيها الأتقى أنها نزلت في أبي بكر. أبو بكر وعلي كلاهما من أئمة الهدى وخوفا أصحاب رسول الله ﷺ. لهم منة على جميع المؤمنين بما خدموا الدين والإسلام مع النبي ﷺ وبعده هذا حقهم نعرف لهم بجميع أفعالهم ونشكرهم ويدعوا لهم ونريد أن يلحقنا الله بهم، لكن التلاعب بالآيات القرآنية لا نقدر أن نسامح به لأحد. أبو بكر مراد بالأتقى مثل سائر المؤمنين الذين يأتون إلى يوم القيامة وعلي بن أبي طالب من الذين قدموا بين يدي نحوهم صدقات مثل سائر المؤمنين. نحن لا نجعل الآية منسوخة فنعمل بها إلى يوم القيامة، فكل أمير من أمراء المسلمين ينظم جمعية

سرية لنصرة الدين هو يكون كالحليفة لرسول الله ﷺ والذين يدخلون في هذه المجالس ويؤدون الإعانات؛ كلهم فيمن قدم بين يدي تجواهرهم صدقات.

فائدة

قال الإمام ولي الله في القور الكبير من المواضع الصعبة في فن التفسير الناسخ والمنسوخ وأقوى الوجوه الصعبة اختلاف اصطلاح المتقدمين والمتأخرين، وما علم في هذا الباب من استقرار كلام الصحابة والتابعين أنهم كانوا يستعملون النسخ بإزاء المعنى اللغوي الذي هو إزالة شيء بشيء ولا بإزاء المصطلح للأصوليين، وبهذا بلغ عدد الآيات المنسوخة خمس مائة، وإن تأملت متعمقا فهي غير محصورة على اصطلاح المتقدمين، وعدد المنسوخ باصطلاح المتأخرين قليل، لاسيما بحسب ما اخترناه من التوجيه، وحرر الشيخ جلال الدين السيوطي في الإتيان^(١) للمنسوخ الذي فيه رأوا المتأخرين على وفق ابن العربي، فعنده قرينا من عشرين آية والمفقير في أكثر تلك العشرين نظرا، فنورد كلامه مع التوقف، وقال في آخره قال السيوطي فهذه إحدى وعشرون آية منسوخة على خلاف في البعض ولا يصح في غيرها والأصح في آية الاستيذان والقسمة عدم النسخ، فصارت ١٩ قرأنا كلام السيوطي ورأينا طريق تعقب الإمام ولي الله فقدرنا بعد ذلك على توجيه عدم النسخ في تلك الخمس الآيات التي نقرأها في المجادلة وذكر توجيه عدم نسخها ورأينا من حكمة الشيخ أن المواضع المشككة التي أتى فيها بتوجيهات لعدم النسخ والتي تركها وسلم نسخها التوجيه فيها أسهل، فرأينا أن المصلحة عند الشيخ أن لا تصرح بنفي النسخ على طريقة المتأخرين في الآيات القرآنية، لأن ذلك المذهب صار منسوبا إلى المعتزلة، فالتسليمون لضعف مدركهم إذا رأوا أن كلام الشيخ يوافق المعتزلة لا ينظرون فيه، وإذا قلل النسخ لا يشكروه والرجل الفهم على طريقة الشيخ يعرف أن النسخ مشكك وزماننا هذا بخلاف زمان الشيخ. الآن نفي نسخ آية من الآيات القرآنية المثبتة في المصاحف هو المنصور عنه المحققين المسلمين وبذلك يقتضون على دعايات الكفار على خلاف القرآن ونحن نقر بالنسخ في القرآن على طريقة الصحابة والتابعين بالمعنى اللغوي فقط، فإن الكتب القانونية إذا كانت مشتملة على جميع المواد المحتاج إليها يأتي فيها تقييد بعض المواد بقيود تذكر في المواد الأخرى. إما أن يكون مادة منها غير معمول بها بل مرة فلا توجد، فعلى منهج الكتب القانونية بعض الآيات القرآنية يفيد إطلاقات بعض الأخرى. هذا هو النسخ في كلام المتقدمين، ولا بد من تسليمها في جميع الكتب القانونية.

وإذا انتظمت المجالس السرية أولا للمناقشين وثانيا للمؤمنين، صار المتكلمون بكلمة الإسلام منقسمين إلى حزبين: حزب الشيطان ذكر الله بقوله: "ألم تر إلى الذين تولوا... هم الخاسرون." المراد

^١ - لينظر: عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (م ١٩١١)، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، الإتيان في علوم القرآن، النوع السابع والأربعون: في ناسخه ومنسوخه (الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٤)، ٣: ٦٦ ومابعده.

من القوم الذين غضب الله عليهم هم اليهود والذين توليهم هم المنافقين فذكر أحوالهم بقوله: "يخلفون على الكلب الخ" "اتخذوا أيمانهم جنة الخ" "استحوذ عليهم الشيطان الخ" "إن الذين يحادون الله... في الأذلين" وذكر حزب الله بقوله: "كتب الله لأغلبن الخ لا تجد قوماً... هم المفلحون."

ابتداء تعليم القرآن بالدعوة إلى علوم صحيحة وأخلاق فاضلة وأعمال صالحة، وكثير من الناس يستحسنون هذه الدرجة من الإسلام ثم أمرهم بالاجتماع ليكولوا بذراً للانقلاب ووقع الظلم عن الباطل عن الأرض، فحصل هذه القوة السياسية لجماعة المؤمنين لا يرضى عنها هؤلاء للناس، فيجتمعون مع الذين يبحثون عن الأمور الدينية مثل أهل التوراة في ذلك الزمان ولا يريدون العمل على ذلك، فهم يجتمعون معهم ويوادونهم ويخالفون الإسلام في قوته السياسية بتأسيس حزب سري بخلاف ذلك. هم يؤمنون في الظاهر بالعاليم الإسلامية ويستحسنونها ويبينون حكميتها وفضائلها ويشتركون في ذلك مع اليهود، ويخالفون في الباطن ما حصل للإسلام من القوة السياسية وهم حزب الشيطان، والذين يريدون الحصول جميع القوى السياسية لمن يؤمن بالقرآن وغلبة جميع الأديان ويجتمعون في المجالس السياسية ليتغلبوا على الأحزاب المخالفة. أولئك حزب الله. "ألا إن حزب الله هم المفلحون." انظروا إلى ابتداء الدعوة. الكلام في مسألة معاصرة، ثم الانتقال إلى مسألة سياسية تشبه المسألة المعاصرة، ثم تنميط البحث على تنظيم حزب الذي هو رأس الحكمة في غلبة الدين على الكفار، فكيف انحدرت هذه الحكمة بتناسبات لطيفة إلى أذهان الأميين ولا يقدر على إحاطة مصالحها. كثير ممن صرفوا عمرهم في البحث عن المسائل السياسية في ضمن آيات عددها اثنان وعشرون. كل قوم لا ينتصرون في سياستهم إلا إذا جعلوا سياستهم حزبية، وحصروا الأمية في حزبهم.^(١)

تمة

السياسة إنما تقوم بالاجتماعين والعرب كانوا متفرقين على شعوب وقبائل، واجتماعية كانوا وحدة كأنها تمت على ذلك ليس فيها همة على اجتماع القبائل مثل اجتماع قبيلة في شيء، فالقبيلة كانت أعظم مرتقى في الاجتماعيات عند العرب، فإذا كان الرجل قاصراً فيه فيسري فيه التفرق والانفرادية، فيكون بيت متفرقاً عن بيت، ثم يكون في البيت الواحد أيضاً تفرق وانفرادية، فيحرم الزوج على نفسه زوجه، فيقع فيه التفرق الدائم، وباجتماعهما كانت الحياة البيتية، ففي افتراقهما يختلف الأولاد الإخوة والأخوات بعضها عن بعض في المواطن، فتفسد الفطرة الإنسانية المقتضية للاجتماع فساداً لا فساد أكبر منه، وكانت عندهم رسوم ومنع يحرمون بذلك أحد الزوجين نفسه على الآخر، منها الظهار، فالشرعة الإسلامية أوردت إصلاح الأمر من أساسه، فأبطلت كل سنة ورسم كانت مقيماً ومفضية للتفرق الدائم بين الزوجين، والظهار كان هكذا، فأصلحه الإسلام بالكفارة. هذا هو المنصوص

١- في ن م: أغسطس ١٩٠٩ يوم الاثنين ١٩٤٧ سنة.

في السورة، ونحن نمشي على هذا الطريق طريق الحكمة، فننظر في الأشياء الأخرى أيضًا. ذلك الإصلاح نافذًا كان واحدًا من طرق التفريق عندهم. الإيلاء جعله الشريعة أيضًا محدودًا، ونعرف أن مسألة الطلاق قيدها الشريعة بالثلاثين لكن ترك فيه أيضًا مساحًا للاجتماع إذا تزوجت بزواج آخر، فمعنى هذه المجادلة والاشتكاء والإصلاح بالكفارة عندنا هو السداد طرق التفريق وكانت المرأة المسكينة تشيكي إلى الله عن هذا التفريق، لأن لها أولادًا من ذلك الزوج ومن الزوجين داخل في الشيخوخة لا يقدرّون على التخلي عن الأولاد وتأسيس بيوت مستقلة، فهذه المصيبة إذا كانت لازمة في بيوت فما المخلص منها؟ هذه المرأة على حسب فهمها كانت متوجهة إلى أن يكون طريقة لرد الظهار واجتماعها مع زوجها وأولادها، وأما النبي في هذه المجادلة والمباحنة كان يتفكر في مفاسد الاجتماع القومي فكما أن المرأة تريد أن ينزل طريق إلى التخلص من الانفرادية البيئية، كذلك النبي كان يطلب بطبيعته وفطرته أي بلسان الحال لا بلسان القول أن ينزل الله طريقًا يضع في الاجتماع القومي ويحرم الانفرادية عن القوم، فنزلت الآيات بعد ذلك في تأسيس حزب الله وحزب الشيطان. هذا الحزب الذي يسمى بحزب الشيطان، ملخصه أنهم اتبعوا اليهود قوميًا غير قومهم، ولذلك قيل ما هم منكم ولا منهم. المصالح القومية لليهود تخالف مصالح العرب، وهم صاروا مطرودين مخذولين في العالم، فقوم من العرب يخالف قومهم، ويجمعون مصالح اليهودية معهم. هؤلاء حزب الشيطان والذين يمشون على قوميتهم على طريق البر والتقوى ويجمعون معهم، كل قوم يكون على طريقهم، هؤلاء حزب الله، فمن أنشأ طريق الاجتماعية العالمية باتباع طريق الحق فيها بدون رعاية فاسدة لقوم دون قوم وجعل مركز ذلك التحريك قومهم أولاد إسماعيل ومن والاهم، هؤلاء حزب الله، فالطريق الاجتماعية القومية الذي كان يرجوه النبي ﷺ في هذه المجادلة أيضًا، نزل الأمر فيها ثمانًا، فالتشابه بين الواقعتين يعني بين التشبيه وأصل القصيدة ظاهر يشتد ظهوره إذا أمعن بالتمعن. (١)

١- في ن م: الحمد لله، ثم الدفتر الأول ويليه الدفتر الثاني، ساعة إحدى عشر في ليلة الأحد. (ذكر هناك تاريخ التكميل أيضًا ولكنه غير مشروح.)

سورة الحشر

بسم الله الرحمن الرحيم

"سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْح" آيات التنبيه إذا نزلت في مبدأ سورة، نعلم منها أن في تفصيل السورة يأتي أشياء قبجها عند ضعف العقول يكون راجعاً إلى الله، فنبه الله في ابتداء السورة على أن الله منزّه عن جميع النقائص، ولازم على أهل المعرفة أن يحضروا تنزه التجليات الإلهية عن قبائح المظاهر، فالسحوات والأرض قامت فيهما تجليات إلهية تشهد أن كل قبح ونقصان إلى القوى المادية التي هي مظاهر التجليات، والتجليات لا تظهر عليها لإصلاحها وتكميلها، فهذا معنى قوله: "سبح لله" الْح قوله: "وهو العزيز الحكيم" إذا كانت حكمة الحكيم تقتضي أن إصلاح المفاصل التي اشتملت عليها طائفة من المخلوقات، لا يمكن في قانون الحكمة إلا بنزول الرب تبارك وتعالى وأخذ الأمر كله بيده، فحرته وإن كانت تمنع عن النزول، لكنه يراعي مقتضى الحكمة، فيتنزل ويراعي مع ذلك عزته، فلا يتلوث بشيء من التلوثات. ضعفاء النظر وقليلوا المعرفة إذا جعلوه في تلك الحالة ملوثاً بأحكام المادية، فهذا كله قصور نظرهم عند أهل الحكمة والطائفة الأخرى من قاصري الأنظار توجهت إلى تنزيه الحق خلاف الطائفة القاصرة الأولى، فمنعت نزول الحق بالكلية، فحرموا منها فهم الحكمة في كثير من الأحكام، فنام المعرفة لا ينكر نزوله ولا يقصر تنزيهه يقدر على الجمع بين مقتضى اسمي العزيز الحكيم.

"هو الذي أخرج الذين كفروا إلى عقاب." جمع المسلمون عسكرهم بعد واقعة الخندق وهجموا على اليهود بني النضير الذين نقضوا العهد وانضموا مع الأحزاب المهاجرين على المدينة، فلما رجع الأحزاب بخابئين، أمر النبي عليه السلام بالمهجوم على بني النضير، فسلموا حكم النبي ﷺ في حقهم، ورضوا على الجلاء. أشار القرآن إلى هذه الواقعة في هذه الآيات: "هو الذي أخرج الْح" لأول الحشر. فسر عامة المفسرين بالجمع إلى الحشر يوم القيامة واستقر في أذهانهم باتباع الإسرائيليات أن الحشر يوم القيامة يكون في فلسطين وسوريا، وهذا القوم أيضاً هاجروا إلى سوريا بعد جلائهم، فكان هذا أول الحشر قبل حشر الناس عامة وخالفهم الإمام ولي الله فيه وجعل معنى الحشر جمع العسكر. "وحشر لسليمان جنوده." واستفدنا من كلام الإمام أن المحاربات الإسلامية إلى ذلك الوقت كلها كانت دفاعية. الكفار يتلذذون في العمل والمسلمون يدافعونهم، ومن هذه الواقعة شرع المسلمون بالمهجوم لأول مرة. قد ورد في بعض الروايات أن النبي ﷺ بعد رجوع الأحزاب أنهم لا يفزونا بعد ذلك اليوم بل نحن نفزوهم، فانتظمت واقعات السورة كلها على نظام حسن، ويقوم بذلك الويل على طائفة من أهل العلم الذين يقولون بأن الإسلام لا يجوز الهجوم، وهذا باطل من أفكارهم. المصالح الشرعية إنما تبحث عن هذه المسئلة بوجه آخر لا بهذا الوجه. مضى كثير من الأنبياء على طريقة المنع عن القتال، صبروا على ما

ظلمهم الناس حتى جاء نصر الله بالقوى الغيبية وأنجاهم عن تلك المهالك، وبعد إبراهيم^(١) شرائع موسى وعيسى ونبينا ﷺ من الخفاء وشرائع كرشن ومن تبعهم من الصائبة، كلهم يجوزون القتال مع الأعداء، فالفرق الأصلي في الشرائع هو تجوز القتال أو منعه، والشرائع التي تتبع بوذا^(٢) كلهم يمنعون عن القتال. أما إشارة البحث في الشرائع التي تجوز القتال بأنه يكون ابتداء أو دفاعاً، فهذا في الحقيقة من فرائض من يريد الحرب، لا يمكن أن يوضع له قانون في المقاتلات. الحكمة في المقاتلات تكون مقتضية لقلّة إقناء الناس والفوز بالمقصد، وهذا المقصد إن حصل بالمهجوم لا يستفكون فيه الدماء كثيراً، والنتيجة تحصل بالسهولة بالمهجوم فالمدبر للحرب لا يمكن صبره عن الهجوم. هؤلاء الجهال يلتمسون مرافق الحياة من الكفار، تشبهوا بآيات في القرآن تأمر المسلمين بالانتظار والتربص، وتلك الآيات ليس معناها إلا جمع القوة لأنفسهم. أي قائد في الدنيا للحرب يلقي جماعة من نار الحرب قبل اطمئنانه بمحصول الاستعداد لحمل مصائب الحرب من رفقاءه، فالقرآن إن أمر المسلمين بالتربص والانتظار لجمع القوة فلا يكون فيه حجة هؤلاء الجهال.

"ما ظننتم أن يخرجوا إلى أولي الأبصار" القوة الحقيقية فما للحرب هي جمع المعنويات كلها لكل فرد من أفراد العسكر بل لكل فرد من أفراد القوم أعم لا يقاتلون إلا للحق ويطيعون في الإدارة أولي الأمر منهم، فإذا فقدت جماعة هاتين الخلتين أو إحداهما وظنوا غلبتهم مستنداً إلى أشياء مادية مثل الحصون والأسلحة، فلا يقضى لهم الفلاح وهؤلاء اليهود ما كانوا مطمئنين على اتباعهم للتوراة بل كان فيهم خلاف أن هذا النبي ﷺ مبعوث بحكم التوراة، وما كانوا متففين تحت رياسة أمرائهم، وكانوا يظنون أن خصومتهم لمتبعيهم من المسلمين، فما تفهم هذا الظن وصاروا مرغوبين في أنفسهم وانقطع عن أمل القور بإحاطة العرب لهم من جميع جوانبهم.

فائدة

تأسيس حزب الله ودعوته إلى جميع العرب وبني إسماعيل إلى لواء قومهم الذي هو قائم لإقامة الحق نفع المسلمين ثمناً، والقبائل التي كانت تميل إلى اليهودي سمعوا تأسيس حزب الله على العدل والتقوى في مصالح قومهم يعتمد على عهودهم ومواثيقهم تركوا اليهود أو كادوا أن يتركوهم وعلم بذلك اليهود في دوران غزوة الأحزاب، فامتلاً قلوبهم بالعرب من المسلمين. هذا كله كان بركة اجتماعهم في تأسيس حزب الله، ونحن بذلك حسن ترتيب السور في المصاحف تحت الفائدة.

"ولو أن كتب الله" معنى هذه الآية عندنا أن هذا مكتوب عليهم في التوراة بمعرفة أنبياء التوراة، ونحن لم نقدر إلى الآن على جمع تلك الروايات الإسرائيلية. هذا كان الجلاء بسبب كونه من الأول ولصدق هؤلاء الأنبياء كان لازماً أن يرضى الطرفان بجلالهم، وكان في ذلك فائدة لهم، وإن أقاموا في

١ - هذا اللفظ كتيبه بالظن الغالب فإنه غير مفروء في كلتا النسختين.

تلك البلدة مع هذا الشقاق، لعذبوا وقتلوا. هذا معنى قوله: "لعذبهم في الدنيا" لأن بعد ذلك الانتصار للمسلمين وتأسيس دولتهم لا يمكن المجاورة في تلك البلدة لقوم لا يمسلمون بحكم الله ورسوله وهذا بحكم الانقلاب الذي أتى به القرآن واضح.

فائدة

أمر النبي ﷺ أمراء المسلمين بإخراج اليهود والنصارى والمشركين من جزيرة العرب، وجعل هذا الحكم على درجتين. قلب جزيرة العرب عندنا في المجاورة الإسلامية الحجاز فقط، فمطمح النظر في ذلك الحكم على سهيل الوجوب والتأكيد هو الحجاز، وأما العرب فذكرها سواء للذريعة، والمراد من جزيرة العرب لا يكون إلا ما كان يعرفه الناس قبل الإسلام، فلا يدخل فيها العراق ولا سوريا ولا مصر ولا فلسطين، وأما المسلمون من الجغرافيين فجعلوا حد جزيرة العرب في الشمال منبع الفرات ومجاورة البحر الأبيض، فدخلوا فيها العراق والشام وقطعة من آندول. هذا اصطلاحهم المخصوص الذي حدث بعد تلك العرب لتلك البلاد سوريا وآندول، وغلبة لسانهم على لسان الأهالي. ليس هذا حدود جزيرة العرب عند الأقوام قبل الإسلام. إخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب إن كان المراد من جزيرة الاصطلاح الإسلامي، فهل وقع ذلك الإخراج في زمن من الأزمنة. النبي أخرجهم فانتقلوا إلى خيبر وسوريا، ثم أخرج عمر أهل خيبر إلى سوريا إلى الشام، فهل كان إخراجهم من الشام داخلًا في مفهوم إخراجهم من جزيرة العرب يومًا من الأيام؟ فعلمنا أن المراد في كلام النبي ليس إلا ما كان يعرفه الناس قبل الإسلام لا المصطلح الإسلامي. خطأ عظيم لرجل من رفقاتنا من المتفكرين الإسلاميين في الهند أعني أبو الكلام آزاد، قام المسلمون في الهند بعد سقوط توركيا لانتصار الخلافة الإسلامية يأمر لا يرجى من قوم مثل ذلك جمعوا كل قواهم تحت كلمة واحدة وضعوا معهم أمراء أفغانستان وجعلوا كانغريس المشتغل على السياسة الهندية منظمًا إليهم، فقاموا قيامًا واحدًا فاندحشت الحكومة المتغلبة على الهند بسبب اجتماع الهنود والأفاغنة معهم وكانت الحكومة الإنجليزية تحب أن يهتدوا لمسئلة يصلحون مع المسلمين في الهند ولا يتزلزل بذلك إمبراطوريتهم، فنعرف جهادهم لتعرف حل تلك المسئلة بالرجوع إلى معرفة آراء أهل الرأي من المسلمين والهنديين والهنود والأفاغنة، وكانوا يرضون أن يقيموا في الحجاز حكومة جمهورية للمسلمين يشترك في تنظيمها وإدارتها جميع المسلمين في الأرض، ويكون سياستها الخارجية مع الإمبراطورية البريطانية، فهذا الحل كان أنفع شيء في ذلك العصر للمسلمين وكان بذرا صالحًا لارتقايتهم الديني واجتماع كلمتهم على نصرة الشريعة الإسلامية، لكن العصبية التي تقوم لحل مسئلة الخلافة من المسلمين الهنديين كانت أكثرها ثمر عالة بأحكام الدين التفصيلية. هؤلاء رجال يعدون على الأناضول، حكمهم أجمل خان، والدكتور الأنصاري، ومحمد علي، وشوكت علي، وأبو الكلام آزاد ومن يضم هؤلاء معهم ممن يحتاجون إليهم من الرعساء والعلماء، فكل هؤلاء ما كانوا يعلمون أحكام الدين الفرعية التفصيلية القانونية إلا أبو الكلام آزاد، فهو كتيب كتابًا واستند فيه إلى آراء الجغرافيين من المسلمين في تحديد جزيرة

العرب، وأدخل فيها العراق والشام وفلسطين، وجعل هذا اقتراح تلك الجماعة جمعية الخلافة أن يحرروا تلك البلاد تحريراً كاملاً، ويفوضوا أمرها إلى أمير مسلم. هذا هو واجب المسلمين في انتصار الخلافة، فتأثر بتلك الكلمة الجاهلية أركان جمعية الخلافة كلهم، فلما عرض هذا الاقتراح على لويد جورج رددهم بكلمة ما قدروا على جوابها. بطل كل الأفكار التي كانت تميل إلى الاصطلاح مع للمسلمين الهنديين والإمبراطورية البريطانية امتنعت بأمر نفسها وأخذت خطبة الاشفاق بين الهنود والمسلمين والأفغان. مقصد سياستهم أول ما تشبثوا في ذلك أمر الحكومة الهندية أن يحاسبوا فروع جمعية الخلافة في ميزانياتهم، فظهر إصراف بل اتفاق الأموال بدون إجازة قانونية، فاشاعوها في الهند، فتأخر عامة المسلمين عن زعمائهم، وأوجدوا الاختلاف بين شوكت علي وغاندي، وزاد كل يوم هذا الانشقاق حتى تأخر الهنود وكان كريس عن انتصار المسلمين وأوجدوا الشقاق بين الأفغان والهند حتى أن بطانة الأمير أمان الله اقترحت على قطع جميع علاقاتهم مع الهند واعتمادهم في جميع أمورهم على بريطانيا، فلما تمكنوا من ذلك فعلوا بالأمير أمان الله وأفغانستان ما ليس له نظير. أخبرنا بعض زعماء الأفغان أن مائة ألف من الأفغان قتلوا في فتنة أمان الله، وأقاموا على الأفغان حكومة توافق وترافق في جميع المصالح الخارجية مع البريطانية، وألوف من شبان الأفغان محبسون في السجون، وما تصرفوا في جزيرة العرب والحجاز. أعرضنا عن البحث عنها وجمعنا كل أفكارنا السياسية على سياسة بلادنا فقط، لكننا إذا تذكرنا تلك الواقعة ونعرف سيد الحوادث يحترق دماغنا وقلوبنا بإفراط وجهالة رجل واحد من رفقائنا وكان في تلك المصائب كلها.

"ما قطعتم من لينة" الخ الأعمال الحربية تحت أمر القواد تختلف في الصورة، لكن تتحد في المعنى. كل فرقة أطاعت أميرها وأمرها اجتهد بمعرفة للوصول إلى المقاصد، وما قصر في ذلك، فالأمة مرفوعة عن الأمير وعمن تبع أمره، فالصورة إن كانت مختلفة، لكن النظام المعنوي قائم على حاله، فالكل جائر وكلها يافذ الله لأن باختلاف الصورة خزيان العدو، ويحصل لاهماله لأن كل قائد لا يعمل عملاً إلا لإيصال الخزي إليهم، ففي تلك الأمور الاختلاف أيام الحرب غير جائز كما ذكر الله أن اليهود رضوا على الجلاء بفساد معنوياتهم، كذلك فبه المسلمين على أن اختلاف صور الأعمال تكون قلوبهم ناظرة إلى المعاني فقط لئلا تفسد معنوياتهم الاجتماعية. "وما أفاء الله إلى رحيم". تلك الآيات المبحث الأصلي من هذه السورة. تأسس حزب الله على الأصول العقلية الصحيحة والأخلاق الفاضلة تبيين من سورة المجادلة، ومعلوم لكل من يتعرض لعلوم الحكمة أن هذا الاجتماع لا يقوم ولا يدوم إلا باشتراك تلك الجماعة في الأموال والاقتصاديات لما حصل الجلاء، فالأشياء التي هي قابلة للانتقال، حملها اليهود معهم حتى أن الخشب الصالح إن كانت في السقف، فخربوه وأخرجوها وحملوها معهم، فما بقي منهم للمسلمين إلا الأراضي وما يتبعها من الجدران والأنهار لا يمكن نقلها، فهذا يسمى بالقى، وذكر الله أحكامه في هذه السورة في موضوع واحد. هذا نوع جديد في المعاملة. كان المسلمون أرادوا أن يحاربهم

وعملوا بعض الأشياء في ابتداء الحرب، لكن اليهود رضوا على المصالحة، فبالمصالحة حصلت لهم تلك الأراضي، فحكمها يكون غير حكم ما طلب عليه المحاربون، فقرر الله أن ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى، يكون مقسوماً على خمسة أجزاء وحصص. أول الأمر أن كلها لله لأن الأمر والملك ليس في الإسلام إلا لله وهو يأمر بقسم الفبيء في المستحقين، فجعلهم خمسة: الرسول عندنا معناه شخصيته طول حياته، لأنه هو منبع جميع الاجتماعات ومرتقى لرفع جميع الخصومات، فيكون بعده فراغ في حكمه بالمصالح التي يرتضيها هو وهذا معروف من سيرته. وبغناكه الذي أغناه الله من فطرته أنه لا يدخر لنفسه ولا لعياله شيئاً زائداً عن قدر الحاجة فهذا مثل ما يجوز للأحرار في الحكومات القانونية للنفقات السرية. قوله: "لذي القرى" معناه عندنا الذين يتقربون إلى الرسول من حيثية الرسالة سواء كانوا من عشيرته أو من المؤمنين غير العرب وغير قريش مثل سلمان، فمن كان يجد في قلبه تقرباً خصوصياً وهو يحب الرسول مثل ما يحب الرجل آباءه، فالرسول أيضاً يعامل معه تلك المعاملة؛ يتكفل حاجاتهم كتكفل الآباء حاجات أولادهم، ليس فيه تخصيص لبني قومه على غيرهم، فإن كان رجل لا يتقرب إليه بوصف رسالة فلا يجعله من ذوي قرياء، وإن رجل لا من قريش ولا من عرب، لكن يتقرب إليه بوصف رسالته أنه كالأب له، فيجعله من ذوي قرياء. جاء من الفبيء أطفال لخدمة الأسارى، فبحث علي بن أبي طالب فاطمة أن تسبل خادماً منهم، فما أعطاهما النبي ﷺ وقال إن في الأنصار يتامى لهم حاجة إليها. الناس يفهمون بسهولة هؤلاء يتامى الأنصار، ليس حب النبي إياهم مثل حب آباءهم، وهو قدمهم على ابنته، ومصلحة سلمان واضح أن النبي ﷺ قال سلمان من أهل البيت وكذلك مصلحة أبي مسعود، فجعل هؤلاء كلهم من ذوي القرى للرسول باسم رسالته، وهذا السهم أيضاً يهتم بعد ما توفاه الله، وعلى ذلك اتفق المهاجرون والأنصار في زمن أبي بكر وعمر.

جملة معترضة

من ذوي القرى لرسول الله ﷺ بنو هاشم، ثم أولاد علي وأولاد عباس كانوا فرقة سياسية لهم برنامج مخصوص في سياسة الإسلام، هم يقيسون الإسلام على منهاج بني إسرائيل. ويجعلون أنفسهم وارثين لجميع رياسات المماسة التي حصلت للنبي ﷺ وكانوا ساعين لذلك دائماً وما نص النبي ﷺ على استحقاقهم لذلك، فما فازوا في خلافة أبي بكر ولا في خلافة عمر وعثمان حتى وقعت الفتنة بقتل عثمان، فتقدموا لأخذ أزمة السياسة بأيديهم وما فازوا في ذلك أيضاً حتى غلب معاوية رجل من بني أمية على الخلافة^(١). من ذلك اليوم كانت بنو هاشم منزلة الفريق المخالف في السياسة القومية، ثم هم

١- هذا وما بعده خلاف ما عليه أهل السنة والجماعة، فإن إعانة علي رضي الله عنه للخلفاء الثلاثة بما ثبت بالحجج والبراهين كما يظهر من كتاب الشيخ محمد نافع من علماء ديوبند رحمه الله، وقد ثبت بتأييد زيد بن علي وأمثاله من قبل الأئمة الأجلة مثل أبي حنيفة ومالك وجمعهما الله أن ما وقع من الحسين بن علي وأمثاله كان ضد الجور والظلم من أرياب بني أمية وغيرهم، وما زالت فتوة هؤلاء الأعلام منار النور لمن بعدهم من أصحاب العزيمة في كل زمان

معوا بعد ذلك بتأسيس حزب سري يؤيد بني هاشم فقط وغلبوا على بني أمية في مبدأ المائة الثانية، ومن ذلك الزمان أفتقر بني هاشم بين العباسية والعلوية. العباسيون قاموا بالخلافة المركزية والعلويون كانت لهم الحكومة في أطراف الممالك الإسلامية، فتلك الجماعة تدعو لنصرتها السياسية وتستفيد بالآيات القرآنية منها، "قل ما أسألكم عليه من أجر إلا المودة في القربى" فجعل هؤلاء الناس معنى هذه الآية تأييد سياستنا هو تنمية مودتنا ومودتنا على أعناق الأمة كلها لأنها أجر رسالة الرسول وعندنا في هذا الاستدلال مغالطة عظيمة، وما يخرج عن هذا إلا من وقفه الله إلا فالتأويلات والتلبيسات تجعل السياسات الإسلامية مخفية عن أفكار من يقرأ القرآن، فالذي فهمناه أن المودة من رجل لقرابه هو أجر محنة الرسول. الشريعة الإسلامية توصي بصلة الأرحام. قال الله: "وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ" الخ فالشريعة الإسلامية تقوم على دعائيتين: الأولى الدعوة إلى الله واتباع أحكامه والتقوى منه، والثانية صلة الأرحام و أداء حق لكل ذي حق. جبلت الفطرة الإنسانية على أساس ذلك الحق. وصلة الأرحام عبارة عن هذا المعنى لأن مدار الحكمة الشرعية كلها على توفية الفطرة الإنسانية حقوقها، والحقوق الظاهرة التي جبل كل فطرة إنسانية على إحساسها، هو صلة الأرحام. الأم لا تقدر أن لا ترحم أولادها والأولاد وتقدر أن لا تهن إلى أمها، فلما كان الولد ضعيفا كانت الأم مجبولة على قضاء حاجته بالإطعام الطبيعي والحي الذي يكون مثله إلى النحل، فلما صار الولد بالغاً كاملاً قوياً مكسباً وضعفت الأم، فالشريعة الإسلامية تلهم الولد بالإطعام عقلي أن يتكفل لحوائج أمه قبل حوائج نفسه إقامة للعدل والتقوى، فجميع أوامر الشرع حكمة تكميل الفطرة الإنسانية مرعية فيها، وهذا أول ما أدركنا من حكمة الإمام ولي الله في حجة الله البالغة، فمن نتيقن إذا بطلت الفطرة الإنسانية في طلب مقتضياتها وعميت، لا يكون لرجل حكمهم قوة على شرح التشريع الإسلامي على أصول الحكمة، ومن في زمننا هذا إذا رأينا جماعة الانقلابيين يقطع الأرحام، وإن كان لحاجات سياسية وقتية، جزمنا بعدم نجاح تلك الحركة؛ لأنهم لا يؤمنون ولا يتبعون الشرائع. أما عندي فما كان هذا الجرم كافياً لعدم نجاحها لأن أصحاب الشرائع عموماً أقسداوا الشرائع، فالرجل يقوم على خلافهم ولا ينجح، هذا ليس بلازم عندي؛ لأن الشرعيين ليسوا بصادقين في اتباعهم الشرع، كثير من المنتسبين بلباس الشرع في قلوبهم الجحود والإنكار لبعثات الشرع أكثر من هؤلاء المتمردين القائمين بالانقلاب، فهذا الوجه ما كان كافياً عندي في عدم نجاحهم وأما أمرهم بقطع الأرحام وتأسيس السياسة على ذلك، فما كنت أعتقد أنهم يحشون خطوتين إلى أقدام، وليس معنى ذلك أن جزمي بعدم نجاحهم كان في ذلك رجاء لطائفة من طوائف المسلمين القائمين على

والذين قالوا بكلمة الحق عند السلاطين الجبارة، ومن بين هذه السطور يرى مهمل الشيخ السبكي إلى من يتهمون علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأولاده في هذا الزمن، وقد بلغت الفتنة شأوها على أيدي المتطرفين في نقد الشيعة، أعاذنا الله من البعد عن منهج أهل السنة.

وجه الأرض اليوم، تنبعت في تلك المطالعة السياسية على ابتناء الأحكام الشرعية على مصالح فطرة الإنسانية على تفصيل يأتي به الإمام ولي الله، فكلما تقدمت في مطالعة السياسات، جزمت جزماً متزايداً كل يوم أن المسلمين لو غفلوا عن حكمة شرعهم وتشبثوا بالقشور، لا يرحي لهم النجاح، وما ظلمهم الله ورسوله في ذلك، بل ظلمنا أنفسنا. الحكمة الشرعية على صلة الأرحام من أهم المواضع المقصودة، فالتبني ﷺ يقول لهم بأمر الله ليس لي أجر في هذه الرسالة إلا أن تصلوا أرحامكم وتصلحوا ذات البين، فهذا معنى "ما استلکم علیہ من اجر إلا المودة فی القرى" بكل رجل يود ذوي قرابه. وأين فيه إشارة إلى أن المودة في القرى المراد بها المودة في قرى الرسول؟ وهل كانت فاطمة وأولادها موجودين زمن النزول؟ وهل كان عباس مسلماً في ذلك الزمان؟ لكن الدعاية السياسية إذا غلبت على دماغ رجل، هو يتغافل عن أجلى البديهيات والحكمة في هذه الدعوة أن الناس يكونون مطمئنين أن النبي لا يدعونا إلى شيء ينفعننا، فيكون أهل البيت والأمهات كلهم مستمعين إلى تلك الدعوة، لأنه يقطع الأرحام لا يتأذى إلا الأمهات والجندات، فهن إذا سمعن أن النبي ﷺ لا يطلب منهم أجراً إلا أن يخدم الأولاد لنا نكون مثلهم إلى أقوى، وهذا تبين في من تعمق في تفحص تكميل الحركة الإسلامية في مكة. النساء الأمهات في البيت كن يعتمدن في بطائن سرائر الدعوة، وإن كن من لم يدخلن في الإسلام، ثم أنزل الله آية أخرى. "قل ما سألتکم من اجر فهو لکم". فهذه تبين معنى الآية أن أجري إلا على الله، فالتبني ﷺ مثل إخوانه من المسلمين يسألهم أجراً وهو قائم بتلك الكلمة - إن أجري إلا على الله - المتواترة للتوارث على السنة الأنبياء، فإن كان تكلم يوماً لإمالة فطرتهم، وقع في قلبهم شيء من الغلط صرح بذلك ما سألتکم من اجر فهو لکم ليس لي من الأجر شيء. نحن بحمد الله منذ دخلنا في مطالعة السياسات العالمية وضح لنا حقائق علمية مما أفادها القرآن وأخفته عن عقولنا المدعاه السياسية من طوائف المسلمين وهذا الموضع واحد منها.

قوله: "واليتامى الخ" معنى اليتامى والمساكين واضح، وابن السجمل يكون رجلاً من الأغنياء، لكن غناؤه لا ينفعه في سيره هذا، فإما أن يكون غناه موجوداً في بيته ليس له اتصال، وأما أن يكون الرجل مستغنياً في معاشه، لكن لا يتحمل نفقات سفره لأن السياحة من الفرائض العمومية لعامة المسلمين، فهذا الرجل يسمح في الأرض ولا يتحمل نفقات سياحته، فحقه في بيوت مال المسلمين مستقل. الله يأمرنا بالسياحة. "قل سيروا الخ" ومدح السائحين والسائحات وأشار إلى جعلها شرعاً مستقلاً مثل الصوم والذكر من الفضائل الإسلامية، فعندنا السياحة من فروض الكفاية لأن بذلك تحصل أقوام المسلمين فيما بينهم وتنظم الاجتماعية العالمية التي هي مقصد القرآن ولذلك جعل فرض السياحة عائداً إلى الذكور والإناث كليهما لأن تنظيم الاجتماعية لا يقوم بالذكر وحدهم. هذه السياحة في داخل أقوام المسلمين وكذلك تحب في الأقوام الذين لم يدخلوا في الإسلام المجاورين للمسلمين ليعرف المسلمون المطالبة التي هم يريدونها بالمسلمين. هذا من أهم المعدات تمد القوادح الجريين في تسوية

برئانجهم، فالرجل الكبير من قواد المسلمين يسبح في بلاد المهاجرين، فنفاقته لا تكون في بيت المال، ورجل من علماء الدين يسبح في بلاد المسلمين، فإذا رأى في قوم تابعة من نوابع الإسلام، يتبع معارفه في جميع أقوام المسلمين وتشريع الحج كان أعظم معاون لتوفية هذه الأغراض، لكن الحج شيء ديني تحت شعار مخصوص مع ذلك السياحة العمومية فرض على المسلمين وبذلك تقوم اجتماعيتهم العالمية.

فائدة

بنو هاشم استدلوا لوراثتهم الخلافة من النبي ﷺ بقيا سهم على بني إسرائيل وعقدنا هو مغالطة. خلافة بني إسرائيل كانت خلافة قومية، ونحن نقبل فيها التوارث فورث سليمان داود، وأما خلافة نبينا ﷺ فخلافة عالمية لا يمكن فيها التوارث، فكان العرب في أول أمورهم أولى الناس في الإسلام، فتقدموا على العجم، ثم من العرب المهاجرون أولى الناس في الإسلام، فهذا صحيح جاء على منهج النبوة العالمية. إما ادعاء التوارث لبيت أو لرجل، فليس له نظير ولا مثال بل إذا دخل العجم في الإسلام القرس والترك والهند وساهموا العرب في الخدمات الإسلامية ثم كانوا أولى منهم، فاستحقوا الخلافة بإجماع المسلمين. هذا بقي من مسألة المودة في القرى، فأقمنا ههنا، فاليتامي والمساكين ساهمهما للاخوية المسلمين وابن السبيل سهمه لخارجية المسلمين، "كجلا يكون دولة الخ" في هذا التقسيم ذروا للقرى واليتامي والمساكين وابن السبيل يأخذون سهمهم، فلا يكون جميع ما أفاء الله على رسوله في الغنائم منقسما بين الأغنياء. منهم أولى القوة واليسار الذين يقتحون البلاد، فالغنائم التي تحصل بعد الحاربة أربعة. إسماعها تنفق في المجاهدين الأقوياء، لكن ما حصل بصلح، فكلها ينفق في الفقراء، فيتعادل الأغنياء والفقراء يكون لكل منهم شركة في منبع الثروات المالية الإسلامية، فيجتمع كلمة حزب الله على التقوى إلى زمان طويل؛ لأن الاشتراك في الأموال تحت قانون يرتضيه الناس، إما بعمومهم وإما بتوكيل أولي الأمر منهم يكون مدار اجتماع الدولة، فالحزب السياسي إذا حصل في الأرض أملاكا مشتركة صارت حكومة ودولة. "وما ألتاكم الرسول فخذوه الخ" المؤمنون آمنوا بالرسول. بأنه يأتي بأحكام الله المشتمة على خيري الدنيا، هذا إجمال إيمانهم، كل منهم سواء ذكي وغبى صغير وكبير ثم الأذكىاء منهم توغلوا في فهم أسرار الشريعة التي أتى بها النبي، فوجدوها بالغة إلى حد لو اجتمع البشر كله، ما أتى بشيء مثله، فاطمئن به قلوبهم وقوالبهم، ولتقدم والآتياء يتأثرون بإطمئنان سرانهم أن جميع ما جاء به الرسول هو حق، فلمنع إيجاد التشويش في التقسيم، أمروا بأن يعتمدوا على الرسول ثم يتفكروا على المنهج الإيماني، فيجدوا جواب كل شبهة لكن بالتأني والتفكير، فلا يأتون بالشبهات ويجعلون أفكار الجماعة منتشرة. "للفقراء المهاجرين" هذا بذل من اليتامي والمساكين وابن السبيل. وذوي القرى في حياة النبي خاصة والطائفة الثانية "وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ" هؤلاء أيضا من الثلاثة الأولى مطلقا، ومن الرابع إلى وقت مخصوص والطائفة الثالثة. "وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ" هؤلاء عامتهم أقوام عجيبة مشوا في التفقه في الدين على سنة المهاجرين والأنصار، فالتحقوا بهم، جعلهم عمر الذين يأتون إلى يوم

القيامة، فجميع تلك الطوائف الثلاثة جميع المسلمين الذين اقتدوا في نظرياتهم العلمية ونزعاتهم السياسية برؤساء حزب الله المنتظم في زمان النبي ﷺ من المهاجرين والأنصار، فهؤلاء كلهم يشتركون في تملك ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى، وتم بذلك تنظيم حزب الله ونحن لخصنا أعمال حزب الله تحت أصلين: الاتحاد في الذهنية التي أوجدها القرآن في السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، فأتى القرآن العظيم للعالم ببرنامج جامع لتنظيم الحياة العالمية، فما كان دون ذلك أو غير ذلك، فليس له تعلق لا بحزب الله ولا بالقرآن ولا بالسابقين الأولين من المهاجرين. (زيادة على خطأ عظيم لأبي الكلام).

قال الإمام ولي الله في حجة الله البالغة قال النبي: "لَنْ عِشْتَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ لِأَخْرِجَنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ" وأوصى بإخراج المشركين منها. أقول: عرف النبي صلى الله عليه وسلم أن الزمان دول وسجال فربما ضعف الإسلام وانتشر شمله فإن كان العدو في مثل هذا الوقت في بئنة الإسلام ومحمد أفطس ذلك إلى هتك حرمة الله وقطعها فأمر بإخراجهم من حوالي دار العلم وعمل بيت الله.

وأيضاً المخالطة مع الكفار تصد على الناس دينهم وتغير نفوسهم، ولما لم يكن بد من المخالطة في الأقطار أمر بتقية الحرمين بينهم، وأيضا انكشف عليه صلى الله عليه وسلم ما يكون في آخر الزمان فقال: "إن الذين ليأرز إلى المدينة الحديث ولا يتم قلبك إلا بالآ يكون هناك من أهل سائر الأديان، والله أعلم." (١) وقال في ذلك الباب في موضع آخر إن البلاد على قسمين: قسم يجرّد لأهل الإسلام كالحجاز. اهـ. والذي نعرف أن جزيرة العرب في الحديث هي الحجاز ولو علم أبو الكلام ذلك ما أفسده الأمر.

"للفقراء المهاجرين" إلى "هم الصادقون" هذا الصنف الأول من حزب الله هم يريدون إقامة سلطنة القرآن ولذلك أخرجوا من ديارهم وأموالهم كما شاع عند عامة أهل العلم أن المفارقة التي وقعت بين المسلمين والكفار في أول نشأة الإسلام بمكة كان منشوء الاختلاف الفكري فقط، والذي تحقق لنا أن هذا أمر باطل. قرئ ما كانوا يمنعون عن أفكار الناس، فهم كانوا طوائف، فيهم كانوا ضعفاء، فالمسلمون في فكرهم ما زادوا على الخفاء في شيء في مبدأ الدعوة الإسلامية، فما كان هذا منشأ اختلاف القوم فيما بينهم. للمسلمون كان مطمح نظرهم إبطال كل سياسة تخالف نظريتهم وإقامة الحكم تحت هداية القرآن فقط. هذا كان محل نزاعهم وهم جعلوا شعار سياستهم كلمة لا إله إلا الله، فلذلك كان المشركون يفتناظون إذا جهر المسلمون بلا إله إلا الله، لأن مرادهم بذلك لا حكم إلا لله، وحكم الله منحصر فيما يلهم النبي عليه السلام، فجعلوا للخالفية فقط مخالفة فكرية قول صدر من رجال لم يعرفوا الحقيقة الاجتماعية فالمهاجرون إنما أخرجوا من ديارهم وأموالهم لأنهم يصرون الله ورسوله وهم تركوا

١ - شاء ولي الله، حجة الله البالغة، ٢: ٢٧٦.

أوطانهم إذا تحقق في نظرهم أن الإسلام يقوم على ساقه في ذلك الموطن فتروا ما كان عندهم وما التفتوا إليها وجاؤوا إلى محل نشر الإسلام.

"يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ". فحاصل خصوصيات الصنف الأول أنهم فهموا السياسة القرآنية انقلاب العرب والعجم كلها وسعوا لتكميل ذلك في مكة مركز الحنفاء فأخرجوا لرعايتهم المصلحة الوقتية للإسلام. الإسلام ما أراد أن يشرع في الحرب بدون تخليص المركز والا فكانوا هم يجاهدون، يعني لا يقصرون في شيء يقبلون عليه من نصرة الإسلام وهم ما تركوا أموالهم تزهيدًا بل يبتغون أفضل وأحسن من ذلك فهولاء اجتماعيون. هذا وصفهم الثاني. ويحترمون بنجاح طريقهم فإذا كانت جماعة تحققوا تلك المبادئ في نفوسهم وهم أعلى صنف في ذلك الاجتماع والصنف الثاني أنصار الصنف الأول ما وصلوا في الفهم من مقاصد القرآن إلى منزلة الأولين ولا صرفوا قوتهم في نصرة الحق مثل الأولين فهم في الدرجة الثانية. أول وصفهم تبنوا الدين المسلمون كانوا يحتاجون إلى مركز فهم تفسحوا وجعلوا بلدتهم مركز الإسلام وهم يعرفون الجماعة التي تنزل تلك البلدة تغلب عليهم أيضًا فما شرطوا على النبي عليه السلام لما بايعوه عند العقبة لا أن النبي لا يتركهم إذا نصره الله على أعدائه فرضوا أن تكون بلدتهم مركزًا دائمًا للإسلام، لكن ذلك بقوة المهاجرين، ليس فيهم همة إن لم يأتهم المهاجرون أن يجعلوا بلدتهم بقوتهم مركز الإسلام، فتحقق أنهم أنصاره و أنهم في الدرجة الثانية من المهاجرين، والوصف الثاني فهم تبنوا الإيمان. العلم بالقرآن والسنة إذا كان مجردًا عن المخاصمات السياسية يسمى بالإيمان وليس المراد منه نفي المخاصمات السياسية كما ظنه الجهال في زماننا في بلادنا، لكنه جمع الاستعداد للمخاصمة والمجادلة والمقاتلة، فمطمح النظر لا يتغير عن الدرجة الأولى. اقتضاء الوقت هو عدم الالتفات إلى المخاصمات ويتركها في ظرف محدود، والسري في ذلك أن الذي أراد القتال ولم يصير أيمًا على ترك القتال إذا اقتضت المصلحة هو لا يقدر على القتال أبدًا إنما يكون متجاسرًا بقتل وليس هذا مطمح نظر أحد من المسلمين، هم يقتلون ويقتلون، فهذا العزم دائمًا يكون على حال واحد والأعمال تتبدل تحت مصالح الوقت، فالأنصار بلدتهم مركز للعلم قبل هجرة النبي عليه السلام. أرسل إليهم النبي عليه السلام رجالًا يعلمونهم الدين والقرآن، فكان في ذلك الزمان غاية جهدهم هو تعليم القرآن وجعل كل قبيلة تخضع لحكم القرآن. وهذا يسمى بالإيمان، فهذا الإيمان كان أساس السياسات القائمة كلها. غرضنا تجريد هذا الإيمان عن عزم الجهاد ومخالفة الكفار وإرادة إقامة سلطنة قرآنية لا يترك ما بقي بعد ذلك من العلم إيمانًا. قوله: من قبلهم أي من قبل المهاجرين. النبي ﷺ وأصحابه هم عزموا على جعل بلدتهم مركز الإسلام وأرضوا قبائلهم على ذلك ثم اشتغلوا بتعليم القرآن فيهم، فجعلوا بلدتهم مركزًا للعلم. هذا عملهم بأنفسهم ثم جاء المهاجرون فصار مركزًا أساسيًا دينيًا. هؤلاء الناس ما كانوا أغنياء كثيرًا، لكن بهم من خصاصة يؤثرون من هاجر إليهم من الفقراء على أنفسهم وكل ذلك لحبهم الدين ما أظهروا بذلك الأمر على المهاجرين يومًا من الأيام فهولاء الصنف

الثاني أولئك هم المفلحون من حزب الله هو المهتدون إلى يوم القيامة والصنف الثالث من يأتي بعدها في الإسلام، فإن هم رضوا بكون المهاجرين والأنصار مقتدى لهم، هم ملحقون بهم وهو معنى قوله "والذين جاؤوا من بعدهم الخ" إذا اتخذ الرجل من غير الأنبياء إمامًا يقتدي به إن كان ذو فكر يجد في أعماله حل الانتقاد أيضًا فما يكون عمله بعد الانتقاد إن اعتقد أنه كان مجبورًا معذورًا وكل من يعمل في تلك الحالة لا يخلو عن ذلك النقص فيخفره له ولا يترك اقتداءه به وإن كان رجل بعد انتقاده لا يخفره فلا يكون هو مقتدى به أبدًا.

الحاصل أن الرجل المقتدى به إن كان نبيًا فطريقه غير ولا تبحث وأما إذا كان المقتدى رجلًا غير نبي لا بد أن يوجد عنده خطيئات فإن تقرر عندنا أنه إمام لنا لزم علينا أن نغفرها وندعو ربنا أن يغفر له وبدون ذلك لا يتم الاقتداء ففهمنا حكمة قول الله: "والذين جاؤوا الخ" المراد من الذين سبقونا بالإيمان هم السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار هم الذين جعلهم الله القوة المركزية في إمضاء أحكام القرآن، لأن الانقلاب لا يتم إلا بظلة أشياء: ١- نصب العيون، ٢- برنامج، ٣- اللجنة المركزية. كل اختلاف يرد إليهم، فقصوا في ذلك بقضية هو الحق مما كفر، فالله جعل لنا نصب العين. "هو الذي أرسل رسوله بالهدى الخ" هو الذي لا يتبدل وغرض كل مؤمن في جميع أعماله لا يكون إلا ذلك، وفيه إرادة الخير لجميع أقوام العالم، لأن الهدى ودين الحق الذي عرفناه ليس وراء ذلك شيء ينفع الإنسانية، ففهمنا أن يكون ذلك الحق قاضيًا في جميع الأقوام والبرامج الذي عينه الله لنا هو القرآن لا ينسخ ولا ينسى، والحكم في المسائل المختلفة في المؤمنين بتلك البرنامج راجع إلى اللجنة المركزية بعد النبي ﷺ وفي زمن النبي ﷺ هم كانوا محل استشارته وحل أمائته، فحياتهم في كونهم قدوة للإسلام متساوية في زمن النبي ﷺ وبعده، وهم للسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار. نص القرآن أن الله رضي عنهم وهم رضوا عن الله. معناه أن الله سجل على أعمالهم كلها حسنة، ففضاء هذه الجماعة تأخذ في المسلمين ومن خالفه فهو مبطل. تلك الكلمة الثالثة أخذناها من ولي الدهلوي في إزالة الخفاء وما تبع ذلك الكتاب في الرسائل الأخرى في بيان خلافة الخلفاء الراشدين، فقرر فيها أن الحكم بعد النبي ﷺ راجع إلى المهاجرين الأولين والأنصار السابقين فقط، فمن قدموه إمامًا كان إمامًا، فقدموا أبا بكر فكان هو ولو قدموا عليًا لكان هو، فالتزاع فيه في المزايا الشخصية لا طائل تحته. هذا تلخيص كلام الشيخ في المواضع المختلفة وليس اتزاعها من كلام الشيخ سهلًا على كل رجل يطالع كتبه لأن الشيخ يسير في عامة أفكاره مع الأشاعرة إلا في أمر لا بد منه، لأن أهل عصره لا يقبلون منه شيئًا إلا أن يوافق الأشاعرة أو لما تريد، فهو يتكلم غالب كلامه موافقًا لذهنية أهل عصره وإذا وقاهم بالتنسج لفهم نظرياته يصرح بذلك بهذا الطريق. يارك الله في عزائمه فجعل الله جماعته من المخلصين لا يبتغون إلا قوله ونصرهم الله في الهند، فكانوا هم الطائفة المنصورة لا يضرهم من خلدكم، ثم زدت بعد كلام الشيخ فيه كلمة أن تلك الجماعة جماعة السابقين الأولين من المهاجرين في الأنصار في زمن النبي ﷺ أيضًا كانت هي المتبوعة. القرآن نص على أن

الأعمال السياسية قام بها محمد رسول الله والذين معه، فجعل أعمالي ذلك العصر مستنداً إلى تلك الجماعة التي يرأسهم النبي ﷺ ثم يرأسهم بعده أبوبكر ثم عمر ثم عثمان حتى وقعت الفتنة، فبطل في المسلمين الأخذ بأحكام تلك الجماعة. لتقسموا على أحزاب متشقة، يؤمهم رجال من كهولاء الأمة لكن ليسوا بوصف الاجتماع، فمن أولاً بعثة النبي ﷺ إلى قتل عثمان، المتبوع حكم تلك الجماعة، هذا الذي هذبت أفكار الشيخ وعند الشيخ إشارات صريحة، لكنها متشقة لا يقدر رجل أن يجمعها بسهولة بعد ما تقرر عندي كل هذا صفاً في هذا المشرب أن القرآن جاء بانقلاب عسومي للإنسانية وقرره أعلى درجة يمكن للانقلاب في الإنسانية، فلا يمكن أن بعد نبينا نبي، القرض على المسلمين هو الاقتداء بالسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار في عملهم بالقرآن والسنة. "وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا" الإمامة تعينت للذين سبقونا بالإيمان ثم المؤمنون بعد ذلك إنما يكونون رواداً فنقبل روايتهم العمومية ولا نتخذ منهم فرقة إماماً، وبذلك يكون عندنا المحاربة والغل للذين لا يقتدون بإمامة تلك الطائفة، فيفسد الأمر، فالأحسن للمسلم أن يصرح بإمامة رجل كان من كان بعد السابقين الأولين إلا مثل إمامة الصلوة، يجمع جماعة فيقدمهم رجل، فإذا فرغ عنها انضم مع الصف. تعيين مقام الإمامة لهم لأئمة المساجد يفسد اجتماع المسلمين. في اصطلاحاتنا للسياسة اليومية واحد رئيس يقال له يهتدون وآخر يقال له ترمين^(٩) الأول يكون مستقلاً لزمن مخصوص، والثاني يتخبط في مجلس مخصوص فقط، فعندنا الأئمة بعد السابقين الأولين كلهم في درجة ترمين. نحتاج إلى إمام في وقت مخصوص نقدم رجلاً، فإذا تم عمله لحق بإمامة المسلمين، ليس له خصوصية. هذا معنى قوله عندنا ولا تجعل في قلوبنا غلاً الخ.

لطيفة

سألني رجل في الحرم: أنت حنفي، ما وجه تقديم الحنفية على غيرهم عندك؟ قلت: أمرنا المسلمين في بلادنا من الفتح إلى تطلب النصارى الأكثر منهم كانوا حنفيين، ونظموا الرعايا بواسطة المعلمين والقضاة بالفقه الحنفي، فأنا أيضاً نشأت فيهم وتعلمت منهم فأنا حنفي. لو كان علينا رجل من المؤمنين أميراً وأمرنا بالفقه الشافعي أو المالكي لكنت متبعاً لهم، فقال لي لو أمرك الأمير باتباع فقه الشيعة قلت: لأتبعه، فتصير. هذا الذي فهمنا من قوله: "لا تجعل في قلوبنا" الخ فإذا رأينا أن أميراً أمرنا باتباع الفقه الحنفي، ثم وضع لنا خطأ من أغلاطهم، خالفوا السابقين الأولين في تلك المسئلة، نرجع إلى الأمير ونقول له أنت تجعلنا في معافة من اتباع تلك الخطيئة، ونحن ننظر إلى أن الأمير يجعلنا في حل من ذلك، بل يأمر جميع رعاياه أنهم يتركون تلك الفتوى من الفقه الحنفي، وهكذا إذا أمرنا الأمير باتباع فقه الشيعة، نطيعه في ذلك، وكل ما ثبت عندنا أنهم خالفوا فيه السابقين الأولين نراجع في ذلك الأمير،

١ - اللفظ هكذا في كلتا النسختين، فما فهمت المعنى لمراد.

فيكون اتباعنا دائماً لكتاب الله وسنة نبيه ﷺ على منهاج السابقين الأولين ولا تخالف المسلمين ولا تتخذ بعض الناس أمة ونفرهم عن اجتماعهم.

إلى اختتام الآية ربنا إنك رؤوف رحيم، ثم تنظيم حزب الله وتعلكه لما فتح الله على المؤمنين بالصلح، وفي زمن عمر بن الخطاب وقع النزاع، فما فتحوا من سواد العراق، فطلبوا من أمير المؤمنين أن يقسمه على سهام الغزاة، وهو رأى رأياً غيره، فتمهل فيه سنة أو سنتين ثم جعله داخلياً تحت هذه الآية، وجعله موافقاً على المسلمين، عامة واتفق السابقون الأولون ثم جرى عليه جميع أمراء المسلمين في زمان بني أمية. كلما فتحوا من البلاد جعلوا أراضيها موقوفة. فعل ذلك الإمام ولي الله في رسالته في مذهب عمر بن الخطاب التي جعلها جزءاً من إزالة الخلفاء، وانتصر في ذلك للأمير المؤمنين وعين أساس حكمه ورد على من خالفه من الفقهاء مثل الشافعي وبعض الأشياء من أبي يوسف. أما نحن على طريقتنا فرأى أمير المؤمنين واجتماع السابقين الأولين على رأيه، نجعل ذلك للحكم ملحقاً بالقرآن، لا نجبر لأحد خليفة أو إماماً أن يخالفه، وتم بذلك نظريتنا في الانقلاب الإسلامي، فبيننا وبين إخواننا في شرح الانقلاب الإسلامي اختلاف. الأرض التي كانت تحت سلاطين القاهرة كانوا يستثمرون كل ما أخرجته الأرض لأنفسهم وكانوا مع ذلك مشركين أو متساهلين في إقامة دينهم، فالإسلام جاء بالانقلاب ونزع من أيديهم الأراضي كلها وإخواننا يقولون ملك تلك الأراضي للمسلمين الموحدين ونزعها من أيدي المشركين والمجاهلين، فأمر المسلمين خالفوا كسرى وقبصر في الانفرادية التي كانت شائعة في سلطنتهم. الملك في كل المملكة كان للسلطان فقط، ثم من يعطينا السلطان، فتبدل نظام الكفر بنظام الإسلام. أما الانفرادية فقائمة بحالها. الآن جميع ما في المملكة من الأملاك إنما هو لسلطان المسلمين أو لمن يعطيه هو. هذا هو خلاصة نظرية إخواننا في الانقلاب الإسلامي، وأنا أيضاً كنت على ذلك زماناً لكن أفكارى كلها كانت تدور حول نظريات الشيخ، فأخالف إخواننا في بعض الأمور لكن بدون شعور وبعد ما زاد تبصرنا في السياسيات ورجعنا إلى ما كان كامناً في دماغنا من نظريات الشيخ، سهل علينا فهم الانقلاب على الحقيقة، فخلاصة رأينا أن الإسلام هدم تلك السلاطين الكفرة مثل كسرى وقبصر وأقام مقام ذلك تلك جماعة المسلمين تحت هذه الآية الكريمة، فما حصل من الأراضي بالفداء أو بالغنيمة موقوفة على المسلمين الذين أوجدوا الانقلاب الاجتماعي بإرشاد القرآن، فالمرجعون^(١) لاحق لهم في ذلك، والسلطان والأمير من المسلمين يكون وكيلاً عن المسلمين في تقسيم خراج الأراضي الموقوفة، لا يقدر على تملك قطعة منها لرجل، فإذا تملكنا على إقامة نظريتنا في الأراضي المملوكة للمسلمين اليوم والتي خرجت من أيديهم لآل كروم، فإلى هي موجودة في أيديهم نجعلها وفقاً على جميع المسلمين سواء بسواء، ترجع الاجتماعية الإسلامية إلى شأنها الأول، ويخرج من بينهم الحكام الانفراديون

١- هذا اللفظ غير واضح في كلتا النسختين.

ويكون للرجع في كل ذلك إلى تأسيس جماعة مشتركة من جميع المسلمين، تملك تلك النفقات وتقسيمها يكون مركز تلك الجماعة. الحجاز محل اجتماع المسلمين في موسم الحج وبحسب كون الحجاز أرضاً غير ذات زرع، تكون أهلها دائماً محتاجين إلى مرافقة جماعة المسلمين، فمن اليوم الذي تنبعت لهذا الفكر من إزالة الحفاء تحورت في عقله المسلمين وعدم تقديرهم في أمور الدين، ونحن بمحمد الله بقي لنا في الهند من كابل وقندهار إلى دهلي أكثرية الأرض بأيدي المسلمين، فلما جعلنا وفقاً مشتركاً بين المسلمين قدراً على إنشاء حكومة اجتماعية إسلامية تتبع في عامة خطواتها السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، وتبطل في أثناء ذلك كل التقاليد التي بقيت من الملوك والفقهاء والمشايخ أو الزعماء، ونحن نظرن في قوتنا الاجتماعية فلسنا مأبوسين من تمكنا من إنشاء تلك الحكومة، ونحن مشغولون بإنشاء حزب سياسي يتم ذلك الأمر، والله الموفق، فإذا تم تنظيم حزب الله، فالذين يخالفون طريقهم ولا يتبعونهم هم المنافقون. الغلبة السياسية لتعليم القرآن لا يمكن تحصيلها إلا بتنظيم حزب على أصول حزب الله المتبعة في كتاب الله، فمن يخالف الحزب هو يخالف في الحقيقة أن يحصل لتعليم القرآن قوة سياسية ومن يخالف في هذه النظرية، يعني لا يجب أن يكون لتعليم القرآن قوة سياسية، فهو المنافق وهم درجات بعضها فوق بعض، وإذا حققنا ذلك ببصائرنا لا تقع في شبكة المنافين الذين جعلوا أقوالاً من الأئمة السابقين غيروها عن مواضعها طريقاً للدعوة إلى الدين وهم أحزاب كثيرة في بلادنا. جماعة مشايخنا الديوبنديين كانت في الأصل مخالفة لجميع تلك الأحزاب لكن مع الأسف انقسمت جماعتها أيضاً إلى أحزاب فالأكثرية راجعة إلى أحزاب المنافقين ولكن قوة التمييز ما فقدت منهم إلى الآن فخرجوا من الله إذا بثنا الدعابة فيهم يرجع أكثرهم إلى الحق الآن بأي ذكر المنافقين.

"أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَافَقُوا... إِنْهُمْ لَكَافِرُونَ" جماعة من المنافقين أظهروا بكلمة الإسلام وسياساتهم متحدة مع المحاربين من أهل الكتاب لهم دخل في الاجتماعية الإسلامية رجل يكون منافقاً بولده يكون مخلصاً فهم متشبهون مع المخلصين فالمخلصون إذا حاربوا الكفار هؤلاء هل يقدرون على أن ينصروا المحاربين؟ لا يقدرون، فهم كانوا غرأ أهل الكتاب بأقوالهم فقط، وأهل الكتاب إذا همتم بخافتهم يخافونكم لأن في جماعتكم إخلاص وحب التقدم وقواهم منحلة وأفكارهم ارتجاجة فلا يقدرون أن يقاثلوكم في الظاهر هم يعرفون أنهم قوم واحد وفي الحقيقة ليسوا كذلك. "تحسبهم جميعاً الخ" لأن اتفاقهم على تحميل كتاب الله الذي يؤمنون به ليس بوجود لا يخافون من الله أي من مخالفة كتاب الله ويخافونكم لعدم إيتلاف أفكارهم. قلوبهم شتى فلا يقدرون أن يحاربوا قلوباً قلوبهم قلب رجل واحد، فالظالمين يظلمون على أهل الكتاب وعلى المنافقين كلهم، وهذا كله بركة تنظيم حزب الله، أفكارهم الآن متحدة وما يحصل لهم من الفروحات يكون للجميع تحت القانون، فلا يكون سبباً للاختلاف في المستقبل أيضاً، فبذلك يظلمون على أعدائهم واحداً فواحداً، فاليهود يكون مغلوبين مثل أهل مكة. هذا معنى قوله: "كمثل الذين من قبلهم قلوباً الخ" ويغلب المنافقون بعد مغلوبية أهل الكتاب ويرجعون إليكم بالقول أنهم كانوا معكم هذا

معنى قوله: "كمثل الشيطان إلى الظالمين" تمت البشارة بأن المسلمين يظلمون أهل الكتاب والمشركون والآن ينبغي على الطريق الذي يلزم عليهم أن يسلوكوه وإلا يلتحقون بأهل الكتاب المغلوبين بكلمة مختصرة يحفظها الأميون. "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ" معناه أقيموا العدل في الدنيا موافقاً لكتاب الله. "وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ" تنظرون في المستقبل ما تعملون ولا تنظروا إلى الوراء عملنا لكذا وكذا لأن الإنسان في حياته يحتاج كل يوم إلى غذاء جديد وهل يمكنه أن يذكر أني أكلت كذا وكذا في يوم كذا وكذا. إذا جعلتم التفكير في المستقبل إمامكم لا تنسوا ليس يلزم عليكم إلا إقامة العدل وفق كتاب الله ولذلك "وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ" وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَلَوْا عَنْ كِتَابِ اللَّهِ أَي أن العمل وفق كتاب الله كان فرضاً عليهم فوقوا في الحرافات والأراجيف والأمانى. أول بركة كتاب الله أنه يعلم أفكاراً يمتنع عليها الإنسانية في مختلف أدوارها، فإذا تذكر الإنسان كان اجتماعياً إنساناً حقيقة، وإذا نسيه صار كالشيطان ينفرد بنفسه بالأمانى، ويعمل لذلك بالكذب والخيانة ويسمى السياسة فالسياسة الاجتماعية هي اقتضاء الإنسانية، فإذا تذكر كتاب الله يهديه إلى الحق وإذا نسي جزأه، أنساهم أنفسهم" هم مع قدرتهم على كثير من الأشياء يحسبون أنهم لا قدرة لهم، فإذا كانوا اجتماعيين نشأت في قلوبهم قوة اليقين بالنجاح والفلاح، فالإنسان إذا جمع معه رجالاً من الطبقة السافلة يكون عظيمًا والذي ينفرد لنفسه ولا يجتمع معه الجماعة إلا بارتشائها، لا يقدر على شيء. يحتاج إلى أموال كثيرة وهي غير موجودة عنده، فيجلس، وأما الاجتماعي فيعمل الجماعة بالأموال بل الأموال تحصل بالجماعة، فالأمر يكون سهلاً عليهم فالذين تركوا كتاب الله وجعلوا أنفسهم متدينين بذلك الدين بل من أهمتهم هم الفاسقون. "لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ" المبطلون من أهل المذاهب والفاسقون منهم يأتون بالأمانى إن لم يحصل لنا فوز في الدنيا ففي الآخرة. نحن نملك الجنة. رد الله أمينتهم ذلك. "أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ" الذين يفوزون بأعمالهم بإرشاد كتابهم هم يستحقون الجنة، فالرجل الذي ترك الكتاب ولا يعمل به فلا يفوز هو ولا جماعة. "أولئك أصحاب النار" وأما الذين يعملون بالكتاب، فإن رجل منهم يموت في الطريق فالجماعة لابد أن تفوز، فالشهداء الذين أوصلوا الجماعة إلى تلك المرتبة، أليسوا من الفائزين؟ فقياس هؤلاء للمبطلين أنفسهم على الشهداء قياس باطل. "ولو أنزلنا هذا القرآن" الخ الجبال الكبار تفرضوها إنساناً، فإذا أنزل على قلوبهم هذا هو مع قوته العظيمة يخشع لأمر الله ويتصدع من خشية الله، وتتفرق قطعاته، فالإنسان إذا تدبر في القرآن وتذكر، يجعله خاشعاً لأمر الله، فيكون قتله في سبيل الله سهلاً عليه. هذا هو الفوز، فالذي يجعل نفسه بعيداً من أن يقتل في سبيل الله وهذا المرض الذي يجعلهم متباعداً عن حزب الله لأن أعضاء حزب الله كلهم متحيّون لأن يقتلوا في سبيل الله ويقتلون أخصائهم ويعدون فوز حزب الله فوز الجماعة فوزهم، فإن تمثّلوا في الطريق فلا يرون أنفسهم أنهم لم يفوزوا، فإن كان جيل إذا تدبر القرآن يتهاى لأن يقتل في سبيل الله، فينضم في جماعة حزب الله على الفور. "وتلك

الأمثال" الخ الإنسان وإن كان كبيراً لا بد أن يموت وإذا جعل نفسه متهيأ للموت في سبيل الله، يكون أحسن. هذا الأمر هو الذي يتذكر فيه المسلم. "هو الله الذي" الخ الإنسان إذا مات في سبيل الله، فالله يجزيه بأحسن ما يمكن من الجزاء، لأنه هو عالم الغيب والشهادة ولأنه هو "الرحمن الرحيم". فالإنسان يبيع نفسه لله والله يرحمه. يرحمه الله لأنه هو الرحمن الرحيم. للملك يتبعه السياسيون في حياتهم الدنيا، يكون في ذلك الانفرادية منبع الظلم على الإنسانية، والمسلم إنما يأتي بالاجتماعية للنفع العمومي للإنسانية، مدار إقامة العدل في الإنسانية ويجعل الملوكة مختصة لله سبحانه وهو في ملكه لا يظلم أحداً ولا يظلم عليه أحد. هذا معنى قوله هو "الملك القدوس الخ" "سبحانه عما يشركون". إثبات الملوكة لغير الحق نوع من الإشراك، مفسد للأخلاق، فهم إذا إثبات الملوكة فهم إذا قرروا الله بالملوكة، فلا يجعلونه معه شريكاً آخر في القلبية الماثورة في الملة الخفية ليبيك لاشريك لك ليبيك. إن الحمد والنعمة لك والملك لاشريك لك. الحمد والنعمة والملك هذه الثلاثة لله وحده لاشريك له. تلك عقيدة الخفية وزادوا فيها كلمة بتحريفهم إلا شريكاً تملكه وما ملك رد الله تحريفهم بقوله: "سبحان الله عما يشركون". قوله: "هو الله الخالق البارئ المصور". معناه عندنا ملكه دائماً في جميع الحالات والله يخلق في كل زمان خلقاً آخر، يصور صوراً، يأتي بالاشياء البديعة لم تكن في السابق، لكن ملكه لا يكون فيه شريك آخر. "الأسماء الحسنى" كلها لا تستعمل يوماً ما، فالإنسان لا يتفائل عن إثبات الملك لله في كل زمان سواء سواء. الإنسان في بعض الأوقات يظلم الإنسان وبعض الأوقات يتصف في حق الإنسان وأما الملك فهو يدوم لله سبحانه. "يسبح له ما في السموات والأرض" الظلم الذي يكون من الإنسان يأتي الله لإصلاحه بإنعامات كثيرة على الإنسان، فظلم بعض الناس يكون سبباً لارتقاء من يقيم العدل في الناس، فهذا الأمر إنما يرجع للإنسانية فقط. أما ربحاً سبحانه، فهو منزّه عن الظلم بسبح له ما في السموات والأرض. تسعة سورة الحشر.

"لو أنزلنا الخ" الفوز إنما يحصل للجماعة التي تجزم بالمبادئ، المبدء الذي يجتمع عليه الاجتماع يكون قطعياً عند كل أحد منهم، فيكون الفوز للاجتماع سهلاً وهذا حزب الله يكون فائزاً، وينتصرون الفوز في الدنيا، لا يحصل الجنة. هذا الفوز له تفصيل لا يكلف الله نفساً إلا وسعها فالاجتماع لا يكون فائزاً إلا إذا كان مبدأ اجتماعهم قطعياً عند كل أحد بلا ريب ويعرف أنه يقدر أن يعمل به، فعمل بعد ذلك بما استطاع. هذا بعض الأوقات موانع غير ترك العمل، فلا تحصل النتيجة ولا يقال للعاملين إنهم ليسوا بالفائزين. حاصل الأمر أن استحقاق الجنة موقوف على السعي للحق والفوز به في الدنيا وإذا كان الرجل فيه مقصراً لا يستحق الجنة أبداً، فمدار الفوز إنما هو على تعيينه التام بالمبادئ إنما حقيقة وأنها مفيدة للغاية. الأمر الحق إذا لم يكن موصلاً إلى المطلوب فهو حق بالنظريات إما بلسان الاجتماع لا يقال إنه حق، وعندنا "لو أنزلنا هذا القرآن" إشارة إلى أن إنتاج هذا القرآن للأمر قطعي لا يسده شيء، فإذا

ثمكّن عقله بالتحقيق في ذلك، يحصل له اليقين الباعث للفوز وذكر مثال الجبال إذا كان في الطريق مانعة قوية عن الطريق لأن الإنسان لا يقدر على رفعها، لكن القرآن في تأثيراته برفع الجبال عن الطريق أيضًا لا يمنع المسالكين بالقرآن شيء من الجبال، بل لو علمت الجبال أن هؤلاء عاملون بالقرآن، تخشعت لهم وصارت متصدعة للإفراج عن الطريق، فإذا تفكّر الإنسان في مثل هذا المثال، يتيقن أن القرآن العمل عليه لا يمنع عنه مانع، وكلما زاد هذا اليقين، حصل الفوز. "هو الله الذي لا إله إلا هو الخ" كان هذا شرح لصفة يعبر عنها رب الناس، والآية التي بعدها هو "سبحان الله عما يشركون" فيها شرح لصفة الله، يعبر عنها بملك الناس، والآية الآخرة "هو الله الخالق الخ" كأنها شرح لصفة ربانية يعبر عنها بإله الناس، فهذه الآيات التي فيها ذكر أسماء الله هي بيان الحكمة في أن القرآن لا يمنع مانع، لأن القرآن العظيم لا يعلم الإنسان إلا الاعتماد على رب الناس ملك الناس، إله الناس، وإذا حصل هذا اليقين لفرد أو جماعة لا يقرّبهم حلول مانع. إذا أيقنوا أنهم يعملون بأمر الله هذا كأنه بيان لحكمة أن العمل بالقرآن هو الفوز ولا يمنع عن ذلك شيء فصار تعليم حزب الله وتأسيسه مبنياً على أصول قطعية لا يردّها شيء في الدنيا ولا في الآخرة. إذا كان الأمر يعمل به حزب الله، هو أمر الله، فليتنبه الناس أن الخطأ الذي يأتي لهم في أعمالهم لا ينسبونه إلى الله، يكون لهم في ذلك فقه وحكمة. نظام السموات والأرض كلها قائم بأمر الله، لكن ليس فيها شيء ينسب العيب والنقصان إلى ذات الحق، بل يعدون أن هذا راجع إلى نظام يقتضيه طبيعة الخلق مثلاً سفك الدماء والفساد بإبطال النظام الصالح في الاجتماع من اقتضاء طبيعة الاجتماع الإنساني، فإذا تجلّى الرب فيهم بإنزال كتاب، فلا ينسب شيء من هذه القبائح إلى الحق، فكما أن السموات والأرض تسبح لله كذلك يجب على أعضاء حزب الله التدبر والتفكير في الاقتداء بالصالحين في السموات والأرض، فلا ينسبون شيئاً من القبائح إلى الله، بل يتفقهون في معرفة الأسماء الإلهية. "العزیز الحكيم". فيفوزون عن الطريقة الحقّة.

سورة الممتحنة

بسم الله الرحمن الرحيم

تعيين القانون لحزب الله في شروط الركبة كيف يخرج الركن منه؟ وكيف يدخل فيه؟ الرجل يكون كبيراً ويرى المصلحة بكل اجتهاده في خلاف نظريات حزب الله وهو يزعم نفسه أنه من أعضاء حزب الله، هل يجوز له ذلك؟ الجواب؟ لا كل رجل يكون عضواً في حزب الله، ليس له حق اعتماداً على كماله بالتفرد عن الجماعة. هذا لا يشتبه بصورة حزب الله يحكم على رجل ويستثيه عن بعض القيود لاعتبر له. هذا جائز لأن الأمر بيد الله، لا بيد هذا الرجل. وقعت واقعة. خاطب بن أبي بلتعة من الصحابة، وهو بدري، أخير أهل مكة أن النبي ﷺ يريد أن يفروهم، والتي كان يمنع عن الإخبار لأنه يؤدي إلى القتال الشديد ويذهب القوة الأصلية هباء، التي ﷺ هو نبي أمة من بني إسماعيل، والأصل في الحكمة قيام جماعة من أولاد إبراهيم وإسماعيل بإحياء الخيرية في هذا المركز، وتلك الجماعة تحتاج إلى النبي وهذا النبي هو نبينا ﷺ، فالتى ليس أصلاً في هذه الدعوة، حتى إذا أهلك قريشاً يقوم بدعوة قوم آخر إلى هذا الدين وقيمته، بل الأصل في دعاء إبراهيم وإسماعيل "وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ إِلَى الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ" فأصل الدعوة لقيام أمة مسلمة من أولاد إبراهيم وإسماعيل، وهذا متواتر في التوراة أيضاً، فبقاء قريش واهتمامهم بمهلبية النبي هو أصل من أصول الدين، فإذا وقع القتال الشديد في مكة تذهب قريش وليس هذا مقصود هذه الدعوة ولذلك اجتهد النبي ﷺ في منع الأخبار عن أهل مكة هم لم يعلموا حتى وصل إلى وادي فاطمة، فتلك مصلحة عظيمة من مقاصد حزب الله. رجل من البدريين يقوم بخطأ، ويقول إني أرى أن أصلي لا يصل منها ضرر إلى حزب الله، و في فيها فوائد، فلذلك أرسل رسولاً إلى أهل مكة، فأرسل النبي الفرسان لأخذ كتاب خاطب حتى أخذ وسئل النبي خاطباً، فأجاب أن هذا لا يضر النبي ﷺ وأصحابه، وأني كنت محتاجاً إلى تحصيل القوائد، وتحصيلها لا يضر للمسلمين، فقال عمر دعني أضرب عنقه، وعفى عنه النبي ﷺ لكونه بدرياً، لأن أهل بدر خدموا الإسلام في زمان يستحقون به العزة إلى آخر حياتهم، فإن جاءت منهم خطيئة، لزم أن يعفى عنهم. كان الله أكرم نبيه أن يقول لهم اعملوا ما شئتم قد غفرت لكم ما تقدم من ذنوبكم وما تأخر، فهذا العفو إنما كان لخصوصيته فلا يدخل تحت نظر القانون، فالقانون لا يفر أي رجل كان إن خالف مصلحة حزب الله، وإذا فعل ذلك، فهو من المنافقين. الواقعة ثابتة في الصحيحين^(١) وباقي الإشارات أخذناها من الآيات الثلاثة الأولى من سورة الممتحنة.

^(١) - أخرج البخاري هذه القصة في مواضع مختلفة من صحيحه منها: كتاب تفسير القرآن، باب لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء، رقم: ٤٨٩٠.

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا... فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ" فيظهر من ذلك أن إلقاء الخبر إلى الكفار وهو أدق عمل إغائتهم يضل الرجل عن سواء السبيل. نحن نحيرنا لما وقع الحرب بين الحكومة المتقلبة على الهند وبين الحكومة المركزية للمسلمين. البقاء في الهند لرجل له اتصال بالحكام لا يمكن إلا بتأييدهم بأي صورة كان، وإذا نبأ عن جميع ألوان التأييد، فهذا الرجل له اتصال بالحكومة، يعني يعرف الحكومة لا يبقى سلباً وإذا لم يتبرأ لم يسلم، فكان التحير من هذا الوجه كيف أقمنا نحو مائة سنة تحت حكومتهم والعلماء والزعماء يجعلوننا مطمئنين أنه لا يضر ديننا أبداً. ما كان المخلص إلا أن يخرج الرجل من دائرة حكومتهم، لكن الرجل الذي يعرف الحكومة لا يستطيع الخروج أيضاً في ذلك الزمان. تلك الواقعة كانت فاصلة بين الحق والباطل. لا يبقى دينه سلباً إلا لمخالفة الحكومة الكافرة وأنا كنت ممن يتعلق في الأعمال السياسية بإرشاد شيخنا من سنة ألف وثلاث مائة وخمسة عشرة هجرية، وكان نشيخنا برنامج كبير لمخالفة الحكومة وهو عياً نفسه وجماعة من خواصه لعمل ذلك اليوم، فاستعملنا الحيل للخروج وفرتنا محمد الله، ونحن نعلم أن هذا الأمر لم يكن سهلاً فقط لو بينا احتمالات الخروجنا من الهند، صار كتاباً كبيراً وأهم الأشياء للذين يعملون في السياسيات، لكننا لانقدر عليه؛ لأن استفادة أعدائنا منه متينة واستفادة رجالنا مشكوكة، فلا نجترأ عليه. الحاصل الإغاة في أيام الحرب لكفار يجعل الرجل منافقاً كائناً من كان إلا أن يكون له سابقة الأعمال، ويكون في نظر الله أنه معذور، فهو مستثنى، وأما غيره فليس يمهق عنه عندنا، فإذا دعونا الناس إلى القرآن، أهم الأشياء في القرآن هو هذا، وأما دعوة التوحيد للمسلمين ليس شيئاً بعيداً عن عقولهم. الإمام ولي الله الدهلوي كما هو إمامنا في علوم الدين والقرآن والحديث والفقه والحكمة كذلك هو إمامنا في تأسيس الحركة السياسية. هو علمنا أن بيعة المتصوفين فيها تشابه بالحكومة الاجتماعية التي كانت للنبى بمكة، ولذلك هو هذب قواعد المتصوفين وأنشأ على طريقهم حكومة اجتماعية وكانت له أعمال عظيمة في نصرة المسلمين على الكفار في تاريخ الهند معركة (بانى بت). من أهم الوقائع أنه مرهون كانوا تدير التغلب على إمبراطورية الهند، فكسرت قوتهم كلها في تلك المعركة، وكان ذلك بتربية رجال لهم تعلق بالإمام ولي الله، ثم قام مقامه ولده الإمام عبدالعزيز وفي زمانه دخل الإنكليز في ضلالي باسم المحافظة والخدمة للسلطان، فالشيخ نظم الحكومة الاجتماعية في الدرجة الثانية بعد أبيه وخرج جماعة المجاهدين لاستحالة المسلمين الأناغنة والأثراك لمحاربة الهند، فاستشهدوا وفاز الإنكليز، ثم قام مقام عبدالعزيز حفيده ابن بنت مولانا محمد إسحاق الدهلوي، وهو حكم بأن الحركة التي نظموها لا تنلج، بل لابد من تنظيمها على وجه آخر، ولذلك هاجر إلى مكة، وكان يرسل بعد تعليم الناس الرجال إلى الهند لتنظيم حزب جديد منهم. كان الأمير إمداد الله أمير الطائفة الديوبندية ومؤسس حركتهم، فهم عملوا في آخر حركة في الدهلي بضد الإنكليز، فهاجر الأمير أيضاً إلى مكة وعمل على طريق شيخه يبعث رجال له إلى الهند لتنظيم حزب أحكم من الثاني، فكان مولانا محمد قاسم من الدين وكلهم الأمير إمداد الله، فأسس مدرسة ديوبند وكان هو مركز حزب

جديد من أتباع الشيخ إسحاق، وبعد مولانا محمد قاسم قام بأعماله رشيد أحمد الديوبندي، وبعده قام بأعماله مولانا محمود حسن شيخ الهند، فهؤلاء الأئمة كلهم من زمان الإمام عبدالعزیز حكموا على الهند بأنها صارت دار الحرب، فالقيام في الهند في تلك الدار لا يجوز إلا لإعداد الجهاد، فالشيخ قام وتبعه الناس في أول أمره قليلون؛ لأن القانون العسكري كان نافذاً في جميع أطراف الهند، والناس كانوا ساكنين على الغيظ، فلما حصلت لهم فرصة بعد انتهاء الحرب، أقاموا غوغاء وصلت إلى السماء، وانفجشت الحكومة. وهي معترفة في تاريخ الحرب العظيمة بعظمة تلك الحركة. سر برس كاكس مأمور إنكليزي في إيران وتوركيا، له مقالة في دائرة المعارف (المجلد الخامس بتاريخ الحرب)، قال إن الأتراك أخطأوا في عدم توجيههم إلى كابل. إنهم وصلوا إلى الديار وكان للمسلمون الهنود هيأوا لهم ميدان الفوز من كابل إلى أقصى الهند، وما كانت عند الإمبراطورية البريطانية شيء يقاوم تلك الحركة لصدهم. لصد الأتراك عن هذا الفكر أشغلناهم في العراق وبغداد فانصدعوا. اهـ^(١) وعندني فراسة بأن الإنكليز استعانوا في تكميلهم ذلك للمقصد بالقواد الألمانية أيضاً، ثم رجل آخر من الإنكليز من أساتذة التاريخ كتب مقالة أو رسالة في الانقلابات التي حدثت بعد الحرب، فاعترف أن الحركة في الهند بقوة المسلمين كانت أكبر مما وقع في تركيا ومصر، فهذه الاعترافات لا يفهمها المسلمون ما معناها. ما كان إلا هذا البذر الذي ينوره شمسنا صار عظيماً، دخل الهنود كلهم في الحركة، فكذلك الأفاغنة كلهم، فكانت موقع الدهشة عندي لم تشعن نحن من تلك الحركة القوية بل صارت مفيدة لأعدائنا. هو تغافلنا عن مطالعات للسياسيات الاجتماعية وحل انقلاب القرآن على نظريات تلك السياسة. غاية ما نعرف من السياسة هي سياسة الملوك، سياسة الشياطين هي سياسة ملعونة تخالف القرآن والسنة. فقط بسبب هذم اختيارنا بقوة أعمالنا انتفعنا بشيء وهذا عندي تأويل قوله: "نسوا الله قالت لهم أنفسهم" نحن تركنا مدارس القرآن على نظريات السياسة الاجتماعية الانقلابية، وكان إيماننا ولي الله الدهلوي نبهنا على ذلك في حجة الله البالغة، فصحن مع وجود القوة عندنا نقول لاقوة عندنا، فكأننا نسينا القرآن، فأنسى الله أنفسنا، وما تنبهنا عليه إلا بعد ما رأينا انقلاب روسيا واندحاش الرأسماليين منها، والعجب أن الإمام ولي الله يقول إن القرآن إنما جاء لرد سياسة الرأسمالية التي أقامها كسرى وقبصر، وبعد ما عجزنا في تلك الحركة لاثلوم إلا أنفسنا، فإذا غفر الله لنا تلك الغفلة، و أبقت جماعة شيخ الهند الذي هو متوارث عن الإمام عبدالعزیز، فقد نظن أننا تكفي كفاية المسلمين والقوة التي عندنا هي كافية لرد مصائب جميع المسلمين، فنحن لا نحتاج إلى أن نستعين بأحد من المسلمين إلا أن يتيقظ ونرى أكثرهم أنهم ينامون ويصرفون أفكارنا عن الاشتغال بسياسة بلادنا، وتعرف أن هذا احتمال قوي من أعدائنا، لا يتنبه عليه المسلمون عامة. طال الكلام، لكن المقصد كان هو هذا. إن سكوت قوم وسكوهم تحت حكومة الكفار لا يفي لإيمانهم

١ - لا أدري إلى أية دائرة للمعارف أشار الشيخ وأخذ منها هذا النص.

خالصًا، والمبتلى بذلك إما نحن وإما تركستان. "إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء" رجاء النفع من العدو والمخارب حق وضعف في العقلية. هم إذا ظهروا للناس، إنهم يعملون لخيرهم، فلا يعملون إلا ما ينفعهم ويضر هؤلاء إلا أن يتركوا القرآن وينضموا إليهم، وبعد ذلك ينفعوهم لا بد، ونحن ابتلينا ببليغين: تغلب علينا قوم يخالفون القرآن، وأجانب عن أوطاننا، ونحن لا نقدر أن نستفيد منهم بوجه من الوجوه، يستعملونها لرد ديننا وإخضاع قومنا.

"لن تنفعكم أرحامكم" الخ القومية بالنسب ثم الوطنية لا تجعل مبدأ للاجتماع إلا بعد كونها داخلة تحت النفع العمومي لنوع الإنسان، فإذا كانت القومية والوطنية خالية عن رعاية أحكام الإنسانية لا تنفع أبدًا إلا قليلًا. هذا معنى قوله "لن تنفعكم الخ" يعني نفعها لا يدوم إلى آخر الحياة الإنسانية، فالإنسان يقرر أولاً مبادئ تنفعها إلى آخر الحياة، وهو ما جاء به القرآن، ثم يعتبر النسب والوطن تحتها لا بأس بها واعتبارها ضروري بعد ذلك لتقوم الحركة الاجتماعية من أجلها. "قد كانت لكم أسوة الخ" قريش إنما تقوم لإحياء الحنيفية على طريقة إبراهيم وإسماعيل، فيلزم عليهم أن يتبعوا طريقهم في العمل أيضًا إنهم تبرأوا عن قومهم أبدًا حتى يؤمنوا بالله وحده وبعد هذا القبري إنما يدعون أن يكون ضريحهم هو الغالب. هذا معنى رنا لا نجعلنا فتنه للذين كفروا أي من قومنا نحن تيرأنا منهم، فإذا كانوا هم الغالبين.

إبراهيم فعل فعلاً يستثنى له لعذر لا ينبغي التقليد أنه وعد إياه أن يستغفر له، فلمسلمون لا يتبعونه في هذا الأمر أيضًا، فإذا كان دعاء المغفرة للوالد أيضًا ممنوعًا إذا كان خارجًا عن الحزب، فكيف يجوز مخالفة الحزب؟ إبراهيم كان إمامًا في هذه الحركة في اتباع الحق وتقديمه على النسب والوطن، فالذين يتبعون إبراهيم، يستبعد منهم أن يقدموا النسب على الدين، ومعنى الدين عندنا في اصطلاحنا الحاضر الجماعة متحدة الفكر على برنامج محصوص، فمن يكون أهل العقل يترك برنامجه الذي قرره لمخالفة أهل وطنه أو لمخالفة أهل نسبه، لا نرجو هذا عن رجل تام العقل وإن كان لفظ النسب والوطن تغير مفهومه عن المفاهيم اللغوية عند السياسيين. أنا أحفظ قول رجل من الانقلابيين إن الوطنية آخر ملجأ للأولاد الحرام، فمن التجأ إلى الوطنية وترك البرنامج، لا يكون من أولاد الرشد في نظره.

فصل

المنع عن الاتصال بالأنساب والأوطان إذا كانوا مخالفين للدين الحق، لا ينبغي التشدد فيه إلى حد بالغ أشد الغاية حتى لو رجع قومه إلى الحق ما قدر على الاصطلاح معه، لأنه عامل معهم معاملة سيئة خارجة عن مقتضى الإنسانية، فليس هذا مرادًا من المنع بل يقسم قومه ووطنه إلى قسمين: قسم يحاربه على برنامجه وهذا المنع إنما يتعلق بهم قسم لم يحاربه ولم يخالفه بل لم يدخل في دينه فهو يقطع طريق الحجة والوداد على سبيل الإنصاف إذا يهديه أحد فهو أيضًا يجازيه وإذا كان رجل منهم مستحقًا لرفقه وشقيقته فلا يحرمه. بذلك يمكن الانتفاع إذا وقع تصالح بينهم على الدين. هذا خلاصة ما أخذنا من قوله: "عسى الله أن يجعل إلى الظالمون".

فصل

إذا جاء رجل من الأعداء وأراد أن يدخل في حزب الله، فما الحكم فيه؟ حاصل الحكم أنه
 يمتحن، وبعد الامتحان إذا غلب الرأي أنه يريد الحق، يعتمد عليه. هذا حاصل قوله: "يا أيها الذين
 آمنوا... إلى رحيم". فرضت المسئلة في النساء، لأنهن يلقب عليهن الميول النفسانية أكثر من الميول
 العقلية، فإذا جاز الاعتماد عليهن بعد الامتحان، فعلى الرجال بالطريق الأولى، ونبه الله أن حقيقة
 إيمانهم لا تقدر على تحقيقها، لكن إذا غلب الظن بتبع القرائن أنهم مؤمنات، فاقبلوهن في الجماعة،
 وفي فرض المسئلة في النساء حكمة أخرى. العواطف تشتعل نارا بخروج النساء من البيوت إلى بيوت
 الأعداء فإذا جاءت المؤمنات مهاجرات، فتشتغل جذبات^(١) أوليائهن، ويكون هذا باعثا لحرج عظيم،
 فيمكن أن ينظر إلى تلك المصالح، فلا يقبل انضمامهن إلى الجماعة، وهذا الأمر صار مردودا، يعني إذا
 حصل لنا اليقين أن هذا المرید لا يريد إلا الحق، فنقبله في جماعتنا وإن جر ذلك إلى مصيبة كبرى،
 فتحملها لزيادة رجل نفس واحدة، واحد في جماعتنا، فهذا تحقيق أن حزب الله لا يريد إلا نصرة الحق.
 وآتوهم ما أنفقوا الخ حاصل المسئلة نحن نقبل كل نفس يريد الحق وأما حصول الأموال، فليس مرادنا نرد
 عليهم أموالهم، فإذا لم يمكن لسبب قطع المواصلات نصل على إيصال الحق لأهله على قدر الإمكان
 وهذا معنى قوله: "إن فاتكم شيء يا أيها النبي إذا جاء الخ" هذا هو وثيقة الانضمام إلى حزب الله،
 بشرط فيه أن لا يتبع إلا حكم القرآن. هذا معنى "ولا يشركن بالله شيئا" ثم لا يكون عندهم الأخلاق
 السيئة مثل السرقة والزنا وقتل الأولاد والبهتان وما يجري مجرى تلك للمساوي، والثالث إطاعة رسول الله
 في المعروف، والمعروف شيء قبله الجماعة المركزية أو كان معروفا عند الإنسانية عامة، فالأمر الذي يكون
 معقولا لكن يقبله الجماعة وما صار معروفا لا يدخل في الإطاعة فلا تطلب فيه إلا طاعة منهم وتم على
 ذلك الحرب. "لا تتولوا قوما الخ" هذا روح حزب الله. قوم من إخواننا دخلوا في الإسلام، لكن ليس لهم
 همهم إلا حياتهم الدنياء، لا يؤمنون باليوم الآخر ولا يقبلون تلك الحكمة العقلية بدوام الإنسانية بعد الموت،
 فإذا خالفوا تلك الفلسفة، فموافقتهم في البرنامج الدنيوي لا تقبل، وليبعد عنهم نظمنا حزب الله، فتلك
 الشروط كلها لإقامة نظام الحكومة تحت الحكمة التي اتفقت عليها الأنبياء، ففهمنا من ذلك أن
 الاستفادة في تتبع البرنامج السياسي لا تتم إلا بتكميل الفلسفة العقلية التي يعني عليها ذلك البرنامج،
 فقوم المنافقين قد عسوا من الآخرة، لأن قلوبهم لا تقدر على أخذ العلم بأمور تتعلق بالآخرة وتشرح
 بتلك صدورهم، فتركوا التوجه إلى تلك الأمور، لأنهم عرفوا أن ذلك ليس في قدرتهم هؤلاء مثل الكفار
 هم عسوا من أصحاب القبور، فبذلك التشبيه علمنا أن المراد من قوم غضب الله ليسوا بالكفار، بل قوم

من المنافقين واستفدنا من هذا الأمر أننا كما نفرق بين أهل الكتاب وغير أهل الكتاب من الكفار، يجب على الراسخين في العلم أن ينظروا إلى الكفار غير أهل الكتاب ويفرقوا بين من يؤمن بالآخرة ممن هو مأیوس عنها، وبعدم توجه أهل العلم إلى هذا الأمر الضروري، صار المسلمون يتعصبون مع أقوام يؤمنون بالآخرة وحندهم من الفلسفة والحكمة لو توجه إليهما، لأنشرح صدره بالإيمان بالآخرة. إنما يختلفون عن أهل الكتاب في تصوير بعض الحقائق، فلو لم يتعصب معهم المسلمون مثل تعصبهم من ينكر الآخرة كان نافعا لهم كثيرا، فأديان الهند البرهمية والبوذية كلا الصنفين يضاهمون النصارى واليهود، فإذا جعلوها في حكم أهل الكتاب ودرسوا أديانهم لتبليغ حكم القرآن كما يدرسون أديان اليهود والنصارى، لنفذت الدعوة الإسلامية إلى جميع أقطار الأرض بالسهولة. عامة الإنسانية بعد المسلمين متقسمة على أربعة أقسام: اليهود و يشبههم الهند البرهمية، والنصارى يشبههم البوذيين حتى كثير ممن لا يتدين بدين وتحقق الإنسانية يشبه عليهم أن أكثر تعليمات موسى مأخوذة من البرهمية الهند، وأكثر تعليمات النصارى مأخوذة من البوذيين، فإن كان هذا الأمر أدق إحصاء، فتأويله عندنا أن موسى أكمل شريعة الصابئية التي كان يحملها الهند البرهمية وأخرج منها الخرافات وجعلها برزائجا عمليا، وكذلك عيسى أصحح الفلسفة البوذية، وليس المقصد إثبات أن هذا مأخوذ من هذا أولا. إنما المقصد تشابه التعليمات، فالإنسان إذا أكمل منارسة تلك الأديان سهل عليه تبليغ الدين لهم، وإذا لم يعرف دينهم وأنزلهم منزلة الوحوش، فهم يذهبون من المبلغين ولا يكون معنى الدعوة الدينية عندهم إلا التغلب السياسي، فإذا توجه المسلمون إلى تكميل المعرفة لأديان العالم سهل عليهم العمل.

سورة الصف

بسم الله الرحمن الرحيم

"سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ" في ضمن السورة حكم بنصرة

دين الله بالقتال، فلا يفهم الناس إن الدين الإلهي إنما أمر الناس بذلك الفائدة ترجع إليهم.

"ما أيها الذين آمنوا لم تقولون الحق" الإنسان يتمنى أن يعرف أفضل الأعمال عند الله، ولزم أن

يكون مع هذا التمني تأييد عزم العمل وإلا القيل والمقال في كثير من الأوقات يكون سبباً للخروج من

الدين، الإنسان يدعي أنه يعمل كذا وكذا والناس يشتملون عليه ويجعلونه إماماً ثم هو لا يوفي بما وعده، بل

ينهزم ويكون سبباً لانهزام جماعة الصالحين، وهذا الإثم كله يرجع إليه وهو بعد هذه التجربة بالتدريج

يتراجع إلى الوراء، ولا يتقدم إلى أعمال الخير أبداً، وإذا كان يعمل به يحتاج بذل الأموال وقتل النفوس،

فهذا العمل لا يدعيه كل واحد إلا من نظر إلى أحوال قلبه حقيقة. هو يريد أن يعمل ذلك قليلاً "إن

الله يحب... مرصوص". سبيل الله هو كتابه الذي يشتمل على قانونه وطبيعته. القانون لا يكون حاكماً

إلا بالقوة، إذا كان دخل تحت القانون عامة الناس والاجتماع التام من المدينة. أما في بعض الصور

لا يكون الاجتماع اجتماع القبائل مكتملاً، هم يطيعون رؤساءهم بمواظفتهم الموروثة، ثم هؤلاء الرؤساء

يجمعون على قانون، فلك الحكومة تكون اجتماعية ولا تحتاج إلى الجنود والعساكر، ومثل هذا لا يقوم إلا

في رجال متفقين على درجة عالية فقط أو في اجتماع ناقص. أما الاجتماع التام الذي يكون كل فرد من

أفراده يجذب المنافع إلى نفسه، ويقاتل على حفظ حقوقه، فهذا الاجتماع طبيعي للإنسانية، ويكون له

حياة طويلة على مرور الدهور، وذلك الاجتماع إذا جعلنا تحت قانون، فلا بد من قوة تزيد ذلك القانون،

وهذا القانون الذي ينزله الله في كتابه الذي سماه صراطاً مستقيماً، هو سبيل الله، وهو يجمع

الاجتماعيات الأرضية كلها تحت نظامه، وهذا هل يقوم في الدنيا بدون قوة تزيده؟ كلا! فالذين يقاتلون

في سبيله لا تنهار هذا القانون مجتمعين مثل الصف الذي يكون كالتيهان المرصوص، فالله يحبهم لأن الله

يحب هذا القانون فكل من نصره محبه، وهو لا ينصرونه بأقصى قوتهم، فيحبهم حباً كاملاً. صلوا القتال

عند العرب أولاً كان الكفر والفِر، ما كانوا يقاتلون صفاء وشرعوا فيه بعد نزول القرآن بهذا التعليم، ومرنم

النبي ﷺ من أول الأمر عليه فجعل صفوفهم في الصلوة كصفوفهم في القتال والصلوة بالجماعة والصف

كان نزل بمكة، وهذه السورة مدنية، فكان النبي ﷺ غير سنة العرب إلى القتال بالصف. النبي ﷺ رتب

صفوف أتباعه مثل صفوف الملائكة، هم يصفون مثل الأعداد لا يكون فيهم قرجة. الأعداد لا يمكن أن

يتداخل بينها عدد آخر، ولا يمكن أن يكون هنا فصل بين العددين. هكذا الملائكة. كل يأخذ مقامه

متصلاً مع الآخر، فيكون الترتيب طبيعياً. والذي ﷺ رتب صفوف الجماعة في الصلوة على مثل صفوف

الملائكة، ثم جعل صفوف القتال أيضًا مثل صفوف الصلوة، لكن الغرض من الصف معناه اللازم عندنا
 يكون الاجتماع قويا لا يمكن التخلل والتفرج فيها. صورة الصف تكون مقصودة من هذه الآية، ليس
 عندنا لازماً لأن تبعية الجيوش لا يمكن أن تكون على حالة واحدة قائمة إلى الأبد. كل ما اخترعوا الآن
 سرعة الرمي يتبدل التبعية، فالأمر في القرآن الأحسن عندنا أن نحمله على شيء لا يتبدل في زماننا
 الرمي بالقتال غير تبعية الصفوف على ما جردها نابليون^(١) أحكم صورة في الحرب، أما اليوم فلا، فمعنى
 "كأنهم بنيان مرصوص". أنهم لا يتزلزلون عن مقابلة الأعداء، والقتال في سبيل الله سنة إبراهيم، اتفق
 عليها أنبياء بني إسرائيل وأثبتته القرآن، فيعلم به أنه من أحب الأعمال إلى الله. بيان ذلك: أما موسى
 فنذكر عنه واقعة خاصة. تفصيل هذا الإجمال، "وإذا قال موسى لقومه إلى الفاسقين". أن القرآن حكى
 في سورة المائدة "إذا قال موسى لقومه إلى قوله القوم الفاسقين". فالفاسقون (صرح في هذه الآيات)
 الذين أنكروا صلى موسى، وخالفوا أمره بالجهاد وقالوا له اذهب أنت الخ هذا الذي آذوا به موسى قال
 لهم موسى "وقد تعلمون أني رسول الله إليكم" فكيف تقولون مثل هذا، فسورة الصف إنما يذكر فيها
 من موسى حكمه بالقتال لكن أجهل الأمر وفصل في سورة المائدة. الذي يطبق بعض الآيات مع بعض
 لا يتشكك ثم في سورة الأحزاب. "يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا" إلى "وجيهاً". تفسيره عندنا أيضاً راجع
 إلى سورة المائدة. هؤلاء الذين خالفوا أمر موسى قالوا يا موسى "إن فيها قوماً جبارين" الخ حكى الله أن
 بعض أتباع موسى اتبعوا أمره، ففازوا وغلبوا على الكفار. قال رجلان من الذين يخافون "أنعم الله
 عليهما" إلى "غالبون". وهذا كان عبرة الله لموسى "فبرأه الله مما قالوا" هم ظنوا أنه يريد أن يهلكهم فيأمر
 ضعفاء الناس أن يقاتلوا القوة القوة، فظنوا بموسى ظن سوء، فلما قام رجال قليلون وغلبوا على تلك
 الجماعة الكثيرة، برأه الله مما قالوا وظنوا به. "وكان عند الله وجيهاً". فذكر الإيذاء جاء في سورة الصف
 وجاء في سورة الأحزاب، فهل يمكن أن يظن رجل أن الإيذاء في سورة الصف يكون متعلقاً بنقص في
 بدن موسى من الأدرة وغيرها؟ هذا لازم أن يتعلق بأمر الجهاد، والرجل الذي تم تجرئته في مثل هذه
 الملمات، يعرف أن أمراً لقوم قرر قراراً وأمر القوم به والقوم عصوه، هل يكون إيذاء أعلى من ذلك
 للأمر لا سيما إذا كان في ميدان الحرب؟ فيحس نجزم قطعاً أن الإيذاء الذي ذكره الله في سورة الصف هو
 الإيذاء الذي فصله في سورة المائدة بترك أمر النبي في ميدان القتال. الإمام البخاري جاء بحديث في
 تفسير هذه الآية أن بني إسرائيل قالوا إن موسى آدر فبرأه الله مما قالوا بفرار الحجر بثوبه. نحن نجزم قطعاً
 أن هذه الرواية الإسرائيلية دخلت في أحاديث النبي عليه السلام بغلط. من بعض الرواة رفعه إلى النبي ﷺ
 باطل قطعاً. كان حديثاً موقوفاً أخذته بعض الصحابة عن بني إسرائيل، فذكره في تفسير الكتاب فظن
 بعض الرواة لا يكون إلا منسوعاً من النبي ﷺ لأنه من الأمور التي لا تدرك بالعقل، وهذا الراوي يظن

١ - في الأصل: نابليون.

بذلك الصحابي أنه لا يأخذ عن بني إسرائيل، فيجعله مرفوعاً منصوحاً^(١)، وعندنا هذا معطل وتعليلنا لبعض أحاديث البخاري لا يكون إلا مثل تعليل الدار قطني لبعض أحاديث البخاري، هم يعللون باعتبار الأسانيد ونحن نعلل باعتبار المعاني ومن يقدر بين الأسانيد والمعاني، فيجوز الأول ويحرم الثاني. أئمة السنة اتفقوا على صحة أحاديث البخاري ومسلم، لكن هذا بشرط أن لا يعلله عالم بفن الحديث. لذلك قال ابن حجر سوى أحرف يسيرة انتقدتها الدراطين وغيره. ولا يذهب عليك أن تلك الأحرف اليسيرة تزيد على مئتين من الأحاديث على ما فصله في مقدمة فتح الباري، وبعده جاء عيسى بن مريم، والظاهر منه أنه لم يباشر القتال ولم يأمر به، والأمر ليس كذلك وهذا يبين بصورتين: الأولى أنه صدق التوراة في جميع أحكامها وبشر بنبي يأتي بعده يقوم بالقتال. أفليس هذا بكاف أنه يجوز القتال؟، الثانية هو صرح أبي جعت لأقتلكم لكن لم يتهياً قوته ليقاتل في أيام حياته، فالخواريون قاموا بالقتال، وهذا مذكور في آخر السورة "يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله الخ" وهذا بدخول شرقية وباقي النصرانية فليس أيضاً قام بالجهاد وهذا معنى قوله: "وإذ قال عيسى إلى سحر ميين. ومن أظلم إلى الكفرون." هؤلاء هم الذين حرفوا وحملوها غير مواضعها، وعندنا ملاحظة في ذلك لا يوافق أكثر المفسرين. هذا النبي الذي هو مبشر في أولاد إبراهيم أنه يخرج ويجمع الأمم كلها تحت دين إبراهيم وإن كان الظاهر أنه يكون من أولاد إسماعيل، لكن بني إسرائيل ما صاروا مأيوسين عن تحصيل تلك الدرجة. عندهم معنى هذه أن يكون في بني إسماعيل مشروطاً بشروط، منها أن لا يقوم رجل من بني إسرائيل يقيم ذلك المنصب، فإذا

١- هذه القصة لإيذاء موسى يذكرها عامة المفسرون هناك، فقد ذكرها الإمام البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: "إن موسى كان رجلاً حياً متبراً لا يرى من جلده شيء استحياء منه، فأذاه من أذاه من بني إسرائيل فقلوا: ما يستتر هذا التستر، إلا من عيب بجلده إما برص وإما أدرة، وإما آفة، وإن الله أراد أن يبرئه مما قالوا لموسى، فخللاً يوماً وحده فوضع ثيابه على الحجر، ثم نغتسل، فلما فرغ أقبل إلى ثيابه ليأخذها. وإن الحجر عدا بقبوه، فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر، فجعل يقول: ثوبي حجر، ثوبي حجر، حتى انتهى إلى ملا من بني إسرائيل، فأراه عرياناً أسدين ما خلق الله، وأراه مما يقولون، وقام الحجر، فأخذ ثوبه فلبسه، وطلق بالحجر طرباً بعصاه، فوالله إن بالحجر لندياً من أثر ضربه، ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً، فذلك قوله: يا أيها الذين آمنوا [ص: ١٥٧] لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجهها". (صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الخضر مع موسى عليه السلام، رقم: ٣٤٠٤). هذا التفسير لإيذاء موسى قد وقع عرضاً لسهام الناقدين في العصر الزاهر، ونجد عند أبي منصور الماتريدي من المفسرين القدامى أنه أنكر هذا التفسير، فقال بعد ذكر هذا القول لعامة أهل التأويل تحت تفسير آية سورة الأحزاب: "هذا التأويل بعيد، لأن موسى كان يدعوهم إلى ستر العورة، لا يحتمل أن يطعموا هم منه الاغتسال معهم، وأن يكشف عورته لهم، أو ينظر إلى عورة أخيه، هذا وخش من القول أو بسط حجراً، فيذهب ثيابه حتى يراه الناس متجرداً، والله أعلم." (محمد بن محمد بن محمود أبو منصور الماتريدي) (م: ٢٣٣٢)، تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، ت: مجدي باسلوم (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٥)، ٨: ٤١٨. ويظهر من هذا القول للماتريدي أنه وضع هذا الحديث تحت مجهر الدراية وإن كان روي في صحيح البخاري.

القاويلات من الأمور العامة التي يرتقبها أرباب الشرائع عامة إذا احتاجوا إليها ونحن على نظريتنا هذه نجزم بأن موسى أراد أن يفوز بتلك الرتبة لكن لم يتبع قومه أوامره، فضاغت أبنائه كثيرة في الميمان في التيه، ونحن نستأنس لفكرنا بجملة رويت في حديث المعراج أن موسى بكى لما تقدم عليه النبي عليه السلام فلو لم يكن في قلب موسى بلوغه إلى ذلك المنصب ممكناً، ما بكى عليه ثم تقرر الإنجيل الموجودة، فعيسى بن مريم يأتي لهم بشارات تشير إلى أنه هو ذلك الرجل، واليهود فهموا منه ذلك وهو كان يتكلم بالأمثلة والاستعارات، فلما رأى أنه لم يحقق له أميته أول كلامه أنه يذهب إلى ربه ويرسل الفارقليط بنفسه وعندنا هذا الفعل ليس خارجاً عن أصول النبوات المقررة في أذهان هؤلاء الأنبياء أن تلك الدرجة لازم أن يتسابق إليها كل رجل لتحصيلها، فأي جرم في تسابق عيسى إليها لكنهم ما قدروا على ذلك لعدم متابعة أمهم لأداء ذلك المنصب العظيم ويستأنس لفكرنا هذا بحديث اتفق على إخراج الإمام مالك والبخاري ومسلم. قال عليه السلام مثل اليهود والنصارى والمسلمين كمثل رجل استأجر قوماً للحديث^(١) (انظروا في هذا الحديث الاستيجار كان لشيء واحد أن يعملوا في الليل، فهذا الأمر الذي قام به المسلمون كان في استيجار اليهود والنصارى أيضاً ماخوفاً وأخذ منهم العهد أن يعملوا إلى الليل، فليس أخذ منهم أن يعملوا تحت تلك النبوة التي قام بها المسلمون، فإذا كان هذا داخلاً فكل نبي يسمى أن يتم العمل إلى الليل ويجوز تلك المنقبة التي قدرت لرجل واحد في الدنيا من بني آدم، لكن أقوامهم ما طاعوهم فاستياسوا، فعلى نظريتنا تتظم جميع الكتب بالسهولة، فإذا لم يتم عيسى بن مريم بذلك المنصب، بشر برسل يأتي من بعده اسمه أحمد، فليس أهل الإنجيل تلك البشارة وحرفوا الكلم عن مواضعها. عيسى بن مريم وعدمه أن يأتي إليهم ثانياً، لكن ذلك في الأصحاح الثالث عشر من إنجيل مرقس^{١٤}، أما في تلك الأيام فالشمس تظلم والقمر لا يفطر ضوءه، ونجوم السماء تنساقط والقوات التي في السموات تتزعزع وحيث يصرون ابن الإنسان آتياً في السحاب بقوة كثيرة ومجد، فيرسل حيث ملائكة ويجمع مختاريه من أقصى الأرض إلى أقصى السماء لوفاء ٢١ من ٢٥، وتكون علامات في الشمس والقمر والنجوم وعلى الأرض كرب أمم بحرق البحر والأمواج تضج، والناس يغشى عليهم من خوف وانتظار ما يأتي على المسكونة لأن قوات السموات تتزعزع. وحيث يصرون ابن الإنسان آتياً في

١- صحيح البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب من أدرك ركعة من العصر قبل الغروب، رقم: ٥٥٨. والفاظ البخاري: عن أبي موسى، عن النبي صلى الله عليه وسلم: "مثل للمسلمين واليهود والنصارى، كمثل رجل استأجر قوماً، يعملون له عملاً إلى الليل، فعملوا إلى نصف النهار فقالوا: لا حاجة لنا إلى أجرك، فاستأجر آخرين، فقال: اكملوا بقية يومكم ولكم الذي شرطت، فعملوا حتى إذا كان حين صلاة العصر، قالوا: لك ما عملنا، فاستأجر قوماً، فعملوا بقية يومهم حتى غابت الشمس، واستكملوا أجر الفريقين".

قام رجل منهم وأدى هذا الفرض، فلاحاجة بعده أن يقوم من بني إسماعيل، ونحن نعرف مثل هذه

سحابة بقوة ومجد كثير. هـ (١)، فهذا المجمع في مبدأ يوم القيامة، وعندنا جميع الرسل يحضرون في ذلك الموقف لحاسبة أمهم، لكن أبواب الإنجيل ما ذكروا إلا عيسى بن مريم، لأنه ليس لهم غرض بغيره فهذا المجمع ليس لإقامة سلطة مثل سلطة الله في السموات، يعني لا يكون حكم دين متبوعاً في الأرض إلا حكم دين الله. في متى درس ٩ فُضِّلُوا أَنْتُمْ هَكَذَا: أَيَاكَ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ، لِيَتَقَدَّسَ اسْمُكَ. ليأت ملكوتك ليأت ملكوتك. لكن مشيئة كما في السماء كذلك علي الأرض، فهذا ملكوت السموات ينزل على الأرض ولا يكون ذلك إلا بقيام سلطة قاهرة على أساس قانون إلهي، لا يفتر أحد في الأرض على مخالفتها. هذا هو مراد كل مسيحي في جميع صلواته، وأمرنا أن يطلبوه من الله مثل ما يطلبون خبز يومهم، لأن الدرس الذي بعده خبزنا كافاً أعطنا اليوم، فلما بقي عيسى بن مريم بعد نزول الأرض والسماء عن مركزها، هل تقوم تلك الحكومة في الأرض؟ كلا وهذه الحكومة بشر عيسى بن مريم يأتي الفارقليط، فيقيمها وهذا موجود في إنجيل يوحنا ٤ من الدرس ١٢. الْحَقُّ الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: مَنْ يُؤْمِنْ بِي فَلَا عَمَلٍ آتِي أَنَا أَعْمَلُهَا يَفْعَلُهَا هُوَ أَيْضًا، وَيَفْعَلُ أَكْثَرَ مِنْهَا، لِأَنِّي قَاضِي إِلَى أَبِي، وَمَعَهَا سَأَلْتُم بَاسْمِي، فَذَلِكَ أَفْعَلُهُ لِيَتَجِدَ الْآبَ بِالْأَبْنِ، إِنْ سَأَلْتُمْ شَيْئًا بِاسْمِي فإني أفعله، إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونِي فَاحْفَظُوا وصاياي، وَأَنَا أَطْلُبُ مِنَ الْآبِ لِيُعْطِيَكُمْ مُعْزًى آخَرَ، لِيَمْكُثَ مَعَكُمْ إِلَى الْأَبَدِ، إِلَى الدَّامِ ١٦. وقوله: " مُعْزًى " ترجمة كلمة الفارقليط الذي يفسرها الناس الآخرون بأحد، والبحث مبسوط في إظهار الحق في تحقيق تلك الكلمة ومعناها (٢)، ثم بعد ذلك في الدرس ١٨ لا أترككم يتامى، إني آتي إليكم، أنا أقول هذا الإتيان هو إتيان الفارقليط، يستنبط ذلك درس ٢٤ الَّذِي لَا يُخَيِّبُنِي لَا يَحْفَظُ كَلَامِي. وَالْكَلَامُ الَّذِي تَسْمَعُونَهُ لَيْسَ بِي بَلْ بِالْآبِ الَّذِي أَرْسَلَنِي. يَهَذَا كَلَمْتُكُمْ وَأَنَا عِنْدَكُمْ. وَأَنَا الْمُعْزَى، الرُّوحُ الْقُدُسُ، الَّذِي سَتَرْتُهُ الْآبَ بِاسْمِي، فَهُوَ يَعْلَمُكُمْ كُلَّ شَيْءٍ، وَيَذَكِّرُكُمْ بِكُلِّ مَا قُلْتُمْ لَكُمْ. ثم الدرس ٢٦ وفي الدرس ٢٨ مَبْعَثُ أَبِي قُلْتُ لَكُمْ: أَنَا أَذْهَبُ ثُمَّ آتِي إِلَيْكُمْ. فعندنا ليس معناه إلا أنه يجعل مجبوراً الفارقليط مجيء وفي الباب ١٥ الدرس ٤١ وَمَتَى جَاءَ الْمُعْزَى الَّذِي سَتَرْتُهُ الْآبَ بِاسْمِي، رُوحُ الْحَقِّ، الَّذِي مِنْ عِنْدِ الْآبِ يَنْبَغِي، فَهُوَ يَشْهَدُ بِي. وَتَشْهَدُونَ أَنْتُمْ أَيْضًا لِأَنْتُمْ مَعِي مِنَ الْآبِذَانِ. وفي الباب ١٤ الدرس ٧ لِكَيْ أَقُولَ لَكُمْ الْحَقَّ: إِلَهُ خَيْرٌ لَكُمْ أَنْ أَتَّطَلِّقَ، لِأَنَّهُ إِنْ لَمْ أَتَّطَلِّقْ لَا يَأْتِيَكُمْ الْمُعْزَى، وَلَكِنْ إِنْ ذَهَبْتُ أَرْسَلُهُ إِلَيْكُمْ. وَمَتَى جَاءَ ذَاكَ يُبَكِّثُ النَّامَ عَلَى خَطِيئَةٍ وَعَلَى بَرٍّ وَعَلَى ذَنْبٍ. ثم بعد ذلك في الدرس

١ - لينظر: ولیم ایدی، الكنز الجليل في تفسير الإنجيل (بيروت: مجمع الكنائس في الشرق الأدنى، ١٩٧٣)، ٢: ٣٣٩.

٢ - يقول الشيخ رحمة الله الهندي: والفارقليط روح القدس الذي يرسله الأب باسمي هو يعلمكم كل شيء، وهو يذكركم كلما قلته لكم، والآن قد قلت لكم قبل أن يكون حتى إذا كان تؤمنوا. (رحمت الله بن خليل الرحمن الكوراني العماني الهندي، إظهار الحق (الرياض: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ١٩٨٩)،

١٢. إِنَّ لِي أُمُورًا كَثِيرَةً أَنْبَأُ لَأَقُولَ لَكُمْ، وَلَكِنْ لَا تَسْتَطِيعُونَ أَنْ تَحْتَمِلُوا الْآنَ، وَأَمَّا مَتَى جَاءَ ذَٰكَ، رُوحَ الْحَقِّ، فَهُوَ يُرْسِدُكُمْ إِلَى جَمِيعِ الْحَقِّ، لِأَنَّهُ لَا يَتَكَلَّمُ مِنْ لَفْظِهِ، بَلْ كُلُّ مَا يَتَشَبَّهُ بِتَكَلُّمِهِ وَيُخَيِّرُكُمْ بِأُمُورٍ آتِيَةٍ. كُلُّ مَا لِلأَبِ هُوَ لِي. هَذَا قُلْتُ إِنَّهُ تَأْخُذُ مِنِّي لِي وَتُخَيِّرُكُمْ. له. وفي الباب ١٧ الدرس ١١، فرأينا أن عيسى بن مريم بحسب حكاية النصارى يتكلم بكلام يحمل يفصله من بعض الوجوه، ثم يحمله من بعض الوجوه. هو يقول لهم هذا الذي أرسله يبكى العالم على خطيئتهم وعلى برهم وعلى دينوتهم، لكن هذا بدون قوة غالبية؟ لا يمكن للعالم مقابله. وعندنا القرآن أشار إلى مثل هذا. "اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ" (١) الذي حمله المفسرون منا بخطيئتهم على يوم القيامة، ثم المسيح عيسى بن مريم يقول لهم إني أذهب ولا أكون في العالم ويقول إني آتي إليكم، لا أترككم ينامي، ويشير إلى إتيان الفارقليط، ويقول هو يأخذ مني لأن كل ما للأب هو لي، وهو لا يأخذ إلا عن الأب، فكانه يأخذ مني يثبت بذلك أن إتيانه هو إتيان عيسى بن مريم يقول لهم: إنه يشهد باسمي وأقسم أيضًا تشهدون يعني أي أخبرتكم أنه يأتي ويشهد لي، فكان إتيانه متممًا لما كنت أريده. مثل هذا الكلام في الجمليات المتقدمة والمتأخرة واضح، لكن يفهم منه أن عيسى يريد إجماله أيضًا، فتوجيهه عندنا هو في أول أمره لما علمهم الصلاة، يشرهم بأنه يقدم بذلك الأمر، ولما تحقق له أن اليهود لا يوافقونه، ففشل في ذلك مثل فشل موسى، فجزم أن ذلك الأمر لا يكون إلا من يأتي بعده، وهو رسول بني إسماعيل؛ لأنه لم يبق في بني إسرائيل رسول أعلى منه، لكنه يخاف من ذهنية الحواريين و آجبار اليهود وهم لا يقبلون أن يخرج هذا الأمر من أولاد إسرائيل، فيجمل أخبار الفارقليط بحيلة لا يقهملونها ثامة حتى يحتاج عيسى بن مريم إلى التصريح بأنه من بني إسرائيل، فهذا الذي فهمنا من هذه الروايات حكايا النصارى عن عيسى ابن مريم، وخلاصة كلامنا أن المسيح أولا بشرهم بأنه هو الذي يقم هذا الأمر وفي الآخر حوله إلى الفارقليط وإلى روح الحق أو مثل ذلك، فعلى نظرتنا ليس فيه تناقض كان له حق أن يتقدم لأداء المنصب وهو نبي صادق بار ولما رأى أن أمته لا يطاوعه، ثبتم أن هذا مكتوب لأحد، فيشره به بملء صدره ورحب صدره، والإجمال الذي يوجد في كلامه إنما هو خوف انتشار ذهنية الحواريين هذا وأما النصارى بعد ذلك ما فعلوا؟ إنهم خلطوا تلك البشارة بالبشارة التي لازم فيها أن يأتي بسلطان قوي يبكى العالم، ليسوا (٢) تلك البشارة بالبشارة التي كانت لمحبي المسيح يوم القيامة بعد تزلزل الأرض والسماوات عن مقامهما وجعلوهما واحدًا عندنا. هذا تأويل قوله تعالى: "وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ". هم النصارى بعد المسيح بن مريم، لما دعاهم الرسول إلى الإسلام والله لا يهدي القوم الظالمين، أنبأني لهم بمسيح يقم ملكوت السموات والأرض كما يريدون بإنكاوا النبي عليه الصلاة

١- الأنبياء ٢١: ١.

٢- هذه العبارة: "لازم فيها أن يأتي بسلطان قوي يبكى العالم ليسوا." في ن م، وليست في ن ا.

والسلام؟ كلا! الله يهديهم أبداً، يريدون ليطفؤوا نور الله بأفواههم؛ إذا قرأ رجل صحيح العقل الكتب التي رواها عن المسيح، يعترف ببطلان تأويلهم الذي ارتكبهوه. هذا نور الله حسب بشارة الأنبياء، بشر بها موسى وبشر بها عيسى، وكتبهما شاهدة إلى يومنا هذا، فهل يقدرُونَ بتأويلات علي إبطال ذلك النور وإطفائه؟ لا يقدرُونَ علي ذلك.

هو الذي أرسل رسوله إلى المشركين. هذا هو روح الحق، هذا هو المعزى، هذا هو أحمد الذي بعث بقوة يمكث العالم علي خطيئة وعلي بر وعلي دينونة.

فصل

ذهب جمع من المسلمين إلى نزول عيسى بن مريم وإقامة سلطنة قاهرة دينية، كما تحبظ به النصارى. وأعلى حججهم ما أشار إليه أبوهريرة في رواية الصحيحين وقرأوا إن شئتم "وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته" أبوهريرة قال إن عيسى ينزل حكماً مقسطاً، وتنسب بعض الرواة عن أبي هريرة قوله ذلك إلى النبي عليه السلام. البحث الآن إننا هو في معنى الآية. ما أشار إليه أبوهريرة مداره أن ضمير قبل موته راجع إلى المسيح، وانتقده النووي فقال: إن هذا قول شاذ، وأكثر المفسرين يقولون إن الضمير يرجع إلى الكتابي، هذا معنى ما قاله النووي؛ وقال التنقي في تفسيره والمعنى وما من اليهود والنصارى أحداً لا يؤمنن به قبل موته بعيسى عليه السلام بأنه عبد الله ورسوله، يعني إذا عاين قبل أن ترهق روحه حين لا ينفع إيمانه لا تقطاع وقت التكليف، أو الضميران لعيسى، يعني وإن منهم أحد إلا ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى، وهم أهل الكتاب الذي يكونون زمن نزوله. روي أنه ينزل من السماء في آخر الزمان، فلا يبقى أحد من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به حتى تكون الملة الواحدة، وهي ملة الإسلام، أو الضمير في "به" يرجع إلى الله، أو إلى محمد، والثاني إلى الكتابي. اهـ. قال الخازن "قبل موته" اختلف المفسرون في هذا الضمير إلى من يرجع، فقال ابن عباس وأكثر المفسرين إن الضمير يرجع إلى الكتابي وذهب جماعة من أهل التفسير إلى أن الضمير يرجع إلى عيسى وهو رواية عن ابن عباس أيضاً، وبدل على صحة هذا القول ما روي عن أبي هريرة قال رسول الله والذي نفسي بيده ليهوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً مقسطاً ثم يقول أبوهريرة قارءوا إن شئتم الآية. اهـ. فظهر منه أن أكثر المفسرين لا يوافقون أبا هريرة في مرجع الضمير ويقول الأسناد: ولنا في تفسير هذه الآية ملاحظة مختصرة وتقالف أن يكون في هذه الآية ذكر نزول المسيح، والسبب في من خالفهم من اليهود والنصارى والهنود والحكماء اللادنيين يتكلمون على روايات بالجرح والقبح بدون الاحترام، لأن الخوف الذي كان أولاً من الحكم ذهب عن قلوبهم وفي آخر السلطان عبد الحميد وقعت واقعة. أرادت فرنسا أن تبطل في تمثيله نبينا ﷺ فأنذرهما السلطان فارتجع عن ذلك وقدم عذراً وسعى في حصول رضا السلطان. زمان عبد الحميد ما كان زمن قوة عظيمة، لكن هذا العز لتوارث الذي كان باقياً لسياسة المسلمين، كان في التلاعب بروايات المسلمين، وبعد سقوط الخلافة نحن نرى ما يفعل الهنود والديهيون في بلادنا الهند،

يأتون بأشياء لا تقدر على حكايتها، ثم شباننا في تحصيل المعاش يحتاجون أن يتعلموا في مدارس الأوروبيين، فيثأثرون بذهنيهم، وهم أيضاً ينكرون كثيراً من مسلمات المسلمين إذا لم يأت لهم بدليل قوي يفلج صدورهم، ومنهم طائفة مؤمنة صالحة يريدون أن يتعلموا الإسلام الصحيح وينصرونه بكل قوتهم ليسوا مثل المشايخ والعلماء الذين صارت عادتهم العقول عن مقابلة الكفار إلا طوائف قليلة من شباننا هؤلاء يريدون نصره الحق بلا ارتياب، وأما المشايخ والعلماء الذين تشبهوا بدينهم واجتهلوا في مقابلة الكفار بسبب عدم علمهم بحيل هذا الزمان واختراع الأسلحة النارية الذي لا يقدر على استعمالها بدون اشتراك الشبان لا يقدر على شيء. أنا بحمد الله اشتغلت بتعليم الشبان زماناً طويلاً وجرتهم هم يؤمنون أن القرآن محفوظ على حاله كما كان في زمن النبي عليه السلام. ما قدر الناس مع اختلافهم في السياسات أن يظهروا شيئاً من القرآن. وما سوى ذلك من المعاشرات ونظام الحكومات وفقه الفقهاء وكلام المتكلمين وروايات المحدثين، كلها كانت متأثرة بسياسة الجماعة القائمة بحكومة المسلمين، وأما إن كان مركزهم واحداً فكان الأمر كذلك، ولما انقسموا إلى الأقوام وصارت مراكز مختلفة في السياسات. هذا الترك له مركز. هذا الإيراني له مركز آخر. هذا العرب له مركز آخر إن قدر على ذلك، فاجتماع المسلمين في جميع البلاد كانت متأثرة من سياسة حكاهم، وهو طبيعي في الإنسانية لأفضل في ذلك لقوم على آخر. هم يلعبون جميع السياسات التي تنقلها إليهم لأنها كانت عملها في زمانها، فالهجوم فكلها منسوخة عندهم، وإذا لبسنا عليهم الكلام وجعلناه أمراً مقدماً عند المسلمين حتى يسلّموا لذلك، هم لا يتخذون، بل يلعبون من يعمل على تلك السياسات في عصرنا هذا. هذا كله حاصل عندي بالتجربة في معاشرتهم، والمراد بالشبان كل من تعلم في حليكمه لأن تعليمنا إنما كان مختصاً بهم، وهذا هو المركز للتعليم الجديد في الهند للمسلمين، فجعلت لهم طريقاً للتعليم المخصوصي، جمعت ترجمة القرآن العظيم بلسانهم، وأعتمد في ذلك على ترجمة الإمام ولي الله، وأنا أقدر على شرحها بالعقليات المبنية على حكمة الإمام ولي الله، فيسمعون كل شيء، ولتعليم نظريات الشيخ أقرأ لهم حجة الله البالغة مع المباحة والمناظرة حتى يفهموا ويثبتوا أصوله، فتحت هذه الأصول العقلية إذا شرحت القرآن، ما كان من رجل منهم اعتراض في ذلك، وبأني في ضمن ذلك اعتماد المفسرين على إسرائيليات، ولي اجتهاد في إصلاحها على نظريات الشيخ فإذا فهموا حكمة شيء، يقبلونه لكن رأيت خواص منهم لا يقبلون شيئاً من الإسرائيليات في تفسير القرآن، ثم تأتي روايات الحديث، وعندهم معرفة بأن هذه الروايات لها أصل في الإسرائيليات، فلا يلتفتون إليها، وإذا أراد الرجل أن يجعلهم قائلين بذلك بالتكلفات والمناظرات، هم يتركون تعليم ذلك الرجل بالمرء ويقولون إنه غير ثقة حتى يؤخذ منه الدين، فهذه التجربة أوجدت في دماغي تغيراً، واجتهدت أن لا يكون شيء من القرآن يقف فهمه على الرواية الإسرائيلية ورواية تشبه على الإسرائيليات، وإذا لم أقدر على ذلك تركت عندهم الكلام على تلك الآيات، وذكرت لهم أني أطلب التحقيق في ذلك، ولم يطمعن قلبي إلى الآن، فقبلون ذلك العذر، فالآن أحكي لكم حكاية تلك الآية

استدل بها جمهور أهل السنة في بلادنا على نزول المسيح وإقامة الحكومة وقام رجل من أهل الهند القادياني، فقال إن المسيح لا ينزل من السماء، وما جاء في الحديث فإن مصداقه قبل ذلك السيد أحمد خان مؤسس عليكره أيضًا أنكر نزول المسيح من السماء، وأذا اعتقد بسبب صحة حديث أبي هريرة واستدلالة بهذه الآية بنزول المسيح، وأقدر عند طائفة متوسطة من العقليين على توجيه نزول عيسى بالدليل العقلي صلى منهج مولانا محمد قاسم الديوبندي، وأما عند أهل الرأي من الشبان فلا. ورأيت الاختلاف من السيد أحمد خان، ثم من مرزا غلام أحمد القادياني قوتًا، فأنا نحو عشرين سنة ما تكلفت في تفسير تلك الآية، وكل من أصر على اعتدلت له. إن أحببت أنا اقرأ مبائر القرآن سوى هذه الآية، فأقرأ وإلا أترك الكل، فيقبلون مني فما ضيعت أوقاتي في الرد على شبهات القادياني وغيرهم.

جملة معترضة

وكنتم أعلم حجة الله البالغة فأذكر لهم أن السيد أحمد خان رجل سياسي لا يدعي لنفسه منصبًا دينيًا، ولما هذا القادياني فهو مع كونه أضعف من السيد أحمد، ادعى لنفسه أنه مثل المسيح أو نبي أو مثل ذلك، فأقول للشبان أقدم إليكم غلام أحمد، هل يساوي الشيخ ولي الله في علمه؟ فيحترقون ويقولون لا لا، فأقول لهم فممن لا نسلم لرجل أنه صار مثل نبي إلا إذا كان مثل ولي الله أو فوقه، فبذلك يذهب عن قلوبهم فكر القادياني، ورأيت ذلك طريقة متقنة، وأما الذين شرعوا في مناظراتهم في جزائهم، فما سقط هؤلاء ولا هؤلاء. تمت الجملة المعترضة.

أنا لا أحب أن أجعل الآيات القرآنية ملعبة للسياسيين أو للكذابين، فاجتهدت من نفسي خلقًا لطريقة برواية ما، حديثًا كان أو رواية إسرائيلية، وفدّرت بحمد الله بعد مطالعتي السياسيات العالية على توجيه الآيات. إما بنظريات الشيخ ولي الله، وإما بنظريات الاجتماعيين التي اتفق عليها العصر، فإذا قدمت مثل هذا التفسير لشباب من شباننا ذوي رأي وإيمان وجهاد، اطمأن خاطرهم، وبأني في قلب واحد واحد منهم قوة المقابلة مع جميع المخالفين في العالم، وتجريدي هذا التفسير للقرآن، أتبع في ذلك الإمام ولي الله، هو فتح ذلك الباب، ورأيت إشارات منهم تؤيد أفكاري. فالآن أتكلم على تفسير هذه الآية "وان من أهل الكتاب الخ" نأخذ المسئلة من آية من سورة النساء. "يسئلك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابًا من السماء الخ" فالمراد من أهل الكتاب في هذا الموضع هل هم جميع أهل الكتاب الذين يوجعون على وجه الأرض؟ وهل جاء على النبي وكيل عنهم يسأله؟ ليس ذلك، بل المراد من أهل الكتاب يهود المدينة أو يهود الحجاز لأغبر فليس في قوله: "وان من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته" سوى أهل المدينة أو الحجاز غيرهم مرادًا وضمير "قبل موته" راجع إلى النبي عليه السلام، والمراد من الإيمان به يقبلون حكم النبي طوعًا أو كرهًا، فيكون معنى الآية أن هؤلاء الذين يسئلونك تعنتًا، هم في حياتك يصيرون مجبورين لإطاعتك، فيذهب تعنتهم وما عملوا من الكبار مع المسيح أو مع النصاري يسئلون عنها عند الحكومة الإسلامية.

تتمه الآية وقولهم "إنا قتلنا المسيح إلى عزيزاً حكيمًا." تفسر هاتين الآيتين أيضًا يحتاج إلى التفصيل بالإنجيليات، قوله: "ولكن شبه لهم." عامة المفسرين يستندون في ذلك على إنجيل برنابا، لكن نستخدمها غير محقة عند الكنيسة، فنحن لا نعلم عليها. هذه الإنجيل الأربعة إذا تأمل فيها الرجل، لا يثبت أن المصلوب كان مسيحًا. كان عاقبتهم كل مصلوب يحمل صليبه. في بعض الإنجيل أن المسيح كان يحمل صليبه وفي البعض أخذوا رجلًا آخر حمل صليبه. هذا يكفي ليكون المسيح مشكوكًا في الصليب. الروايات إذا اختلفت مع تسليم صحتها، ثم قام رجل مجتهد لجمعها وتوفيقها على معنى أو لتجريح أحدهما على الآخر، فهذا الأمر لا يكون قطعيًا، بل يكون ظنًا من المجتهد، فالمعتقدون بكون المسيح مصلوبًا اجتهدوا في تأليف هذه الروايات بعضها مع بعض، واستقر رأيهم على أن المصلوب كان هو المسيح، لكن هذا إنما هو اتباع ظن المجتهد، لا يثبتون من لا يؤمن بإمامة ذلك المجتهد، وعندنا هذا معنى قوله: "ما لهم به من علم الخ" ومثل هذا التأويل عند شبانا مقبول، هم لا يرون فيها إلا حكاية الواقع عند الصليبيين. "بل رفعه الله إليه." ليس عندنا معناه أنه رفعه إلى السماء. "يرفع الله الذين آمنوا" إلى "درجات". بل معناه عصمه الله عن إيصال الإيذاء إليه وجعله فائزًا بالحق مقيمًا لدينه بواسطة أنصاره وحوازيه.

جملة معترضة

إذا لم يرفع المسيح إلى السماء فلماذا ذهب؟

عندنا فيه ملاحظة شاذة عن عامة أهل العلم. للمسيح وأمه قبل إظهار نبوته فوق عشرة سنين كانوا غائبين عن فلسطين. و في القرآن العظيم: "وَأَوْتَيْنَاهُمَا إِلَى رُبُوعٍ ذَاتِ قُرَارٍ وَتَعِينٍ". عامة المفسرين يجعلونها إما في سوريا أو في مصر، كان ما وراءهما ليس في الدنيا شيء. الراجح في أفكارنا أنه رجع إلى الهند واستقر في كشمير، كان كشمير في ذلك الزمان مركز البوذيين، والناس يجدون في تعاليم المسيح كثيرًا من الاشتراك مع البوذيين. كان المسيح لا يريد إلا إصلاح بني إسرائيل واليهود فسد مواهبهم مثل فساد مزاج الزعماء، فقام فيهم بوذا فأصلحهم. لعل للمسيح أيضًا أراد أن يستفيد من حكمة هؤلاء ويعمل بذلك مزاج اليهود. هذا الفكر أن الأنبياء لا يستفيدون من أحد ما استقر إلا لأنهم لا ينظرون في النبوة مثالًا غير نبوة خاتم النبيين، فلا ينبغي أن يقاس جميع الأنبياء على خاتم النبيين، فالغالب في فكرنا أن للمسيح بعد ما تخلص من شر اليهود رجع إلى كشمير ونظم هنا دعوة الكليسية، والشاهد لذلك أن إنجيل متى ما وجد نسخة العبرانية إلا في الهند. هذا كله محتمل ومحتمل لكن يسكن أوهام الشبان وهو ضروري عندنا.

استطراد

قد شاع في تاريخ المسلمين أن اليرامكة كانوا مجوسيين، والتحقق أنهم يوذيون، كان لهم مركز ديني في بلخ والبرمك كالكاهن، وهم أصلهم من كشمير. حقق ذلك السيد سليمان القدوي في كتابه الهند والعرب^(١) ويمثل ما تقرر عندنا لا يكون القرآن محتاجاً إلى نزول المسيح، وهذا الذي نريد أن نثبته في قلوب الشباب.

لطيفة

أنتم تذهبون إلى أوروبا معدن السياسة الفسرية الذي يستفيد منها الشباب من جميع الأقوام المسلمين، فقدموا إليهم تعليم القرآن واجتماعياته، فيجتمع عليهم هجوم كثير، ثم تتكلمون أنتم عن القرآن بأن المسيح ينزل، فلا يبقى أحد منهم سامعاً لكم، هم صاروا مأبوسين عن الكلية وأربابها، فشبانتنا إذا رجعوا من أوروبا وذكرنا لهم أن القرآن يوجب نزول المسيح لا يسمعون منا كلمة، وقد رأينا أهل العلم ليسوا متفقيين على تفسير الآية بنزول المسيح، فأبي حاجة لنا أن نعيد الآية بنزول المسيح، بل سياق الكلام عندنا يتم على قوله: "واعتدنا للكافرين منهم عذاباً أليفاً". وهذا لا يكون إلا بسبب حكومتهم. وهذا يكون بقلبة المسلمين ونجاح انقلاب القرآن، وتفسيرنا ناظر إلى هذه النقطة. بقي الكلام في حديث أبي هريرة وفي ترجيح كتب الحديث. وللشيخ ولي الله مذهب مخصوص، هو يقدم الموطأ لما لك على الصحيحين، وحديث أبي هريرة هذا لم يوجد في الموطأ، فكان منزلة في الصحة على الدرجة الثانية، ونحن نعلم شبانتنا أنهم ينسكون في الحديث بموطأ الإمام مالك، لأن طريق العمل في العبادات المأمورة في القرآن، إنما يؤخذ من عمل النبي وأصحابه، ونحن في العمل بالقرآن لا بد من أن نحتاج إلى كتاب يجمع عمل النبي وأصحابه، و الموطأ كان في ذلك، وشبانتنا قبلوا منا الأخذ بموطأ مالك في الحديث، فلما علموا أن ذلك مسلك الإمام ولي الله، وهم يعرفون باحترامه وتقديسه، يشرح صدورهم. وعندنا من كلف الشبان باتباع كتب الحديث غير الموطأ لا يعرف مقتضيات هذا العصر، ولا ذهنية الشبان. ليس مرادنا أن أهل العلم يقتضرون في بحثهم على موطأ مالك، بل حجة الله البالغة يشرح أحاديث الكتب الأربعة البخاري ومسلم والترمذي وأبي داود بنظريات العقلية، ففي درجة التكميل نلزم الناس أن يقرؤوا تلك الكتب، وأما أدنى ما يجب على الرجل من أهل العلم من اتباع الحديث حتى يخرج من المعتلة وغيرهم، يكفي فيه الأخذ بموطأ مالك، وقد ذكرنا لكم أن حديث الصحيحين من رواية أبي هريرة معلول عندنا. رفعه خطأ قد وجد رواية أبي هريرة موقوفة في تذكرة الحفاظ^(٢) وكتبنا قبل ذلك

١- الكتاب باللغة الأردية باسم: هند عرب تعلقات.

٢- يقول الذهبي في تذكرة الحفاظ: "أنبأنا ابن قدامة وغيره قالوا أنا ابن طبرزد أنا ابن الحصين أنا ابن غيلان أنا أبو بكر الشافعي نا الحارث بن محمد نا أبو الفضر أنا أبو معاوية يعني شبان عن عاصم عن أبي صالح عن أبي هريرة قال:

و مثل حدیث الإذرة. هذا أيضًا تعرفه من الإسرائيليات وقع مرفوعًا خطأ. ومم أخذ أبوهريرة بذلك؟ وكيف صححه أثمة المسلمین؟ فسيبه عندنا ما ذكره الإمام ولي الله قال في إزالة الخفاء قوله ليظهره على الدين چون ظهور دين حق بر جميع اديان در زمان حضرت صورت نگرفت زیرا که هنوز نصاری و مجوس با طمراق خود قائم بودند. عامه مفسرین در تفسیر این آیت فرمودند: قال الضحاك ذلك عند نزول عيسى عليه السلام. ثم ذكر كلام الآخرين واثبتنا ورجع إلى تحقیق فقال بالجملة: در آن وقت جميع الارض تحت حکم دو پادشاه دی شکست مجتمع بود: کسری و قیصر. و دین این هر دو پادشاه بر اديان دیگر غالب و هر دو این به اباحت میل دارند و عقیده ارجاء بر هر دو غالب است. کسری و قیصر حامیان این دو دین بودند و داعیان بسوی آن قولا و خلا و تسبیا که الناس على دين ملوکهم. روم و روس و قزلبک و آلمان و افریقا و شام و مصر و بعض بلاد مغرب و حبش در دین نصرايت بودند بمواخت قیصر. و خراسان و توران و ترکستان و زاولستان و باختر و غیر آن مجوس بودند بمذمت کسری. و سایر اديان مثل دین یهودیت و دین مسکین و دین هند و دین صائین پانال شکست این هر دو و شکست پادشاه شده بودند و ضعیف گشت و متدینان اینها برهم خورده، لایحرم داعیه ظهور دین بر حق و قصد انتقام از کفره فخره برهم زدن دولت کسری و قیصر را آشیانه خود کرده اند تا چون این دولت برهم خورد زبون دولت کسری و قیصر را آشیانه خود کرده اند تا چون این هر دو دولت برهم خورد اعظم اديان موجوده و اشهر آنها

لا تقوم الساعة حتى ينزل عيسى بن مريم إماما عادلا وقاضيا مقسطا حين تهب نفوش الإمارة - يقتل الخنزير والقردة ويكسر الصليب ويكون السجدة لله رب العالمين. لم يرفعه. (أ) شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (١٧٤٨هـ)، تذكرة الحفاظ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م)، ٢: ٢٦٢. من هنا يظهر أن ابن قدامة لم يرفع هذا الحديث، ولكن ليس يلزم من ذلك أن الحديث لم يرو مرفوعًا من غير هذا الطريق، فإن أبا هريرة يروي هنا عن النبي ﷺ في صحيح البخاري، ثم إن جابر بن عبد الله يرفع هذا الحديث في رواية صحيح مسلم.

برسم خورده باشد و چون سلطت اسلام بجای سلطت این دو ملت بمشند سائر ادیان خود بخود پائمال شوکت اسلام
شوند مانند پائمال بودن آنها به این دو ملت که در قطر مجاز کردند در تصرف کسری بودند در تصرف قیصر هر دو از
آن غافل بودند و غلبه بر طور غلبه ملوک در غیر این قطر متصور نبود. اهـ (١)

فالذي أوقع الناس في لبيل إلى قبول نظرية نزول المسيح من سفهاء النصارى، إنما هو اضطرابهم
في حل هذه الآية: "ليظهره على الدين كله". فإذا تحقق مصداقه في زمان النبي عليه السلام وخلفائه
الراشدين أبي بكر وعمر وعثمان قبل وقوع الفتنة بين المسلمين لاحاجة لنا إلى قبول نظريتهم للتخبط
التي أخذوها من الأناجيل ورتبوها بعد كفرهم بنبينا عليه السلام، لأن الفارقليط يقيم الدين الذي يبيكت
الناس، هو كان نبينا عليه السلام. هم أرجعوا ذلك المنصب إلى نزول المسيح وقت تزلزل الأرض كقرا
بالنبي عليه السلام. عندنا قوله في سورة البقرة: "هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلُلٍ مِنَ الْغَمَامِ
وَالْمَلَائِكَةُ وَفُضِي الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ" إشارة إلى حال هؤلاء السفهاء إذ لم يقبلوا النبي
فارقليط، وينظرون نزول المسيح ونزول المسيح لا يكون إلا وقت تزلزل الأرض ونزول الرب للمحاسبة،
فما يرجون في تلك الحالة في قيام دولة، وقبل ذلك آيات ناسبان السياق "يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا
فِي السَّلَامِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ" والمراد من الذين آمنوا ليسوا المسلمين
فقط الذين آمنوا بالقرآن، بل اليهود والنصارى والصابئون الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر ويعملون
الصالحات حسب الشرائع الناجية عندهم؛ كلهم داخلون في هذا الخطاب والإشارة في قوله: "خطوات
الشيطان" إلى رجال يلبسون عليهم بشارات الكتب الإلهية الواردة في حق نبينا عليه السلام في التوراة
والإنجيل وكتب المجوس والهند، ويجعلون مصداق تلك البشارة رجلا يأتي بعد نبينا عليه السلام وليس
عندهم حجة إلا هوى أنفسهم فمتمهم الله عن اتباع خطوات هؤلاء. قوله تعالى بعده "فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ
بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ" وما آمنتم بنبينا واتبعتم خطوات شياطينكم "فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ"
يؤاخذكم كأنكم كفار، فلا يكون في قلوبكم بعده كيف أخذنا الله ونحن كنا مؤمنين. أهل الكتاب إن لم
يؤمنوا بهذا النبي، فليس عندهم شيء ينتظر إلا يوم القضاء وفتح الدنيا، فهذا معنى قوله "هل ينظرون
إلا أن الح" وبعده آية "سل بني إسرائيل إلى العقاب". في هذه الآية إشارة إلى تعميم الخطاب لكل من

١ - شاه ولي الله الدهلوي، إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء، تصحيح ومراجعة، سيد جمال الدين هروي، ١: ١١٦،

بني إسرائيل وغيرهم وأن الله يهديهم مثل الكفار، فاشتدنا من أمثال هذه الآيات أن فكرة نزول المسيح لقيام الدين، إنما حدثت من الشياطين المنكرين لنبينا عليه السلام، ووقعت في شريكهم عامة للفسرين، ثم عامة للمحدثين والمتكلمين لعدم فهمهم مشكلة سياسة القرآن الاجتماعية على أمثال طريقة الإمام ولي الله، وإنما ينظرون في قيام الدين إلى رجال مخصوصين من بني إسرائيل أو بني إسماعيل، وهذا من عاداتهم التي تعودوا عليها، ليس له أدنى تعلق بالدين. هذا ما ظهر لنا وما أردنا إلا الخير، فإن كان خطأ يغفر الله لنا ثم الحمد لله. قوله: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ" فسر التجارة بقوله "تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ" معنى تؤمنون بالله الإيمان بالقرآن، ومعنى ورسوله تقتدون في الصل بالقرآن بحزب الله الذي رأسه رسول الله. "وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ". البرنامج التفصيل الذي أتى به القرآن لغلبة دينه على الأديان كلها فتصرفون في أموالكم وأفسدكم. هذا تفصيل التجارة، إذا فعلتم هذا فما يحصل لكم؟ يحصل لكم أمران: الأول: "تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ". إذا كان الإنسان يعمل بشيء لا تقتضيه فطرته، وأما إذا كان أمر شديد، لكن تقتضيه طبيعته، فلا يكون في اتباعه عذاب، فالدين الذي يقيمه القرآن هو دين أبيكم، إبراهيم، دين الحنيفية الذي تحبونه من قلوبكم وقواحبكم. الثاني: "يغفر لكم ذنوبكم". تفكرنا كثيراً في معرفة الذنوب والطاعات وصفات الذنوب كبائرها وعوازم الطاعات ونوافلها، قرأنا أن الحياة الإنسانية لا تكون مجردة للذنوب أو الطاعات إلا شلوكاً، لا يلتفت إليه عامة الإنسانية مبتلاة بالطاعات والذنوب مختلطة. أولاً رأينا في أنفسنا نجته بصحبة الصالحين وأخذنا بالدين أن نعمل الصالحات في أثناء ذلك يأتي الإنسان بذنوب لا يقدر أن يذكرها عند أحد، فما وجدنا ذلك خاصة في أنفسنا فقط. كلما تفحصنا حياة الكبار، فهمهم كذلك إلا طائفة مخصوصة لا اعتبار لها في عموم الإنسانية، فتحيرنا كيف يقدر الرجل أن يجتنب من الذنوب، وبمثل هؤلاء المنكرين أوجد الأديان مشكلة الكفارة أو مشكلة الشفاعات، لكن للرجل الحكيم لا يطمئن بذلك، لأن الشفاعة أيضاً تكون نتيجة عمل من الأعمال، ما كتبه للملاحة إنما يعلم الرب، فالله لا يضيع عمل عامل منا، فيأمر رجلاً له اختصاص بنا، فيشفع لنا يبين له أن هذا الرجل أراد كذا وكذا لنصرة طريقك، لكن الناس لا يعرفونها منه، فيشرح صدر الشفيع فيشفع له بذلك، وبذلك النظرية يتظم جميع النصوص، لأن الشفاعة بدون الإذن لا يمكن، والله لا يأذن لرجل ويترك آخر إلا لحكمة، فكل ذلك يرجع إلى أعمال ذلك الرجل، فالخلص من الذنوب ليس له دواء وشفاء لامسلة الكفار والامسلة الشفاعات، فزاد تحيرنا بعده. نحمد ربنا. فهنا المسئلة بوجه آخر. العبرة للخواتيم. سلسلة أعمال حياتي يكون سبباً لما بعده، فالحكم عليه بأنه ذنب أو حسنة لا يستحسن باعتبار الصورة فقط كما دخل في عاداتنا بل ننظر إلى أن هذا الفعل ما كانت نتيجته بعد؟ فإن كانت نتيجة حسنة فالذنب مغفور، وصورته الظاهرية لا يلتفت إليها، فإذا قتل الرجل في آخر حياته أو تقدم لتعرض قتله في سبيل الله، فلا يكون حياته كلها سعيدة يغفر جميع ذنوبه ولا يلتفت إلى صورته الظاهرية لأن نتيجة النتائج هو هذا العمل الحسن، فبذلك اطمئن قلبنا.

الرجل السعيد من غنم له بالسعادة، فهذا معنى قوله يغفر لكم ذنوبكم. كل ذنب كان قبله كله صار مغفورا له، فإن رجع بأجر وغنيمة وحياة مستأنفة وإن قتل عندنا يكون مصداق قوله ويدخلكم جنات الآبى، وعندنا الرجل إذا قتل في المعركة وكانت نيته صحيحة فهو شهيد غفر له جميع ذنوبه ويدخل على الفور في الجنة، هو لا يمشي على طريقة ثمر على الريح والحشر إلى الجنة بل يدخل الجنة على الفور ويكون مستقيما من جميع المصائب، فإن كان رجل صلاحته الروحانية لقيام الجنة ناقصة، فيدخل في أجواف طيور خضر ويتمكنون من دخول الجنة، وأما الذين صلاحية نفوسهم تامة فيكون لهم في الجنة حياة مثل حياتهم في الدنيا، هذا معنى قوله "جَنّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنُ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ". هذه للسائل ما رأيناها مصرحة من أحد من أهل العلم، لكن الحكمة التي أخذناها من الإمام ولي الله، صارت سبب هذه الكفرة، والجماعة التي تبقى بعد الشهداء تكون غالبية في الأرض، وهذا أيضا بحسب المجاهد وهو معنى قوله وأخرى تحبونها الخ هذه النتائج الحسنة التي حصلت من تلك التجارة أجملها في قوله "ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ" قد اشتهر في الناس أن دين عيسى بن مريم ليس فيه قتال ومقاتلة، هذا خطأ. أرباب الأناجيل ضرحوا بنص المسيح على خلاف ذلك، تنقل إحالته إن شاء الله. نعم في دين بوذا ترك القتال ألزم، لكنهم أيضا أقاموا للحكومة، وكان حكامهم قبل الإسلام في الهند عامة شاملة لجميع أقطار الهند. في زمان ملكهم اسمه امبوكة وبعد ذلك ما غلب على جميع بلاد الهند إلا السلطان محي الدين عالمكير، والنصارى أيضا لما وصلوا إلى الحكومات، قاتلوا وقتلوا، فالتوى عن المقاتلة في بعض الأحيان إنما يكون للصرين والتهوى للقتال. منبعها جاذبة الغضب في الطبيعة الإنسانية، فتمرنها تحت القواعد الشرعية لازم، فإذا لم يمتنع الرجل عن القتال إذا منع، فقتاله ليس اتباعا لأمر الله، بل قضاء شهوة النفس، فالمقامات العالية التي تترتب على الجهاد والقتال، إنما تكون إذا كان استسبال تلك القوة تحت أمر الله، ففي زمان الصيرين يمتنعون عن القتال، وكذلك إذا كانت قوة المخالفين أكثر، فإذا لم يجمع القائد قوة يهلب على ظنه أنه بذلك يقدر على الهزيمة، ويمكن له أن يفوز، لا يدعوهم إلى القتال أبدا، ففي تلك الأوقات الخاصة، يكون القتال ممنوعا، فمن جعله عاما في ديانة المسيح فهو مخطئ، وكذلك من جعله لازما في ديانة بوذا، مخطئ أيضا. "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ الْخ" أول فرض الخواريين كان تبليغ كلمة عيسى إلى جميع طوائف بني إسرائيل، ثم إلى جميع بني آدم، وبعده آمنت طائفة من بني إسرائيل وغلّبوا على الحكومة الشرقية لروما وأدخلوها في النصارى، وكفرت طائفة بعد التبليغ، فأيد الله الذين آمنوا على عدوهم، فأصبحوا ظاهرين، فكانت أرض الله كلها منقسمة بين رجلين: كسرى وقبصر، فكانت النصرانية غلبت على نصف الأرض مع مركزها، وهذا كله كانت نتيجة للمقاتلة، ففكرة عدم القتال لاتلائم السياسة المسيحية. هذا حاصل الآية الأخيرة. مطالعنا في السياسة الهندية ابتدائها من زمان كنت ابن عشر سنين، وعلى مقدار ارتقائي بالتدريج كنت أتقدم في المطالعة، فالإنكليز الآن حاكمون على ثلثي مملكة السلطان عالمكير، والثلث الآخر تابع لهم بواسطة الرؤساء

الهنديين، عائلات أكثرهم من بقايا أمراء السلطان عليگور، هم جاؤوا من بعيد وما اتخذوا الملك مسكنًا لهم، ففتحهم تلك البلاد أعجوبة في التاريخ. تكلم معنا واحد من المؤرخين الهنديين فقال: الإنكليز استعمل الهنديين خلاف الهنديين، فجازوا، لا ترجع إلى فضيلة فيهم، بل إلى صنف في الهنديين. قلت لا، الإنكليز مائة سنة جاهدوا في تسوية طريق البحر إلى الهند وغلبتهم على جميع من يعارضهم في البحر وكل ذلك كان بقوة من أنفسهم، ففي تلك السنين كم رجال قتلوا وكم أموال أنفقوا، وبعد ذلك دخلوا الهند، فطالعوا ذهنية البلاد وعملوا بالحكمة يجذبهم طبقة الضعفاء إلى أنفسهم، ومضى على ذلك أيضًا مائة سنة، ثم حاربوا الأمراء وخرّبوا بعضهم مع بعض، فانا أعترف بقوة عملهم وحكمتهم في فتح الهند.

مسئلة أخرى أنا كنت متحيرًا في حلها. لو علمنا أن القوة الاجتماعية في أهل الهند ماتت، فما كان في قلبي التحير، بل كنت أحكم على الإنكليز أنهم لما لم يغلبوا على الهند كلها، لكن علمي في ذلك أن القوة الاجتماعية في الهند موجودة على حالها، لكنها تائمة، ففي تلك الحالة إذا حارب الإنكليز قطعة حقيرة حاکمة في القوم، غلبوا على الحكومة. كان الواجب أن يستيقظ القوم ويستمر القتال بينهم إلى أن يفني أحدهما. والأمر في الهند بالعكس. نذكر لكم قطعة من تاريخ بنجاب. أنا بنجابي الأصل وقومي في اقوام البنجاب ذو قوة، وأخذ الإنكليز البنجاب من قومنا الحاکم على القوم، قبل ذلك كان متيقظًا، فاستعان برجالنا يوليون، فنظم جنوده على أحدث نظام في أوروبا، وكانت الجنود وكالاتيبيين، فبعد موت ذلك الحاکم، حارب القوم مع الإنكليز، وهم غلبوا عليهم بعد أربع أو خمس من المعارك. كان هذا في ١٨٤٨ء. المسيحية الآن تأتي يعجائب القدرة. تلك القوة القاهرة صارت مطيعة للإنكليز، والإنكليز استغادوه منه في سلطتهم على الهند. بعد تسع سنين مع تلك الواقعة، قام سلطان الدهلي بمقاومة الإنكليز وطوائف من الأقوام الهندية اجتمعوا تحت رأيه في الدهلي تأثرًا من اسمه فقط، وإلا ما كان في بيت أمواله شيء يتفق على الجنود، فجمع ملايين من الروبيات واجتمع ألوف تحت أمره، وما بقي في الهند رجل له حكومة إلا وهو قدم عريضة على الملك أنه تابع له، والإنكليز فاز على تلك القوة بعد معارك نحو سبعين معركة في طول سبعة أشهر، وغلبوا على الدهلي، فالقوة من أين جاءت عند الإنكليز؟ هذه هي قوة بنجاب فقط، وأيدتها حكومة كابل برجالها لأن الحملة على بنجاب إنما كان يمكن من كابل، فأمر كابل أيضًا جاء إلى معركة الدهلي دوست محمد خان، فهذا الذي أدهشني، ما كنت أقدر على حلها، ما الحكمة في ذلك؟ رجال بنجاب إلى الآن مثل الأسود ولهم افتخار بقوميتهم، فأين ذهبت قوتهم في مقابلة الإنكليز؟

مقصدي: الغلبة على الهند للإنكليز حصلت بالمخاربة وبقاء حكمهم بالدعاية الحكيمة. هذا الذي اطمأن خاطري عليه، وكله بعد مداخلتنا في مطالعة السياسات العلمية، وعندنا الآن الدعوة والدعاية أقوى من المخاربة والمقابلة، وإنما خسرتنا لمقابلة الإنكليز لأننا كنا نعتمد على المقاتلة فقط، ولم يكن للدعوة والدعاية قيمة عندنا، وبعد ما عرفنا قيمة القوتين، حكمنا بما حصل لنا من العلم التفصيلي.

الدعاية أقوى من المحاربة، فالآن نصلي على نبي الله عيسى بن مريم الذي دعا الجوارين في زمان ضعفهم إلى الدعاية فقط، وما التفت إلى الحكم أنتم تقتلون أولاً؟ والقرآن أمينا في آخر سورة الصف التي كلها مبنية على الدعوة إلى الجهاد، فدعانا في آخرها كونوا أنصار الله الخ فأنتهى الأمر بالقتال إلى الأمر بالدعوة، لكننا لم ننتبه لذلك إلا بالألفاظ والأسماء. ولما اجتمعنا عند شيخنا في ديويند في سنة ١٣٢٧هـ فأسسنا جمعية اسمها الأنصار، لكن ما وصلنا إلى روح دعوة الأنصار إلا بعد ما اطلعنا على سياسة انقلاب أوروبا، وكنا متفكرين في طريق الدعوة والدعاية، وإلى الآن لم تتمكن علي أن ندعو الناس إلى حكمة الإمام ولي الله لا إلى فقهه وكلامه وحديثه إلا تبعاً بقدر الضرورة، وبعد الحكمة يتفرع منها سياسته الاجتماعية. هذا لازم، فهو يجعل مركز الحركة الإسلامية هدم كسرى وقبصر، أي والإمبراطورية والراسخالية، ومن تفاصيل برنامجه يحصل لنا شيان: ١- تحريم الربا منصوص في كتاب الله، وحكمته هو رد الظلم من الاجتماعيات فصلها في حجة الله البالغة. ٢- كون الأراضي مفتوحة للمسلمين كلها من الأندلس إلى الهند ومن تركستان إلى الحبشة كلها وفقاً على المسلمين لامتلاك فيها لرجل ولا بيت ولا تقوم والامسلطان، فصلها في إزالة الخفاء^(١) وبعد ما حاز الإنسان على حكمته الاجتماعية، يتفرع تحتها الحكمة الإلهية. هي تجمع حكمة جميع الأديان تحت فكر واحد. الاختلاف ليس اختلاف الصورة عند الأئمة، ثم في الطبقة الثانية يختلط معها الجهل والكذب فتتشأ القوميات، ولا فالإنسانية شيء واحد لا يتجزى، فلو تقدم جماعة مختصرة إلى فهم تلك الحكمة العالية الإلهية، لنفعت الإنسانية، وتكون مهيئة لبرنامجنا السياسية، فلو قدرنا على تنفيذ تلك الدعوة في قلوب المستأهلين لذلك من أهل الهند، فبعد ذلك قوة قليلة تكفي لنا في الخروج عن رقة إطاعة الإنكليز، لكننا نحن وإن قرأنا وأقرأنا، لكن نبهنا النفس على روح تلك الحكمة، لأننا كنا غافلين.

١- اسم الكتاب ليس في ن م.

سورة الجمعة

بسم الله الرحمن الرحيم

"يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا ... الْحَكِيمِ". معنى هذا يأتي في هذه السورة. التبليغ الذي ينتج إلى أن الملك لله، وهو قدوس في جميع أحكامه وقضائه، ويكون فيه أوامر يطلب بذلك تكميل ملك الله، فلا يوقع أن ذلك لاحتياج الله إليه. إنما هو لتكميل حوائج الإنسانية فقط وإلا فالله يسبح له ما في السموات والأرض. "هُوَ الَّذِي بَقِيَ فِي الْأَمِينِ... ضَلَالٍ مُبِينٍ". وفي هذه الآية بيان فرائض الرسول الأربعة: ١- "يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ" تصحيح العبارة وتفهم المعنى الظاهر من لوازم التلاوة، فالذي جروده الآن من حكاية آيات القرآن بدون تفهم الترجمة، ليست بتلاوة، وهذا تحريف لكتاب الله. ومبدأ ذلك من السلاطين ووزرائهم السياسيين هم لا يحبون أن يعلم المسلمون ما أنزل إليهم من ربهم، فإنهم إذا علموه يجعلون الحكومة عليهم مشروطة به، وكل سلطان يخالفه يعزلونه وإذا لم يكن لهم علم بمعنى كتاب الله، فالسلطان ظل الله في أرضه، فإن كان الشيطان يقول على رأسي! والسلطان لا يكون ظل الله في أرضه إلا إذا أقام دين الله وأحكامه، وإذا أقام الطريقة الشيطانية، فهو ظل الشيطان. هذا الذي شرطناه في معنى التلاوة، أخذناه عن الإمام ولي الله، وفسره شيخ شيخنا مولانا محمد قاسم حتى فهمنا مقصود الآية "وَيُزَكِّيهِمْ" التزكية معناها تأثر الأخلاق الإنسانية بتعليم القرآن، وفي القرآن آيات محكمات هي تفسير نفسها. إذا علم الرجل ترجمتها بلسانه، يحيط بمفهومها، فإذا انخفض لذلك الأمر، وافقه عليه عقله وقلبه ونفسه. اللطائف الثلاثة البارزة التي اتفق عليها كل من اعتنى بهتليب الأخلاق، ويجذب تلك اللطائف علم المحكمات، وتتلون بذلك. هذا معنى التزكية، وهذا يكون بصحبة الأستاذ، فالنبي عليه السلام في شخصيته قوة تأثيرية، كل من يصحب معه ويسمع كلامه بالاستسلام، هو يشرح صدره باتباعه. وكانت تلك القوة في النبي متعددة، فالذين يتعلمون عليه ويكتفون الصحبة، تحدث فيهم قوة تأثيرية على مناسبة مزاجهم، فطريق تعليم القرآن ما كان الأخذ من الصحف، بل التلقي من الشيخ، والشيخ يكون صحبته في التلقي سلسلة إلى النبي عليه السلام، يعني هو استفادة بالواسطة من القوة التأثيرية للنبي عليه السلام، وشهد له شيوخه أنه أهل لتعليم القرآن وهذه الطريقة انقطعت في زمان شرعوا في حفظ ألفاظ القرآن بدون تعلم معناه.

إيضاح ذلك: نعرف القرآن تعلمًا انقلابيًا عالميًا، والنبي مركز ذلك الانقلاب، وقد رأينا إذا كان الشيخ انقلابيًا ويريد أن يعلم برنامج انقلابي للمخاطبين، فهو يجتهد بكل قوته أن يوصل إلى قلب كل سامع ما في قلبه من قوة الانقلاب، ثم الذين أخذوا من ذلك الشيخ، يمشأ فيهم أيضًا تلك القوة، فلا يكون ذلك إلا لكون البرنامج انقلابيًا وإن لم يفهم المخاطب ما يريد هذا الأستاذ، ولم يتيقن أن الضعفاء المظلومين يقتدرون أن يحكموا على الظالمين. إذا هم راعوا ذلك البرنامج، لا يكون لتعليم الانقلاب معنى، ونحن

لا تقدر أن نفهم من لم يعرف ترجمة القرآن بلسانه، وإنما نريد المحكمات، لأن المتشابهات لا ينتهي البحث فيها عند العلماء أيضًا، فعادة الناس ليس لهم حظ في المتشابهات، وأما المحكمات مثل الملك لله ليس واحد من الملوك مالمَّا لرعاياه، حتى يجوز له التصرف فيهم كيف يشاء. إنما هم مأمورون بتنفيذ حكم الله في عبادته. تلك للسئلة واضحة والقرآن ينص عليها بتعابير وعنوانات مختلفة حتى يفهمها كل رجل. مثال آخر للمحكمات أن هذا الدين يريد إقامة العدل والإحسان الذين هما أركان التقوى بلفظ القرآن في الدنيا بدون الرعاية لأحد، والحساب في ذلك يكون بيد الله، وكل رجل إذا لم يتبرأ عن عاصيته في أعماله، ليس له حق أن يجعل نفسه مقدسة. هذا أمر واضح في القرآن. الإيمان بيوم الدين وتفسر يوم القيامة بتعابير مختلفة وكون الظالمين لا ينصرون أحد، ولا يكون في تلك المحاسبة جبر على أحد كل أحد يعترف بتقصيره، ثم يبيّز به، فمن لم يؤمن بيوم الدين لا يكون مسلمًا ولا مؤمنًا. هذا أمر سهل يفهمه كل أحد، فإيصال تلك المقاصد العظيمة إلى قلوب عامة الناس، إنما يمكن من أسئلة انقلابيين دون غيرهم، فالرجل إذا كان عالمًا كبيرًا وليس انقلابيًا، فهو لا يلفظ بكلمة إلا من حصل علومًا كثيرة، وله استعداد تام لفهم تحقيقات ذلك الأستاذ، وأما العالم الانقلابي، فليس له مخاطب في الأرض إلا من خرم عن مرافق الحياة. الحكام ضيقوا عليهم حتى لا يتعلموا العلم ويعلمون لهم مثل الحيوانات في جمع مرافق حياتهم، هؤلاء هم المخاطبون الأولون للرجل الانقلابي، فيكون له قوة بيانية بلغت إلى أقصى الدرجات، فهو يقدر أن يوصل المفهوم العالي إلى قلب كل رجل بتمثيلاته البالغة. هذا الذي جربناه نجعله أنموذجًا لتعليم النبي عليه السلام القرآن، فنفهم جميع المسائل بسهولة، وكيف كانت فيه القوة التأثيرية وكيف كان الناس الأميون في صفة واحدة يأخذون عنه أصول دينه.

مثال ذلك أنا ما رأيت شيخ شيخنا مولانا محمد قاسم، لكن صحبت أصحابه وعرفت بتفصيلات حياته وقرأت كتبه فقط، وفي الآخر رأيت أنه شارح عظيم لحكمة الإمام ولي الله. هو كان يتكلم بالمسائل الفاسضة من حكمة الإمام ويوضحها في الجامع العامة بجميع أخلاط من الناس من المسلم والمنود حتى يجزم أكثر من يسمع كلامه أنه تحقق ذلك. في فرق في ذلك للنصاري ولا للهندي ولا للعالم ولا للخاص، وكان شيخنا مركز القوة الجهادية لجماعة، فنعرف بذلك أنه كان انقلابيًا. هذا كان حاله، ثم نرى رجلاً آخر من أقرانه مولانا رشيد أحمد الديوبندي^(١). أنا أخذت عنه، وله تلاميذ كثيرون، أخذوا عنه الحديث في جمعه للعلوم الدينية وتحقيقه على طريق الإمام ولي الله الدهلوي. ما كان دون مولانا محمد قاسم بل يفوقه في بعض كمالاته، لكنه هو كان يصرح أن رغبتي في الجهاد إنما كان برفقة

^١ - لينظر: هو الشيخ المحدث رشيد أحمد بن هداية أحمد بن بير بخش الرامپوري الكشميري، كان يتمتع بأوصاف العلم والفصل، كان أصله من رامپور، أخذ الطريقة عن الشيخ إمداد الله التهانوي ثم تصدر للتدريس بكنكوه رقبتي كبرا من وقته في المعجاز ولازم الشيوخ. (الحسيني، نزعة الخواطر، ٨: ١٢٣٠).

مولانا محمد قاسم فقط، فلما توفي ما جاء هذا الفكر كثيرًا في البناء، ولو كان هو حيًا جريها إلى ذلك الميدان. هذا معنى كلام الشيخ فلعلمنا منه أنه ليس انقلابيًا، فالاستفادة منه لا يسهل لكل أحد. الرجل يكون حاروًا للعلوم وكالمقلد للشيخ، فيستفيد ذلك الإفادات لاشك أنها عظيمة، لكنه لا ينفع في باب الانقلاب أو في شيء، ثم جاء شيخنا شيخ الهند لانسبه له في كمالاته مع الشيخين، لكنه كان انقلابيًا على طريقة شيخه مولانا محمد قاسم، وكان من الابتداء حفظ عن شيخه ما يتعلق بالانقلاب، وشيخ شيخنا رماه لذلك، فمع كونه نازلاً عن درجة الشيخين، كان رجلًا انقلابيًا، يجلس معه ولا يعترف له بأنه لا نظير له في ذلك الباب سواء في ذلك جماعة الشيوخ وجماعة الأحرار الذين تخرجوا من عليكره. لما سرى الانقلاب إلى أحرار عليكره ما كان انقلابيًا، بل كان يمشي على موافقة الحكومة الحاكمة، فاحتاج الأحرار إلى إمام لهم، فكان في الهند كبار الانقلابيين، فانظم إليهم الحر النشيط من عليكره وهو مولانا حسرت موهاني^(١) دخل في جماعة تلك من كبار الانقلابيين، ثم لما كثر الأحرار في عليكره وما كانت غورهم تبيع لهم الانضمام إلى الانقلابيين من الهنود، فالتصوا رجلًا من علماء الهند ومشائخها يجعلونه مفتدى في الانقلاب، ثم يشتركون مع الهند، فمولانا محمد علي وشوكت علي بابا مولانا عبد الباري من أتباع مولانا عبد الحفي الكنتوي، ورجوا منه أن يكون لهم إمامًا في الانقلاب. هو كان رجلًا صالحًا عالمًا، لكن ما كان انقلابيًا وكان له اتصال مع بعض كبار المسلمين الذين يلاصقون مع الإنكليز دائمًا، فكان سهلًا للإنكليز أن يعلموا ما يريد به محمد علي، وهذا شوكت علي أخوه ليس انقلابيًا، لكن أكبر منه، فعرف الناس اسمه أيضًا. أما الانقلابي، فكان هو محمد علي، هو بعدما فرغ من عليكره دخل في جامعة أكسفورد وكان له ملكة في الأدب الإنكليزي. نوابغ الإنكليز أيضًا لا يقدرّون على مقابلته، وهو كان عارفًا بمركز الإمبراطورية الإنكليزية، وبالصدقة كان الدكتور الأنصاري أيضًا كان يكمل الطب في الإنكتر، وهو رجل معتدل انقلابي فح، فإذا انضم معه محمد علي وهو شعلة من نار، ليس في ذهنية الإنكليز أن رجلًا في إمبراطوريتهم يغلب على ذهنية هذين. هذا أساس القوة الأحرارية في الهند، فلما يقس محمد علي من مولانا عبد الباري، وقبل ذلك عرفني شيخنا بأحرار عليكره فاجتمعوا علي حتى أكون لهم إمامًا. الشيخ شبلي أسناده محمد علي في عليكره وكانوا في الحركة الانقلابية منشاركين. معه كان مولانا أبوالكلام، اجتمعنا في بيت الحكيم أنجل خان في الدهلي، فبحثوا عندي في مسئلة إمام للمسلمين في الهند، وأنا كنت أعرف مقصدهم، فوجهوا الكلام علي وقالوا إن شئت نحن نقدمك، فأنا ردت عليهم. ثم صاروا يبحثون عن رجل هيويندي ألوف وكانوا يعرفوني أبي في مسئلة الانقلاب فائق

١- كان حسرت الموهاني (١٨٧٨-١٩٥١م) من الشعراء للقرن السابق وكان ركنًا لحركة الحرية الهندية، وكان له ذوق في الشعر منذ الصغر وكان يرى كلامه الأستاذ تسنيم الكنتوي، وقد أجرى رسالة باسم أردوي سبلي من علي كره سنة ١٩٠٣م، ويلقب برئيس للثقلين. (انظر: بيوتسور ثريا حسين، حسرت موهاني، (علي كره: علي كره الجامعة الإسلامية).

عليهم، وهم يعتقدون أن مركز الانقلاب ليس إلا عليكره أنا لا أعرف كلمة من الإنكليزية، فبحثوا رجلاً يبحثون عن حيلتي، فلما علموا أنا من تلاميذ مولانا محمود حسن، تعجبوا من ذلك، وهو أستاذي في الانقلاب، ما صدقوني في ذلك، فرجعوا للقاء شيخنا حتى يعرفوا هل يعرف الانقلاب، فجاء أولاً حسرت موهاني إلى ديوبند، وجلس مع الشيخ وبحث في أشياء. أنا ما كنت حاضراً في ذلك المجلس، ثم رجع إلى عليكره وقال إني رأيت أكابر انقلابيين من الهند، وليسوا بالنسبة إلى مولانا محمود حسن^(١) إلا كالأطفال، ثم جاء شوكت علي^(٢) لرؤية شيعي، وأنا كنت حاضراً في ذلك المجلس. هو كان جرب أولاً مولانا عبدالباري^(٣)، فاطمئن خاطره بالكلام القليل والأنصاري والحكيم أجمل خان^(٤) كانا من الأصل من أصحاب شيخنا، فلما تبين لأحرار عليكره اتخذه إماماً، وهم الذين عرفوه باسم شيخ الهند إلا واحداً من الشيخ لا يقدر أن يسمى شيخه شيخ الهند، ويسكت عن ذلك الناس، بل يقيمون مقابلة اثنين وثلاثة كل واحد اسمه شيخ الهند. أنا كنت متودداً في فلاح تلك الحركة لأن إمامة شيعي ترقى على طريقة الإسلام وإن كان روح الانقلاب أكمل فيه من غيره، لكنه لا يصير مقتدى في البرنامج الانقلابي، وفي بعض الأوقات يختلفون فيما بينهم في أمر غير ضروري، ويؤدي ذلك إلى الانقطاع، فكنت أحب أن يفوض الشيخ إمامة الانقلاب إلى رجل من الأحرار مثل الدكتور الأنصاري. هو وعائلته كلهم من المباحين للشيخ، فتقديم تلميذه على نفسه لا يكون صعباً على الشيخ، فلو رضى بذلك الشيخ، كان أحمد للعاقبة وأنا كنت أتحين الفرصة لعرض الفكر على شيخنا، فأظهرت ما في ضميري في وقت الفرصة بكلام يلام طبيعة الأستاذ، فسمع كلامي وما تكلم بكلمة. أنا ما فهمت إلى أي جهة مال الشيخ، ثم دعا الشيخ إلى الدهلي في بيت لأنصاري، فأشار إلى أنه مائل إلى قبول فكري، وبعد ذلك حدثت اتفاقات، وذهب محمد علي إلى ديوبند، فأرسل إلى الشيخ تعيين الوقت للقاءه، وكان في ذلك

١- هو الشيخ محمود حسن ولد سنة ١٨٥٦ء وتوفي سنة ١٩٢٠ء، يلقب بشيخ الهند قرأ الكتب الابتدائية على يد عمه مهتاب علي، وكان أول طالباً بدار العلوم ديوبند، بعد فراقه من التعليم هو قام جيد الإنكليزي لتحرير الهند وقد فصل في هذا السبيل المكابدة وللشاكل وقد أجلي وأمر في مالنا. (النظر: الحسي، المصدر السابق، ٨: ١٣٧٧).

٢- كان مولانا شوكت علي قومياً إسلامياً هندياً وزعيم حركة الخلافة. كان شقيق مولانا محمد علي. ولد عام ١٨٧٢ في ولاية رامبور فيما يعرف اليوم باسم ولاية أوتار براديش. كان جميع الإخوة قائلين بالحركة حرة باكستان.

٣- مولانا عبد الباري قزويني مالهالي (الأردية: مولانا عبد الباري فرنكي محلي)، (مواليد ١٨٧٨ء - ١٩٢٦ء) هو باحث في قزويني محل، انتقلت عائلته من سهالي إلى فرنجي محل حوالي عام ١٨٩٥ء، وكان مولانا عبد الباري من للمحمسين الحركة الخلافة.

٤- هو الحكيم أجمل خان (١٨٦٨ء - ١٩٢٧ء) كان طبيباً شهيراً في الطب اليوناني، وفي في الدهلي، قرأ الطب على يد أخيه الحكيم محمد واصل خان وطار صيته في هذا الفن، كان يتحسس للاتحاد بين الهند والمسلمين.

السفر الحكيم أجمل خان وأبو الكلام مصاحبين لمحمد علي، وهما كما سنبل الوقت لقائه، فالشيخ قرر لهم الوقت، وهم فرغوا من زيارته. بعد ذلك جاء اقتراح من محمد علي لتعيين الوقت لزيارته، فالشيخ أجاب أنك أنت لا تأتي إلي بل أنا آتي إليك، وفوض إليه في ذلك المجلس إمامة الانقلاب في الهند، فانتظم الأمر وجري على المجري، فصحبنا لصيحتنا الانقلاي، عرفنا طريقة الانقلايين في التعليم والتعليق، ثم اتفقنا ذلك بما وصل إلينا من مولانا محمد قاسم، ورأينا قبله مولانا محمد إسماعيل الشهيد بمشي على هذا المنهج، فكان تقرر عندنا شيء لكن ما فدرنا على جعل ذلك الطريق أعظم من الآخرين، لأن أصحابنا رجال غير الانقلايين أرباب الفضل والكمال، فما تقدر على تقديم الانقلايين على غيرهم كما كان حقه وإن كان شيء من ذلك، فترجعه إلى الاقتضاء الطبيعي الخصوصي. مثلاً أنا كنت أحب شيخنا شيخ الهند أكثر من حبي لشيخنا رشيد أحمد، وهو في منزلة المشايخ لشيخنا، فتدعمل هذا الأمر على خصوصية طبيعته لا إلى جعل الانقلايين فاتقاً على غيرهم. هذا كان حالنا في الهند، فلما تدخلنا في السياسات الأوروبية، قم العمل في معرفة الانقلاب، ولا تجعل بعده الانقلايين مثل غيرهم، فطريق تعليم الانقلايين هو النموذج لتعليم النبي ﷺ القرآن وتزكية الأخلاق. هذا أمر سهل على الانقلايين أن يفهموه. إن الرجل إذا صحب انقلاباً وسمع خطابه وهو يفهم أنه أدرك مقصد هذا الأستاذ، لكن روح الانقلاب ما تأثر به ذلك الرجل، هل يقبله الأستاذ الانقلاي تلميذاً له؟ كلا! هكذا إذا كان النبي يطلع عليهم آياته ويرى أن المحكمات القرآنية لا تصل إلى قلب هذا الرجل، يجعله النبي ممن لم يتزك بتعليمه، وأما من أخذ بروح الانقلاب بقدر استطاعته، هو ممن تزكى. **وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ**. انقلاب لا يتم إلا إذا هدم الباطل المتقزم مبنى الظلم على المساكين، وبنيت الحكومة الاجتماعية القائمة على أساس العدل، وفي جماعة الانقلايين طائفة كبيرة تقدر على تعمير تلك الحكومة، ويكون معهم طائفة صغيرة يردون هذا التعليم كله إلى اقتضاء الفطرة الإنسانية، وهي المعبر عنها في لسان القرآن بالحكمة، فإذا انتظمت الحكومة الاجتماعية العادلة، واطمأنت قلوب الناس أها تبنى على أساسات هي مقتضى الفطرة الإنسانية، فلا يخافون انقلاباً في ذلك الانقلاب. هذا هو المراد عندنا من قوله **"وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ"**. الكتاب القانون المكتوب من تهذيب الأخلاق وتدريب للنزول والمعاملات بين الناس وسياسة المدينة والخلافة الجامعة لجميع الأرض، فالقانون الذي باتباعه يكمل الجماعة الاجتماع الإنساني إلى آخر درجاته، هو المكتوب في القرآن، وهو المراد من الكتاب. الناس عامة يزدنون في هذا القانون قوطين السنة ونحن نقول بعد الكتاب السنة لانجتماعها مع الكتاب. النبي عليه السلام ما رضي أن يقول الخطيب ومن يطعمهما أو يعصهما ويجمع لله ورسوله في كلمة واحدة، وما أجاز أن يقول الرجل ما شاء الله وشاء محمد، بل علمهم أن يقولوا ما شاء الله ثم شاء محمد، فهكذا نحن نجعل درجة سنة نبينا وسنة الخلفاء الراشدين بعد الكتاب. الإمام ولي الله صرح بأنه قدر أن يستبطن جميع أحاديث النبي عليه السلام المتعلقة بأحكام الصلوة كلها من كتاب الله، وأراد أن يدون في ذلك

رسالة، فإذا كان هذا حكمتنا لرجل من أمة محمد، فإذا اجتمع جماعة من الحكماء لا الفقهاء فقط، هم
يقدرون أن يستنبطوا جميع سنن النبي من القرآن، فيكون درجة القرآن درجة تلقين وسنة نبينا، وكذلك
بعض سنن الخلفاء الراشدين، وكذلك بعده سنة فقهاء المسلمين كلها شارحة للقرآن في درجة واحدة،
وإن كان بعضها أقدم من بعض. هذا الفرق بين الكتاب والحكمة، من أراد أن يفهمه فليراجع إلى حجة
الله البالغة، هو فرد في باب ولا يفتقر الناس بتفسير الإمام الشافعي السنة بالحكمة، فهم يفهمون من ذلك
أن هذه مجموعة الأحاديث هي الحكمة القرآنية على تفسير الإمام الشافعي وما نفهمه من كلامه أن
السنة كانت عمل النبي عليه السلام بحكمة القرآن، فكان كله مستنبطاً من القرآن، لكن على أصول
الحكمة، ونحن نصرح بأن مشايخنا وإن كانوا حنفين، فأما من المجدد الأول الشيخ أحمد السمرقندي
استفاد من روحانية الإمام الشافعي مثل ما استفاد من روحانية الإمام أبي حنيفة، وصار بعد ذلك كل ما
رأى ضعفاً في الفقه الحنفي، أجزوه بفقه الإمام الشافعي، وكذلك الإمام ولي الله الدهلوي استفاد طريقة
استنباط الفقه من كتب الإمام الشافعي، وتجديده قدرنا على أن نفهم عظمة الفقه الإمام أبي حنيفة
والأفالفقهاء الخراسيون الذين هم مستند الروايات في فقه الحنفي لأهل الهند، جعلوها راجعة إلى
محاورات جدلية، إذا قام رجل حكيم يجادل قلب عليهم جميع استدلالاتهم، لكن بعد ما استفدنا بواسطة
الإمام ولي الله طريقة الاستنباط من الكتاب والسنة، ثم رجعنا إلى مصادر الفقه الحنفي، أصحاب عبد
الله بن مسعود مثل الإمام النخعي، وجدنا ذلك الفقه قانوناً متيناً يمشي مع جميع الانقلابات سواء،
وذلك من فضل الله علينا والمثل في فقهنا كتاب المسوي للإمام ولي الله، فالكتاب نفسه في المسوي
والحكمة تفصيلها في حجة الله البالغة وفتح الرحمن بترجمة القرآن والفوز الكبير في أصول التفسير
يجمعها. "وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَيْسَ ضَالِّينَ". ليسوا أهل الكتاب يحفظون بذلك شريعة إسماعيل
وإبراهيم، ودعواهم بذلك أنهم متبعون تلك الشريعة، ودخلت فيه من ديانة الصائبة وتعرفاتهم شيء كثير،
وهم يحسبون كله الملة الإسماعيلية، فإذا تفكر رجل حكيم في حالهم، يظهر له أنهم في ضلال مبين. ونحن
رأينا مثل ذلك جماعات من المسلمين على حدود الهند بعيدين عن المركز العلمي، كلهم يدعي أنهم على
مذهب الإمام أبي حنيفة، وعلمائهم وشيوخهم الجهلة أدخلوا رسوم الكفار كثيراً، منها في المعمولات
وهم يحسبون كلها مذهب الإمام أبي حنيفة. أنا كنت في السنة الأولى بعد إسلامي، أدور فيهم وأخذ
الصرف والنحو عنهم، ورأينا علمائهم ماهرين في النحو. أما في الفقه فمثل الجهال، ثم لما انتقلنا على
الديوبند وأخذنا الفقه الحنفي على علمائه، رأينا هؤلاء للساكنين الذين على الحدود أجهل الناس بالفقه،
وما قدرنا على تعيين طريق الإصلاح لهم. هذا نموذج عندنا أنهم كانوا في ضلال مبين. ثم رأينا بالهندريج
يلهب طوائف من الطلبة إلى المراكز العلمية حولي الدهلي، فزججوا ورأينا فيهم التيقظ القوي، أصل
عقيدتهم أنهم على مذهب الإمام أبي حنيفة. وإنما غلطوا بتلميس الدجالين في تعيين تلك الطريقة، فلما
تيسر لهم الرجوع إلى الحق رجعوا إليه، فبذلك المثال يتضح كون الأميين في ضلال مبين، ثم استفادهم من

النبي بالكتاب والحكمة. قوله: "وآخرين منهم لما لم يلحقوا بهم" منهم أي من الأميين ليسوا أهل كتاب معروفين بذلك، وهم الفرس، والمراد منه جميع الأقوام الذين كانوا تحت رئاسة كسرى من خراسان وتركستان والهند الذين لسان أكثرهم اللسان العلمي الفارسي، فهؤلاء يلتحقون بالعرب ويعملون ما عمله العرب في نصرته الدين، فالإسلام في أساسه الأول كأنه دين الأقوام، وقد ذكرنا قبل أن أهل مكة للشركون منهم كانت غلب عليهم ذهنية الصائبة من الفرس، فهم رهنوا رهاناً في نصرتهم على الروم أهل الكتاب وجعلوهم مثل المسلمين وجعلوا أنفسهم مثل الفرس، فقطعتان من الأقوام الأول العرب الساميون يأخذون بالقرآن الساميون يأخذون بشرائعه عامة والأريون يأخذون بحكمة عامة يأخذون، فيتم بها نصاب الأخذ بالقرآن ويكونون مثلاً أعلى للمسلمين، وقد تحقق مصداق ذلك في بنساده اجتماع فيها العرب والفرس. "ذلك فضل الله يعطيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم." انتقل إقامة الدين الجامع من بيت بني إسرائيل إلى بني إسرائيل، وإقامة هذا الدين في أطراف الأرض انتقلت من أهل الكتاب إلى الأميين، فكل ذلك فضل من الله بمقتضى استعداد الأقوام، فبنو إسرائيل وأهل الكتاب ضيعوا استعدادهم.

جملة معترضة

تعجبنا من بعض المعصرين لنا يفسرون القرآن من زعماء العرب، ففسروا تلك الآية، وآخرين منهم بالعرب المتأخرين وأخرجوا الفرس والمعجم عن الجامعة الإسلامية، وذلك الرجل هو الشيخ رشيد رضا وغفل هو أو تغافل عن كتاب التفسير في صحيح البخاري، فسر النبي عليه السلام الآخرين بالإشارة إلى سلمان الفارسي، وذلك نعرفه من عملية المياسة الكاذبة يجعلون الإسلام دين الأقوام ديناً قومياً مثل بني إسرائيل للعرب، والأسف أنهم يعرفون في الإسلام باسم الحكماء "مهل الذين حملوا التوراة" الخ أي اليهود وكانوا يرجون أن يكون مقيم للدين منهم لكنهم لا يعرفون ما عملوا بالتوراة، لا يفهمون شيئاً منها، وبحكاية ألقاظ التوراة يجعلون أنفسهم أهل التوراة ولا يفهمون أنه الانقلاب العلمي هل يقوم برجال جهال لا يعرفون شيئاً من المقصد، فهم "كمثل الحمار يحمل أسفاراً". أنا لا أجد فرقاً بين الذين يقرؤون القرآن بدون فهم المعنى، وبين الذين يقرؤون التوراة بدون فهم المعنى. "كذبوا بآيات الله." الآيات الإلهية المتواترة في التوراة في كتاب كل نبي منهم أنهم إذا عملوا بأحكام التوراة يكون الرب معهم، وهم يكونون قوم الرب، وإذا تركوا الأحكام يسلب عنهم ما كان عندهم من الحكم والتمكن من الأرض، هم يريدون تكذيب تلك الآيات، لا يعرفون أحكام التوراة لا يعملون بها، فإذا قدمهم الله على العالمين ما يكون قول الناس في أحكام التوراة بعد ذلك، فهم لا يستحيون بهم. "والله لا يهدي القوم الظالمين." الله بين لهم الطريق وبين لهم أن الصراح معلق بسلوكه، وهم تركوه فكانوا ظالمين وبعده يريدون أن يهديهم الله طريقاً آخر. هذا لا يكون أبداً. أكثر الناس يتزعمون في تفسير مثل هذه الآيات أوهاماً غير

صحيحة، وليس معناها إلا ما بيناه، فإذا كان عند هؤلاء الظالمين طريقاً واضحاً، فتركوه بظلمهم، فهل يستحقون أن يلهموا طريقاً آخر. هذا هو المراد والله لا يهديهم. "قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا" إلى آخر الآيات الثلاث. بين الله أنهم بأي ظلم استحقوا أن تخرج من بينهم النبوة. الرجل الذي يتقدم لإقامة الدين، يكون انقلاباً فوق الانقلاب السياسي. الانقلاب السياسي يريد الانقلاب في الحياة الإنسانية كلها، الدنيا والآخرة، فالذي يتقدم على إقامة الدين وإيجاد الانقلاب في الأديان كلها، هل يمكن أن يفوز بدون أن يكون عنده تمهيد للقتال، فالذي يخاف الموت هو يتقدم إلى القتال؟ والانقلاب سياسياً كان أو دينياً - إذا كان عالمياً - يحتاج إلى قتال عظيم. فالقوم الذين لا يتمنون التقدم إلى مواقع الموت إذا تعين ذلك لنصرة الحق، هل يقدر على إقامة الانقلاب؟ كلا! هذا معنى قوله: "إِنْ رَعَيْتُمْ أَنْكُمُ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ" الخ يعني أن الله لا يقيم مقام الدين إلا منكم، لأن الناس ليس لهم ولاية لك، فإن كان هذا صحيحاً "فَتَمَتُّوا الْمَوْتَ" تقدموا إلى ميادين القتال لنصرة الدين، لأن الانقلاب لا يقوم بالاصطلاح، فأحدهما يكون غالباً إما الانقلابي وإما الارتعاعي، فبدون القتال لا يكون الفصل بينهما. اختزع الناس أشياء في حل هذه الآيات، ليس لها أصل، لكن في بعض الأوقات يقبل المفسرون أشياء غير ثابتة، لأنه ليس عندهم حل لهذه الآيات غيرها. أخذنا عن شيخ الهند أن السكوت في مثل هذه المواضع أحسن. وهذه الآية تفسيرها موجود في القرآن في واقعة الأحد. "وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ" الخ فهذه إشارة إلى رجال لم يحضروا في بدر، فقالوا لو دخلنا في القتال مع الكفار في معركة أخرى، يرى الله ما نعمل، ثم تأخروا في واقعة الأحد، فإلى هذه الكلمات أشار "ولقد كنتم تمنون الموت" يعني الحضور في مواقع القتال، فمثل هذا ينبغي أن يفسر قوله: "فَتَمَتُّوا الْمَوْتَ" يعني تموه في مواقع القتال لنصرة الدين فلاحاجة إلى خرافات جمعوها في التفسير. هؤلاء الذين استحبوا الحياة الدنيا ولتكميل مراقبتها تركوا الدين وظلموا الناس هم يتقدمون إلى مواقع الموت؟ هذا لا يكون أبداً في قوم من الأتقياء. "والله عليم بالظالمين". إنهم لا يقدرّون تحمل هذه المناصب وما يلزمها من المناصب، فكيف ينصبهم لإقامة الدين والإنسان إذا نظر إلى فلسفة الإلهية التي درجتها فوق درجة الفلسفة الاجتماعية، فالموت والحياة تابعان لقانون ليس للإنسان دخل فيه، فبسبب خوف الموت يتأخر الإنسان عن مواضع تحصيل الكمال. هذا جهل بالحكمة الإلهية وهو عيب على أهل الأديان، لأنهم يجمعون بين الحكمة الإلهية والاجتماعية. فالقرار من الموت لا يبعد الإنسان من الموت، فهو آت في وقت لا محالة، وبعده يكون ابتداء الحياة الثانية، يرى الإنسان فيها نتائج الحياة الدنيوية، فإذا كان الإنسان ظالماً في الحياة الدنيا، فتكون حالات الموت أقبح، وهذا القدر معلوم عندهم، فلا يحبون أن يتركوا الحياة الدنيا، فلا يستحقون أن يكونوا أئمة الانقلاب. ففي هذا تنبيه للمسلمين أنهم إذا اطمأنوا بالحياة الدنيا وتباعدوا عن روح الانقلاب الذي يبعث فيهم، تصير حالتهم مثل اليهود. "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لُودِيَ

لِلصَّلَاةِ" الخ. ما تقدم كان فيه بيان ضرورة القتال والتهديد له دائماً، والأمر الذي يكون أعظم من القتال هو دعوة الناس إلى القرآن، ففطن الله له قانوناً في كل أسبوع يوماً يجتمعون ويعلمهم الإمام ما يبلغون الناس من القرآن في ذلك الأسبوع، فالذين يحضرون الجمعة يعلمون أهل بيتهم من النساء والأولاد والخدام ويعلمون من حضر من أهل القرى أهل قريتهم، ثم كل رجل لأهل بيته. يكون كل المسلمين بذلك بالتدريج عالمين بجميع أحكام القرآن، فيخرج منهم رجال للقتال ورجال لإقامة القانون الحق ورجال لتزكية الأخلاق ورجال حكماء، فتكون الاجتماعية الإسلامية بالغة إلى أقصى مدارج الكمال يكون فيها قسوة حسنة للأقوام الآخرين، وإذا غفلوا عنه يصيرون في الدرجة الثانية من اليهود أعني المنافقين. "فَاسْتَعِزُوا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ". الظاهر المراد منه الخطبة، وهذا الاجتماع هو الاجتماع للخطبة وهذه الخطبة إنما يكون فيها الروح إذا كان الناس انقلابين وكل يوم يحتاجون إلى التجهيزات الجديدة، وأما إذا تركوا الانقلاب، فلا تكون الخطبة إلا حكاية بعض الأقوال. الخطاب يكون من نفس قوى للمخاطبين الذين يريدون أن يأخذوا منه روح الانقلاب، لا يكون تلك الخطب السياسية تقرأ فيها كلمات ميكروية، وهذه كلها لسوء صنع الحكام، هم منعوا عامة المسلمين عن الاشتراك في سياستهم، وبطل به القوة الاجتماعية للإسلام، فإقامة هذا الحكم الذي أمر الله به في سورة الجمعة تكون الحكومة اجتماعية لا انفرادية سلطانية فالرجل الذي لا يريد رفع تغلب الانفراد بين قوم المسلمين على الاجتماع الإسلامي ليس انقلابياً ولا يفهم الخطبة فالانقلاب والإسلام كاللزام والمألوم.

جملة معترضة

المخاطبون لا يعرفون العربية فالخطيب هل يلزم له أن يخطب بالعربية؟ كلا؟ لا يكون الحمد والصلوة وخشيء من مبادئ الخطبة بالعربية وتقرأ الآيات القرآنية^(١) التي يلقي تفسيرها الخطيب إلى الناس بالعربي. هذا القدر كاف ثم يفسر تلك الآيات بلسان المخاطبين، والنزاع فيه إنما يقاوم من رجال لا يعرفون الحكمة.

"فَاسْتَعِزُوا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ". لما كان المراد منه الخطبة والنبي قرر أن الخطيب من المسلمين لا يكون إلا أميراً أو مأموراً فلا يكون حكم الخطبة حكم الصلوات الخمس، بل لابد أن يكون فيه شعبة من قوة الحكومة بوجود أمير أو مأمور، فإن كانت الدار دار الإسلام، سلطانها أمير مسلم، فكل موضع يوجد فيه رجل من الحكومة يكون محلاً لإقامة الجمعة، وهذا هو المراد من قول الإمام أبي حنيفة يشترط لها للمصر، فإذا لم يكن في المسلمين حكومة على تلك البلاد، فواجب على المسلمين أن يجتمعوا في أحزاب سياسية لإعادة حكم الإسلام إلى تلك البلاد، وإن كانت أولاً دار الإسلام أو لإنشاء الحكم الإسلامي

١- في الأصل "وآيات قرآنية"، وهذا خطأ، لأن هذا المركب الإضافي يقع موصوفاً وللوصول مع صلته صفة له، فمن الواجب مطابقة الموصوف مع الصفة في التعريف.

فيها، فهذا الحزب السياسي يكون أدنى أعماله التبليغ مثل ما انتشر الحواريون للمسيح إلى أطراف الدنيا، فإذا انتظمت جمعية في موضع يكون لهم حق إقامة الجمعة وإقامة الخطيب من أنفسهم، ويكون الموضع في حكم المصير. هذه المسئلة بمبثتها الاجتماعية تلقيناها من شيخ شيخنا مولانا محمد فاسم، ثم رأينا الإمام أبا زهد الديوسي أفكاره موافقة لفكر شيخنا، فكان ذلك بذور أول لمعرفة الحكومة الاجتماعية وصنفت فيها رسالة سميتها بإزالة الشبهة عن فرضية الجمعة وكان فيها بعض الأفكار المخالفة لشيخنا شيخ الهند، فلما عرضتها عليه سكنت على ذلك، ثم في بعض الأوقات أظهر تحسینه لأفكارنا. المقصد أن هذا الحكم إقامة الجمعة والسعي إلى ذكر الله تفهم أساساً لإقامة حزب الله في تلك القرية أو البلدة، فالأمر يكون منتظماً مثل ترتيب الأحزاب يكون لهم رئيس، فهذا التعليم لتبليغ القرآن وتأسيس الحكومة ليس يستحق أن يستهين به الناس ويتغافلوا عنها، وكان في سورة الصف بعد ذكر تجارة منجية ذلك خير لكم إن كنتم تعلمون وكذلك في سورة الجمعة بعد تعليم الاجتماعي الأساسي أهدت تلك الكلمة الحكيمة "ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ".

"فإذا قضيت الصلوة" الخ. فهذا الاجتماع يكون التعليم لما يعمل المسلمون بعد الانتهاء وكيف يتفنون رزقاً لأنفسهم، فتعليم التجارة الاجتماعية والزراعة الاجتماعية بتعليم أمثال (١) من واجبات الخطيب، لأن حكم القتال ليس لازماً في كل آن، وإذا شرع الأمير للمسلم في القتال ترون الخطباء المسلمين يتحمسون وإذا تركوا القتال، فكأنه لأحياء لهم في مساجدهم إلا مثل اليهود إعادة كلمات فارغة بدون فهم المعنى، فلو كانوا جعلوا ابتغاء فضل الله من دينهم نظموها مكاسبهم المعاشية كلها، وكانوا قسموا الفرق على حسب الاستعدادات لقنون المعاش، فكان كل اجتماع يحتاج إلى غور (٢) وتفكير فيما عملوا في الأسبوع الماضي وفيما يعملون في الأسبوع الآتي، فإذا كان الاجتماع اجتماع التفكير في شيء يلزم حياتهم كانت مجالسهم حية وكان فيها ذكر الله، والاعتبار بسيرة الماضين من الأنبياء الكرام والتنبه للحياة الآتية أمراً زائداً، وبانضمام تلك الأفكار مع أمور معاشهم، يكون لهم الفلاح والغلبة على الأقوام والسبق في الحياة، ونرى هذا معنى قول الله: "وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ". في آخر الآيات ذكر روح المسئلة كلها التعود على الفراغ لاستماع ذكر الله وما يلزم من التضرع في أمور المعاش على سبيل الاجتماع في كل أسبوع قريب ربع يوم يستلزم التقصان في التجارة أو في الملاعب والملاهي، فمن كان قادراً على قبول ذلك التقصان وترك ما يشتهيه نفسه بقدر ذلك من الوقت لا يكون له درجة التسابق في الأمور الدينية أبداً، فمن تلك الأمال الحقوة إذا اجتمع عليها الإنسانية يحدث الانقلاب العظيم. هذا هو المراد عندنا في قوله: "وإذا رأوا تجارة الخ."

١ - هناك بياض في كلتي النسختين.

٢ - هذا من أساليب اللغة الأردنية. غور وفكر، والتعبير الأنسب: التفكير والتأمل ومثل ذلك.

جملة معترضة

في تلك الكلمة أيضًا إشارة إلى أن المراد من ذلك الاجتماع هو استماع الخطبة. "قل ما عند الله خير." العادة الحسنة التي تحدث لكم بالاستمرار على ذلك الوقت هو شيء مبارك عند الله ويرتفع من أعمالكم إليه ويكون نتيجة أعمالكم إذا لقيتم الله فهذه العادة الحسنة خير من اللهو والتجارة وإذا التزمتم أحكام الاجتماعية فأبواب الرزق يفتح عليكم كثيرًا. "والله خير الرازقين."

سورة المنافقون

بسم الله الرحمن الرحيم

"إذا جاءك الخ" نرى في الطبقة الاجتماعية، طبقة تفهم الحركة الاجتماعية اللازمة لإصلاح الاجتماع. والإنسانية من فطرتها أنها دائماً تحتاج إلى الإصلاح. كل اجتماع ينشأ جديدة من ميت أو عائلة يجري عليه قانون الفطرة الإنسانية من الابتداء مثل الأفراد الإنسانية. كل فرد يتدلى من الطفولة فيأتي عليه من الأحوال ما أتى على أبيه. كذلك الاجتماعات الإنسانية يأتي عليها الحالات، كلها من الصلاح والفساد ومثل ما أتى على الذين تقدموا، فيوم من الأيام يمكن للإنسان أن يتفاقل عن إصلاح الفساد الاجتماعي، يكون هو يوم فساده مثل كل فرد يجب عليه أن يحافظ على صحة كل يوم بالأكل والشرب وغير ذلك، فإذا كان إصلاح الإنسانية لازماً دائماً للاجتماع، فنحن بالتجارب رأينا طبقة من الناس ذات غنى في المعاشيات تفهم معنى الإصلاح والحاجة إليه، لكن الحركة الإصلاحية نمتلزم الانقلاب في المعاشيات أيضاً، وهم لا يحبون شيئاً يكون سبباً للترزول في طرق معاشهم، فمع اعتراف هؤلاء بضرورة الإصلاح يعارضون الإصلاح العملي، ويحبون المذاكرات والمباحثات في الإصلاح لكن لا مثل المذاكرات التي تكون عند الانقلابيين الذين يسرعون في العمل الإصلاحي، والسرعة في الإصلاح هي نبعه انقلابياً، فيعدهم عن حركة الانقلاب يجعلهم على مسلك اسمه في اصطلاحنا اليوم مودة زهم^(١) بالمذاكرات، نسميهم معتدلين، هؤلاء لا يحبون الحركة العنيفة. التعليم عندهم والتربية بالتدريج هو طريق الإصلاح عندهم، ويريد أن نزيد عليه إيضاحاً. الحكومة الإنكليزية حاكمة على بلادنا، لها أعمال غير عادلة تتبع اليربانيين أولاً ثم الأوروبيين، ثانياً ثم من اختار طريقهم وتملك من أهل الهند ثالثاً فلا يبقى لأهل الهند إلا شيء قليل لا يكفي كفايتهم وأهل الهند فيهم طلب واقتضاء منذ خمس وثلاثين سنة أن يجير كل الناس على التعليم، فوقع البحث في المجلس التشريعي ما كان عند الحكومة جواب لشيء من تلك الضروريات إلا أنها تحتاج إلى أموال كثيرة، وخزينة الحكومة خالية عنها الآن يقوم رجل هندي وزير لكمال، فيستخرج من إسرافات الحكومة التي تتعلق بغير الهندين أموالاً لكفى لإجبار التعليم لهم، فتلك المسئلة بينها فريقان من أولي الرأي الهندين: فريق تسميه بالمعتدلين، هم يعترفون بتلك الضروريات وبأن الحكومة لو لم تصلح نفسها، ما خرج من خزنتها درهم للنفقات في الأمر، لكنهم لا يعارضون الحكومة. القول عند الحكومة يكفي عندهم لكل الأعمال، فلو أنهم خالفوا الحكومة وعارضوها وأصروا على تلك المطالبة، يأتي ضرر إلىهم من طريق المعاش الذي يكسبونه من الحكومة، فهم يعطون الناس أن الحكومة تريد كل ما تريدون، فيستبدون على مقالات من أكابر الحكومة في

١ - هكذا في النسختين، ولكن مراد اللفظ مبهم لم أقفهمه.

المجتمعات التي تحقق عند السياسيين أن تلك الكلمات لا يكون لها معنى أصلاً، فهؤلاء يقولون بتلك الأقوال ويمنعون الناس عن قول أو عمل لا يحبه أرباب الحكومة، ويقولون إذا فعلتم هذا، فهذا هو الفساد، وليس هذا بالإصلاح، طائفة أخرى تعتقد أننا إذا لم نجعل الحكومة مجبورة على قبول اقتراحنا، لا تسمع قولنا، فهؤلاء لا يعملون عملاً يكون معناه البغاوة على الحكومة، وترك قانونها، لكن يستفيدون من الإباحة التي أباحها لهم القانون، ولا ينتفون الرضاء عن عمال الحكومة، لأنهم لا يأخذون المعاش منهم، فتلك الطائفتان من السياسيين لهم أحزاب وجرائد ومجلات ودعائيات ومؤتمرات نعرف تفاصيلها من خمسين سنة في الهند. هذا كان تمهيداً إذا كان في مبدأ الدعوة القرآنية والارتقاء في سياستهم قسم مثل المعتدلين في زماننا. هم لا يريدون أن يغيروا الهيئة الاجتماعية التي يتكفون بها في معاشهم، يعني هم طائفة من أشرف الناس يكونون في الضيق، لكن لا يصل إليهم ذلك الضيق. هم آمنوا بالقرآن بجميع نظرياته العقلية والإصلاحية، لكن لا يقبلون على تجوير العنف في تغيير الهيئة الاجتماعية، لأن بعد ذلك التغيير - ولو كان أدنى - لا يأمنون أن يصل إليهم المعاش مثل ما يصل إليهم من زمان من آباءهم، فتلك الطائفة نحن نقدر على تشخيص هيتها وأعمالها قياساً على المعتدلين، نجعلهم مصداق كلمة المتناقضين في كتاب الله، فيسهل علينا فهم جميع حركاتهم. هم إذا صاروا مجبورين بكثرة من الهيئة الاجتماعية بمشؤون معهم خطورتهم، وإذا حصل لهم الأمن أن الهيئة الاجتماعية لا تجبرهم على ذلك، رجعوا إلى الوراء أضعاف ما كانوا تقدموا، فعندنا هؤلاء الرعاء معروفون، فيهم أصحاب الفهم والدراية، منهم من يقدر على نظمات قوية، فيهم من يعرف الفلسفة الاجتماعية والإلهية أكثر من الانتقاليين والصولييين، لكن الحركة لتغيير الهيئة الاجتماعية وإن كانت ضعيفة محزنة عندهم لا تغفر بحال. الآن نقرأ كتاب الله.

"إِذَا جَاءَكَ الْمُتَنَافِقُونَ الْخ". هم يقولون "نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ" هذا صادق باعتبار ما يعرفون من النظريات، لكن تلك نظريات الانقلاب، وهم لا يوافقونه في شيء الانقلاب، فشهادتهم صحيحة لتصديق نبينا عليه السلام؟ "وَاللَّهُ يَشْهَدُ الْخ" "اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ" الْخ إذا دعوا إلى العمل، فيظهرون العزم ويحلفون أنهم يفعلون، وغرضهم إبعاد هذه الطائفة التي تجبرهم على الانقلاب بالكلمات بلازمة عنهم وعن أتباعهم، فلا يريدون أن يصل قول أصحاب الدعوة إلى أحد ممن يتعلق بهم، فيصدون بذلك عن سبيل الله، فيكون إثمهم أيضاً راجعاً إليهم. "ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ" الْخ آمنوا بنظريات لأنها صحيحة في عقليتهم، ثم كفروا بعزمهم على عدم إنشاء حركة موافقة لتلك النظريات. "فَطُغِيَ عَلَى قُلُوبِهِمْ" الْخ الإنسان إذا كان صحيح المزاج على الفطرة، فكل ما أدرك شيئاً من الحق وحصل له اليقين، تتحرك جميع قواه إلى تحصيل ذلك اليقين، فإذا كان رجل يتخلف قواه العملية الإرادة وما تحتها عن اتباع الحق، فمعرفة مريضاً، فإذا استقر المرض في رجل، يسري ذلك إلى قواه العقلية أيضاً، فلا تدرك الحق مثل ما يدرك أولاً، بل كلها مشروب بالوهم والخطأ التي تنشأ من جبلته الفاسدة، فهذا معنى قوله قطع الْخ "وَأَنفَقَهُمْ" الْخ أجسادهم منظمة عقولهم تامة أقوالهم طريقة لكن لاحياة فيها. هذا نحن جربناه في وعاظ

المساجد إذا كانوا متحلقين عند الأغنياء وفي الخطباء من الزعماء المعتدلين. كلامهم جيد لطيف بالمرءة ولكن الدعوة إلى العمل مفقودة فيه. "يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ" الخ الصيحة قول فيه شدة فكل حركة يكون فيها شدة وإنكار على المبطلين بالإجمال أو التفصيل، يحسبون أن ذلك ينشئ الانقلاب إذا اعتاد الناس بالقليل ثم يستكثرون من الأعمال فلان أن يسد مثل تلك الحركات من الإبداء. "هُمُ الْعَدُوُّ" الخ في الظاهر أنهم مصدقون للبرنامج لكنهم الأعداء الداخلة وهؤلاء أشد من الذين أظهروا العداوة. "فَاخْذُزْهُمْ" الاجتناب عنهم لازم وتنبه المخلصين على سيطرتهم أوجب. "قَاتِلْهُمْ اللَّهُ أَيْ يُؤَفِّكُونَ" هم في اجتماع صالح ويفهمون الأمر كله، فلو رجعوا إلى تأييد الحق كانوا أنفع الناس لأنفسهم وللناس، لكنهم مع حصول تلك القدرة يصرفون كل قوتهم إلى الصد عن الحق. يذكر من أعمالهم أشياء مختصرة تكون أمودجنا لفهم طريقهم الباطلة، فذكر الله ثلاثة أشياء منها، ونحن نقدم الآخرين على الأول في التفسير، هم يرون أنفسهم عاجزين عن مقابلتهم كلهم. إنما كانوا قادرين على مقابلة من اتبعهم من المائلات. إما إذا اجتمع انقلابيون من قبائل ومن أقوام آخرين لا يقدرُونَ على التكلم بكلمة عندهم فيكيدون كيداً، يقولون "لَا تَنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا" هؤلاء مساكين الناس اجتمعوا عند رسول الله ليس لهم قدرة على الأكل والشرب إلا بإمدادنا أي بقبيلتنا أن لا ينفقوا عليهم حتى ينفضوا. فهذا غرورهم على أموالهم والأمر الثاني ذكر الله منهم يجعلون أنفسهم الأشراف ويجعلون للمساكين السقطة ولا يشاورون بين الطبقتين. "يَقُولُونَ لَيْنَ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ الْخ" ونحن نجعل تلك الكلمات عامة لبيان الطبقات فقط، وهذا ذهنية الأشراف إلى الآن. كلمة الأشراف نستعملها بمقابلة بورژوا، ففي زمان نزول الآيات فهم بعض الصحابة أن المراد من قوله: الأعز والأذل رجال مخصوصون ونحن لا نلتفت إلى مثل تلك التفاسير في فهم كتاب الله، فإن كان ذلك فعلى أنه مثال فقط، هذا غرور منهم على عزهم وشرطهم، وهذه الأوصاف بعينها نجدتها في الهند في طائفة للمعتدلين. الهندو والمسلم سواء في ذلك. الجهلة من المحدثين يجعلون تلك الطائفة من المسلمين يذبون عنهم باسم الإسلام وهذا فساد لا فساد أكبر منه في الدنيا. هؤلاء منافقون في إسلامهم يعرفهم المسلم والهندو سواء سواء، فإذا قام الذين يدعون لأنفسهم التقدم على المحدثين للذب عنهم، فكأنهم فسروا الإسلام في نظر غير المسلمين بالنفاق، ولا شيء أضر منه في الدنيا على الإسلام. الله سبحانه قدم في قبائحهم استكبارهم في أنفسهم. النبي عليه السلام إذا رجعنا إلى عائلته وقومه من أشراف الأشراف في الدنيا، ولكنه لأداء فرضه في الانقلاب جعل نفسه مساوياً للطبقة النازلة في الإنسانية، فإن ارتقاء تلك الطبقة وخروجهم عن تلك المصيبة العظمى لا يمكن إلا بذلك، فجائز لو اُشيد من الأشراف أن يتكبر على النبي عليه السلام؟ إذا كان الرجل صحيح الفطرة لا يتقدم إلى ذلك أبداً، لكن هؤلاء إذا قيل لهم تعالوا استغفر لكم رسول الله حتى لا يكون لجماعة النبي حق الاعتراض عليكم وتصلحون بعد ذلك أعمالكم، فلا تفتضحون عند الناس. هذا كان نوعاً من الدعوة لتلك الطائفة المضلة، فذكر الله رأيهم، يصدون عن سبيل الله وهم مستكثرون،

فلا يخصصون لاحتياج النبي الذي يشهدون على رسالته في الملأ أن يتبعوه في الأعمال وإن كان أدنى من الانقلاب. بعض يفهمون أن الفعل الذي يعملون على خلاف الانقلاب ليس بطيب فقط. على هذا القدر فقط لا يطاوعون النبي، أليسوا هم كاذبين، فلما ذكر أن المنافقين لكاذبون، أثبت ذلك بأفعالهم، ثم شرح ذلك بأن ذلك الاستكبار ينشأ من غرورهم بأموالهم وعزيمهم، فإلى اختتام الآية الثامنة فيه إثبات لكذبهم في الشهادة، وهددهم الله أن المسلمين يستفيدون من خزائن السموات والأرض بتغليب الله لهم على ذلك وأخبار أيضاً أن فكرهم أن لهم في المدينة عزة خاصة ويقتدرون على إخراج رجل من المهاجرين منها. هذا زعم منهم باطل لا يعلمون الحقيقة أن من قوم هؤلاء المنافقين وأولادهم واتباعهم رجال مخلصون، هم يتعوضون عن التعدي على المهاجرين، بل لو أمر المهاجرون بقتلهم لقتلوهم، لكن ليس هذا من مصالحهم والمنافقون لا يفهمون أنا جريت تلك الحالة الضعيفة التي تكون للجماعة السياسية، تكون مصلحتها مراعاة هؤلاء المنافقين فيغترون بذلك، ففيس على ذلك أحوال المنافقين في زمن النبي عليه السلام، والإمام ولي الله في الفوز الكبير أرشدنا إلى الاعتبار يعني بمقاسية حال عصرنا بعصر القرآن، ونحن اجتهدنا في ذلك بحسب قدرتنا بحمد الله، فأيد ذلك الأمر في فهم القرآن ونرى الإمام ولي الله هو المجدد لتلك الدعوة القرآنية، ما رأينا في عصره ولا بعده، ولعل كثيراً من القرون قبل ذلك أيضاً يدعو إلى القرآن كله. إنما رأينا أناساً يستخرجون آيات من القرآن يوافق مسلكهم، فلا تسمى ذلك دعوة إلى القرآن، بل هو دعوة إلى المسلك بالاستفادة من القرآن والقرآن منسحب عنه كما هو.

"يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ الْح". المراد من ذكر الله القرآن، ولقد يسرنا القرآن للذكر الح فالنظام المعاشي الذي يكون سبباً لجميع الأموال وتحصيل الأولاد لا يكون مقدماً على نظريات القرآن ومن خالفه صار من الخاسرين لأن النظام الذي يبنى على نظريات القرآن، يمكن باتباعه للرجل أن يصل إلى درجة خليفة الخلفاء في الأرض. "وأنفقوا الح فأصدق". العامل النافع لتقديم السياسة القرآنية. "وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ". إيجاد خلق في قلبه يسهل بذاك تتبع سياسة القرآن. هذا هو الصلاح واجتهاد رجل لإصلاح نفسه لتكميل خلق يتأثر بذلك أهل المعاشرة معه طبعاً أهل بيته خدامه واتباعه وجيرانه وأصحابه، فيكون هذا العمل متعدداً كثيراً، فالإنسان لا يؤخر بصحبة المنافقين ما يقدر عليه من الخير من مال وخلق إلى غداً لأن الغد ليس أمره بأيدينا. "وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا" الح فنعن المسلمون عن اتباع سيرة المنافقين وعلموا بأعمالهم وأرشدوا إلى أعمال إذا داوموا عليها يمتازون عند المنافقين بالطبع.

سورة التغابن

بسم الله الرحمن الرحيم

بحسن ترتيب المصحف نستفيد كلمة : النفاق هو التأخر في العمل عن الحق الذي يعترف به الرجل بعقله لأسباب وموانع، فتعين الحق كل ما كان أرقى في الاجتماع، تتبين أقسام النفاق بالسهولة. الحق يكون للرجل وحده، قيمته واحد، فهلنا الرجل إذا كان في أهل الحق يكون قيمته عشرة، ثم من تدبر المنزل. الإنسان يترقى في السياسة المدنية، فيكون الحق عنده المائة، كل ذلك على سبيل الفرض، فإذا كان خلافة طوائف من البلاد والممالك، فالحق الذي يكون للرجل المتدخل في تلك الدرجة، يكون قيمته ألفاً، ثم بعد ذلك خلافة جميع البلاد التي سميها خلافة الخلفاء على إصلاح الهدور البازغة، فيكون الرجل المتدخل في تلك الدرجة. الحق عنده مثل عشرة آلاف، فالإنسان يجعل نصب عينه ومطمح نظره أبدية تلك المرتبة العالية، فهو إذا تحقق ذلك يكون متباعدًا عن جميع أعمال المنافقين المتأخر عن الحق، فإذا كان الحق عاليًا كان المتأخر عنه جماعة كثيرة معتزلة بعضها فوق بعض، فالإنسان في تباعده عن النفاق يتدبر الأمر كله من أوله إلى آخره تقرأ من سورة التغابن أولًا الآية الثامنة.

"فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ". المراد من النور القرآن، فتعين معنى الذكر الذي ذكر في سورة المنافقين. "يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ" الخ هذا ظاهر عند كل من قرأ القرآن. المراد من يوم الجمع يوم المحشر الذي يجمع جميع النوع الإنساني في أفراده للناظية ألقوا من السنين قبل ذلك، ومن يأتي بعدنا إلى ما شاء الله، فالتقابل في الأقسام والتسابق في الأفراد يعلم في ذلك الجمع. هذا معنى قوله: "ذَلِكَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ" من عين في ذلك اليوم في الجمع العمومي، هو الغبون، ومن تقدم وفاز، ذلك هو الفوز العظيم، فالقرآن النور الذي أنزلنا يسوي للناس طريقًا للفوز في الاجتماع الكبير ذلك، فالتأخر عنه لأمر معاشية قليلة، لا يستحسن عند الحكيم، ومن أدرك المسئلة إلى تلك الغاية لا يأتي النفاق حول قلبه أبدًا. "وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا" الخ أي ما يقدر عليه من تأييد السياسة القرآنية ويجعل ذلك عادة له، يكفر عنه سيئاته إذا استمر هو لإصلاح نفسه، حتى استقام لتحصيل الخلق في تأييد القرآن، فالسيئات التي تقدمت كلها منقورة عنها، لأن بإعدادها وصل ذلك الرجل إلى تلك الخلق. "وَيُدْخِلُهُ جَنَّاتٍ" الخ "وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا" الخ كفروا ليس معناه منحصرًا في رد نظريات القرآن، بل الجزم بعدم نجاحها والتأخر عن تأييدها هو أيضًا داخل في الكفر، وتكذيب الآيات هو الجرم بعدم النجاح أولئك أصحاب النار. "مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ" الخ الإنسان إذا عين لنفسه سلكًا مثلًا التأييد للسياسة القرآنية واستمر في السلوك على ذلك يأتي في نظام الكائنات والاجتماعيات الإنسانية أشياء مانعة عن السلوك ومخالفة للمسلوك، فإذا استمر على العمل، فالأشياء المخالفة تصيب

من ماله ومن عرضه ومن أولاده بأشياء لا يجبها الإنسان لابدء ففي تلك الحالة يتحير قلب السائل والله سبحانه أرشدنا أن نستذكر أن مالك هذا النظام كله والرب للإنسانية كلها ليس إلا الله وحده لا شريك له، عليه فليتوكل المؤمنون وشرح في تلك الآيات لتحصيل التوكل مسائل مهمة:

١- يعلم الإنسان أن "ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله" فلا بد أن يكون فيه حكمة هذا بالإجمال.

٢- "وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ" من يقوض الأمر كله إلى الله ويتوكل عليه، هذا معنى الإيمان. يهد الله قلبه للحكمة فيطمئن بذلك. "وَأَطِيعُوا اللَّهَ" الخ يعني تلك المصائب لإمتنع الإنسان من السلوك في برنامج القرآن عامة. يكون المراد من أطيعوا الله تسليم نظريات القرآن والحزم بنجاح هذا البرنامج ويكون المراد من أطيعوا الرسول هو التقدم العملي لتكميل السياسة القرآنية، فإن كان لذلك التكميل مناهج مختلفة سلكها الأنبياء....^(١) منهج نبينا عليه السلام فقط ويجزم لفلاحه، فإن تشكك في ذلك كان كافراً. هذا كله شرح لمعنى التوكل على الله. الأمثلة تلك التعليمات، الأزواج والأولاد يحبهم الإنسان بالطبع فإذا منعه عن تأييد السياسة القرآنية ما يعمل في تلك الحالة؟ "يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ يَعِدُوا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ" فالخذر منهم مثل الأعداء لازم لكن تركهم على الفور ليس واجباً. "وَأِنْ تَغَفَوْا وَتَصْفَحُوا" الخ الإنسان يسلك مع أزواجه وأولاده سياسة العقلية كما يكون عنده شيء ديني مطلوب وهو يسعى لذلك، لكن أزواجه وأولاده بمنع عن تحصيله فيجد الإنسان في تلك الحالة من عقلية سياسة مخصوصة يسمى في إرضائهم ويسمى في التمشية على تحصيل مطلبه، فيغفو عنهم ويصفح عنهم ويغفر لهم حسب الاقتضاء، لا يتركهم ولا يترك عمله، فكذلك لزم عليه أن يعامل معهم لا يترك العمل بالقرآن ولا يتركهم أيضاً ما استطاع. "إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ" الخ فكل ما اجتهد ثم في إيجاد سياسة وعملها لتكميل مقاصد القرآن وصرف الأموال فيها وجعل الأولاد أيضاً راضية بذلك، فلكم في ذلك عند الله أجر عظيم، يعني الإنسان أولاً يصلح نفسه لتكميل سياسة القرآن ثم يصلح أهل بيته أولاده وأزواجه، فهذا من أحسن الأعمال. "فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ" الخ العمل الإنصاف في أداء أوامر الله هو التقوى، فكل شيء يترك القرآن لتحصيل شهوة نفسه، فإذا ترك لتكميل أوامر الله فعندئذ أنصف حسب استطاعته. هذا معنى قوله: "فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ" وإن كان رجل لا يستطيع ترك شيء وإن كان مخالفاً لشهوة نفسه،

١- هناك لفظتان لم أفهما مع كل الباطن.

ففي أداء أوامر الله لا يوجب الله عليه ترك ذلك الشيء، فإنه خارج عن استطاعته، فإذا عمل بالإنصاف حسب الاستطاعة ودائمًا كان متوجهًا إلى سماع الأحكام ويريد تكميلها بالإنصاف وينبغي في ذلك الأموال، فأولئك هم المفلحون يعني يوم التغابن لأنهم وقاهم الله من شح أنفسهم، هم يعملون أعمالًا رضاء أنفسهم ولا يعملون مثل ذلك الأعمال لإرضاء ربهم، فهذا شح معهم. "وَمَنْ يُوقِ شَحْ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ." هو شرح لقوله فاتقوا الله ما استطعتم. "إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا... الْقَرْيُزُ الْحَكِيمُ." من زاد في الإنفاق لأمر الله على ما كان يتفق على نفسه فهو قرض لله. والله يضاعف يؤصلها إلى أهل بيتكم وأولادكم ويغفر لكم والله شكور حلیم. من الآية الدائمة إلى آخر السورة قرأناها فالآن نقرأ من الأول.

"يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ" الخ. يعني إذا أنفقتم شيئًا لله، فسيحوا الله. "لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ." هذا هو السياسة القرآنية لا يجوز للملكية إلا لله. للملكية لازمة عند الناس عامة أن الملوك ملاك لربابهم مثل ما يكون الرجل مالكًا لأنعامه يعملون فيهم ما يشاؤون لا ينكر عليهم، فذلك الملكية يسلب الله تعالى عن جميع الناس، فالذين يجوزون ذلك مع كونهم مؤمنين بالقرآن، فكان القرآن ما دخل في قلوبهم.

"وَلَهُ الْحَمْدُ". الملكية للناس تكون محدودة وتكون منومة، لكن الملكية التي ثبت لله إذا تذكر الرجل وتدبر فيها يجدوا ثمانيًا قابلًا للحمد. "وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ." فهو يحكم على الإنسان بما يحمده الإنسان برحمة منه للإنسان لكن لعجزه عن أعماله يعملها الملوك الفاجرة، فلزم على الإنسان أن يخشى ربه فوق ما يخشاه من ملكية الناس ويحب لرحمة. "فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ." الاستعداد الإنساني لم يعرف الله في جميع الأفراد سواء بسواء الحكمة عظيمة، لكنه يراعى في موازنة الأعمال فيما يتعلق بملكوية ربه حسب استعداده. هذا من رحمة فلا يكلف الله نفسًا إلا وسعها، باختلاف الاستعداد لا يكون عذرًا في ترك أمر الله. "خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ" الخ الحكمة العظيمة في الدرجة الأولية يكون للسماوات والأرض كلها واحدة ثم بعد ذلك الحكمة التي تتعلق بالأنواع كلها نوع نوع والإشارة إليه بقوله: "وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ" والحكمة الثانية تكون تابعة للحكمة الأولى فإن وقع التخالف يحيزه الله. هذا معنى قوله: "وَاللَّيْلِ الْمُصِيرُ." فالحكمة الفازلة إذا كان فيها حرم لاقتضاء الحكمة العالية فالله حاكم على الكل وهو يحيز ذلك التقصان بوجه آخر فالإنسان لاختلاف استعداده لا يلبس من روح الله. "وَتَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا تُسِرُّونَ." فيه إشارة إلى موافقة حكمه النوع الإنساني لما قضى الله للسماوات والأرض عامة. "أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا

... وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ. "الإنسانية في الزمان الماضي أخطأت فما قبلوا الهيئات التي أتت بها رسلهم لأنهم بشر مثلهم لو كان الله محتاجاً إليهم لأرسل إليهم ملائكته كما اقترحوا، لكن ذلك الأمر راجع إلى النفع الإنساني والإنسان لا يقدر أن يستفيد من الملائكة، فلذلك استغنى الله عن اقتراحهم. "والله غني حميد، زعم الذين كفروا" الخ الذين كفروا قطعوا الحياة الإنسانية على حياة الدنيا فقط وما علحوا يتسلسل الحيات كما تسلسل الأسباب لخلق السموات والأرض فالذين يتعمقون في فهم الكائنات يجزمون بأن ذرة من ذلك لا يمكن أن تنعدم بالمرّة، بل إنما تبدل الصور تحت حكمه الله، فالإنسان منقطع حياته. كيف يمكن هذا؟ تتطور بصورة أخرى مناسبة لأعمالهم في الدنيا، فالفلاح في تلك الحياة العالية الآتية إنما يكون باتباع أمر الله ورسوله، يدرك ذلك الأمر الصديقون في الإنسانية باقتضاء طبيعتهم، فأمنوا بالله ورسوله والتور الذي أنزلنا، فالتباعد عن الائتمار بأمر الله الذي هو روح النفاق إنما معشاه تغير ناش في الفطرة كالمرض، فليتبعد الإنسان عنه وليسمع لتحصيل الصحة في أكمل درجاتها لا يمكن في الإنسانية طبقة أصبح منها مزاجاً، قال القرآن معكفلي بإرشاد من أراد ذلك.

سورة الطلاق^(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

هنا من أول السورة أحكام فقهية تتعلق بطلاق النساء وفي ضمنها إشارة إلى الحكمة لذلك التشريع أيضًا وذلك مستمر إلى الآية ٧ من السورة.

"يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ... يَجْعَلْ لَكُم مِّنْ أَمْوَالِكُمْ" الذي تأخذ من حسن ترتيب المصحف أن الإنسان إذا قرر في عزيمة العمل بالسياسة القرآنية وتباعد عن النفاق وأسبابه من التأخر بسبب الشح في الأموال، ربما أزواجه تعارضه على ذلك بالجد لا يقدر مع المعاشرة معهن بالمعفو والصفيح والمغفرة على المشي على برنامج القرآن فلم عليه في تلك الحالة أن يطلق نسائه والطلاق أمر خلاف الفطرة يجوز لضرورة فيكون له شريعة وسنة لا يكون فيها ظلم على الطرفين، فذلك الأحكام التي ذكرها في السورة روحها العدل في وقت الافتراق لضرورة اقتضته ذلك، فإذا لم يجوز الطلاق يصير الإنسان مجبوراً على النفاق في بعض الحالات إذا كانت أزواجه لا تتركه على العمل. "وَكُلَّيْنِ مِّنْ قُرَّةِ عَيْنٍ" الخ معنى القرية عندنا ليس التي تكون تحت البلدة والمدينة من الاجتماع الناقص، بل المراد منها هو مجتمع له ذهنية مخصوصة وتعبير عن ذلك كلام مخصوص، وهذا المعنى معروف في اللغة، لكن المفسرين قصروا عن استعمالها في تفسير القرآن إلا الفيروزآبادي له تفسير فسر فيه القرية بالمجتمع الإنساني، وترجمة اليوم سوسائيتي وهذا ظاهر في كتاب الله وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومهم وبألسنة تتقون وتتكون الأقوام، وكل قوم أرسل إليهم رسول، وأجب عليه إطاعته لأهم يعرفون ما يريد الله منهم بلسانهم وكثير من المجتمعات الإنسانية دمرت ديارهم وأهلكتهم. كل ذلك كان بتفاهتهم وإصرارهم على ذلك، ففي قوله "فَحَاسَبُنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا" الخ إشارة إلى ذلك لأن الجهل ربما يخفف العذاب. أما النفاق إذا استمر إلى الكفر، يكون عذاباً أشد، فالاجتناب عنها لازم وفي عدم إجازة الطلاق ربما يهلك القوم كله، لأن الناس يصيرون كالمجبولين على النفاق، فقطعهم عن الإنسانية يكون لازماً. "فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ" الخ "ذكرا" تفسيره "رسولا يتلو عليكم آيات بينات". فالآيات البينات من القرآن أنزلها الله على رسوله هو الذكر والمقصود من هذا الإنزال "ليخرج الذين آمنوا" الخ قد بينا درجات الارتقاء في الاجتماعات الإنسانية، ففي كل درجة يكون مقابل الحق ظلمة، فكل ما ارتقى الحق إلى أعلى مدارجه، زادت الظلمات التي يجب على المؤمن أن يخرج منها، فالقرآن متكفل لإرشاد الطريق الذي يوصل الإنسان إلى النور العالي، فأباح الطلاق لذلك. "ومن يؤمن بالله" هذه الآية ليس فيها تقييد الجنات في الدار الآخرة، فهذا المجاهد الذي يترك عماله للاهتمام بأمر الله، يمكن أن يأتي له في حياته الدنيا أيضًا تلك المرتبة.

١ - في "ن م" تقدمت سورة الملك، سورة الطلاق.

جنت تجري من تحتها الأنهار، وكل شيء من المأكول والمشرب والنكح أحسن الله له فيها، إنما يمنع عامة المفسرين حمل قوله جنت على العنوم في الدنيا والآخرة. قوله خالد بن فيها أبدًا لأن الخلود في دار الدنيا غير ممكن، لكن عندنا ملاحظة غريبة أن الإنسان إذا انتهى إلى درجة في الدنيا يشرع ويبدأ من تلك الدرجة في الآخرة وقد ذكرنا ذلك في سورة الصف أن الشهداء يدخلون على الفور في الجنة، فإذا كان المجاهد الغازي حصل له ... (١) مثلاً جنت تجري من تحتها الأنهار وله فيها من كل الأرزاق كما يشتهي موجود، ثم يستشهد على تلك الحالات فيدخل الجنة على الفور ويكون له حالة في الرفاهية مثل الراحة التي تعود بها في الدنيا في الصورة، وإن معنى الآخرة يزيد على معنى الدنيا كثيرًا، فيصدق عليه أنه خالد على ما وصل إليه من الجنات في حياته الدنيا، وهذا التأويل نفس القرآن كله. شباننا يضحكون إذا قلنا لهم يحصل لكم الجنة في الآخرة فقط يقولون ما معنى هذا؟ هؤلاء الجهال الكفار يكون لهم في الدنيا كل شيء ونحن نراهم على ذلك نصير أبدًا وهم في ذلك قصائد وأراجيز، والذهنية تبدلت عما كان عليهم أسلافنا، فما جوزنا بعد ذلك أن نخاطبهم بأن تلك الأنعام إنما يحصل لكم في الآخرة وتصرفنا باستعانة نظريات الإمام ولي الله وجعلنا لهم جنت تجري الخ في الدنيا والآخرة وبعد ذلك صاروا يسمعون منا القرآن.

"الله الذي خلق سبع" الخ الرجل المؤمن بالقرآن يريد أن يرتقي إلى الدرجة العالية، فواجب عليه أن يسعى لتبليغ القرآن وإقامة حكمه في السبع الأرضين. هذا الأمر العالي لا يقدر على الوفاء به مع مراعات الأزواج كلها، وإذا أصبرت على المنع على التصادي في الجهاد في الأقوام المختلفة نصير مجبورين أن نتركهن، وكل من أراد من القدماء مثل هذا الأمر العظيم، تبليغ الحق إلى جميع أنواع الأرض من البصاري والبوذيين أوجبوا التبتل عن النكاح بالكلية فالشريعة الإسلامية أكملت حاجات البشر، وسنوت طريقًا مستويًا في التقدم إلى درجات عالية لجميع أنواع البشر سواء بسواء.

ومن الأرض مثلهم تحبب للفسر في تفسير هذه الآية، إما يحملونها على الأقاليم أو على الدار الآخرة، يعني عالم المقال، وعندنا كل ذلك خطأ، بين ذلك الإمام رفيع الدين الدهلوي في تكميل الأذهان فالذي ههنا هو أن الأرض الأولى الأرض المقدسة بين النبل والقرات مركز الدعوة الحيقية من زمان إبراهيم والأراضي الأخرى لأقوام مستقلة مثل الإيران والهند والصين والتوك والروم واليونان والحيث أراضي سبعة ليس على التقييم الإقليمي لبطليموس ولا أراضي مثالية في حيال الأفلاك السبعة ولاسيارات استكشفها الأوروبيون، بل مساكن أقوام كل قوم يزعم في نفسه أنه هو الإنسانية، ويرى ما عداها كلها وحوشها فكأنها أراضي مستقلة. أهل الفكر أخذناه عن الشيخ رفيع الدين ثم هذبناه.

١ - اللفظة لم تستطع فهمها في كلتي النسختين.

"ينزل الأمر بينهن". الله أنزل كتابه في الأرض المقدسة الأولى فقط فإذا تحدى أهل تلك الأرض بنور الكتاب الإلهي يتحول إلى قوم متصل معهم مثل إيران والروم ثم من إيران إلى الهند وتركستان ثم من الهند إلى الصين ومن العرب والروم إلى الحبشة. تنزل الأمر في جميع الأراضي بواسطة الحواريين والأنصار لدين الله.

"تعلموا أن الله على كل شيء قدير". أنزل أمره إلى عبده في مكة، فالإنسان يتعجب من ذلك كيف يصل ذلك الأمر إلى الإنسانية كلها، ليس هو معنى التمدن ولا طريق للمواصلات لكن إذا رأى أن المجاهدين يخرجون إلى جميع الأراضي يؤمن بالله يؤمن أن الله على كل شيء قدير وأن الله بما أنزل في سورة تون التي هو سورة ثمانية نزلوا.

"وما هو إلا ذكر للعالمين". ثم يرى أن الله أوصله إلى العالمين يعلم حتى اليقين. "أن الله قد أحاط بكل شيء علما".

قال الشيخ رفيع الدين بعد كلام في الرد على تأويلات أخرى فيفهم أن تلك السبعة قطع أرض واحدة وهي كذلك فإن المعمور منها سبع بلاد مختلفة بالأديان والرسوم والطبائع والنباتات وبعض الحيوانات إحداهما السودان والبربر والزنج والحبيشة وأخرها للبيض من الأفرنج والصقالية ثم للعرب ثم للفارس ثم للهند ثم للترك للصين انتهى الملاحظ منه.

سورة التحريم

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا الأمر الذي أُلْهِتَنا في سورة الطلاق ومَحَنَّا له وأرشدنا إلى وجوبه في بعض الأحيان. هذا يكون ثِقِيلًا على بعض النفوس، فلإزالة ثقله رأينا بعده في المصحف سورة التحريم. هذا الأمر ليس بمخصوص بالمؤمنين فقط، بل الأنبياء أيضًا شركاء فيه. إن تعينت الحاجة، فيكون الثقل خفيفًا لأن الأنبياء أغبر الناس عليه في البشر والله أغبر منهم ولذلك كان الخطاب في سورة الطلاق أيضًا للنبي وإن كان المراد للمؤمنين، لكن في سورة التحريم الأمر مخصص بنبينا عليه السلام. وقعت واقعة في آخر حياته عليه السلام تتعلق بمسئلة الخلافة. والأشاعرة لا يحبون أن يبحث الناس عن السياسات التي كانت جارية زمن النبي عليه السلام، ثم في زمن الخلفاء الراشدين لأنهم صمموا في باطن قلوبهم يجعلون المسلمين عبيدًا للعرب لا ينظرون إلى شيء ما أمر الله رسول الله ﷺ. هذه كلمة حق، لكنهم يريدون الباطل؛ هم يريدون أن لا يتكلم الناس ولا يفهمون حكمة الأحكام تعجبًا. إذا فهمنا الحكمة كأننا لا نطيع الله ورسوله، بل يكون الإطاعة حقيقية من صميم القلب، لكنهم يريدون شيئًا آخر، يغفر الله لنا وهم، لكن لا يقرون لنا معاني القرآن. البحث في مسئلة الخلافة وما جرى بين الصحابة ممنوع عندهم وهذه المسئلة التي في سورة التحريم هي مسئلة الخلافة فيسرونها ويأتون بأشياء ضعيفة تكون سببًا للمؤمن في نظم القرآن. حرم النبي ﷺ شرب العسل على نفسه ومثل ذلك من حاجات نفسه باقتراح من بعض أزواجه، وهذا مداخلة منهم في أموره عليه السلام بغير حق. إذا أطاع للنبي في مثل الحاجات المحقرة. إذا كان المسلمون يتبعون سيrote في ذلك لا يكون للنساء غلبة في بيوت المسلمين. على المؤمن أن يتبع أمر الله أولاً، ثم يتماشى مع نساؤه بالمسامحة، فأمر الله نبيه أن يكثر عن عيته ولا يجعل نساؤه مساعًا في أن يصرفن في الأمور الشرعية من التحريم والتحليل. تلك الواقعة ما كانت؟ تعيينها ليس بلازم. سياق الآيات فرضهم المسئلة وإن كان مثل شرب العسل جاء في بعض الأحاديث، فمثال يمكن أن يكون، والمقصود منه أن النساء لاحق لها أن يصرفن في الأمور الشرعية وإن كان الأمر مباحًا سدًا للذريعة. أما الإنسان إذا حرم على نفسه مباحًا باقتضاء مصلحة نفسه، فيكون ميقًا وليس ذلك بحرام، إما ابتغاء مرضاة الأزواج هو الأمر المنكر. هذا معنى قوله: "يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ الْخِ وَإِذَا أَسْرَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا إِلَى أَبِيكَارَا." هذه مسئلة الخلافة والذي تلخص لنا بمطالعة الأحاديث وتحديد الواقعة عن زوائجها أن النبي أسر إلى عائشة أن أبيها يكون خليفة له وأمرها بالكتمان عن الكل حتى عن أبيه لكنها ما كتبت، بل

أخبرت في بيت أبيها^(١)، ما قرأنا في ذلك شيئاً، ما جاء ذكر ذلك، لأن بيت أبي بكر متحصن لا يخرج منه شيء، لكنها أرادت سياسة أخرى أن يصرح النبي لأبيها بالاستخلاف وانصرفت فيه مع حفصة، ولعل خلافة عمر بعد أبي بكر أيضاً كان جزءاً من حديثها، فقالت لها إنها تقول للنبي إن أبا بكر لا يقوم مقامك، فمر عمر أن يصلي بالناس، فأنكر النبي ذلك، وقال إنكن صواحب يوسف، مروا أبا بكر فليصل بالناس وإن استخلاف أبي بكر وقع في حياة النبي مراراً، فحمل جميعها على مرض النبي ليس بالزم، كان ذلك في وقت أمر النبي أبي بكر أن يصلي بالناس، فالتفت عليه السلام نيه عائشة على أنها ما حكمت، وعندني فحاشة أن أبا بكر هو أخير النبي، هو كان صديقاً، فما أحب أن يستتر خطأ بنت، هو لأن أصل الأمر ترك الاحتياط كان من النبي عليه السلام، فلذلك ما عاتب أبوبكر عائشة ولم يشتهر في الناس "فلما نبأت وأظهره" فلما نبأت به أبا بكر وأظهره الله عليه بإخيار أبي بكر "عرف بعضه وأعرض عن بعض" وهو كان بين ما لأُم المؤمنين. المصلحة في كتمان الأمر أن ذلك يسمى بني هاشم وفاطمة، فالتفت عرف بعضه وأعرض عن بعض "فلما نبأها به" الخ "قالت من أباك" هذا الذي فهمت منه أنها نبأت أبا بكر، فتريد أن يتعين له الرجل المخير حتى هي تتنازع عنده لم أفشا سرها؟ "نبأت العليم الخبير". كما يخبر الله نبيه بواسطة جبريل كذلك يخبر الله نبيه بواسطة أبي بكر مثلاً. "إن تنوبوا إلى الله" الخ هذه الآيات أشكلت على كثير من الصوفية الصالحين. امرأتان من نساء النبي عائشة وحفصة متعميتان فبتظاهرها على النبي لاحتاج النبي إلى إمداد من الله وجبريل وصالح المؤمنين ثلاثاً والملائكة، فكان جميع القوة اجتمعت في صورة عائشة وحفصة. رأينا ابن عربي غبط في فهم هذه المسئلة، فكل ذلك لعدم وصول المسكون إلى أهل المسئلة لو تظاهرها وأفشنا أمره عليه السلام إلى بني هاشم وفاطمة. أما كان يمكن أن يقع القتال بين المسلمين كما وقع عند قتل عثمان وهذا الأمر في حياة النبي يليق به فأنه نبه أن المسئلة لطيفة أنهما إذا أضربا علي جهلهما فالأمر في الظاهر كبير وضرره عظيم، فكأنهما ملكا مفتاح خبر عظيم للنبي عليه السلام، فإن تنوبوا إلى الله فيها ونعمت. هذا هو الذكي ينبغي بشأنهما لأن قلوبهما مالت إلى مطاوعة النبي عليه السلام إنما كانتا تخافان علي أنفسهما. "فإن تظاهرا عليه" الخ لو فرضنا أنهما لا تطاوعان النبي عليه السلام، فهذا الأمر أمر الخلافة لا يتم كما يريد عليه السلام، فإن جاء له ألف موانع كلها ترتفع، فإن الله هو مولاه وجبريل هو يلقي السكينة في قلوب المتنازعين ويتمثل في صورة البشر ويصلح بينهم وصالحوا المؤمنين كيف يخالفون النبي كلهم يجمعون على

١- الخلافة ليست عند أهل السنة أمراً منصوحاً، بل هو أمر مفوض إلى شوري المسلمين، واستدلال الشيخ المعندي من هذه الآية على نص خلافة أبي بكر ضعيف، وهذا مثل استدلال الشيعة على كون خلافة علي رضي الله عنهما، والأحاديث صريحة هناك وذكرها المفسرون غير القرون ولم يرد أحد منهم أن النبي أسر إلى الأزواج عن خلافة أبي بكر، ففي هذا التأويل من الضعف ما لا يخفى.

إنما خرج من بيوت المؤمنين الذين كانوا معه عليه السلام وتفسير قوله نورهم يسمى الخ بالأولاد كأنه تفسير بعيد. أهل الجنة بنور قلوبهم يقطعون الطرق ويصلون إلى منازلهم، فلذلك يدعون ربنا ألهم لنا نورنا حتى يصل إلى منازلنا.

"وَأَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ" الخ للمنافقون المراد منهم الكفار وهذا ظاهر في ما فسرنا في سورة المنافقين والشيخ ولي الله فسر قوله "فما لكم في المنافقين فئتين" في المسوى حمل المنافقين على الكفار في هذه الآية، فالتاس من أهل عصرنا الذين يرون إرضاء الكفار، فسروا مثل هذه الآية جاهد للكفار والمنافقين على ترك القتال واحتجوا بأن المنافقين لا يقتلون وهم أخطأوا في فهم الآية أن المراد في الآية ليس إلا الكفار. قوله وهذا القتال فدوام هذا القتال مع الكفار والمنافقين هو المأمور به في هذه السورة وهذا إنما يكون بعد مركز اجتماعي للمؤمنين وهو لا يكون إلا بمطابقة الأهل مع صالح المؤمنين، فكان هذا الأمر كالتيمة لقوله "لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه" إلى آخره. الاجتماع الصالح نور من الله للإنسانية والله سهل ذلك في الحجاز والأرض المقدسة في زمن النبي والخلفاء الراشدين، وأما المسلمون في بلاد أخرى يتلون في بعض الأوقات باجتماع غير صالح، ونحن جربنا ذلك بعد تلك الإنكليز أهل بلادنا. لا يقدر رجل على العمل بحرية ضميعة واتباع كتابه سواء في ذلك المسلم التابع لكتاب، والهندو الذي يتخفى اتباع حرية ضميعة فمثل هذا الاجتماع نسميه اجتماعاً غير صالح، فالذي ظهر لنا أن الله سبحانه ضرب مثليين لبيان الصور المختلفة في الاجتماع غير الصالح^(١)، الأمر أن يكونون مسلمين علنيين بالكتاب يريدون إقامة العدل والتقوى في رعاباهم وفي الرمية رجال كفار يخالفون كل مساعيهم الطيبة الصالحة.

"ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا" الخ مثال لهذا الاجتماع فالأمر يستفادون من رعاباهم ومن أموالهم ويصل إلى الرعايا من الملوك الخير والبر أيضاً لكن لا يتم ذلك إلى الأخرة. "فَخَانَتْهُمَا" امرأة نوح ما طوعته في أمر التوحيد وأمره لوط كانت يؤيد السحاق في النساء. إذا غلب على الرجال اللواطه فالسحاق في النساء لازم. "فَلَمْ يَغْنِيَا عَنْهُمَا" الخ والصورة الأخرى من الاجتماع غير الصالح، المؤمنون من الرعية والملوك عليهم كفار فالذين يعملون بالحق على ما استطاعوا لا يضيع حملهم وضرب الله امرأة فرعون. "إِذْ قَالَتْ رَبِّ انِّي لِي عِنْدَكَ بَيَّتًا" يعني قرب وغاي "وَلْتَجِي مِنِّي فِرْعَوْنُ" الخ فتقبل الله دعائنا وأدخلنا في الجنة والمثال الثاني للذين ليس عليهم ملك وحكومة اجتماعية الذي ذكرنا في ما تقدم من المسلمين في بلاد ليس عليهم ولاية مسلمون ويجمعون فيما بينهم للجمعة والصلوة والدعوة. هم مع ضعفهم وعدم وصولهم من التمكن إلى الحكومة يقبل سعيهم. مريم بنت عمران لم يكن لها زوج ورجل

^١ - في الأصل: ألفير للصالح، وهذا غير صحيح، لأن لفظ غير إذا تقع صفة للمعرفة مضافة إلى اسم آخر تكون بدون أداة التعريف.

فاستمسكت بنفسها وأحصنت فرجها، فجعلناها أما لبني كريم أولى العزم وصدقت بكلمات رها يعني
أحصنت وصدقت بكلمات الخ فنفعنا فيه من روحنا، فالإنسان أين ما كان في اجتماعية تامة أو ناقصة
أو في الفردية إذا توجه إلى ربه واتسمر بأحكام ربه، يلحقون بالمؤمنين الصالحين، وسورة التحريم بينت
المصلحة الأصلية من البيوتة، والمراد في الإسلام بقائها وتكملها أما التفريق بالطلاق فكان لعذر من
الأعتار.

سورة الملك

بسم الله الرحمن الرحيم

"تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ" الخ المقصد الأصلي للقرآن هو إصلاح الإنسانية باجتماعها والإنسانية جزء من مجموعة المخلوقات الأخرى بين السماء والأرض كأنه صار لازماً للإنسانية، فلا يتحدث عن تلك الأشياء إلا بوجه يفيد الإنسانية، وإصلاح الإنسانية مرجعه اليقين بمجازاة عملها، وإذا لم يكن هذا اليقين قائماً بقلب رجل هو لا يصلح نفسه، بل يحشي حسب هواه وإصلاح الإنسان معناه أن ينظر في كل شيء، هل ينفعه، فيحصل أو يضره فيجتنب، هذا هو مقتضى النوع الإنساني بفطرته، فاليقين بالمجازاة هو الذي يصلح فطرته، وإذا لم يكن له يقين لا يحكم على شيء أنه نافع أو مضر للإنسان. إذا وجد مخلصاً من المجازاة السيئة يهرب إليه لازماً وذلك المخلص لانجده إلا في الأرض والسماء، فإذا تحقق عنده أن النظام الذي يجازيني والنظام الذي في السماء والأرض المحيط بي هو بيد واحد قهار ولا يتفحص مخلصاً للتبرؤ عن المجازاة على السيئة، فلا يرجع في دفع المجازاة عن نفسه إلا إلى نفسه، فيتم الإصلاح المطلوب، فيبحث عن المسألة. المخلوقات بين السماء والأرض التي الإنسانية جزء منها أيضاً، حكمها يرجع إلى من؟ فإن تعددت المصادر يمكن أن يستفيد الإنسان بالحرب عن السوء عن المجازاة السيئة بالالتجاء إلى مصدر آخر، ولهذا الأتباء أول ما علموا من العلوم النظرية هو التوحيد، فهذا التوحيد يكون مشروطاً مبسوطاً، فالإنسان يهتدي إلى شيء، فسد هذا الفكر لازم أولاً، ولا يكون إلا بإثبات الملك القاهر لذات الحق وحده لا شريك له، فإثبات الملك لله في السماء والأرض ظاهراً أو إثبات الملك لله في مجازاة الإنسان واتحادهما هو المقصد الأصلي، وبعد حصول اليقين في هذه المسائل لا يمكن للإنسان أن يفضل ويترك الطريق الصحيح، فتسمي ما يتعلق بملك الله بالمجازاة، الملك باطناً وما يتعلق بما بين السماء والأرض، الملك ظاهراً، وتطابق للملكين وعدم انحراف أحدهما عن الآخر هو الحكمة التوحيدية، فيحتاج النوع الإنساني أن تمتد قواه الدماغية من الوهم والخيال والحواس والمفكرة كلها بهذا العلم بهذه الحكمة، وهذا باب عظيم من تعليم القرآن. جميع السور التي تتعلق بتشريح يوم القيامة شعبة من الملك باطناً، وكل ما يأتي في القرآن من تصرفات القدرة في السماء والأرض وإظهار الأمور الخارقة للعادة عند عامة البشر كلها شعبة من الملك الظاهري. الإمام ولي الله جعل من أبواب القرآن التذكير بآلاء الله والتذكير بأنعام الله، فهاتان كلتاها يرجعان إلى الملك الظاهر وجعل التذكير بيوم القيامة وما بعده وهو يرجع إلى الملك باطناً.

فصل

المسائل تكون لها جهات، فإذا معيننا في إدراكها من جهة تناسب فطرتنا، يكون إدراكها سهلاً، فالحكيم الذي صار شعاره ملكة يادداشت، فهو لا يفضل لحظة ما عن ذكر ربه، وفطرته فطرة الحكيم، هو يجعل هذه المسائل عنوانها التذكير بالآلاء الله وبأيام الله والتذكير بالموت وما بعده، والرجل ينشأ ويرقى بالفطرة بالمعاشرة الاجتماعية، فإذا فرغ عن المحسوسات وارتقى إلى إدراك المعقولات، فلا يؤثر فيه إلا رسوم قومه وما يختاره التواضع يجعله هو مقصد حياته، ثم بعد ذلك يحصل له الارتقاء، فيصير حكيمًا، ونحن لا نبحث عنه بعد ارتقائه إلى درجة الحكمة بل قبل ذلك، لأننا نريد أن تعلم الحكمة، ففي ذلك الزمان لا يكون الشاب صحيح البدن سليم المزاج لا ينظر إلى شيء واحد، هو مهما يكون في مجتمع يحب أن يكون رئيس ذلك المجتمع لا يحكم عليه أحد، بل يحكم هو على الناس. هذا هو الاقتضاء الفطري في ذلك الوقت، ومثل هذا إذا كان الرجل ليس فوقه آخر في ذلك الاجتماع يسميه بالملك، فبلغ أفكاره إذا حللناها لا يكون إلا تحصيل الملوكية بأي درجة أمكنت له، فيعرف الملوكية بفطرتها، وهذا الرجل الشاب إن الملك الحقيقي منحصر في ذات الرب، فإذا ملأنا دماغه بهذه الأفكار، يصير حكيمًا، فبعد ذلك هو يغير عنوان المسائل، فيرجع إلى قريب مما ذكره الشيخ، وأما قبل ذلك، فلا يرى إلا الملوكية في نفسه في بيته في أصحابه في المجتمع، فإذا لقنا له المسائل بهذا الوجه، يسهل أخذه لها فننظر في كتاب الله في تفسير القيامة أيضًا يظهر صفة ملوكية الرب، وفي بيان الآلاء والأيام أيضًا يكون المرجع إلى بيان الملوكية، فهذا مناسب لأذهان عامة الشبان لا لأذهان الشيخ الحكماء، فلاطمئنان قلوبهم يبدل عنوان المسائل. أما الأكثرية المخاطبة في الاجتماعية الإنسانية ليس إلا الشباب، وبتدأ المسئلة هو أن الملك الحقيقي ليس إلا للرب وحده لا شريك له، فالملوكية التي انقسمت في طبقات الناس واجتماعياتهم، إرجاع كلها إلى الملك القدوس من صورة المباحث. البحث يكون من هذا الوجه إلا في شعبة من الملوكية. عامة المسائل يكون مشتركة في هذا المعنى.

"تبارك الذي" الله سبحانه يترك الإنسان حسب مدركاته، فإن شئنا سميناه تجليًا يظهر للإنسان بعض صفات الرب في صورة مخلوق، فتبين بشيوت تلك الصفة لله، والمعرفة بالحق لا يكون إلا قريبًا من هذه الطريقة فوق هذه السموات ينتهي الجسمانية في حدها، فالجسم الأخير الذي نشأ من الأجسام نسميه بالعرش وعلى العرش يظهر صفة الإلهية ثم تتنازل منه إلى السماء ثم إلى الأرض، فيدرك كل إنسان بواسطة تجلي مناسب له شيئًا من صفات الرب، فانتفاء معرفة الإنسان بربه إنما يكون بمعرفة تجلي قائم على العرش ومن ذلك التجلي تنشأ تجليات غير متناهية تكون شارحة لذلك التجلي وبواسطة يكون موصولًا إلى معرفة الحق، وهذه المسائل فاشتباه في الاجتماعيات الإنسانية بواسطة معلم الأديان السابقة يدركون حقيقتها أولاً؟ فالقرآن أراد إصلاح الفطرة الإنسانية لا يتخذ الطريق في إصلاحها إلا ما عندها من العلم فيحقق الحق ويظلل الباطل وبذلك يتم التعليم وأما إنشاء دين جديد فيحتاج إلى إنشاء لغة

جديدة ويحتاج إلى إنشاء فطرة جديدة، هذا ليس بمقصود، فإثبات للملك لله المتجلي على العرش وفيه عن غيره هو أساس هذه السورة وهذا من أهم المباحث القرآنية. "الذي بيده الملك" مصداقه الرب المتجلي على العرش حسب إدراك الفطرة الإنسانية. تبارك أنزل بركاته بركات ملوكيته إلى السماء والأرض لاتعد ولا تحصى. "وهو على كل شيء قدير." المتجلي على العرش ثم إنزال البركات منه ليس أقصى ما يدرك من كماله، بل هذا النموذج لقدرته وهو على كل شيء قدير إشارة إلى ذلك. والأشياء الموجودة المتحققة عند الإنسان محدودة وأما الأشياء الموهومة المتخيلة المدركة كثيرة، فثبتت قدرته على جميع الأشياء حسب تصوره، فيصل إلى التنزيه والتقديس اللازم لصفات ذاته كان تلك الآلة تكون تفسيراً للملك القدوس. "الذي خلق الموت" الخ أولى الأشياء في تفسير هذا الآية عندي أن يجعل الموت النوم والحياة اليقظة ليذكر الإنسان حقيقة الموت والحياة بالسهولة ويدرك أن الله يخلق كل يوم وكل حين. وهذا الليل والنهار وهذا النوم واليقظة أليس ينتجها أن الإنسان يعلم في كل يوم حاله أحسن أم لا؟ فإذا كان هذه حياتها مسلسلّة في المجازات تعمل اليوم نجازي بكرة سواء فيه الملوك وسواء فيه السوقة، فالموت الذي يأتي على الإنسان ويخرجه عن هذه الدار كما أن الحياة التي كانت له في بطن أمه كانت خارجة عن هذا المجتمع مخلوقتان لله ونتيجتهما لازم أن يكون مثل النوم واليقظة. هذا شرح ملك الرب باطناً، فيظهر لنا من السماء الله العزيز الغفور. الإنسان يجد في قلبه إلهاماً طبيعياً مثل الحيوانات ويسميه الكلمة من خارج بالصدفة، فيقع في قلبه أنه الحق. هذا مثال الإلهام تعليلًا.

كلمة معترضة

نسمع من الأساتذة الدروس الطويلة الكثيرة؛ فعلى عرف الناس واصطلاحاتهم، قرأنا الكتب الكثيرة وأما بالنظر إلى الحقيقة فالكلمات القليلة التي وصلت إلى باطن قلوبنا وأدركناها أنها الحق بشهادة من قلوبنا هي التي أخذناها عن الشيخ وهذا يكون كالإلهام، فالإنسان يكون ملهماً بإلهام طبيعي يعرف أنه الحق ويكون ملهماً من جهة الاجتماع. الشيخ والأساتذة والآباء والمرشدون ما كان من كلماتهم قبلها بشهادة من قلبه وهذا الإلهام الإلهي من داعي عزتها وما أراد مخالفتها قصداً يكون معزراً وإن صدرت منه المخالفة لذلك بالاضطرار يغفر وهذا يعرفه في قلبه فحين له من السماء الله هو العزيز الغفور ومن هذا الطريق يعرف أن المجازة كلها بيد رب الناس وهو ملك الناس. هذا كما ذكرنا شرح للملك باطناً.

"الذي خلق سبع الخ" شرح للملك ظاهراً خلق سبع سموات سماء فوق سماء، فإذا رأينا من جهة أسفل لاندرك منها إلا أنها متطابقة بعضها على بعض وهذا أيضاً من الأمور العامة التي تأثرت بها معارف الإنسانية بواسطة الحكماء المتفكرين.

كلمة معترضة

البحث عن هيئة السماء وحركاتها في الأصل كان من علوم الأنبياء، ثم تابعهم الحكماء الربانيون، وكان ذلك أساس الملة الصائبة، ثم لما جاء الخلفاء صار ذلك العلم كالمسوخ، فما يتوجه إليه

إلا من يكون فطرته داعية إلى ذلك من المتفكرين والشعراء، فخلطوا الحق بالباطل تحت فيما صار عند عامة الإنسانية كالأمور المسلمة أن السموات سبع ومع ذلك سيارات سبع، كل سيارة تختص بفلك، فمثل هذه المعلومات العامة انتشرت في الناس، فالقرآن نبه أن الحركات السماوية كلها تحت نظام لا يختلف إليه الإشارة في قوله ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت، فالذين يرصدون حركات الكواكب من ألوف السنين هم يشهدون أنه لا يوجد تفاوت دقيق في ذلك.

"فارجع البَصَرُ الخ" الإنسان الذي ليس له نظر في دقائق السموات، إنما ينظر إلى ظاهر صورتها أيضًا إذا تصور ينظر إليها لا يجد فيها من فطور "ثم ارجع البَصَرُ" هذا العالم الجسماني مخلوق من مادة روحانية نسميها بعالم المثال، كل شيء جسماني يخلق أولاً في عالم المثال ثم يخلق في عالم الأجسام، وإذا انعدم من عالم الأجسام يكون مثاله باقياً في عالم المثال، وقدر قليل من مباحث هذا العلم المذكور في العبقات، ونرى حسب فهمنا أن قوله ثم ارجع البصر إشارة إلى رؤية عالم المثال الذي أصل هذا العالم من السموات فعالم المثال لا يدرك انتهائه. "يَنْقَلِبُ إِلَيْكَ الْبَصَرُ" الخ ويرى كل شيء منظماً بنظام متقن هذه من بركات ملك الرحمن ظاهراً، فالإنسان إذا نظر إلى خارج ذاته ما وجد شيئاً إلا وتصرف الرحمن وقهره غالب عليه، فلا يجد مخلصاً عن المجازاة، فيرجع لابد من نفسه إلى ربه، وهذا هو إصلاح الإنسانية التطابق بين الملكين الظاهر والباطن. "ولقد زينا السماء الخ المتفكرون من الحكماء جعلوا السيارات السبعة مختصة بالأفلاك السبع والثوابت كلها جعلوها في الفلك الثامن، وهم إذا قرؤوا هذه الآية يحضون عن تأويلها، والذي ظهر للمحققين أن أفكار البطليموسيين في ذلك ليست مبنية على الصواب، بل كل سيارة حركتها في دائرة تسمى فلكتها، ليس جسمًا لطيفاً مركوزاً فيه السيارة، فالسيارات والثوابت كلها تحت السماء الدنيا والسموات حقيقة مثالية والتي يظهر للنظر من لون السموات، هذا أثر جسماني من الهواء النور وغير ذلك اعتدت القوى المثالية، ففي تلك الصورة لا يحتاج إلى تأويل. "وجعلناها وجوفاً" هذه أيضًا حقيقة مثالية الجنة والشتاطين يجتمعون في عالم المثال في أخذ العلوم من ملائكة الملأ السافل، فيرجعون بأخذ شعلة من تلك النجوم. هذا كله يتعلق بعالم المثال، والشهب التي ترمي من السماء هي حقائق طبيعية لامثالية ويشبه كثيرًا الأمور المثالية مع الأمور الطبيعية. وكثير من الناس الكبار الذين لهم درجة عالية في فن من العلوم الشرعية، لكن ليس فهم قوة لإدراك المثاليات وتمييزها عن الطبيعيات، فيخلطون فيها والناس يحسنون ظنونهم لكما هم في فن آخر، يقلدون كل قول نسب إليهم ثم يريدون تأويل الكتاب إلى أقوالهم. هذا ليس من العلم في شيء. "واعتدنا لهم عذاب السعير". من يتصرف في قدرة الحق بغير إجازة مشروعية يستحق العذاب. هؤلاء الشياطين ليس فرضهم أن يسترقوا السمع، فإذا خالفوا فطرهم يعذبون وفيه تنبيه أن الإنسان إذا غير فطرته واتبع في ذلك إلهام الشياطين وصار باعثاً للناس ترك اعتمادهم على فطرهم يعذبون أيضًا.

كلمة معترضة

قد ذكرنا أن الإلهام الحق يصل إلى قلب كل واحد من الناس واتباعه يكون فيه سعادته، فإذا تعود ذلك وأكمل فطرته يلتحق بالملأ الأعلى، وهذا غاية ارتقاء الإنسانية فاتباع الإلهام الحق هو الطريق الصحيح للوصول إلى الكمال والإلهام الحق إنما يعرف بشهادة من قلبه، فهؤلاء الشياطين يسترقون السمع من الملائكة، فيجدونه بعض العلوم الحقة فيوحون إلى اتباع طريقهم في معرفة الإلهام الحق. وهذا تغيير للفطرة. الإلهام الحق لا يعرف إلا بشهادة من قلبه فإذا صار معتمداً في ذلك على غيره لأنه وجدته في بعض الأوقات، أفاد علماً صحيحاً، وانغلق إماماً له، وكل ما ظهر له كلبه يقول ولا يخرج عن درجة الإمامة، فهذا الرجل فسد فطرته وهذا الدجال والشيطان كان سبباً في إفساد فطرته فكلهم يذهبون قسراً جرمهم تحت.

فهنا كان نوع من التطابق بين تدبير الرب السموات والكواكب وبين تدبير الرب لا يصال المجازاة إلى الشياطين والدجاجلة فكل منها مشعوب من بركات ملك الرحمن. "وللذين كفروا" الخ الذين اعتزلوا على ملوكيتهم ولم يتعرفوا للملوكية الرب على كل شيء، فهم الذين كفروا بربهم. "فلهم عذاب جهنم" الخ ويدرك ذلك كل رجل بفطرته، لأن كل من يكون داخلياً في ملوكية أحد ولم يعترف للملوكية يستحق العذاب، فكل شاب يريد من طبيعة الوصول إلى رئاسة الاجتماع. هذا الحكم يديهي عنده وبعده في الآية ١١ تصريح باعترافهم بذلك الخطاء، والله يرحمته لا يؤاخذ الناس على جهلهم وغفلاتهم. إنما يتأخرون بذلك عن بلوغ الكمال. هذا طبيعي إما أن يكونوا يعذبون فلا، وإذا أدرك الإنسان فريضة ما يقتضيه فطرته، ثم خالفه بالقصد أو قصر بالقصد في عدم معرفته، هو بطبيعته يدرك العذاب الأليم، لأن هذا الفساد كله جاء إليه بقصده، ففي هذه الآيات بيان أن العذاب إنما يكون للمعترفين بذنوبهم. هذا الاعتراف إما يكون على الفور أو على التراخي، ففيه ليس إلا اختلاف المدايح، وأما الذي لا يفهم، فلا يعذب، فالعذاب يكون سبباً لبعث الإنسان من ربه؟ لا، لا يكون ذلك.

"إِذَا أُلْقُوا فِيهَا... لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ". فما قيل لهم فسحقاً لأصحاب السعير إلا بعد الاعتراف بذنوبهم. "إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمُ الْخ". الغيب معناه قبل وصولهم إلى مقام التجلي، وهذه الخشية إنما تنشأ من الحب إذا غلب الحب، فيظهر اضمحلال الحب عند ذكر المحبوب، تلك الحالة هي الخشية، فالمعترف بالخطاء يكون له اتصال بالمحبوب ولو بالفهم ثم هو ما تأثر بذلك وخالف الإلهام الحق، فكان مستحقاً للعذاب. هذا العذاب يكون تكميلاً للندامة التي تحدث في قلبه، والرجل الذي يذكر المحبوب ويؤكد اتصاله به باتباع الإلهام الحق له يكون مغفرة وأجر كبير وما حصل من القصور بغير عمد منه يفتقر ولا ينزل بذلك عن درجة بل يحصل له الفواب كاملاً كأنه لم يقصر. هذا معنى قوله "وأجر كبير" فاتباع أمر الحق ومخالفته لا يحتاج إلى المجاهرة عند الناس، حالات قلبه ظاهرة عند الرب،

فبجأزه حسب ذلك، هذا هو أصل المجازاة بحسب الفطرة الإنسانية، ثم يكون المجازاة بحسب الاجتماع الإنساني. هذا له أصول آخر.

"هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا" الخ إشارة إلى لزوم الاجتماعية المدنية للإنسانية. الإنسان لا يجد جميع ما يحتاج إليه في كل موضع من الأرض فيطلبها من أطرافها وتنظم من ذلك الاجتماع فالملك في الاجتماع أيضًا لله الحق وإليه الإشارة في قوله "وَالْيَهُ التَّشْوُّرُ". وهذا يتسلسل إلى قوله "يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ". الاجتماع إذا فسد فعذابه لا يكون مثل عذاب الأفراد الذين خالفوا الإلهام الحق فهؤلاء يدخلون في خصوصية نفوسهم ويعترفون بجرمهم في قلوبهم عند ربهم وأما الاجتماع فيكون له أسباب المدافعة فيعذب بطريق لا يقدر على المدافعة. إليه الإشارة في قوله: "أَلَمْ تَنْتَقِمْ مِنَ فِي السَّمَاءِ الخ أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا" كل من هذه الصور يجازي بها الاجتماع المقامد. القادر على المدافعة إن أخذه ناس لكن تحسف الأرض وإرسال الحاصب من السماء لا يكون له قوة في دفعه، وقد مضى أمثال مثل هذا للعقاب في الأمم السالفة يشير بقوله: "وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ" الخ "أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْعَذَابِ فَذُقْنَاهُمْ" الخ فله سبحانه أنواع من القوة في السماء إذ أشار عذاب قوم أنزل طائفة منها: "أَنْتَ هَذَا الَّذِي... فِي غُرُورٍ". التجند الذي ينفع الإنسان من هجوم الإنسان لا يكفي في مدافعة عذاب الرحمن، فإن كان الناس مطمئنين في ذلك، فهم في غرور. بلاد العرب ليس فيها أنهار وعيون كثيرة، مدار حياتها على المطر، فإذا جيس المطر يموتون. هذا النوع يكفي في عذاب الاجتماع، وفي بعض الروايات أن أهل مكة ابتلوا بالقحط لدعاء النبي عليهم إلا ستين كسبي يوسف وإلى هذا النوع من العذاب إشارة في قوله: "أَقْرَأْ هَذَا الَّذِي يُرْزَقُكُمْ إِنَّ أَمْسَكَ رِزْقَهُ" المراد إمساك المطر. "جَاؤَا فِي غَتَوٍ وَنُفُورٍ" يريدون المشي على الباطل وإقامة اجتماعية عالية لا يكون فيها الاعتراف بالحق ولا توفية اقتضاء الفطرة، أفقدرون على ذلك بمقابلة النبي؟ كلا إلى هذا إشارة "أَقْرَأْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ... صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ". الإصرار على خلاف الفطرة الإنسانية في بعض المسائل هو المشي مكبًا على وجهه. يمشي قليلًا خطوة أو خطوتين، أما يقدر على استدامة فلا فالاجتماع يكون على قسمين: قسم على خلاف الفطرة. قسم على مقتضى الفطرة. هذا يغلب على الأول. إليه الإشارة اللطيفة في قوله: "أَهْدَى" فالاجتماع الصالح الموافق للفطرة هو نعمة من الرب. وأراد في الإنسانية تكميله. إليه الإشارة في قوله: "الَّذِي أَنْشَأَكُمْ إِلَى مَا تَشْكُرُونَ". فهذه الاجتماعية تحت ملكية الرب هو يحاسبها وإليه تحشرون.

جملة معترضة

من مات بحاسب في قبره على أحواله الشخصية ويجزي بذلك بقدر ما يتحمله ذلك المحل، ثم يوم القيامة حشر الناس كلهم إلى الله، فهذا الحشر الاجتماعي لا يقدر كل فرد على إحاطة أحكامه بفطرته. أما الحشر الذي يكون بعد الموت في انفراده إلى الله. هذا يمكن أن يدركه الإنسان بفطرته، ففي

آيات القرآن إذا جاء ذكر الحشر، فإن كان المخاطب عارفاً حكيماً، فللمراد منه حشر يوم القيامة، وإذا كان المخاطبون الناس عامة، فإراد به أيضاً الحشر الذي يكون بعد موت كل إنسان، وهذا الموت إذا كان بسبب محاربة القوة الانقلابية الحقبة يكون حقيقية مثل الحشر، فأرادته ليس مجازاً تحت "وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ" المراد منه حسب فهمنا غلبة أهل الحق بالقتال على الذين أنشأوا اجتماعية باطلة، ومن قتل في تلك المعركة فيحاسب حسالاً فوق عذاب القبر في حق الميت على طبيعته ودون الحشر العمومي الذي يكون يوم القيامة، فسؤالهم متى هذا الوعد أي متى هذا الحشر الذي يكون بعد غلبة أهل الحق وقتلهم لأهل الباطل، فيسألون عن تعيين وقته، "قُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِنَا فَلَيْسَ السَّوَالُ وَالْجَوَابُ يَتَعَلَّقَانِ بِحُشْرِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهَذَا نَتِيجَةُ الْعَذَابِ الْاجْتِمَاعِيِّ". فلما رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيَفُتُّ وَجْهَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا" الخ يشير إلى أن هذا العذاب يقع في حيات الذين يندرون وهم الذين يقال لهم. "هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدْعُونَ" في العذاب الاجتماعي يتسنى لأهل الباطل في بعض الأوقات بأن أهل الحق معنا مجتمعون، وإذا جاء العذاب يعذب كل منا، فلا خير ولا يكون كذلك بل يفرق الله بين أهل الحق وأهل الباطل. قيل إتيان العذاب لذلك قيل لهم أنتم لا تنظرون إلينا، بل تنظرون على أنفسكم في حالة الاستمرار على الخطأ المعتاد به عند الأكثر منكم، إليه الإشارة "قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكْنِي اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ" الخ يعني في تلك الحالة لا يكون لنا اتصال بكم. "فَمَنْ يُجِبِ الْكَافِرِينَ مِنْ هَذَا أَلِيمٍ". أنتم تفكرون فيه، فاما نحن إن كان الله رحماً يفرقنا عنكم وإن كان جاء الهلاك أيضاً، فهلاكنا يكون بسبب آخر غير السبب الذي تملكون به، فلا يكون بيننا وبينكم مساواة أبداً. هلاككم بسبب سوء أعمالكم ولو فرضتم هلاكنا، فلا يكون لجرم منا، بل لاقتضاء نظام آخر من نظام مملكة الرب، فنجازي بأحسن الجزاء عوض التي تصل إلينا، فلا تفكروا في المسئلة سواء بسواء. "قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ أَمَنَّا بِهِ" الخ فنحن لا نخاف من ربنا الهلاك ولو بسبب عارضي خارجي وأما أنتم "فَسْتَغْلَبُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ" هم لا يفكرون أن تلك الفئة الضعيفة تغلب علينا إذا ساعدت الأقدار لها ومنعت قدرة الله عن كثير من مرافقكم يمكن الغلبة بالسهولة. إليه الإشارة في قوله "قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا" الخ فاما الذين يمشون سوطاً على صراط من بركات ملك الرحمن أنهم يغلبون ويحكمون في الأرض.

سورة الحاقة

بسم الله الرحمن الرحيم

بعد سورة الملك نون، وقد قرأناها في أول جزء السورة. في أول جزء سورة نون بيان الملك باطنًا المجازاة للإنسانية وفي آخر جزء^(١) هذه السورة الملك لله ظاهرًا يؤيد الله بقوته جماعة للتبعين للقرآن، فيكون فيه التطبيق بين الملك ظاهرًا والملك باطنًا، ثم سورة الحاقة معناها واقعة تثبت الحقيقة، حقيقة تلك الواقعة يقال في اصطلاح المناطقه قضايا قياساتها معها، فهذا يكون في الأقوال، ومثل ذلك إذا كانت في الوقائع يعني أفعال الله. من نظر إلى تلك الواقعة فهم حقيقة ما وقعت لأجله، لا يحتاج إلى قياس إلى مؤيدات من خارج، فيقال لتلك الواقعة الحاقة، فذكر الله في ابتداء السورة واقعة شهود وعاد في العرب، ثم في شمال الحجاز وعاد في جنوبها، ثم جاء ذكر فرعون في ثم الموثفكات في شمال الجزيرة، هلاكه تلك الأقوام معروفة عند العرب ويعرفون وجه هلاكها بالبداهة، لا يترددون في ذلك. الله أهلك قومًا ويكون عندهم أنهم كانوا على الحق، ليس كذلك، يعرفون أنهم كانوا مستحقين للهلاك ويخافون عن أفعال مثل أفعالهم أن لا يستجلب لهم الهلاك، وقبل ذلك يعرفون واقعة نوح وقع في شمال الأرض المقدسة في آنادول وقافقاسيا العراق وشمال العرب أيضًا متأثر بذلك ويمكن أن يصل بعض آثارها إلى آخر الجزيرة. المواقع المنخفضة في الأرض يأتي إليها الماء بالطبع. أما أن يكون الفرق مثل ما وقع في آنادول والعراق أن الماء علا على جبالها لطفتين في البحور مثل البحر الأبيض وبحر الهند من الجنوب، ففي جنوب الجزيرة أيضًا يكون الماء مستغرقًا في جميع جبالها لازمًا. أما في المواضع المنخفضة فيأتي إليها الماء، وكان ذلك الطوفان أيضًا هلاك قوم نوح فقط. وقع بيان ذلك في التوراة وكلمات عمومية كأن استغرق الأرض الح، واصطلاح التوراة أن الأرض عندها ليست إلا الأرض المقدسة مثل تلك الكلمات العمومية وردت في القرآن أيضًا، وكثير من المفسرين للتوراة والقرآن أخذوا من عموم الألفاظ، غرق الأرض كلها وليس لذلك أصل إلا ما أدت إليه فهمهم، فقط يمكن أن أتى طوفانات قبل ذلك على جميع قطعات الأرض وبقيت منها آثار في تلك الأرض، فإذا وقف عالم عليها إلى عالم التوراة أو القرآن على الفور يقول ثبت أن الطوفان كان على جميع الأرض وليس لهم علم أن التوراة لا تبحث إلا عن عائلة إبراهيم فقط تأتي له بنسبه إلى آدم وواقعات قليلة وقعت في أجداده تذكرها التوراة ونحن نسلم أن ما وقع في الأرض المقدسة يكون تأثيره في جميع الأرض، لأنها كالمركز وهذا باعتبار الاجتماعية الإنسانية. أما باختيار الوقائع القومية فكل ما وقع في قطعة من الأرض غرق أو حرق يكون مركزيتها راجعة إلى الأرض المقدسة، فهذا ما نعرفه أن الأنبياء بعثوا لبيان ذلك. إنما هي خيالات نشأت في دماغ الأذكىاء.

٢- في الأصل: حصه، والأنسب جزء.

أدخلوا بعموم ألفاظ النصوص، وهم لم يهتموا في قراءة الكتاب المقدسة التوراة والقرآن من جميع اعتباراتها، فالمذنبات السامية لها ذكر في التوراة وكذلك لها إشارات في القرآن، كيف يقدرّون إلى إرجاع مركزيتها إلى آنادول والشام.

يضاح ذلك: من الهند خرج دين بوداء دين فلسفي إلهي، انتشر في أقطار الأرض خارج الهند. في ذلك الدين خصوصيات مشخصة تسمى في لسان القرآن بشعائر الله أو شعائر الله. تلك الخصوصيات متباينة قطعاً مع أديان أنبياء التوراة. و مركز ذلك أيضاً راجع إلى سوريا والعراق أو يمكن إخراجها من فهرسة الأديان. هذه مدينة بابل لها ذكر في التوراة، هل يمكن إرجاعها إلى الحنفية؟ ففرقنا أن تلك الأفكار إنما نشأت من مطالعة رجال من الأدكياء كتبهم الدينية، فاثروا بالفاظها ونظموها في صورة نظريات عقلية قوله: "إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ وَتَعَيَّهَا أَدْنٌ وَاعِيَةٌ" معنى هذا أسباب ارتقاء الارتفاقات تقع بالصدقة في قانون القدرة، فإلهم الله لرجل من عباده أن يأتي بحيلة لنجاة بني آدم من تلك المصيبة، مثالها قصة الطوفان وما ألهم الله نوحاً لسقينة فالأذن الواعية من تلك الواقعة الجزئية تستدل على أن جميع الارتفاقات التي التشرت في البشر من زرع المظاعم ونسج الثياب، وأمثال ذلك كما هو مبسوط في كتب الإمام ولي الله، جميع ذلك يمكن أن يكون بإلهام الله إلى أكابر أنبيائه مثل نوح في إلهام السفينة، هذا معنى قوله: "وَتَعَيَّهَا أَدْنٌ وَاعِيَةٌ" فبالفساد في تلك الارتفاقات أهلكك تلك الأمم ذكرها الله، فهذه الحياة الارتفاقية الحياة الدنيا ومنتظمة بإلهامات وأفكار ومن أفسدها وأخرجها عن الفطرة يستعجل الله بعذابه في الدنيا، وتلك الوقائع تكون أمثلة للحاقة لأن الناس يفهمون بالسهولة أن الذي يحتكر الأقوات حتى ماتت مساكين، فهو أحق أن يعذب في الحياة الدنيا، لا يحتاج الناس في ذلك إلى بنية. رجل من الحكام جمع مالا عظيماً بالرشوة، فالصدقة وقع حريق في بيته واحترق كلها، هذا يكون مثلاً للحاقة عند الناس لا يتردد أحد في أنه كان يستحق الإحراق وكذلك من جمع أموالاً بالربا أو بالغصب ثم أهلك أمواله وصارت أولاده فقراء يتكفون الناس من يتردد من الناس في أنهم لا يستحقون ذلك فمثل تلك الوقائع تسمى في كتاب الله بالحاقة. الناس مع ما يرون من الحاقات يرون كثيراً من المجرمين لا يجازون، فالذي لا يفضخص به، والذي ينظر ويتعمق ويدقق، يؤمن بأن يوماً واحداً يأتي يوم الحساب، لأن البعض يؤخذ والبعض يترك، هذا ليس من عادة الله لأن أفعال الله كل ما تعمق الرجل يجدها متقنة مهيبة على الحكمة، فلا بد هو يتقن أن نوعاً من المحاسبة لازم أن يجري على كل أحد، وقيل ذلك الحواريون للمسيح، انتشروا في الأرض، وبلغوا إلى الناس أن يوماً يأتي ينزل الأرض والسماوات ويكون مجازاة الإنسان وكلهم في ذلك للوقت. هم قد دخلوا فيه تحريفاتهم أيضاً. الذي يجازي الناس في ذلك اليوم، هو الله خالق الناس، وهكذا كان في أصل الإنجيل، لكن نشأ فيهم قوم يعتقدون أن الله هو المسيح بن مريم، فهم في ترجمة الإنجيل بدلوا كلمة الله بكلمة المسيح، وهم لا يحسبون إلا أنهم يترجمون ولا يعرفون ما يأتي من ذلك التحريف من المصائب على الإنسانية على كل الأحوال، كيف ما كانت أنه

النصارى أبلغوا إلى الناس مجازاة الرب يوم القيامة، وهم يبالغون في ذلك التبليغ لأن أساس دهرهم الإيمان بالمسيح لهم إذا علموا الناس أن المسيح يفيدهم يوم الجزاء وأنشأوا لذلك مسألة الكفارة وغير ذلك، ومن هذا الطريق يقدرّون على الدعوة إلى الإيمان بالمسيح بالسهولة. نحن نترك تلك الخرافات التي جعلوها مدسوسة في تلك الدعوة ونعترف لهم بأنهم أبلغوا الناس الإيمان بيوم القيامة، فالقرآن العظيم من أهم تعليماته الإيمان بيوم القيامة كما ذكرنا ذلك في سورة الملوك والنصارى مشاركون لنا في هذا التحظيم.

مسألة القيامة وإن كانت في الديانة الصائبة أيضًا ضرورية، لكن المجازاة الدنيوية كانت في تلك الديانة أوضح، فاختفى عند عامة علمائهم مسألة القيامة وإنما بقيت عند الخواص منهم فقط. الديانة الصائبة لها مركز واحد في الهند قوي، عندهم كلمة ترجعها يوم القيامة، إنما استخرجها من علمائهم من كان يناظر مع المسلمين كثيرًا ولما رأى ذكر القيامة عند المسلمين، لها شهرة عظيمة وألزمهم للمسلمون أن يثبتوا ناقصة، ففتشوا كتبهم فوجدوا فيها بيانًا مثل ما يصف القرآن أحوال يوم القيامة. أما عامة الهند فلا يعرفون. مثال ذلك أن جمعًا من السياسيين الأوروبيين ألزموا زعماء كانغريس الهندية وأكثرها عنود من أول الأمر إلى يومنا هذا، المسلمون ما شاركوهم إلا في بعض الأوقات فالزم الأوروبيون الهند أن تأسس كانغريس على فكرة الجمهورية وأنتم من أمة قديمة لا تعرف في أفكارهم كلمة تساوي معنى الجمهورية، فاستغناؤكم عن إنكلترة وبناء حكومة على أساس كانغريس متضادان، أنكم لا تعرفون الجمهورية وليس عندكم كلمة تساوي لها، فرجع العلماء إلى كتبهم القديمة واستخرجوا منها كلمة معناها الجمهورية وهي كلمة ستتر (١) ومقصودنا أن الأدباء السابقة كلها متفقة على إتيان يوم القيامة، أما تعليمات بعضها صارت فيها مخفية وظهر في تعليمات بعض الأدباء مثل النصارى، فمن كان عالمًا بالإنجيل ودعوة للبشرى وكان العرب أيضًا غير غافلين عنها. ورقة بن نوفل من أكابر قريش كان تنصر وكان يترجم الكتاب إلى العربية، فمن كان عالمًا بتلك التعليمات يسهل عليه فهم هذه الآيات.

"فَإِذَا نَفَخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةً وَاحِدَةً (١٣) وَخُيِّلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً (١٤) فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ (١٥)" ويكون ذلك أيضًا من الحاقة، قوله: وانشقت السماء فهي يومئذ واهية "والملك على أرجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية." الإمام ولي الله في حكمة الإلهية يقسم جميع صفات الرب باعتبار تعلقاتها بالعالم والشخص الأكبر إلى أربع كمالات: ١- الإبداع ٢- الخلق ٣- التدبير ٤- التدلي ويجعل الحاملين للعرش ملائكة خدام تلك الكمالات، فيكون الحاملون للعرش بالطبع أربعة لا أربعة أشخاص، بل صنوف وصفوف لا يحصى عددهم، إنما يذكر منهم أئمتهم. تلك من معرفة الشيخ مقرر عند أصحابه، ثم ولده الشيخ ربيع الدين فصل ذلك في رسالة مخصوصة وجعل كمالات الرب على نوعين: ١- قسم يقال له التكوين. ٢- قسم يقال له التشريع، وهذا القسم الثاني مختص

بالإنسان فقط، وإذا وقع فيه بسط فيقارب التكوين ببعض الوجوه. شرح تلك الكلمة حتى إذا فرضتم أن كل فكر من الإنسان يتمثل بصورة إنسان وكذلك كل عمل من أعمال الإنسان يتمثل بصورة إنسان، فتجعلون الإنسان الواحد الفرد في المركز وتجعلون حوله الأفراد الذين خلقوا من أفكاره وأعماله يكون عالما برأسه، فإذا اجتمعت الإنسانية كلها على هذا الطريق، فهي تضاهي الكائنات كلها، ومحاسبة تلك الأفكار والأعمال التي خلقها الإنسان تكون يوم القيامة، وأما قبل يوم القيامة، فالإنسان مندمج في الكائنات، فمن الكائنات جنس الحيوانات ومن الحيوانات واحد نوع إنسان، فليس له حساب مستقل في هذه الحياة. أما يوم القيامة، فإنما يكون حسابه هو المقصود. تمت. تم شرحي.

يقول الشيخ رفيع الدين يوم القيامة ينضم مع حاملي العرش التكويني، حاملوا العرش التشريعي أيضًا وكل واحد كأنه وجد لعرش واحد، فيكون الحاملون في ذلك اليوم ثمانية، ليس ثمانية أفراد بل صفوف. تم شرح كلامه، وتلك الرسالة من الشيخ رفيع الدين جعلها أخوه الكبير وأستاذه الإمام عبد العزيز الدهلوي، جعلها جزءًا من تفسيره، وبعد ذلك بيان المحاسبة من الآية ١٨ إلى ٣٧، هو شرح للملك الإلهي باطنًا الذي يتعلق بنوع الإنسان. تلك المضامين في القرآن العظيم مبسطة مشروحة وفي معرفة حكمتها الإنسان يرجع إلى أبواب من حجة الله البالغة والخير الكثير. قوله: "فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ... تَنْزِيلٍ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ. مَا تُبْصِرُونَ" المراد منه الحالة الحاضرة للعرب في ما هم فيه من الجهل والشقاق وفي قوله: "مَا لَا تُبْصِرُونَ" إشارة إلى أنه يأتي لهم من المستقبل الذي يعظمه جميع الناس، فالحالة الموجودة والحالة الآتية نجعلها شاهدين على أن هذا التعليم هو التعليم الإلهي بواسطة رسول كريم، لأن كل ذلك يكون على منهاج المجازة التي أثبتها الأنبياء ويكون نتيجتها موافقة للمجازاة التي تأتي يوم القيامة وأخير الأنبياء عن حالات الصالحين، فمثل أولئك الصالحين ينشأ في العرب بتعليم القرآن، فهذا الدليل كان ظاهرًا على صدق نبينا عليه السلام، وفي ضمن ذلك نفى القرآن العظيم عن القرآن أنه ليس بقول شاعر ولا بقول كاهن، فهؤلاء إنما يبعثون عن حالات جزئية عارضة. أما دعوة النوع الإنساني كلها وجعلها متهيأة للدينونة الكبرى من شاعر أو كاهن كلا.

لطيفة معترضة

نبح في زماننا من رجال الهند شاعر اسمه الدكتور إقبال، كان أولًا داعيًا إلى الوطنية لأن أهله من طائفة برهما الكشميرية، أسلم أجداده. هو قرأ العلوم الإنكليزية إلى الكمال وصار محاميًا وحصل سند الدكتوراه من ألمانيا. له قريحة لطيفة يأتي بشعر يأخذ بالقلوب، فنحن جربنا حالاته بالتدرج بعد الوطنية، انتقل إلى دعوة اتحاد الإسلام ودعوته وشعره مؤثر غاية التأثير، اشتمل على فلسفة بعض الألمانيين تشارك في أكثر أفكارها لفلاسفة الهند وأتى بمبشرات مشهورة في الأحاديث بكلام لطيف، فتأثر منه الشبان كثير التأثير، وهو يعترف للاقتصاديات، فلما جاء روسيا بالانقلاب أيدهم بأشعاره وكلامه لطيف بالمرّة، لأنه يعترف للاقتصاديات ثم رأى أن الحركة العربية تقوم على ساق فأتى بتأييدها بما كان في دماغه

محفوظاً ثم رأى فيها تقاليد، فشرع بتلميحات إلى الرد عليهم وله معرفة بالفلسفة الاجتماعية العلمية، فيخترع من تلك النظريات الحكم على سياسيات أوروبا، فيخبط، وليس في قلبه قوة وشجاعة بمقابلة الحكومة الحاضرة، فأرادت أن نستعين به الرد على سياستها نحن الطبية على اتحاد الإسلام وإلى إحياء الوطن وإلى رعاية البرنامج الاقتصادي ورعاية السياسة العالمية، فالأشياء كلها في برنامجنا أيديها الإقبال في مختلف أوقاته، فإذا أرادت أن يكتب خلافاً لنا، فنكتب أشعاراً لطيفة ركا علينا وسمى تلك الرسالة بـ"مشرق" فيه دساتير قليلة رداً علينا فأشاعتها الحكومة الإنكليزية بواسطة ترجمتها بالإنكليزية إلى كل موضع ووصل إليه دعايتنا بضد الإنكليز، فإن كان الشعراء مثل ذلك فما نقول في حق الشعراء لا نقدر أن ندعو لهم بالرحمة ولا أن ندعوا عليه باللعنة، تمت. وفي كل ما أتى به بعد بـ"مشرق" تدارك على نفسه وهذه الدعوة العالمية الانقلاب العالمي يمكن أن تنسبها إلى شاعر ما أبداً لا يمكن هي الدعوة الحقة لها منها عليها شواهد.

قوله: "وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ... حَاجِرِينَ". تلك الآية شكك فيها القادياني عامة القراء في بلدنا. هو يقول لو كنت أنا كاذباً في دعوى النبوة، لقتلت بحكم القرآن ولما تروني أتى لم أقتل، فذلك يثبت صدقي. فاجتهد أهل النظر للجواب عنه وأتته أكثر كلامهم مهم أن هذا راجع إلى بني شانه عظيم والقادياني ليس من تلك الدرجة حتى يؤخذ به ولهم في تفسير ذلك الفكر كلمات طويلة عريضة عندي في ذلك المبحث ما كان عندي نشاط في قبولها منهم لأن كلامهم يصير دقيقاً لا يقبله إلا خواص من أهل العلم، فليس الجواب في الوضوح مثل استدلال ذلك الدجال والذي يطمئن به قلبي في ذلك الأمر أن هذا يتعلق بالواقعة يصدق عليه الحاقة، فإذا كانت نبوة كالحاقة ثم هو يقول على الله بعض الأقاويل لقطع وبأني ما يؤيده في ما بعد ذلك من الآيات وأنه لذكره للمتقين. كل رجل يريد إقامة العدل في الدنيا فهذا القرآن تذكير له كلما تفكر هو من إقامة الحق كله بجد فيه، هذا معنى قوله: "وَأِنَّهُ لَذِكْرٌ لِّلْمُتَّقِينَ". لا يفهم معناه من جعل التقوى منحصرة في تحسين الطهارة والتزامها وذكر الله والصلاة والتزام الأخلاق الحسنة بانفرادية، فمن جعل مصداق التقوى حالة هذا الرجل الذي وصفنا حاله فهو لا يقدر على فهم معنى تلك الآية (وإنه لذكره) فللمتقون إذا رأوا جميع أفكارهم جميع برنامجهم في القرآن كان تعليم القرآن معدهم كالحاقة. رجل يكون حاملاً لمثل تلك النبوة وهو يقول على الله بعض الأقاويل، لازم أن يقتل لأنه يطل الإنسانية. أما الذي يصكلم بكلمة وهو في نفسه شكوك لا تأتي في تلك الآيات. نحن نعرف الميرزا القادياني ونفسياته مثل ما نعرف من نفسيات إقبال لأن هؤلاء من بلادنا. أنا من تلك البلاد. أنا السيمالكوفي المولود والإقبال منها وقريب منها مولد القادياني. هذا غلام أحمد من أولاد التيمور ونسبه يتصل بعائلة مالكة في الهند لما خرج المهدي في السودان. هو رأي منامات في الرؤيا أنه يقدر أن يغلب على الدعلي وفي نفسه أنه سلطان آياته من هذا الطريق صار هو يتوقى إلى انتصار الإسلام ورد الكفر، فتلك الكلمات العمومية لتصرة الإسلام ما كان لها معنى في قلب الميرزا غلام

أحمد إلا بتحصيل حكومة الدهلي لنفسه وعائلته إذا كان مهدي يبعث في السودان، فبعث مهدي في الدهلي لا بأس في ذلك ونعرف من بطائه ما سعى لمقابلة الحكومة الإنكليزية لكن الحكومة تنهت على الفور وجمعت حوله رجالاً دعاة إلى اتحاد الإسلام وأمثال ذلك وهم كلهم من المؤمنين بعظمة إنكلترا وإن الإسلام لا يكون له مستقبل إلا بقوة الإنكليز ودخولهم في الإسلام، فلما اجتمع حوله مثل تلك الطائفة نفهر المسكين عن دعوة السلطنة الهندية، فبعد ذلك كانت له خرافات فوق خرافات كلها غير منتظمة يوماً بلدح الإنكليز ويوماً يرد عليهم والذي عندي في حقه أنه رجل مثل الأمره كان يريد حكومة آباءه واختار لدعايته مقابلة الكفار والرد عليهم وانتصار الإسلام لجميع الناس حوله، فالذين هو كان يحب أن يجتمع عنده لعله ما جاء عنده أحد والذين يخالفون لنظريته في حكومة الهند ولهم نظريات بتحصيل تأييد الإنكليز لنصرة الإسلام، وهم على طرائق مختلفة، بعضهم على طريقة السيد أحمد خان ينكر نزول المسيح وبعث المهدي وبعضهم على طريقة دعاة العربية، إذا كان الأتراك يذهب حكمهم عن بلاد العرب، يخرج المهدي على الفور، فتلك الجماعات المختلفة جعلها الإنكليز بقوتها السياسية حول مرزا غلام أحمد القادياني الذي يرى في رؤياه أنه يملك الهند، فغيروها عن مسلكه، الرجل ما كان عالماً في نفسه، لكنه ذكي شاعر يأتي له الناس بنظريات إحياء الإسلام وكلها يكون فيها العدة الحكومة الإنكليزية فهو يتعمق فيها وكان صاحب القوة الوهمية، فيتعلق به شيء من تلك الأفكار، ثم يراها في رؤياه في صورة المبشرات. هذا خلاصة ما عندي في حق هذا الرجل المسكين، ثم خلفه بعد ذلك الحكيم نور الدين وهو رجل من علماء الهند الكبار وكان مسلكه يشبه مسلك السيد أحمد القادياني، فهو لو انفرد بنفسه ودعا الناس إلى تعلم القرآن منه ثم السعي لإقامة الدين، لكان نفعه كثيراً للمسلمين بالنسبة إلى انضمامه إلى هذا الرجل، لأن نور الدين مع كونه عالماً ما كان يظن أنه مستقل في الدعوة إلى فكره ويحتاج إلى ركن يعتمد عليه والميرزا القادياني كان أيضاً مثل هذا لأنه ادعى أنه يرد على جميع الكفار بالدلائل العقلية وما كان قادراً على ذلك، لكن دعواه كان بإخلاص منه للإسلام ونور الدين كان أقدر على ذلك منه، وهو رجل مستقل الفكر لا يتبع أحداً ولو جعل الآخر نفسه نبياً عليه السلام إلا مثل ما يصانع الناس للكفار وهو ما كان يرى نزول المسيح وما كان يرى بعث المهدي مثل السيد أحمد خان، فانضمنا تحت مصالح مخصوصة لأن أهل الحديث بالبنجاب يؤمنون بنزول المسيح وبعث المهدي وفق الأحاديث وهو جماعة قوية تحب الجهاد مع الكفار، فدعوتهم إلى مثل المسيح أمكن ويرد عقيدتهم بنزول المسيح الحقيقي تضعف الجماعة في اعتقادها، فتذهب عنها الجماعة في مقابلة الإنكليز. أصحاب السيد أحمد خان كانوا يرون أن مقابلة المسلمين الإنكليز بالقوة الحربية أو ادعائهم لذلك سبب عظيم لتأخيرهم عن الاجتماعيات، فإذا خرج الفكر من دماغهم يفهمون الإسلام أحسن من الأول، وكانوا يؤمنون بذلك بالإخلاص والصدق، فإذا جعل برنامج مقبل للمسيح الرد عن جهاد النصارى يكون أوفق لنظريات تلك الطائفة والمسكين غلام أحمد أيضاً مجبور لقبول تلك المصالحة، وهكذا انتظمت الحركة القاديانية

بجمع ميرزا غلام أحمد والمولوي نور الدين على اعتقادات مشتركة لينهاء ثم اغتنتمها الحكومة الإنكليزية لأنها يسهل لهم الفتح لبلاد الأفغانه التي جعلها سياسة الهند من أهم الضروريات لحفظ الإمبراطورية الهندية، فالدعوة إلى القرآن وترجمتها وتليين مسئلة الجهاد كلها من خواص المولوي نور الدين، ليس لميرزا في الدعوة القرآنية أقل شيء. والدعوة إلى كونه تمثيل للمسيح وسلطان الهند هي من الميرزا الآن. ولد ميرزا يتعلق بالأمور السياسية أكثر بالنسبة إلى والده ويحب بالتوارث ما أحبه أبوه وليس فيهم ديانة ولا صلاح ولا تقوى مثل أوساط الناس من أهل الهند. أما المولوي نور الدين فكان مستثنى من ذلك. كان رجلاً عظيماً لو لم يظوت لمخالطة الميرزا هو أنشأ جماعة أكثرهم تبليغ القرآن مثل الخواري المسيح إلى جميع الأقوام في الديناه لكن خبطهم بالقتال الميرزا آخرهم كثرة. لو كان المولوي نور الدين انضم إلى السيد أحمد خان لانتفع زيادة على هذا ولكن ما كان يقدر على الانضمام معه، لأن المولوي نور الدين رجل عالم يصلي ويصوم، ينكر على الذي يترك شرائع الإسلام بدون عذر. والسيد أحمد خان مثل الأمراء والأفندية في توركيا ومصر لم يكن كذلك كان يصلي ويصوم، لكن لا بالالتزام، فلما تمكن الاتفاق بين نور الدين والسيد أحمد. أما ميرزا غلام أحمد فكان يحب الشرع، كان يصلي ويصوم وكان كالطلميذ لنور الدين، أما عندي فلو كان نور الدين تفرد من هذا ومن ذاك لكان أنفع للمسلمين وبالأخر جماعة صارت مجبورة على ترك القادياني وجعلوا لهم مركزاً مستقلاً في لاهور. هم الذين يدعون إلى القرآن والسنه في أطراف العالم ولا يتكبرون الميرزا خارج الهند في عامة دعواتهم، لكن في الأصل هم تقيدوا بتصديق جميع أقوال الميرزا فصددهم ذلك في التقدم لخدمة الدين فلو كان المولوي نور الدين أسس من الابتداء مركزاً عظيماً لتعليم القرآن كان جماعة أنفع للمسلمين. هذا ما عندنا في مطالعة الحركة القاديانية. أنا لأجعل الميرزا من رجال الدين ودعاويه كلها مثل الدجل والخط وأجعل المولوي نور الدين رجلاً عالماً مجتهداً من المعتزلة يميل إلى إقلنة السنه وأخطأ لكنه ما تمعد والله يغفر لنا ولهم. إذا رأى الرجل رأينا ومطالعنها في حق للميرزا هل يمكن بعد ذلك أن يأتي عندنا شك أنه ادعى ولم يقتل، فلذلك كان على الحق؟ لكان هذا جنوناً قوله: "وَأَنَا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ. وَإِنَّهُ حَسْرَةٌ عَلَيَّ الْكَافِرِينَ." يعني إذا رأوا ارتقاء المسلمين في مدارج الكمال. قوله: "وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ." هذا عندنا معنى الحاقة يترشح اليقين بحقانية من نفسه. "فَمَسِيحٌ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ." الحمد لله تمت السورة. أغسطس ٢٦ يوم الخميس ١٩٣٧ء.

سورة المعارج

بسم الله الرحمن الرحيم

الأصل في الحكمة إدراك وحدة النظام العلمي. القرآن العظيم يلقي تعليم الدين وقسم الحصة الأعلى منه إلى : ١- القانون. ٢- وإلى الحكمة، فالمسائل التي تكون متعلقة بالقانون منها يوم المجازاة يوم الدين أو المجازاة، لأن صورة القانون لا يتظم إلا إذا فرق بين مدارج الأوامر والنواهي، وهذا التفريق مبني على أن بعضها ضروري وبعضها مكمل ومعنى الضروري لا يرجع إلا أنه يجازى به أشد المجازاة، فبهذا الطريق اتصل مسألة المجازاة بالقانون، لكن هذا إنما يكون صورة المجازاة من فعل كذا، فله أجر مثل كذا أو من كذا، فعليه عذاب مثل كذا. أما معنى المجازاة لا يأتي إلا في حصة الحكمة من هذا التعليم فهذه السورة القصد منها. قوله: "سَأَلْ مَنَاقِلَ الْعَذَابِ وَاقِعٌ". الكافرون يستحقون العذاب ليس له دافع، لكن السؤال إنما يتعلق بالوقت، لأن الناس ينتظرون إن كان هذا صحيحاً من مخالف الدعوة ينزل عليه عذاب من الله، فليدخلوا في الدين فيسألون متى يكون هذا العذاب والقرآن لا يجيبهم عن السؤال لأنه راجع إلى العلم الحسي الذي يشترك فيه الحيوان والإنسان سواء، والإنسان ممتاز عن الحيوان بالعلم النظري، فالدعوة الدينية دائماً تكون إصلاح الاجتماع الإنساني وتكميله، فالتبحث في درجة تازلة عن الإنسانية ليس من أمور الدين في شيء، فيبين لهم قانون المجازاة فيتفكرون فيه، فلا يحتاجون بعده إلى تعيين الوقت، ففي هذه السورة بيان لحكمة المجازاة على الدرجة الابتدائية للأمين. "مَنْ اللَّهُ ذِي الْمَعَارِجِ". الأمور التي يخلفها الله تعالى أيتحقق ثمرتها في وقت واحد؟ أم يكون فيه اختلاف؟ بعض الأشياء تظهر ثمرتها في يوم وتظهر ثمرة بعضها في شهر وثمرتها بعضها في سنة وثمرتها بعضها في سنين إما عشرة أو مائة أو ألف أو عشرة آلاف أو فوق ذلك، فلو فرضنا أن الأشياء المخلوقة تنزل من الله لأنه ليس للمخلوقات منبع آخر سوى ربه فيمكن أن نقول إذا أثمر كل شيء فهو يرجع إلى ربه لأن الفناء بمعنى الانعدام يعد إثمار الثمرة لا يليق في الحكمة القدرة والحننة التي صرفت إلى إثمار الثمرة لازم أن يظهر إقادها في موضع وأن يكون كله عبثاً، فإذا أثمرنا هذا الفكر فيلزم منه أن كل شيء لا يرجع إلى ربه في وقت واحد، فعروج الأشياء إلى الله باختلاف الأوقات يظهر أن الله ذو المعارج، الأشياء لا ترتقي إليه إلا تحت قانون للمروج خاص به، وهذه المسئلة عند أرباب الحكمة من الهدىيات. نقول: شيء نزل فعروجه لازم والله سبحانه كماله غير متناهية، فهذا العالم الذي نحن نشخص قطعة من تلك الكمالات، فلا نبحت إلا عن ذلك العالم لا عما كان قبله ولا عما يكون بعده، فإنا لا ندرك شيئاً لا يكون لوجوده تعلق به، وهذا العالم تعلقنا به واضح. حياتنا الدنيا تستفيد من المواد الأرضية من العناصر من المعدنيات والنباتات والحيوانات وغير ذلك وتستفيد من السماويات بنور الشمس والقمر والكواكب ومن المطر والسحاب وأشياء غير ذلك، وكل هذه الأشياء لنا به تعلق، فنقتدر على فهم شيء منها، فلنقتصر جهدينا في تحقيق الحكمة على هذا

العالم المشخص، فإن كان هذا العالم له أدوار فدورة منها إذا انتهى يثدي دورة أخرى، فلنقتصر جهتنا في تحقيق الحكمة على الدورة التي نحن فيها. نرجع إلى الأقوام الإنسانية. عمر الإنسان الواحد مقرر، وعمر جماعة ينشأ فيها هذا الرجل أطول منه، وتلك الجماعة تكون متولة في جماعة أخرى، فالجماعة الكبرى عمرها يكون أطول من الجماعة الصغرى، هذا الجماعة نسميها بالقوم، فالمسائل القومية دورة منها تتم في ألف سنة. هذا يعرف بالتجارب إذا مضت من عمر قوم ألف سنة، ففي الدور الثاني يتبدل طوره كثيراً، فالدورة الواحدة نسميها باليوم لأن المعاشرة الإنسانية تعتبر دورات الشمس من أصول الحساب، فالدورة الشمسية تسمى يوم كذلك كل دورة يوم، فيوم القوم يكون ألف سنة، فإذا أجمعت أقوام العالم لا تزيد عن خمسين قوماً، فباعتبار هذا الفكر يوم الأقوام يكون خمسون ألف سنة في تلك الدورة تتم للإنسانية أنواع من الكمال والدورة الثانية بعد ذلك تكون على طور آخر ولا نقدر على إدراكها اليوم، فلنقتصر جهتنا في تحقيق المسئلة الإنسانية التي هي موضوع الشرائع الإلهية بواسطة الأنبياء على خمسين ألف سنة. "تخرج الملائكة الخ" في حكمة الإمام ولي الله مسئلة حظيرة القدس واضحة التي هي مجتمع الإنسانية عند ربها كما أن الشخص الأكبر كله يرجع إلى العرش المتجلي عليه الرحمان كذلك الإنسانية كلها ترجع إلى حظيرة القدس تحت العرش ومركز حظيرة القدس الروح الأعظم الذي هو روح واحد للعالم كله وحولهم جماعة من الملائكة تمد الروح في تكميل أفعاله مثل الحواس والجوارح في الشخص الأصغر، فمحل اجتماع الروح والملائكة هو حظيرة القدس وفي قلب الروح الأعظم عكس التجلي القائلهم على العرش نازلًا منه إليه وكل ما نزل تجلي إلهي في موضع، فيأخذ الأمور المتعلقة كلها بيده، فلا يترك لشيء آخر أمر وهي ولا شيء، فإذا نزل تجلي إلهي في وسط حظيرة القدس، فجميع أمور حظيرة القدس يكون تحت قبضه وإرادته واختياره، فمسائل الحكمة القروع منها لا يمكن أن تدرك إلا إذا كانت أصول التجلي على العرش وأصول قيام حظيرة القدس مسلمًا عنده. إما وصل إلى ذلك بتحقيقه وإما لاعتماده على إمام يرشده إلى ذلك بالتدريج، فلا يكون هذا تقليدًا، بل اتباعًا على رجاء التحقيق، فمن لم يحصل له ذلك العلم بالأصول بأحد الوجهين، فلا يكلف نفسه للخوض في تلك المباحث. ينزل قضاء من العرش إلى حظيرة القدس فيفهمون معنى وينتظم عند الأمر أنه يتم وكذا مدة، فيشتغل الروح والملائكة بتكبيله، فإذا أموه رجعوا إلى مستقرهم في حظيرة القدس ورتبوا نتيجة أعمالهم، فإذا كان موافقًا للقضاء الذي قضى به أولاً صار سعيهم مشكورًا عند ربهم، فيصعدون في مدارج ويسلمهم إليهم أمور أعلى من الأولى. الروح الأعظم الذي ذكرناه الخ أنه روح للعالم كله وجوده كان موازًا للعرش وأما الروح الذي ذكرناه في حظيرة القدس هما في الحقيقة روح الإنسانية كلها وحظيرة القدس كلها مرجع الإنسانية، فالروح الإنسانية التي هي إمام النوع تنزع منه أرواح على المسارج المختلفة، فالصنف الأول يكون أرواح الأصناف، ثم من تلك الأصناف تنشأ أصناف أخرى على درجات، فتتنازل الأرواح طبقة بعد طبقة حتى يصل إلى أرواح الأفراد ومع كل روح يكون خادم ومؤيد له من الملائكة، وهذا يكون في

الطبقة العالية من عالم المثال والسموات أسماء والأفلاك أسماء طبقات عالم المثال عندنا وهذا باعتبار ما اصطلاح عليه المتكلمون مع المشائين من الحكماء والأفاضل. المسئلة عندنا السموات التي لها ذكر في كلام الأنبياء وهي سبع. هي مع طولها وعرضها وعمقها واستدارتها أسماء طبقات عالم المثال، وتلك الأسماء عوض ذلك عند المشائين من الحكماء كلمة الأفلاك ويجعلونها ذات حياة ونفوس وعلم ويجعلون مسيرة واحدة ذريعة نقل قوتها إلى الأرض وتلك السهارة تنور في فلك في دائرة لذلك سموها هذا الحقائق ذوي النفوس ذوي العلم باعتبار حركة سيارتها فلكاً، فإذا رجعنا إلى تحقيق كلام المشائين بكلام أئمتهم، فلا نجدهم متضادين لكلام الأنبياء في ذكر السموات في مادة جوهرية، فلذلك قبل المتكلمون أن معنى السموات في الشريعة ومعنى الأفلاك عند الحكماء واحد، وأما المتأخرون من المشائين الذين كل من أتى بعدهم يلخص كلام سابقه، ليس عنده في تحقيق النظرية بصورة ما، إنما لخصه المتقدمون، فكلام المتأخرين على طرف شاسع بعيد من كلام الأنبياء وإلا فكلام المشائين من اليونانيين والإشراقيين منهم، وكذا كلام حكماء الهند كان متقارباً وهذا ليس بعيداً عما أتى به الأنبياء، فحظيرة القدس فوق السماء السابعة يعني في الطبقة العالية من عالم المثال والسموات السبع ملحقة بها ثم ينزل تلك الأرواح إلى الطبقة السفلة من عالم المثال وهنا يكون صنف من الملائكة يقال لهم الملأ السفلى وصنف الجن، فلما كان في الطبقة العالية لعالم المثال مع روح كل فرد فرد من الإنسان ملك مويد له إذا نزل ذلك الروح إلى الطبقة السفلة يكون بإزاء كل روح جن في تلك الطبقة يؤيد ذلك الروح في أعمالها. هذا الذي ذكر في الروايات أنه فرين من الجن، فإذا نزل الروح إلى عالم الأرض وحصل جسداً يكون له روح مخصوص حيواني يعضم إلى ذلك الروح الحيواني قرينه من الجن، فإذا ارتقى الروح النازل من إمام الأرواح الذي نسميه بالنفس الناطقة، ومعنى ارتقاتها أن يكون حاكماً في النسمة المقترنة بالجن ولا يصير محكوماً لها، فإذا حفظ طبيعته العالية انضم إليه قرينه من الملائكة، ثم يعمل هذه النفس الناطقة بوامطة بدنها أعمالاً لا تنتظم منها الاجتماعية الإنسانية من المنازل والقرى والمدن والممالك ومملكة تحكم على جميع الممالك. هذا طبيعة النوع الإنساني لا يمكن أن يتجرد عنها كما لا يمكن أن يتجرد النحل والذباب عن مقتضياتهما. الأعمال في الاجتماعية الإنسانية تظهر بوجهين: إما أن يكون حكم النفس الناطقة وقرينه من الملائكة أغلب وأظهر وإما أن يكون حكم النفس الناطقة مغلوباً لحكم الروح الحيوانية وقرينه من الجن، فالطبقة الأولى تلحق بحظيرة القدس بالسهولة والطبقة الثانية طبيعتها تميل إلى اللحوق بحظيرة القدس والحياة التي اكتسبها الروح توافق النسمة الحيوانية، فهي تجذب إلى أسفل ولا تترك أن يرتفع فيع في قلبها حيرة أولاً ثم انقباض ثم إدراك عذاب ويتمادى إلى أن يتخفف عنه تلك الأثقال الحيوانية ويرجع إلى أصلها. هذا الاضطراب والمجاهدة للتخلص والرجوع إلى الأصل محل جهنم والطبقة تصير إلى أصلها بسهولة، فمن منفرد الجماعة يتدنى الجنة في طريقها والسر في الجنة بقيضها إلى حظيرة القدس وخلاصة تلك الطبقة التي ابتليت بالدخول في جهنم ينتظره روح الإمام الإنساني بطبيعته ولا يحسب هو تاماً في مقتضى كماله

إلا إذا رجع إليه جميع الأرواح التي تنزلت منه. يتولد الإنسان من أب وأم ويتفرق طبائع الأولاد بعضها عن بعض، فلنفرض عشرة من الإخوة ولدوا من أب وأم واحد فكل سار حسب طبيعة ومعداته التي أعدها، فحصل رجل منهم إلى سلطة البلاد وخمسة وستة من إخوانه إلى درجة الوزراء والأمراء الكبار وثلاثة وأربعة من تلك الأخوة بقوا في المحنة والمصائب. واحد منهم حبس في السجن بقانون أخيه السلطان، بل ينظر الإنسان حينئذ إلى عواطف الأم. إذا اجتمع سبعة من الأمراء والوزراء والسلطان كيف تزيد فرحتها وتحسب نفسها سعيدة في الدنيا والناس كلهم يركزون عليها. هذا باعتبار المجتمع، أما بالنظر إلى نفسها الوحيدة، فهل تكون مطمئنة قبل خروج ولده من السجن؟ كلا! وأينا الأمهات واحد من أولادها يسافر وهو في حالة طيبة، فيأتي يوم العيد وكل أولادها مجتمعين عندها إلا الواحد المسافر، فهي بشاشة مطمئنة في المجتمع، وأما إذا انفردت تبكي على فراق ولدها المسافر. من هذا الطريق ينبغي أن يفهم الإنسان رجوع الأرواح إلى إمام النوع الإنساني في بعد فراغها من حياتهم الدنيا فالتسعة منهم يتصلون إليه بالسهولة والأشقياء يحبسون في جهنم، لكن لإصلاحهم وعلاجهم وتخفيف ما اكتسبوا من الحياة المضادة لرجوع الروح إلى أصلها، فمهما يصرف فيه من الأوقات، لا بد أن يرجع كل شيء إلى أصله، فالدورة الواحدة للإنسانية تتم في خمسين ألف سنة، كل روح كان خرج الروح الأعظم الإنساني وتنزل طبقه بعد فراغها من عملها في جسدتها إلى الأصل طبقه بعد طبقه، ويتم ذلك في خمسين ألف سنة. آخر روح في الدرجة الإنسانية حبس شقاها عن الرجوع، لا بد أن يرجع في انتهاء تلك المدة، وإنما يستثنى من ذلك أرواح تفسخت إلى أرواح أدنى ما بقي فيها من الإنسانية، فلك الأرواح معاملتها لا يمكن أن تفهمها في حياتنا الدنيا هذه، هل مد لهم في مدة من الدور الآخر لإصلاحها أو يكون في الإنسانية مرة أخرى؟ مثل ما يكون الدرهم الزيف تذاب ثم تصاغ، فهل يكون لتلك الأرواح بعد إذابتها صوغ آخر؟ أو مد لهم في مدتهم؟ كل ذلك خارج عن إدراكنا الدماغي اليوم، فطول المدة في جهنم إذا كان غير محدود، وإنما يكون باعتبار تلك الأفراد، وأما للذين بقي من إنسانيتهم شيء إنما غلبوا بالحيوانية، فهم قبل ذلك مضى خمسين ألف سنة لإزلام أن يخرجوا من جهنم ويرجعوا إلى أصلهم. "تَفْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ أَلْعَلَّ" أي إلى حظيرة القدس. الملائكة العاملة مع الأرواح الإنسانية والروح المراد منه في نظرنا من أرواح الأصناف إلى أرواح الأفراد، فإن الروح إمام الأرواح هي تكون مستقرة في مقامها، إنما تنزل بلباس أحد أفرادها، فالأرواح التي كانت للأصناف، ثم للأفراد كلها ترجع إلى الله للتجلي في حظيرة القدس في يوم أي دورة بين ابتدائها وانتهائها مقدار خمسين ألف سنة، ونحن نرجو ممن سمع تفسيرنا أنه لا يعد نفسه أملاً لفهم تلك المطالب العالية إلا بعد ما أحاط على الفلسفة الإلهية في كتب الإمام ولي الله، حجة الله البالغة والبدور البارغة والخير الكثير ويستعمل كالمفتاح لتلك الكتب كتاب العبقات. فمن لم يستطع على هذه المجاهدة، فلا يكلف نفسه في فهم ذلك التفسير.

على تلك الفلسفة ليس معنى المجازاة إلا اتصال معلول لعلته، فالاجتماعية التي تجمع الأقوام الإنسانية كلها في ظرف خمسين ألف سنة إذا كانت مبدرة بتدبير واحد في حظيرة القدس قوصول فرد منه إلى نتيجة عن علقها بحدوث مواعيد وضروريات أقضى من ذلك في نظام يجمع ألوف ألوف ألوف من الإنسان ومائة من الأصناف لا يستجد. قوله: "فاصبر صبراً". تفرج هذا الصبر على النظام الذي ذكرنا في التفسير مستفاد من الإمام لقرب إلى اللهن وأما إذا تركنا نظريات فلسفة الإمام، فالأمر يصعب إلا أن يدخل في التشابكات. "ونراه قريباً". لأنه نظام واحد قضى به في آن واحد، فالمقدم والمؤخر عندنا سواء سواء فبسؤال الوقت ليس من اقتضاء الإنسانية، فلا يستحق الجواب وأما كيف يكون العذاب وبسبب أي عمل يسهل الوصول إلى المقصد وبسبب أي عمل يتأخر؟ البحث في ذلك وفهم الحقيقة وتطبيقها على للنفس هو أولى بأجل النظر، فيأتي يوم يفسد ذلك النظام، النظام المادي الأرضي والسمائي، والسموات في عالم الأجسام، معناها غير الذي ذكرناه أولاً، والسموات ههنا المراد منها الكواكب السيارت وغيرها وما يرى من الأزرق الحادث بالهواء والنور وغير ذلك وكل ذلك دون السماء الدنيا الحقيقة، فهذا كأنه طرف من السماء، فهذا النظام الذي نراه في الكواكب الشمس والقمر تطلع تحت قاعدة هذا يبطل في يوم ما، لكن مدتها ما يكون؟ غير معلومة، فليتحقق الإنسان البحث عن الحقائق في القرآن أن الإنسان إذا لم يصل إلى درجة من الوحشة حتى لا يدرك عشرة أو عشرين كما ينظر في الأقوام الوحشية اليوم أيضاً إذا لم يغلب على الدماغ الإنساني تلك الوحشة، فسير الكواكب لا يبطل إلى ذلك الأوان، لأن الأشياء تنزل تحت معدات لها، هذا ذكره الإمام ولي الله في التفهيمات، فالأعداد التي تذكر في بعض الكتب المقدسة من السنين ويختلف في ذلك نسخ العزاة كلها، غير معتدة بها، وإنما الحقها الكتب المترجمون والذين كتبوا عليها الخواشي، فليست هي من معاني الكتاب، والمسلمون أخذوا ذلك وقلدوهم، فخطبوا في فهم القرآن وكل يوم يخرج منهم رجل لا يفهم الحقائق ويقول جاءت القيامة يعني اتركوا ما أفهم تعملون عليه من النظام، فلا يكون لقوم من المسلمين برنامج مستقل وكل ذلك خرافات. القرآن ماضٍ إلى آخر يوم من الإنسانية، لا يمكن أن يأتي نظام أعلى منه للإنسانية. هذا هو مسئلة الالتفات إلى الستين التي أمرض عنها القرآن، فيتبعون في ذلك روايات اليهود ويجعلونها ديناً قيمياً، وهذا كله بسبب عدم تدبيرهم في القرآن بواسطة حكماء الأمة، فإلى الآية ٣٥ بيان الأعمال النجبة والمهلكة التي يفكر فيه الإنسان ويجعل لنفسه درجة باعتبار ذلك في العروج إلى الله، وأما الذين لا يفكرون في تلك المسائل، ولما سمعوا أن القرآن يخاطب العرب وقريشاً منهم خاصة أوجدوا لأنفسهم قيمة فوق ما يستحقون كأنهم يفهمون أن القرآن إنما يخشى تعليمه وتحريكه حسب ما نتمنى نحن، فهو محتاج إلينا وإلهم أشار في قوله: "فَتَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قَبْلَكَ مُهْطِعِينَ إِلَى نَعِيمٍ". هم يحسبون لما كان حركة القرآن موقوفة علينا، فإذا نحن لم نتدخل في الجنة أو لم نحاسب في الطبقة العليا، فمن يقولون من

الأقوام كيف يصلون إلى الطبقة العالية، فنحن بقوميتنا العربية أو كوننا قريشيين. نستحق أن نعد من الطبقة العليا، فندخل جنة نعيم.

جملة معترضة

إذا قرأنا التوراة نجد فيها ذهنية اليهود متقاربة لذلك التوراة يجعل الارتقاء لأولاد إبراهيم واليهود يزعمون أنفسهم أنهم حقيقة من أولاد إبراهيم، فأنهم على ما عليه من العلم والعمل يحسبون أنهم مستحقون أن يعدوا في الطبقة العالية، فمن تعذب بالتوراة فرأينا بعض الأنبياء يؤخضونهم على ذلك، فقالوا كلمة معناها أن الله قادر على أن يخرج أولاد إبراهيم من هذه الأحجار، فقهمنا من ذلك أن مراد الأنبياء من أولاد إبراهيم أصحاب استعداد خاص في الإنسانية لا أنه يخلق لحمهم وشحمهم من نسل إبراهيم، فمعنى كلام هذا النبي إذا خرج من هذه الأحجار رجال ذوو استعداد مطلوب، فهم يقال لهم أولاد إبراهيم لا أنتم! ثم نعرف حقيقته بالتجارب التفصيلية أن طائفة البرهمن في الاجتماع الهندي جعلوهم مستحقين للنجاة على ما كان عليه وتغلبوا بذلك على رياسة أقوام تزيد عددهم على ألف مليون، والتحقيق في كتبهم موجود أن البرهمن لا يقال إلا لرجل تعلم علمًا كذا وكذا وله أخلاق كذا وكذا حتى طريق معاشرته معين مذكور، فهؤلاء يقال لهم أولاد إبراهيم وبراهما يقال لإمام النوع الإنساني عندهم، وهم معترفون بالتفصيل حظيرة القدس وهذه النبوة إنما معناها التشريف مثل الكتب الإلهية المنقولة في أيدي بني إسرائيل يأتي فيها كلمة آباء الله وأحباؤه، وليس المراد من البرهمن إلا رجل ذو استعداد خاص، ولكنهم حرفوا الأمر مثل اليهود ثم رأينا في الإسلام أهل بيت النبي عليه السلام له منقبة مخصوصة وإن كان حقيقة أهل البيت استعمال في أزواج النبي عليه السلام، لأن النبي لم يكن له ولد ذكر لكنه عليه السلام أدخل بنته فاطمة وزوجها وابنيها في أهل البيت وجعلهم ملتحقا به، فالآن صار في المسلمين رجل من أهل البيت يكون له منقبة عظيمة وكان يراد بذلك أهل استعداد مخصوص، فعادة المسلمين أقسوا الأمر مثل ما أقسوا الهنود واليهود وتعجبنا لما رأينا الشيخ محي الدين ابن عربي هو يدون فلسفة مثل فلسفة البرهمن لجماعة يسمون أنفسهم أهل بيت النبي عليه السلام، فتلك الأفكار متبادلة في الأقوام، هكذا كان ذلك الفكر في قريش في وقت نزول القرآن أو في العرب طوائف منهم فأشار أنهم لا يستحقون ذلك. قوله: "إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ". ففسههم معروف عندنا يخرج الرجل من معنى أبيه وليس لذلك الأمر حصار العرب أو قريش مخاطبًا في القرآن بل لأنهم ما يكون لاستعداد خاص وهو تكميل الانقلاب الأعظم الذي يحتاج إليه الناس في عصر نزول القرآن فمن لم يكن مستأهلًا لذلك الأمر فقط في انتسابه إلى قريش أو إبراهيم أو إسماعيل لا يستحقون شيئًا. "فَلَا أَقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ". فهذه الشهادة من رب المشارق والمغرب. وجود أقوام في الشرق والغرب يملكون أوصافًا في الإنسانية أكمل من هؤلاء، فرب المشارق والمغرب يكون شاهدًا على أنا لقادرون على خلق أقوام أحسن من هؤلاء يجمعون ما أردنا إتمامه بالعرب وقريش، فلا يفتخر رجل بذلك التسبب وليتظر إلى

استعداده للطلوب من أولاد إسماعيل وإبراهيم عليه السلام. "وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ." فلما أردنا نحن أن نضم هذا الأمر بالعرب وبالقريش فيكون كما أردنا يخرج منهم رجال ذووا استعداد لما نأمرهم لابد، فلا يقدر قوم أن يصيروا بجهلهم بالتمسك بالنسب والخلو عن الكمالات أن يسبقونا بذلك، فلا نجد في قوم رجالاً إلا هؤلاء، فإن أردنا تكميل أمرنا بذلك القوم فصرنا مسبوقين تحت إرادة ذلك القوم، كلا لا يكون هكذا أبداً. هذه طائفة جاهلية يأكلون ويشربون ويلعبون لانبالي بهم. من ذلك القوم يخرج رجال يعملون ما أمرناهم به وهم يستحقون ذلك هذا الأمر ماضٍ إلى آخر السورة "فَلَزِمُكُمْ يَخُوضُوا الخ" فإذا لم يملكو استعداداً خاصاً لانبالي بهم. "يَوْمَ يُخْرِجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعاً" الخ هذه الأرض التي نحن عليها هي خرجت من أرض مثالية صورتها تشبه هذه الصورة وأما المماتي فمختلفة مثل صورة جبريل جاء في صورة أعزالي ومعنى تلك الصورة غير معنى البشر. هكذا هذه الأرض والأرض للمثالية الإنسان يموت فيدخل في الأرض هذه والعذاب والثواب الذي يأتي إليه في قبره كلها يتعلق بالأرض المثالية وهو يتقل من هذه الأرض إلى تلك بالسهولة ولا تقدر على بيان كيفية وعامة الناس لا يقدر على الفرق بين هذا وهذا، فكلام الأنبياء ومن تبعهم من الحكماء يكون مبنيًا على متفاهم عامة الناس. "يَوْمَ يُخْرِجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ". الظاهر منها من القبور التي في هذه الأرض والحقيقة هي القبور التي في أرض المثال، لكنهم يحسبون أن الأرض التي دفنوا فيها والتي خرجوا منها هي أرض واحدة وذلك مبین في العقبات في مواضع، فكما أن الإنسان يغلط من كلمة أولاد إبراهيم إلى صورة التسبب دون المعنى وليس مراداً كذلك يغلط في فهم أنه يخرج يوم القيامة من هذه الأرض ولا يتذكرون الأرض الباقية غير هذه الأرض المتغيرة، فإذا خرجوا من القبور الحياة التي اكتسبوها لكل منها مركز مخصوص، فتلك المراكز يجذبون الأموات حسب تنوع الحياة الغالبة على نفوسهم الناطقة، فإذا غلبوا عن الطريق الذي يذهب إلى حظيرة القدس حالتهم تكون التي بينت في قوله: "نَحَاشَعَةُ أَبْصَارِهِمْ تَرْهَقُهُمْ ذُلَّةٌ الخ" النظر في حدوث الحياة لا في عدد السنين، فالرجل الذي يكتسب ثلث أو العلم أو درجة من الكمالات الإنسانية وصرف في ذلك مدة، فالتناس ينظرون إلى ذلك الكمال ويحبونه أم يسلطون عن وقت الاكتساب؟ فالمقصود في الإنسانية هو تحصيل الكمال والإسراع في الوقت أمر مستحب فقط، فأفضل التوجه يكون متوجهاً إلى أداء فرض الواجب لا إلى الأمور المستحبة الضرورية، فإنها إذا كانت خالية عن الفراغ فإنها بحسب كمالها بل بعد نقصانها. هذا هو طبيعة النوع الإنساني في عامة معاملاته ففي تعليم الدين كيف يختلف؟

سورة نوح

بسم الله الرحمن الرحيم

الإنسانية مركزها ابتداءً من أي قطعة الأرض؟ لتباعد العهد لايقين، ثم بعض بمد الإنسانية تفرقت منها أقوام مختلفة، فلها مراكز معلومة وابتداء قوم في مركزهم يمكن تعيينه، فإذا رأيت الأقسام الكبار كل أحد يحكي في ابتداءه روايات مثل رواية الآخرين، والدعوى عندهم أن الإنسانية ابتدأت معنا ونحن نفهم من كلامهم أن مرادهم من الإنسانية هو قومهم، لأنهم يذكرون مع قومهم أقواماً آخرين، لكنهم يخرجونها من الإنسانية، يقولون إنهم وحوش مثل الحيوان أو الجن، والمقصود أنهم أسلموا للإنسانية وجوداً غير وجود قومهم، فتعين تأويلنا، ثم بعض الأقسام كانت عندهم حكومات إمبراطورية، ففتحوا البلاد، بلاد أقوام آخرين^(١)، فاختلطت بذلك الأقسام فيما بينها. هذا الدور^(٢) الذي نحن فيه لا يمكن لقوم في وطن أن يدعوا ليس فيهم غلط أقوام آخرين. الإسلام انتخب من أراضي الأقسام قطعة من الأرض تصلح أن تكون مركزاً للأقسام، لأن اتصال حدودها بالأقسام موجود، ولأن كل قوم إذا انفصل إلى موضع آخر، يمر من تلك القطعة لابد، وتلك القطعة حدودها من الشمال من البحر فاسين^(٣) (٢٠٥) إلى بحر الروم فيدخل فيها قافقاسيا، وحدودها إلى الغرب النيل، ومن الشرق الفرات وبالجنوب خاتمة جزيرة العرب، اليمن وتلك الأرض متصلة بالأقسام كلها من المغرب بالحيش وشمال الغرب بالروم والشرق بالفرس ومن طريق البحر إلى الهند ومن الشمال بالأتراك، والهند له اتصال بالصين والمغرب أيضاً من طريق البحر اتصال بالصين، والأقسام إذا تبادلت فيما بينهم لابد أن يمروا من تلك القطعات وإذا اجتمعوا على شيء يكون مداخل تلك القطعات لا يكون اجتماعهم تاماً وتلك القطعة لها صلاحية جمع الأمم، فيمكن أن تكون مركزاً جامعاً للأقسام، هذا لا يثبت منه اتصال مركزية الأقسام في أوطانهم، وكل قوم كبير طويل العمر، لا يمكن أن يكون في الأرض شيء من الكمال ولا يصل إليهم بالمرّة، مقصداً أن كل قوم في مرتبة قومية تام له في جميع مرافق الحياة طرق مخصوصة لتحصيلها، ومنذ شرع الاختلاط بين الأقسام في الإنسانية فكالات الأقسام، الكالات الخاصة لكل قوم توجد حصّة منها عن كل قوم، لكن كل قوم يصلح أن يكون مركزاً للأقسام إن نظرنا إلى مقومات القومية من نفسانية الأفراد، فلا تنكر أن يكون لكل قوم استعداد لأن يكون مركزاً وأما إذا أخذ مع القوم وطنه أيضاً، فبعد ذلك ليس في كل قوم صلاحية المركزية، لأن أرض الأطراف لا تصلح أن تكون مركزاً، فإذا قلنا المركز الطبيعي للجامع للأقسام، هو تلك القطعة المقررة التي اعتنى بها أولاء التوراة، ولدين الفرس أيضاً اشتراك في تصميم تلك الأرض، لأن

١ - عبارة ن م هناك : "ثم بعض الأقسام آخرين، فاختلطت بذلك الأقسام فيما بينها."

٢ - اللفظ الانسب هناك "الزمن". أو ما شابه ذلك، فإنه في اللغة الأردنية يستخدم لفظ الدور بمعنى المرحلة الزمنية.

الفرات لا تمتنع الفرس لا يصلح أن يكون مانعاً للفرس أن يتدخلوا في تلك الأرض، فهذا ليس بشيء، ينكر القرآن العظيم بعد التوراة اعنى تلك الأرض، وما التصق بها من الإمبراطوريتين كسرى وقيصري، فبهذا المعنى مركبة تلك الأرض لا يكون على أحد مستنكر، قال أنبياء الذين جاء ذكرهم في القرآن (أنهم أنبياء تلك القطعة من الأرض، فإذا تكلموا بكلمة الأرض، فلا يكون معناها إلا تلك القطعة، لا يصدق على جميع قطعات الأرض، وهذا القدر من تحقيق جغرافية الأرض كان واجباً على من يعنى بالكتب المقدسة والأديان والأسف أن أكثرهم غافلون عن هذا، فإذا أطلقت كلمة الأرض لا يطمعن قلوبهم ما لم يحملوها على جميع قطعات الأرض واستيعابها، وهم يحسبون أنفسهم يحرمن في استبعادهم تعميم تلك الكلمة. هم لا يجدون في دماغهم شيئاً يأخذون لأجلها من كلمة الأرض قطعة مخصوصة، وهم قروا في الأصول أن تخصيص عام بدون مخصص قوي تحريف في الدين، فهؤلاء هم كتاب التفسير والحديث، فهؤلاء هم كتاب التفسير والحديث وكلامهم يستند إليهم، فإذا وصل القوم إلى هذه الدرجة من الجهالة، فلا يستحقون أن يخاطبوا، لكن أوهامهم باطلة يجعل الدين أمراً وهمياً فقط مخصوصاً في أذهانهم، فإذا رؤوا واحداً يخالف وهم يحكون عليه بأنه ملحد زنديق ليس له من الدين نصيب، وهذا للرض إنما نشأ بعد ما بطل الجامعة الإسلامية في بغداد واستبد كل قوم بملكهم، ولم يبق لجامعة الإسلام معنى إلا الخيج، وغلب على الحرميين الزهاد والجهال وحدث في الإسلام خرافات مثل ما حدثت في اليهود والنصارى، ومن بقايا آثار تلك الجهالة ظن كثير من المفسرين أن نوحاً أبو جميع أقوام الدنيا. إن اقتصرنا على أن نوحاً انتشر أولاده على جميع وجه الأرض، لكان له معنى مثل ما انتشر أولاد إسماعيل بين جميع قبائل العرب، أفيمكن بعد ذلك نسب جميع قبائل العرب يستند إلى إسماعيل، لكن أرباب الوهميات لا يتحاشون عن التكلم بذلك وعن كتابته ولزهدهم أو لبلوغهم إلى الكمال في بعض علوم الدين يركن إلى جميع أقوالهم، فيكون بذلك القرآن والإسلام لا يمكن تعليمه ولا الدعوة إليه إلا لأقوام مثل هؤلاء في الذمينة، وهذا الموت للإنسانية. مثل ذلك الكتاب العظيم للتكفل لإصلاح الإنسانية إلى يوم القيامة، يحرم منه الناس لأوهام طائفة من المتقدمين على قوم، فإن كان هذا فهذا ظلم عظيم. "إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ الْخ" الظاهر أن نوحاً كان في شمال تلك الأرض المقدسة وكان أرض قومه محاطة بالبحر الأسود وبحر الروم وخليج فارس وقلزم، فانتشر الطوفان في جميع البحور وغلب على تلك الأرض أرض أنادول ومع ذلك كان مطر من السماء، فبهذا ينتظم نظرية الطوفان بالسهولة، وأما فكر جميع الكرة الأرضية المدورة تكون تحت الماء مثل ما كان قبل أن تخرج القطعة الأرضية من البحر وهذا جزء لمخالفة نوح، فلا نرى رجلاً في دماغه عقل يتصور مثل ذلك. أما بعد ما نشأت الأشاعرة وعلموا الناس الحكمة في أقوال الله وأفعاله لا يجوز البحث عنها، وهذا الفكر يخرج الإنسان من الدين. كل ما قال رجل له أهمية ما يقبلونه على أن

يكون من الدين لأنه يجوز لا مانع، فغاية حكمتهم أن هذا الأمر لا يحيله عقولنا فنؤمن به بمثل ذلك، اجتمعت خرافات فوق خرافات مثل ظلمات بعضها فوق بعض، فالقرآن يقصر إن أرسلنا نوحاً إلى قومه أي قطعة من الأرض فنفى الأقوام الآخرين أول ما جاء به جهلة اليهود، ثم تبعهم الآخرون. المقصد من سورة نوح عندنا أن العذاب المهلك للقوم لا يأتي إلا بعد تبليغ شديد، يبقى عنهم كل وهم ويحجب عن كل شبهة لكنهم بسبب عنادهم وجحودهم لا يسمعون، فإله ذكره في هذه السورة أن نوحاً كيف دعا قومه ليلاً ونهاراً وعلناً وسراً ومجتمعات وأفراداً وكيف سهل لهم فهم المسئلة. هذه الحياة الدنيا وما تحتاجون فيها إليها إن اتبعتم الدين يحصل لكم كل شيء وبالكمال وإن خالفتموه تهلكون، فمن مثل هذا التعليم والتبليغ والتعميم وتكثير السنين ومصرف السنين الطويلة بعد ذلك دعا عليهم بالهلاك فأهلكوا، والقرآن يحكي عن أقوام آخرين في جزيرة العرب أنهم أهلكوا وكلها على اتباع طريقة نوح، فنوح كان رسولاً من أولي الحرم كان يتبعه الرسل إلى زمان إبراهيم وإبراهيم أيضاً من أتباعه، فالطريقة المتبعة هو التبليغ الشديد قبل نزول العذاب، كيف أعرضنا عن فهم مقاصد القرآن. نريد أن يكون جميع أقوام الدنيا معذبة مستهلكة سوى قومنا ولا نسعى لتبليغ ديننا الحق إلى تلك الأقوام أدنى سعی، فمن يقرأ سورة نوح يمكن أن يسلم ذلك؟ كلا! لكن التدبر في أقوال كتاب الله إنما يكون بالحكمة والحكمة شجرة متنوعة على المسلمين، فليس شأن من يقرأ القرآن وشأن من يقرأ التوراة إلا واحداً والأسف أن في المختين المتقدمين تقدم الناس في الحكمة الطبيعية إلى درجة لم يأت بها الأولون والمسلمون متعوا منها أيضاً باسم الدين فإذا كان رؤساء الدين ورؤساء القوم يتفقون على مثل هذه الخرافات، فالبغاوة عليهم كانت فرضاً لازماً على المسلمين، ونحن نرى كلمة إمامية ألهم بما الشيخ ولي الله في مكة سنة ١١٤٤ هـ وهي: واجب على الناس فك كل نظام. معناها البغاوة على جميع الأنظمة ولإتيان بنظام جديد، لكن الناس ما استمروا بتلك الكلمة واكتفوا بما أحدثته القدرة الإلهية تحت القوانين العامة فساد نظام المسلمين، وكانت الواجب عليهم أن يفعلوا ذلك بقوة. ومن هنا كانوا يلهمون إلى إقامة نظام جديد، لكنهم ما فعلوا ما كان واجباً عليهم، فما ألهموا بما يحتاجون إليه لأن القوم إذا أعرضوا عن الإلهام الأول لا يلهمون ثانياً. مثال ذلك قوم من الكفار متشددون على إبطال الديانة الحق، فأمر المسلمون أن يقتلوه ويقتلوه، فلو قاموا لقتلهم لقدوراً عليه، لكنهم جلسوا، فذلك القوم أفسدوا ما قدروا عليه من الدين، ثم ماتوا بموتهم الطبيعي، أف يكون للمتدينين حظ بموتهم؟ كلا! هم لا يقدرّون على إصلاح ما أفسدوه ويسري الفساد فيهم يوماً فيوماً أبداً، فهكذا كان فرض المسلمين في المائة الحادية عشر، قتل كل رجل ممنهم من التقدم في العلوم الرياضية والطبيعية واختراع الصنائع وجمع الأسلحة على مقتضى ذلك العصر لحفظ كيانه قومه ودينهم لا يتركوا فيه ملكاً ولا مرشداً، فهذا الأمر كان ألهم للإمام ولي الله فما قاموا له، والشيخ يحكي عن نفسه أن فيه أيضاً ضعفاً في القوة العملية، وأما القوة العلمية، فقد كان يأخذ من منبع يأخذ منه الأنبياء والكاملون ولتقص راجع إلى بنية جسمه لا يقدر على الأعمال مثل ما علم، فهذا الإلهام في

ذلك الزمان لا نظن أنه كان مختصاً بهذا الشيخ! بل كل أقوام المسلمين ألهموا به بواسطة كبرائهم وإن لم
تقدر على استقصاء الأخبار فيه وإنما نوجب ذلك القتل لأن التدبير في كتاب الله على أصول حكمة
الأنبياء فرض على جميع المسلمين فإذا تركه كلهم أهلكوا والحقيقة أنهم تركوه قبل ذلك معات من السنين
وإنما لم يهلكوا لأن ملوكهم بقوة أمرهم كانوا فاهرين على الأرض، فلا يقدر قوم من الكفار أن يغلبوا على
المسلمين، فمع تركهم التدبير بقوا مأمونين بقوة ملوكهم إلا أن قوة ملوكهم أيضاً صارت متزلزلة بتقدم
الأعداء في الحكمة الرياضية والطبيعية وقتلهم باختراع الصناعات على ثروات الأقوام واخترعوا آلات
للحرب البرية والبحرية لا يمكن مقاومة ملوك المسلمين لهم، فالملوك أيضاً متزلزلون وأصحاب الثروة أيضاً
يبتزعج منهم الثروات إن استمروا على سكوتهم وعدم تدبيرهم في القرآن وعدم تيفظهم في تشييد أراكين
المملكة بطل كيان قوميتهم وديتهم، وإنما كان في ذلك الزمان القيام واجباً عليهم، فإذا وصل الناس إلى
تلك الدرجة من الغباوة أهلك الأقوام المخالفة لهم ويجعل وراثته الأرض كلها موقوفة عليهم؟ كلا نحن في
زمان تأخرنا عن ذلك الأوان نحو مئتين من السنين ورأينا جميع البلايا التي كان يخاف منها نزلت على
المسلمين ما بقي لهم في الأرض قوة كنا يستظلون بظلها وطالعنا نظام الأقوام الغالبة على المسلمين،
فوجدنا نظام القرآن أحكم، لكن إذا تدبر الرجل في القرآن رأى أصول الحكماء الربانيين، والإمام ولي الله
واحد منهم بدون شك وإن كنا نحن نظن أنه إمامهم لنا لا شك فيه. فمن ندعو كل المسلمين إلى إمامته
بل ندعو إلى الحكمة الربانية يتناظرون فيها، ثم يتدبرون على أصول تلك الحكمة في القرآن ويجعلون لهم
برنامجاً يعملون به نحو عشر من السنين، وتلك القوة موجودة في المسلمين لا يقدر قوم أن يمنعهم عن
ذلك، فأنا جازم بعد ذلك تقدر على أن تقاوم الأقوام ويظهر على الدنيا الإعجاز القرآني مرة ثانية. في
زماننا جماعة من المصلحين شرعوا في التدبير في القرآن، لكن قدموا ما تحقق في ذلك العصر من أصول
الحكمة الرياضية والطبيعية على الحكمة القرآنية فبولغوا إلى تلك المقاهيم، فهذا عندنا خطأ ثانٍ. القرآن
لا يتدبر فيه إلا بأصول الحكمة الربانية أعني الحكمة الإلهية المختصة بارتقاء نوع الإنسان المستخدمة
للرياضية والطبيعية، فأصول الاجتماعيات الإنسانية تقدم على الأصول الرياضية والطبيعية لفهم القرآن
هم إذا صرفوا نظرهم إلى تلك الجهة يتدبرون على إصلاحهم بسهولة وإذا لم يسمعوا فهم أيضاً يهلكون
مثل إخوانهم المتقدمين. حاصل الكلام أن الخرافيين والذين ليس عندهم من حكمة الدين وارتباطها
بارتقاء البشر في الدنيا ثم في الآخرة بنظام واحد لأن تقسيم الحياة الدنيا إلى قسمين غير ممكن، فمن
ليس عندهم تلك الحكمة، هم خارجون عن منهاج دعوة نوح إمام الرسل، وهذا عندنا معنى قوله:
"استغفروا ربكم إلى فجاءاً". فأول الآيات كلها يشير إلى تنمية مرافق الحياة الدنيا وفي الوسط توجه إلى
ربط القلب بالله لأن الحالات تبدل ونعم الله لا تنتهي، فهذا يوجب التوجه إلى الله بعد ذلك يستفيد
الإنسان على ذلك، فالتقدم في مرافق الحياة بدون التوجه إلى الله ليس من دعوة الأنبياء في شيء كما أن
دعوة التوجه إلى الله بدون التقدم في مرافق الحياة أيضاً ليس عنده من دعوة الأنبياء في شيء وللإمام ولي

الله مقالات مبسوسة في الرد على المتصوفين الذين يوهمون للناس أن الحقيقة في الدعوة الإسلامية هي عدم التوجه إلى مرافق الحياة، ثم في آخر الدعوة التنبيه على الاجتماعية الإنسانية، وهو قوله: "وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِضَاطًا الْح" فالاجتماعيات إلى آخر أدوارها يعني يجمع جميع الأقوام الأرض هو من مقتضى دعوة الأنبياء من زمان نوح، ونبينا وفق للعمل على ذلك والمسلمون يفرض عليهم باتباع نبيهم أن يجمعوا جميع الأقوام تحت نظام القرآن، وليس المراد منه إلا نظام الحكمة الربانية لا نظام الملوكية ولا نظام الزهد وتقدم قوم خاص على الأقوام ومثل ذلك مما يظن من لا يجدير القرآن أنه مقصد الإسلام. "قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّمَا عَصَوْنِي الْح" "وَقَالُوا لَا تَذَرُنْ آلِهَتَكُمْ الْح" الإنسان إذا نظم الإنسانية ومرافق حياتها على الاجتماعية يجردها منقسمة في أقسام، كل قسم منها نظامه مستقل لا يتبع الآخر، فيحتاج إلى تفريق إذا رأت التنظيم، هذه درجة متوسطة في الحكمة الاجتماعية، ثم بعدها الدرجة العالية هي تجميع جميع المنظمات المختلفة تحت نظام واحد، فمن فاز بما فاز بجميع الكمالات الإنسانية يكون لازم له أن يؤمن بالله وحده لا شريك له ولما كانت الأنظمة الجزئية فروغا لذلك النظام الأصلي، جعل الرب قاهرا على جميع القوى المدبرة للأعمال من الملائكة والكواكب والعناصر والجن والشياطين وغير ذلك. هذا هو مركز تفكيره وأثره يظهر في الاجتماعية الإنسانية أنه يجعل جميع الأقوام بمنزلة الأعضاء من جسم واحد ويتم بذلك ارتقاء الإنسانية، فمن قطع تلك الدرجة العالية من الحكمة هم الأمة في الإنسانية في جميع الأقوام ويكون برنامجهم واقتضاءهم الطبيعي كله متقاربا، وأما الذين ينقطعون منهم ويصرون على إقامة النظام المتوسط فقط ومن لازم فكفرهم أنه لا يرتقي إلى رب واحد، بل إمام كل نظام مستبد بأفعاله عندهم وعندهم جمع الإنسانية تحت نظام واحد غير ممكن بمعنى تساوي جميع الأفراد إلى نفكة مركزية، فإن كان اجتماع الناس لازما، فليس عندهم تدبير لذلك إلا تقديم قوم من الأقوام على جميع الإنسانية وهذا إفساد للإنسانية لافساد أعظم منه كما أن نقي رجوع جميع الدوائر إلى مركز واحد فساد للعقل، فتقدم أئمة الطبقة الوسطى على الإنسانية فساد للاجتماعية وفساد للعقلية، فهؤلاء هم الكفار الذين لا يبالون طريقة يبعث الرسل والأنبياء، فالقرآن إنما يقص من أخبار الرسل والأنبياء من تلك الدرجة وبأن مدارج الارتقاء الطبيعي للإنسانية في أدوارها الابتدائية ضمنا، فمن يجعل مقصد النبوات هو إصلاح تلك الدرجة فقط كأنه حرف الكلم عن مواضعه. "وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَيَّ الْأَرْضَ الْح" هذا حكم منه على بلاده ودعى مع ذلك أنه يغفر لمن "دخل بيتي مؤمنا" فليس مقتصرنا في أولاده نوح، بل كان من فومه كل من انظم إلى بيته ناجيا ومنهم انتشرت الإنسانية في تلك الأرض المقدسة أي القطعة الشمالية منها، فليس كل الناس أولاد نوح في تلك الأرض أيضا، لكن كتاب التوراة لهم اعتناء بنسب إبراهيم، فيتفألون عن حكايات رجال ما وقعوا في عمود النسب وقوله: "وجعلنا ذريته هم الباقين"، معناه عندنا لإقامة الاجتماعية الإنسانية، للإنسانية التي هي من لوازم ذلك المركز، فانتقل بعد

توح ذلك الفرض إلى إبراهيم، وهو كان على شعبة نوح، فيمكن أن يكون المراد من الذرية ذريته العلمية لا النسبية، لكن اليهود لم اعتناء بتحقيق النسب وإرجاع كل الكمالات إليه، وهكذا رأينا في اليهود في البراهمة، وتحقيق معنى ذلك عندنا صحيح راجع إلى كمالات وراثية فقط، وأما الاجتماعية فلا، هؤلاء لا يفرقون بين الكمالات الوراثية والاجتماعية أبدًا، وانتقل هذه الدعوى من اليهود إلى النصارى والمسلمين، ومن البراهمة إلى الديانة الصائبة، فهم لا ينظرون إلا إلى انفرادية خاصة ولا قيمة للاجتماعية عندهم إلا أن يكون مستخدمة لتلك الطائفة الخاصة، فهذا من بقايا ظلمات الأئمة للطبقة (الوسطى) المخالفين للأتبياء والرسول، لأن كل قوم بطبيعته في أيدي هؤلاء، فإن تقدموا منهم إلى اتباع أئمة عالية أيضًا بقي و.....^(١) هؤلاء خصوصًا. إذا كان الرجل إمامًا حقيقيًا وأولاده بعد بطون خلعوا من تلك الكمالات بالمرء، فهم يكتفون دعاء إلى هذا الباطل تقدم النسب على الاجتماعيات، ونحن نرى أن تبينا يقدم قريبًا في الرئاسة ثم بأمرهم إن تقدم عليكم حبشي بقودكم بكتاب الله، فاتبعوه فهمنا من معنى ذلك الحديث أنه أمر بتقديم قريب لا لأمر راجع نسبهم، بل لأنهم هم القيومون للدعوة القرآنية، فإذا خلعوا من ذلك وتقدمهم حبشي أمرهم باتباعه زماننا زمان الاجتماعية الإنسانية بعد تحقيق صانعي القومية في كل قوم، فالاتباع لكلمة مجملة صدرت من إمام من أئمة المسلمين ظهر في التفصيلات كون ظاهرها خطأ، فالجموع عليه وإنكار التحقيقات العلمية ليس من شأن المحققين في الأدیان، ونحن ما رأينا كتابًا دينيًا أقوم في الحق من كتاب الله والبلاغة في بياناته راجعة إلى عدم التعرض للتفصيلات الجزئية، وإنما يكون التضاد والمخالفة إذا كان البحث مفضيًا إلى الجزئيات ونحن على طريقة الإمام ولي الله نجعل الأشياء القليلة التي ذكرها القرآن أمثلة للأمر الكلي لا المقصود منها تشخيصها، فنحزم جزئيًا قطعًا أن حكم القرآن بمضي إلى آخر أدوار الإنسانية دون الكتب التي تعلقت بجزئيات القصص وتمثلت فيها خصوصيات قوم مخصوص. إنما أطينا في هذه السورة لأن المفسرين أكثرهم قائلون إلى جعل التعليم القرآني راجعًا إلى نسب مخصوص في الإنسانية وإن كنا نحزم نحن أن الدعوة القرآنية لإقامة الحقيقة دين إبراهيم وإسماعيل وإسحاق والنبي منتسب إليهم، لكن لا نريد أن نجعل كل الإنسانية منحصرة في ذلك، فإن فضل بيت واحد من الإنسانية لعلمه في الاجتماعيات أعمال كبيرة على سبيل التمثيل والتنظير شيء وحصر جميع الإنسانية في بيت واحد شيء آخر.

تنمة

عندنا هذه الأرض المقدسة انتقلت إليها من جميع الأقوام أفراد وقبائل، فهي أرض الإنسانية كلها، انتقال الأوروبيين إلى سوريا وأنادول متواتر، وكذلك انتقال الفرس والحش واضح وكذلك عندنا الهند وبعده الصين فترى بعد الإسلام جماعات كثيرة من الساكين على حدود المتمد انتقلوا إلى نجد

١ - هناك لفظة لم نستطع فهمها في كلتي النسختين.

والبحرين والآن تعرفهم هم من أصل العرب وكذلك انتقال الترك إلى هذه البلاد واضح. هذا ليس من اقتضاء الحركة الإسلامية فقط، بل قبل ذلك حركات علمية من أوروبا ومن الفرس ومن غيرهم مؤثر في هذه البلاد، فجعل التعليمات المركزية في تلك الديار ميّات قوم واحد لا يلتزم في تحقيقنا على حالات تلك البلاد، بل الفضل فيها راجع إلى أصحاب المبادئ المعصومة من المجتمعات للإنسانية، فلهم مدارس وحلقات، كل من دخل في طريقهم هم لا يفرقون بينه وبين الولد النسبي منهم، فانتظم النسب العلمي في تلك البلاد. رجل ينصر مبادئ اليهودية وإن كان من أولاد الفرس أو للعرب اليهود يجعلونه من أولادهم وكذلك المعمول في النصارى بل الديانات كلها، بل في الحركات العلمية أيضاً يتبع ذلك الطريق والنسب الدموي ينسب والنسب العلمي يتفرد، وكثير من الناس لعدم وقوفهم على حقيقة الأمر، يجعلون كل ذلك راجعاً إلى النسب الدموي، فنحن على هذا المسلك أن جميع الإنسانية بعد نوح عليه السلام من أولاده، لكن من أولاده العلمي فإن طريقة الحق لا يمكن التغيير فيه إلى يومنا هذا، فنفتخر أنه أب للإنسانية، لكن هذا الكلام له معنى غير ما يفهم عامة الناس، ثم من شيعته قام إبراهيم، فهو أب للإنسانية كلها، لأن طريقة الحق هو الوصول إلى النجاة. يأتي في بعض بعض الروايات أن أولاد المؤمنين الصغار إذا ماتوا يجمع أرواحهم عند إبراهيم عليه السلام، ليس معناه أنه أب للمؤمنين كلهم، فتخصيص هذه الأشياء بالأنساب الدموية إذا كانت في أشياء مخصوصة وظروف محدودة، فلا تنكر حقيقتها أن نجعل الإنسانية كلها أو نجعل مركز الإنسانية العامة بيد المتخصصين بنسب مخصوص دموي، فلا نجد أن الإنسانية تتحمل ذلك، فكيف تجعل الدعوة القرآنية العامة للإنسانية مشتملة على مثل تلك النظريات! والقرآن بنصوصه يزول شبهة تعزري لكلمة خاصة منه، فيكون تعليمه صائباً، لكن هؤلاء المفسرون وملاك الحركات العلمية يصرحون بأشياء لا يتحملها الإنسانية أبداً، فنحن بحمد الله تباراً من ذلك.

سورة الجن

بسم الله الرحمن الرحيم

في تمهيد تلك السورة نقدم كلمات من الإمام ولي الله. الإنسان الفرد منه الكامل، تأخذه
 أنموذجًا وتحلل قواه، فأعلى قوة أدركنا في ذلك الإنسان نسميها بالعقلية، على طبقات بعضها فوق
 بعض، وهي تكون للمدركة للأمور كالمجرد عن المادة، ثم تتبعها قوة أخرى نسميها الخيالية، هي تدرك أمورًا
 صورتها صورة الجسمانية، ومعناها خيال عن المادة، نرى في المنام بلدة منظمة بجميع مرافقها المادية،
 ولا يكون شيء من المادة يدخل في دماغنا، ثم ندرك في الإنسان القوة العازمة معتمدة على العقل
 وحاكمة على جميع البدن حتى القوى الدماغية، ثم بعد ذلك في الإنسان حواس تدرك الماديات ونستلذ
 بها، ومرجع ذلك إلى قوة دون الخيال، يجمع الحواس نسميه الحس المشترك. هذا تحليل للإنسانية بوجه
 وبوجه آخر نحلله إلى نفس ناطقة مجردة عن المادة تستقر فيها القوى المجردة من العلمية والإرادية، ثم
 نسمة سارية في جميع أجزاء البدن والنفس الناطقة تستخدمها وتعملها منصة لظهورها، ثم البدن
 الجسماني تحت حكم النسمة، وهذه الطبقات الثلاثة ممزجة بعضها مع بعض صعودًا ونزولًا، والقوة
 الاجتماعية في مركز نسميه بقاء، وفي التحليل الأول والثاني نطبق بعض الأشياء مع بعض، فالأمور المجردة
 كلها راجعة إلى النفس الناطقة، والأمور المتخيلة راجعة إلى النسمة وكذلك الحواس، والوحدة الاجتماعية
 راجعة إلى القوة العازمة فكل من توجه إلى فهم معاني الإنسانية يحللها كتحليلنا أو قريبًا منه لا يختلف في
 كثير من المعاني، إنما يكون الاختلاف بسبب الاصطلاحات أو الأمور الفارضية. نحن أخذنا حساب
 القوى من مبدأ وهو يشرع في ذلك من مبدأ إلى آخر، فبمثل تلك الصور يقع الاختلاف، وأما في
 جوهرية التحليل فلا، وفي حكمتنا الشخص الأكبر يوازي القوى التخيلية نسميها بعالم المثال، فأصلها
 يتداخل في عالم الأرواح وأدناها يتداخل في عالم الأجسام، ومثل النسمة قوة جسمانية تجمع للشخص
 الأكبر وتجعله شيئًا واحدًا، ثم هكذا الحواس والماديات توازيها أشياء من الشخص الأكبر، ليس البحث
 عنها مقصورًا في هذا الموضع. عالم الأرواح وعالم المثال. الأعلى منه الشخصيات المتعلقة بها نسميهم
 بالملائكة وللأرواح الإنسانية مداخله فيها، والأسفل من الشخص الأكبر مثل النسمة في الإنسانية،
 شخصياتها نسميها بالملائكة السفلية والجن وللروح الإنساني مداخله في تلك الطبقة مثل الأول.
 الإنسانية مركزها حظيرة القدس في عليها عالم الأرواح وقد ذكرنا كثيرًا من تفاصيلها، فيوض حظيرة
 القدس تنقل إلى الإنسانية دائمًا بحسب استعداد الإنسانية مثل الأستاذ الحكيم يعلم مسألة عالية من
 الحكمة، يعلم عشرة من التلامذة مختلفين في الذمنية وإدراك المعاني العالية، فلا يكون خطابه مع الكل
 بكلمة واحدة، بل يمهّد مناسباتًا ذهنية كل تلميذ، فهم يدركون المسئلة على حقلها، هكذا فيوض
 حظيرة القدس لا اختلاف في جوهريتها، أما لسان حظيرة القدس فمختلف باختلاف ذهنية النوع

الإنساني. مضى على الإنسانية دور ما كانوا يرون فيه مراكز التغير والتبديل في أرواحهم بعد فوهم العنصرية إلا الكواكب معدن الأنوار، فمن تنظيم العناصر أوجدوا علم الطب ومن رصد الكواكب هدوا إلى الحساب والرياضيات، وفي أول أمرهم للمادة معناها الطب والروحانية معناها الرياضيات، فالحساب والهيئة هما أهم أجزاء الرياضيات واشتغل بتكميلها إلى أدوار مختلفة وكان في ذلك تثقيف قوته العقلية، فحظيرة القدس في تلك الأدوار لا تفيض على الإنسانية فيوضاً إلا بلسان الكواكب، والحكماء الذين ارتقوا في تحقيق تلك الحكمة هم الوسائط في قبول الإلهام من حظيرة القدس، هم يرصدون الكواكب ويرون في الكواكب صورة جديدة باجتماعها، فيشكرون في خواصها، ففي ضمن ذلك يلهمهم حظيرة القدس أن الواقعة العظيمة كذا وكذا تقع في الإنسانية ويكون ذلك الانقلاب منتجاً نتيجة كذا وكذا، فهؤلاء الحكماء كانوا أنبياء ذلك العصر، وعامة الناس يقلدوهم والطبقة الراقية في الهيئة والحساب يفهمهم الأنبياء خواص الكواكب ونتائج الصورة الخاصة المستحدثة بالإجماع في ذلك الزمان. هم يتفنون بذلك كلهم. وتلك هي أساس ديانة الصائبة، هؤلاء الحكماء يشقون أفلاكاً في عالم المثال، ويجعلون الكواكب ميزاب الفيض من تلك الأفلاك، أي معادن المثاليات ويجعلون للكواكب أيضاً أرواحاً مدركة يسموهم الملائكة، فأرواح الكواكب تتمثل لهم في بعض الحالات في المنام مثلاً، هذا نوع آخر من لسان حظيرة القدس في ذلك العصر، أرقى من الأول لأن أصحاب هذا الإلهام، إنما يكونون أصحاب أخلاق وملكات فاضلة بالهرة، ولا يشترط تلك العفة في الملكات في أرباب الحكمة حكمة إلهية الطبقة الأولى إلا الصديق وفي النازل من ذلك في الإنسانية رجال لا يرتقون إلى تلك العلوم لكنهم يشبهونهم، اتصافهم الروحاني لا يكون إلى الطبقة العالية من عالم المثال أي إلى الأفلاك وكواكبها، بل يكونون باعتبار المزاج مماثلين للطبقة النازلة من المثال المتوازنة للعناصر، فأعلى الطبقات من العناصر نور يستفاد من الكواكب بمخرج به قوة مثالية، فينشأ نار وليس نوراً محضاً للكواكب، وليس مادة ظلمانية بل بتأثير القوى المثالية من أهالي الطبقة النازلة انتظمت نار، فهذه نار يعدونها أحد العناصر الأربعة ما قدروا على تحقيقها، هي ليست من العناصر الطبيعية الخالصة، بل مخلوط من المثالية والطبيعية أي نور الكواكب، لكن إثبات ذلك في حكمة المشائين إنما هو بتقليدهم على حكمة الإشرافيين، ثم العنصر الثاني الهواء والثالث الماء والرابع الأرض، فطبقات عالم المثال النازلة تقسم على أربعة أقسام. مثال يوازي النار، مثال يوازي الهواء، مثال يوازي الماء، مثال يوازي الغراب، ثم امتداد عالم المثال تحت الأرض أيضاً محقق، لكن لا نبحت عنه في هذا الموضع، فمن حكماء الطب رجال كاملون، طبيعة البعض الطبقة الأولى من المثال أي النار. وهكذا إلى الآخر، فهؤلاء يريدون أن يشبهوا بالأنبياء علماء الهيئة ومن فوقهم، فلا يجدون قوة روحانية تهيئهم عن الحوادث قبل وقوعها إلا الجن المبثوث في عالم المثال، وعندهم في حكمتهم الطبية أيضاً أشياء متقنة توازي في التأثير في الإنسانية تأثير أنبياءهم، فرجل ينظر إلى رجل صحيح البدن ما يجد نقصاً في حياته، فيحكى الطبيب أنه يموت في مدة كذا وكذا، فيقع كما قال، فالناس يظنون بهم أنهم مثل الأنبياء

وإخبارهم هذا كان مبنياً إلا على حكمتهم، وبأني عندهم أسئلة غير متعلقة بحكمتهم، فيتوجهون في الرياضة البدنية ويتفكرون إلى الجن، فيتأمل لهم الجن ويقع السؤال والجواب. هؤلاء طبقة الصالحين بعد الأنبياء في ذلك العصر الحاصل في زمان الديانة الصائبة قبل إبراهيم عليه السلام مثل إدريس إلى إبراهيم كان جميع المخاطبات من حظيرة القدس بلسان الحكماء الرياضيين والطبيين أو بكلمة بلسان النجوم والطب. قد تقرر في الإنسانية من الأمور العامة كل ما ابتدأت حركة اجتماعية مفيدة في الأكثر يقوم بمنهجها حركة مضادة لتلك الحركة للأقلية، فيمشي الحركتان معاً في التزايد، فإذا كان زمن الحركة الأولى الاجتماعية في العلو، فالحركة الثانية تكون ضعيفة ضعيلة، فإذا جاء زمن ضعف الحركة الأولى، وهذا لازم في الإنسانية لأن حركة واحدة لا تستقيم إلى آخر أدوار الإنسانية إلا شيء مخصوص نذكره فيما بعد، فإذا جاء زمن سقوط الحركة الاجتماعية النافذة أولاً يغلب الحركة الثانية المناقضة لها. تلك الديانة ديانة الصائبة منشأها إدريس ومدارها على الهيئة على النجوم والطب، وكان باعتبار الأكثر حكمها نافذة، لكن كان مع ذلك رجال عالمي الفطرة يتصلون بحظيرة القدس رأساً لا بواسطة الأفلاك والكواكب من عالم المثال، فحركاتهم قليلة ضعيفة، وكانت موجودة في ذلك الزمان أيضاً ومن أئمة هذه الحركة الذين لهم اتصال بحظيرة القدس رأساً نوح في زمانه. نوح ما قام لإبطال الصائبة مثل ما قام إبراهيم بعده لكن نوح دل الناس على القبح في الهيئة والتجوم، أنهم يعتمدون على مراكز مختلفة لتحصيل الفوائد المختلفة، فالشمس والقمر حساهم عند التجوم ظاهر. أما في السيارات الخمس زحل والمشتري ومريخ وزهرة وعطارد منابع فيوض خاصة، يستمطرون من ميزاب تلك الكواكب من حظيرة القدس. هذا أساس الديانة. وليس فيه شيء من النقص والشرك أيذاً. إذا كان المدار في استئزال الفيوض على حظيرة القدس المرجع إلى حكم الرحمن، ولا يكون للكواكب استقلال في الفيوض لنوع ماء إنما هي كالخواب، فإذا دخل الجهال واستبدوا على تفريق فرق مخصوصة بعضها من بعض، وأسندوا في ذلك إلى قوى تلك الكواكب، هذا يستند إلى زحل وهذا إلى الزهرة وتلك الفرق لا يجتمعون تحت ملة واحدة ولا يجعلون منبع الفيوض حظيرة القدس، فتلك الجاهلية كانت حدثت في زمان نوح وقام لردهم ويريد إرجاع جميع الأمور المتعلقة بتلك الخمس إلى الرحمن كما كان أصل الملة في أيام جده، فوقع ما وقع في طائفة مخصوصة في الملة الصائبة، والملة الصائبة في ذلك الزمان كانت هي الحاكمة على الإنسانية كلها، والإنسانية في أول أدوارها كانت تنتشر أفرادها كثيرة في زمان قليل، فما وقع مضادة دعوة نوح إلا من طائفة من الصائبة وإلا كان نوح هو الناسخ لدين الصائبة والقائم بالحنيفية لإبراهيم. نحن ذكرنا أسماء السيارات الخمس ونعرف من ديانة الهند تحقيقاً أنهم يجعلون أصناماً مظاهر لقوة الكواكب، وعندهم إلى الآن في الهند معابد مختلفة باسم الكواكب المختلفة وأصنامها مختلفة، عشرة بيوت منها مركزها موجود إلى اليوم في الهند، لأن الأقوام الهندية انقسموا إلى الشمسية أولاد الشمس وإلى القمرية أولاد القمر، ويقال لهم بلسانهم سورج بني أولاد الشمس، تندر بني أولاد الشمس، تندر بني أولاد القمر، خمسة بيوت هؤلاء

والخمس بيوت هؤلاء، فمقصودنا أن تلك الأسماء التي جاءت في القرآن ود وسواع ويعوق ونسر، فإنما هي أصنام كواكب الخمس، فالباطل لتلك الحركة في الأرض هو إبراهيم، لكن البادي في إثبات الإبطال فيها هو نوح، ومدار إثبات الإبطال عنده أنهم يقسمون القوة بين الأصنام المختلفة، كأنهم متضادة بعضها لبعض، وهذا الفكر هو تحريف للملة الصائبة، فإذا زال التحريف عنها وما أبطلها، هذا هو رأي الإمام ولي الله. الغرض من هذا التمهيد كانه تعيين الجن والباقي كله تميم للكلام، فالقوى العاملة في الطبقة النازلة من عالم المثال الجن، كل إنسان يولد في الدنيا، فواحد من الجن يجعل قرينه في المثال أولاً، ويكون اتصاله بالقوى النسيمة، ومراحه هو إلى دائرة الأفلاك منبع الملائكة العالية ومع الجن يكون ملائكة من الملأ السافل متحاذية لهم بآثرون بأوامر الملأ الأعلى. أما الجن، فله اختصاص بالإنسانية خاصة، فالطبقة النازلة في الديانة الصائبة من الحكماء المشبهين بالأنبياء كانت تستعين بالجن في الاستخبار عن الوقائع العالية، فالجن قوة مثالية، إنما ينظر بقوة التخيل لهم قوة في اختيار صورة البشر مثل الملائكة، فإذا ظهر في تلك الصورة، ينظر إليهم بالحواس. الشيخ عبد الرحيم والد الإمام وأستاذه كتب حالاته الإمام ولي الله، وذكر واقعات ظهر فيها الجن للشيخ عبد الرحيم، وكذلك ذكر الشيخ جري^(١) على نفسه في حجة الله البالغة، فبعد إدراك هذين الإمامين الجن بحواسهم الظاهرة، أنا لأشك في وجود الجن أمداً وحكايات الصالحين كثيرة شائعة عند المسلمين ويعتقدون بذلك وكذلك الكتب المقدسة التوراة والإنجيل وكتب الصائبين الهنود والفرس كلها مشتملة على ذكر الجن وحكاياتهم والناس منكرون لذلك القسم من الوجود يقولون نصوص الكتب المقدسة كلها، فالمجادلة معهم لاتفيد شيئاً والحكايات التي تذكر عن الصالحين عامة أسانيدنا منقطعة لا يحصل الجزم بصحة الحكاية عن المحكي عنه، والمصادر التي أخذنا نحن ذلك العلم منها أسانيدنا عندنا قطعية والاعتماد على مدارك هؤلاء الأئمة عندنا واجب من ألزم الواجبات، ونحن لو تشككنا في مدارك الإمام وكذلك مدارك الشيخ والده نصل إلى درجة لا يقي بعدها اعتمادنا على حواسنا ولما رويت تلك الروايات من الإمام بأسانيدنا صحيحة، فكأنني رأيت الجن بعيني وهل يمكن لشكك أن يشككي في نفسي، نحن لا نؤمن بالخرافات ولانرد الواقعات بخوف من أصحاب الجدل.^(٢)

"قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ الْح" جاء في الروايات أن النبي عليه السلام توجه إلى الطائف، ورأى منهم الإعراض والمخالفة الشديدة، فرجع إلى مكة، وفي الطريق في صلوة الصبح سمع الجن القرآن منه عليه السلام، ثم أوحى كلامهم إليه بواسطة الوحي، فاستبشر به النبي عليه السلام. معنى ذلك عندنا الاجتماعيات الظاهرة إن ردوا الدعوة القرآنية مثل أهل الطائف، فالاجتماعيات السرية الطالبة للحق

١- في النسختين جرت، وهذا خطأ.

٢- في ن م: وعلى ذلك تم التمهيد، الحمد لله، بسم الله الرحمن الرحيم.

تؤمن بالقرآن والكلام الذي ذكره الله منهم أنعم سمعوا القرآن، فأمنوا به وقبل ذلك كانوا يرجعون حسب عاداتهم إلى مفاعد للسمع من الملائكة، فالآن لا يسمعون بل يجدون هاهنا شهادًا يطردهم عن ذلك. هذا الشهاب عندنا يكون في عالم المثال وهي غير الشهب والطيفية التي نرى في جو السماء واشتباه قوة مثالية بقوة جسمانية متوارث في الإنسانية، ليس هذا أول قارورة كسرت، فإذا سمع الناس أن الجن يقولون نجد لها شهادًا حملوه على شهب جسمانية وفسروا بها القرآن، ورووا فيها أحاديث، فليس هؤلاء عندنا شيء إلا أن نستغفر الله لهم لاجتماعهم بالجهل المركب. يستندون الرويات إلى النبي حسب زعمهم، ويفسرون للراد حسب مرادهم وهم رجال علماء لا يريدون الفساد، لكن الجهل لا دواء له، فكيف تتبعهم؟ إذا ثبت عندنا غلطهم وأنهم يقولون الانقلاب الذي حدث في الأرض لا بد أن يكون له أصل، لأن استئصال الفيوض من حظيرة القدس كان فيه فوائد للإنسانية، فإذا منع الله ذلك وأقام طريقة أقوى منه، فأراد الله بهم رشدًا، فكنا نتردد من ذلك. أما الآن، فقد علمنا أن الله ما أراد بهم شرًا، بل أراد لهم رشدًا. من زمان إبراهيم أنه أهدى الديانة الصائبة، هل ذهب سلطانها عن وجه الأرض، بل الأئمة الخنيفية يتقدمون رويدًا رويدًا، وهي أيضًا بينهم قوج كأوج البحار، فلما جاء أوان تكميل الخنيفية وبث سلطانها على وجه الأرض، بطل سلطان الديانة الصائبة ووهن أساسها. بعد قيام نبينا بالدعوة ظهر الفرق في كهانة الكهان عامتهم كانوا يغلطون خمسين في المائة أولاً وكل من قل خطاه صار من الخواص على حسب للتدريج، وأما الآن، فالعامة يكذبون المائة في المائة لأبائهم شيء إلا حوادث في أنفسهم، فيخبرون بها والخصاصة منهم يأتي له الواحد في المائة، والباقي كلها حوادث نفسانية، ربما يزيد بعضهم في المائة إلى عشرة أو عشرين، لكن هؤلاء يندر وجودهم بالمرة، فهذا التغير إنما كان لذلك استبشار بغلبة كلمة الخنيفية على الصائبة ما يتعلق بحل الآيات القرآنية كأننا بحمد الله فرغنا عنها.

وهنا مشكلة استطرادية

الجن والملائكة عندنا من عالم المثال، وقد يظهرون لبشر في صورة البشر. هذا فرغنا من بيانه والآن تأتي بشيء على عكس ذلك. من الرجال قسم يلتحقون بالملائكة في علومهم في عاداتهم ليس لهم من البشر إلا شيء قليل يقدرون أن يصوموا شهرًا شهرين، بل سنة وستين بالوصال، لا يشربون ولا يأكلون ولا تضعف قوتهم لقوة الذكر في قلوبهم، هؤلاء إذا قلنا إنهم ملائكة ليس فيها مبالغة ولا مجاز، معناه أن جبلتهم جبلت للملائكة، وصورتهم صورة الإنسان كما يكون المختص صورة الرجال، و معناه أحيث النساء أيضًا، بل من القردة والخنازير، كذلك طائفة من الإنسان يشابهون الجن والجن منهم جماعة يسمون بالشياطين، فلما ورد في القرآن شياطين الجن والإنس فإثباتنا نوعًا من الإنسان في مرتبة الجن صار سهلًا. السياسيات التي تبنى على الاجتماع في الاجتماعيات، وهي تقسم إلى ظاهرية وباطنية، وعلوها قوام السياسة. متى بطل توازنها بطل السياسة، فلما أهدى النبي أن الجن يأتون إليه ويستبشرون به ويؤمنون به، فتنبه لعلم خاص ما كان توجهه إلى ذلك أولًا توجهًا عامًا، وهو أن النبي لم

لايستفيد من قوة الجن، فإذا آمنوا به فليظاهروه يسمعون أوامره تتعلق خاصة بتنظيم الجن. هذا إذا تفكر الرجل أن النبي تنبه على ذلك، والآن تأتي بمطالعتنا الخاصة. تاريخ العرب أنهم هاجروا من اليمن وقت هدم السد وانتشروا في الجزيرة جزيرة الفرات وكذلك كانت لقبائل العرب صدمات، فانتقلوا من بلادهم إلى سوريا وإلى أنافول وإلى بلاد الفارس، هم عرب يحبون قومهم، يحبون وطنهم، إنما توطنوا في غير وطنهم، وتعودوا فيها على عادات غير قومية لضرورة إجبارية، فحبب قومهم وحبب وطنهم يشند في تلك الحالة. إذا بلغ إليهم أن نبيا قام في العرب وينتظر مجد العرب وشرفهم كثيرا في تلك الدعوة إلا تتيقظ عواطفهم القومية إلى نصرة الدين، فهؤلاء الجن يتخذهم النبي وسيلة في تبليغ القرآن إلى أقوام العرب المنتشرة في بلاد كسرى وقبصر، أمدا بعيدا؟ حسب فهمي هذا لازم، فأفترضوا أن النبي أمرهم بذلك وقطعات من السور القرآنية بلغت إلى العرب في الفارس والروم بواسطة الجن للتظاهر بالمشرية، فأراد هؤلاء أن يعلموا مزيد من ذلك وما يقدرّون عليه من نصرة قومهم وهم على ذلك الحال، فأشار إليهم ذلك أنهم يبعثون البعوث إلى النبي، فاتفقوا على ذلك، فهدم الجن الطريق ويخرج طائفة من العرب مستترة عن أعين الحكومة، فيأتون إلى النبي بالتسمر، ويكون الوساطة في تعريف هؤلاء هذا الجني، فإني يخرج إليهم ويتكلم معهم، لكن تلك البعثة السرية لا يعلمها كثير من الناس، فإن وقع لأحد اطلاع على ذلك أمموا الأمر، فسموها بعثة الجن، فإني كان يأتيه العرب بصورة مستترة ويعرف بين الناس أن الجن من الطائفة التي إليه لأصحاب الدعوة السرية شرائع مختلفة عن الاجتماعيات الظاهرة. أنا كنت في بقي بعد أن أسلمت شهورا قليلة، وبعد المغرب أخرج إلى خارج البلدة، فأصلي من صلاة الصبح إلى صلاة العشاء كلها في مجلس واحد، وهذا كان باجتهادي. ما أمرني أحد. ويكون لهم الأعمال الأصلية الاطلاع عن حالات العدو وإرشاد الجماعة بطريق موصل سهل إلى المقصد. هذا من فرائضهم الأصلية وما قدورا عليه أزيد من ذلك فلا يدخل تحت القانون يعلمون به حسب ما تيسر، فتعارف الجن مع النبي فتح بابا جديدا من العمل وعندني مطالعة خاصة أن في سرعة الفتوح للمسلمين على كسرى وقبصر مدخل عظيم لتلك البعثات السرية والتنظيم السري، فالفتوح وإن وقعت على أيدي الخلفاء، لكن الحكام في ذلك كان تدبير النبي عليه السلام والكل بحسب في أعماله. "وأن لو استقاموا الخ" كلام الجن كأنه انتهى إلى قوله: "حطبا". من تنمة لكلامهم أو أنهم ذكروا على صورة مسألة جديدة، فمن أسلم واستقام على الطريقة الإسلامية الاجتماعية أمدا ناهم بإمداد سماوي مثل ما كان الديانة الصائبة بالاتصال بالجن من القوى السماوية، ففي هذه السورة يمكن أن يجعل ذلك من كلام الجن، فالإمداد السماوي إنما يكون للاختحان، فإن شكر الله يزيدهم في مدارج لا انتهاء لها، "ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذابا صعدا" يرتقي الجبل ثم يلقى ثم يرتقي ثم يلقى هذا عذاب صعدا. هذا النموذج للصعود الباطل. الإنسان إذا كان أسلم لله واتبع أوامره يسلكه صعودا صحيحا وإذا استفاد من النعمة وترك نصرة الملة الاجتماع، فيعذب. هكذا يصعد ينزل يصعد ينزل بدون معنى. "وأن المساجد لله". الإسلام يحرم الدعاء بغير الله.

مع ربه، فالأمور التي يقدمها الإنسان في نفسه أن هذا ينبغي أن يستلزم فيها ربه، ففي تلك الأحوال يتقيد بأنه لا يدعو في ذلك معه أحدًا، فهذا شرع عمومي ويجعل له مقدمة لعشرين النفس على ذلك التوحيد المساجد لا يذكر مع ربه أحدًا، فإذا التزم ذلك بالتدريج هو لا يدعو ربه وفي هذا عيادة للديانة الصائبة، فإنما عينت لكل كوكب بيتًا مخصوصًا وجعلت فيه صنمًا يحكي قوى ذلك الكواكب كلها فإذا دخلوا ذلك البيت لا يتوجهون إلا إلى ذلك الكوكب فإذا أسلم هذا الرجل يجعل على نفسه أن المساجد لله فإذا دخل المسجد لا يذكر إلا ربه وهذا أيضًا كأنه من قول الجن فهؤلاء الجن كان فيهم رئيس هم تعمقوا في الدعوة إلى ديانة الصائبة فلما رأوا نسخها، أدركوا المصالح للترتبة في ديانة الخيفية بأحق التفات.

"وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا" إذا جعلنا هذا أيضًا تمة من قول الجن، فمعناه المسلمون في مساجدهم يعملون مع إمامهم الصائبة مع صنمهم الصائبيون لا يفهمون عامة حكمة الكواكب ولا حكمة الصنم ولكن إذا دخلوا بيت الصنم يجتمعون حوله، فبعد الإسلام هؤلاء الصائبيون يعملون ذلك العمل مع عبد الله قام يدعو ربه في مساجد الله لا يفهمون ما يقول وما يعلمه أولًا كان عادتهم أن يجتمعوا عند صنمهم الآن يجتمعون عند رجل. "قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي الْح" الآن شرع في إرشاد هؤلاء الناس الذين اجتمعوا في مساجد الله على عبد من عباد الله. معنى هذا الاجتماع: قل إنما أدعوا ربي ولا أشرك به أحدًا. فالدعوة للاجتماعية الإنسانية تامة على مركز واحد وغلبة الخيفية على الصائبة في جميع أجزائها. "لا أملك لكم - رشدًا." هذا عمل الغلط الذي كان في ديانة الصائبة أنهم زعموا الكواكب والنجوم مؤثرة بالطبع والتأثير الطبيعي لها يذكر، لكن لا يكفي لتنظيم الجمعية البشرية. تلك القوة منحصرة في حظيرة القلوس والكواكب طريق لفيضاتها فقط لا مؤثرة مسببة ففي الدعوة الخيفية يكون الداعي إلى الملة مقام الكوكب فلا يعتقدون فيه استبداده بالعمل ولذلك صرح بقوله قل إني لا أملك لكم ضرًا ولا رشدًا بل أزيد من ذلك "قُلْ إني لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ الْح إِلَّا بِلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَتِهِ الْح" يعني أداء ما علي، قلن يجيزني إلا أداء ما علي من وظيفة التبليغ، فيكون الإمام للمسلمين والمسلمون في مقام واحد بالنسبة إلى ربهم، ومن لم يؤد ما فرض الله عليه كائنًا من كان إمامًا أو مأمومًا وإلى هذا المعنى أشار في قوله: "وَمَنْ يَخْصِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ إِلَى عَدَدًا." وبعد ما يكون تحت مواخذه الرب لا يجدون ناصبًا، فالفرض على كل مؤمن جدًا كان أو بشرًا أداء الفرض والآن هم يستلون، هذا الأمر الذي يكون لنا فيه أعمال مثل الإختيار بأحوال العدو وتسهيل طريق الغازي في الوصول إلى المقصد متى يكون؟ لأن هذا كان في مكة في شدة الضعف على المسلمين، فاجتهاد النبي إن شدة الضعف تنبئ عن الفرج قريبًا، فلذلك يجتهد بتعليماته من هذا الوقت وإذا كان الأمر على ما قررنا في نظرياتنا، فانظر إلى جزم النبي بفتحة في شدة الضعف في مكة بنظم طرقًا للغلبة على كسرى وفيصر عندنا. هذا اليقين أن النبي كان جازمًا بذلك "قل إن أهري أ قريب" الخ فالملفرون دائمًا مثل هذه

الآيات بالقيامة "عالم الغيب إلى عددًا". الجن كانوا يعتادون بأخذ الغيب واستراقه من الملائكة الآن نسخت تلك الشريعة، فإذا أراد الله أن يعلم رسولًا مريضًا شيئًا من الغيب، فليس طريقه طريقة الديانة الصائبة الماضية. هذا الرسول الذي يعمل رسالة ويصير في عالم المثال، فإنه يرسل من بين يديه ومن خلفه رصداً لتلا يأخذ في الطريق جني بنوع من الملائكات، فالرصد يباينه عن الطريق. "لَيَعْلَمَ أَنَّ قَدْ آيَلَفُوا رِسَالَاتٍ رَزِمَتْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَخَصِي كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا". تلك الرسائل في الديانة الخفية يكون فيها حفظ السر في بعض الأوقات ألزم الأشياء، لأن المخاربات واقعة بينهم وبين أعدائهم، فلا يقدر رسول إنساني على تكميل الانقلاب إلا إذا حفظ السر من كل وجه، فهذا سلوك الرصد إنما يكون ليعلم الله الأعمال التي أمرنا لرسول إنساني هو قدر على أداء فرضه، فليس السر فاشيًا في الطريق وأحاط بما لديهم، هو يعرف بإفشاء السر في بعض الأوقات كيف ينقلب الأمر وهو يعرف أن هذا الأمر واجب أن يتم في عشرة من السنين مثلاً، فإذا لم يكن رصداً يمكن أن يتم، لكن لا في تلك المدة المحددة، فإذا أراد الله شيئاً مثل هذا عظيمًا جماعة من الضعفاء مقيمون في الحجاز ولا يتركهم في بيتهم أيضاً ويريد الله بواسطتهم الانقلاب العظيم في العالم بواسطة إنشاء الانقلاب في كبرى وقصر، ففي مثل تلك الواقعة يمكن أن يمثل رجل قائم بالأمر عن مدة عمله؟ هذا السؤال الذي وجهوه إلى النبي غير جائز أن يسئلوه ليس معناه أن النبي لا يعلم ذلك لكن حفظ السر وعظيمة الواقعة لا تجوز أن يتباحث فيه الناس.

سورة القيامة

بسم الله الرحمن الرحيم

"لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ الْخ". عندنا من سورة ق إلى سورة القيامة. البحث عن القرآن وتعليمه وجهات مختلفة تتعلق بذلك مثلاً كيف ينظم جماعة تأخذ بيده القرآن للإشاعة؟ وما يكون لهم في المعاملات مع الناس من الحرب والضرب؟ وما يحدث في الجماعة القائمة لإقامة حكم القرآن من المنافقين؟ سبب النفاق وإزالته وأمثال ذلك من كل شيء تحسبها متعلقة بالقرآن. ومن سورة القيامة إلى والضحى سور متعلقة بشرح يوم القيامة وما يتعلق به. ورد الشبهات التي تهمتي للناس وعلل وجود يوم القيامة وكيفية ذلك اليوم وأشياء أمثال ذلك والمقصود من يوم القيامة ليس إلا إظهار نتائج كاملة في الفطرة الإنسانية، فمعنى المجازاة وإثباتها هو روح تلك المباحث. هذا النظام الذي الإنسان جزء منه، هذا هو قائم على الحكمة، وعلى استناد الآثار إلى عللها أو يقع شيء بالتصادف، فالذين يقولون بالظن، هم ليسوا من الإنسانية في شيء، والذين قائلون بأن كل شيء تحت قانون الحكمة واستناد الأثر إلى سببه، هم الذين تحقق فيهم أدق معنى الإنسانية، ثم يكون تفاضل فيهم بقدر وسعة علمهم في ذلك البحث. الرجل الذي ليس يقابل بتسلسل العلة والمعلول في هذا النظام، لا يبتدأ في قلبه لتنظيم حياته، فإذا كان أكثر الإنسانية متأثرون بذلك الفكر ويتركون تنظيم الحياة، بل يمكن فيهم الارتقاء والتمدن، بل يلتحقون في أقرب أوقات بالحيوانات أدق من ذلك. الرجل والمرأة يتزوجان، فإن كان فيهما فكر التنظيم يشآن بيتاً يكون النموذجاً للعالم، كل شيء ينفع الإنسان في الدنيا فيجودونه مهياً في ذلك البيت بحسب الإمكان، ثم يتولد لهم أولاد، فأولادهم لا يضيعون أكثر أوقاتهم مثل ما يضيع أوقات أهل الليادة في جمع أدق مرافق الحياة، فإذا نشأ الأولاد على حالة راقية، هم يكملون ما أسسه أبواهم، وبذلك يرتقي التمدن، فإذا غلب فكر التصادف على الناس، يبطل قوة التقدم في الأرض. حدث من زمن ابتداء تنزل المسلمين فكر التصادف، لكن منظم على لون ديني وبطل جميع ما تقدموا فيه، وإنما تأخر عمل الإبطال لأن المسلمين ما غلب عليهم فكر التصادف. هذا هو فكر الأشاعرة، يتفون عن كل سبب كونه علة شيء، فهذا هو حقيقة التصادف، لكنهم ليسوا بحقيقة دينية أخرى، إن الله يفعل ما يشاء، فكأنهم فهموا من هذه الآية أنه يفعل بالتصادف وإنما شفاء العي السؤال إن لم يفهموا كان لهم أن يستلوا أهل العلم. الله يفعل ما يشاء ولا يبطل سببية الأسباب. عنده مخازن الأسباب الكثيرة غير المنتهية، فإذا ضاع سبب عن إيجاد شيء أراد الله، فبأي الله بسبب أعلى منه ليتم الأمر ولا يبطل سببية السبب الآتي. هذا هو فكر الحكماء من المسلمين ونحن على مسلك الإمام ولي الله اتقنا تلك الفكرة، ولكن عامة الأشاعرة كأنهم ليس عندهم دين ولادنيا إلا البحث في هذه المسئلة، فجعلوا الناس منجرفين عن التفكير، فتركوا التدبير في القرآن وتركوا التشييت بمدايح الارتقاء والالتم في ذلك كأنهم جعلوا ذلك عنوان الإسلام، ثم فسروا القرآن

بنظريتهم، فكل آية وجدوها خلافاً لمقصدهم سووها بالتأويلات، وصنفوا كتب المجادلة. على هذا الفكر سموها علم الكلام، فعندي ليست فتنة أعظم منه فتنة فكرية على الإسلام وعلى تعليم القرآن، والقرآن يفهمنا مسألة القيامة بالاستدلال بالفطرة الإنسانية، فهل يتنظم هذا الاستدلال على تلك النظريات ولذلك هم فككوا نظام السور القرآنية لئلا يتفطن الرجل أن القرآن يدعو إلى التفكير المجني على الأسباب. وافق ذلك الفكر هوى الملوك الجبارة، هم يعملون ما يشاؤون، مشيختهم هي القانون ووافق على ذلك جهال الزهاد اغتراباً بالآت التي لم يفهموا معناها ويسهل بذلك على الناس ترك التكلف في تعلم الفنون والصنائع والاكتفاء بالحياة الفردية البدوية، فانتظمت الاجتماعية على ذلك، فتلك الاجتماعية ليس لها مس بالقرآن، حدث في ضمن ذلك الاجتماع رجال عاقلون سمو بالمعتزلة ورجال حكماء ضعفاء الصوت لا يسمع صوتهم ورجال من كبار الصوفية المحققين، فأصلحوا حسب ما استطاعوا، فكان للتمدن الإسلامي بقاء إلى زمان.

القرآن يأتي بدين العالمين. وتبلغ القرآن في زمن النبي ثم في زمن الخلفاء الراشدين ثم خلفاء بني أمية وبني العباس أهم جميع الأقوام العربية والدعوة جديدة إلى الإسلام إن لم يكن بالغلبة العسكرية، فلا يكون إلا بالتفهيم والناس مفطورون على سببية الأسباب، فإذا دعوا على فطرتهم وأمكن لهم فهم تعليمات القرآن دخلوا في الإسلام وإذا لم يكن تفهيم يسد باب التبليغ، وهكذا وقع من زمان غلب ذلك الفكر على المسلمين امتنع نشر التعليم في الكفار، وهم يفتخرون بذلك، فإذا قيل لهم ما بلغهم القرآن إلى الأقوام يقولون واجب عليهم أن يتعلموا لساننا وطريقتها العقلية، ثم يأتونا فتعلمهم، فإذا لم يعملوا لم يتعلموا لساننا ولا طريق فكرنا يعنون بذلك كتبهم الكلامية، فالإثم كله راجع عليهم لا علينا والبلاد التي تركوا فيها تبليغ القرآن أعداء الإسلام علموا الناس أكثر الإسلام وألوا بمفتريات نسبوها إلى الإسلام وأقاموا جمعيات لعداوة المسلمين، ثم لما اشتد تنظيمهم هجموا على المسلمين وسلبوا ملكهم، فإذا نبهوا على هذا الفساد ويقولون هذا من آثار القيامة، لازم أن يأتي علينا ذلك الزمان يسلب منا كل مملكته، ثم يأتي القيامة، والأسف أن الملك يسلب منهم ولا يأتي القيامة. هذا كله نتائج تلك الفتنة ظهرت بالتدريج بين المسلمين ونحن لا نقدر على إحاطته بتفاصيل أحوال المسلمين في العصور السالفة، لكننا في الهند منذ مائتي سنة، نعرف تاريخ المسلمين بالتفصيل كأننا رأينا وفي هذا الزمان نشأ فيهم الحكيم ولي الله الدهلوي وانتظمت على فكره جماعة واستفاد من أفكارهم القوم المتقلب على الهند، لكن المسلمين الذين يحمدا على أفكار الأشاعرة، ما التفقوا إليهم ونحن جازمون لو توجه إلى ذلك جميعه صالحة لأكملت ودفعت كل نقصان عرض على المسلمين في الهند وحدث في بلادنا رجال للإصلاح فأول شيء يأخذون على المسلمين أنهم يقلدون فقهاءهم، فانتظم نظام في داخل المسلمين وما نفع شيء الرجل الذي يترك التقليد يرجع إلى الأفكار كالأشاعرة، فلا يأتي منهم شيء من التفكير، فالأسر الأصلي والمجني للفساد هو تقي عقلية الأسباب. العقل الإنساني لا يدرك سبباً وجعل هذا الفكر الديني، فالذين

تنبهوا على فساد الأمر، فما وجدوا طريقاً للإصلاح إلا تعليم أولادهم من الأساتذة غير المسلمين وتعليمهم علوم الحكمة أولاً من علوم الأدب العربي والكلام الإسلامي، فاستخرج طائفة من الشباب بهذا الطريق وصاروا ينظرون في القرآن، والحكومة المتغلبة يكون هؤلاء الشباب حظ منها، فالتاس لا يقتدرون على مخالفتهم، فتلک الأسباب رداً لجماعة الشيخ ولي الله، فانتظم نوع من الفكر الإسلامي، لكن بعد ما ذهب كل شيء من أيدي المسلمين، وهذا هو نتيجة تلك الفتنة. لانقول إن فكر التصادف ليس في الإنسانية موجوداً بكل قوته في جميع الأقوام وجميع الأديان، لكننا نقول إن ذلك الفكر أساس هدم الإنسانية لاتعمورها.

جملة معترضة

الإمام أبو الحسن الأشعري^(١) وقدماء أصحابه كانوا أصحاب العقلية ونظر في مناظراتهم مع خصومهم أتوا بنوع لأفهام خصومهم، ولو كان الكلام بالإنصاف جارياً بين الفريقين ما يحتاجون إلى طلب دليل تلك المقاصد لأنها مقاصد متفق عليها عند أرباب العقول. أما كلام تلك الطائفة فكان للتغلب على الخصم، فكانت فيها نزعة سياسية فيسعلون الخصوم. الأدلة على مقدمات مسلمة ليفتضحوا عند العامة أنهم لا يقدرُونَ على إثبات المطالب. الإمام ولي الله في إزالة الخفاء. أول كلام أبي الحسن الأشعري يمثل ذلك، ثم الأشاعرة من ذلك البلر أخرجوا شجرة عظيمة، وعلى ذلك البناء بنوا قصرًا شامخًا، ففسد الأمر. في تلك الجماعات التي تنسب^(٢) إلى الأشاعرة جماعة من الحكماء أيضًا موجودة، رأوا أن التظاهر بالأشعرية لازم لإفادة العوام، ففي كلامهم يقع الحكمة ويقع الفلسفة الأشعرية. من أمثال هؤلاء الإمام الغزالي، والإمام ولي الله أيضًا يراعى الجانب الأشعري، وقدماء أصحابه يؤولون كلامهم وينصرونهم في بعض الأوقات، وأما الأشاعرة للتأخرون الذين أوجدوا فكرة التصادف يرد عليهم لكن لا مثل رداً. كلامه متين مهذب ونحن نريد هدم هذه الفكرة من أساسها، فإن احتجنا في ذلك لاستيجار المعلمين الكفار لتعليم أولادنا، نخوز ذلك، ولانسلم أولادنا بأيدي هؤلاء الجهال المفسدين. عندي هذه أجزاء ملعنة المسلمين على تقافلهم. من تغلب الاجتماعية الكافرة على الاجتماعية المسلمة. الرجل المسلم العاقل المفهم يتباعد عن هذه الاجتماعية الإسلامية التي معناها هو سلب العقلية، ولالإمام عبد العزيز الدهلوي تفسير باللغة الفارسية على الجزئين الآخرين من القرآن، وتفسير سورة القيامة كأنه موجود من كلامه، ورأينا من حكمته تصورات يأتي بها بالأدلة العقلية لتنظيم التسلسل الفكري، وبأني بكلمات الواعظين لتسكين خواطر العامة، والزمان الذي كان فيه الإمام ولي الله أتور وأبصر من الإمام

١ - هو من أعلام أهل السنة وينسب إليه ملهيب الأشاعرة، يكتفي بأبي الحسن كان من كبار أهل العلم وأصبح مؤسس اتجاه كلامي، له شيوخ وأتباع كثيرون، كان في البداية معتزلياً ولكن بعد ذلك تحول إلى ملهيب أهل السنة، من كتبه مقالات الإسلاميين. (لينظر لترجمته: الميركلي، الإعلام، ٤: ٢٦٣)

٢ - في الأصل: الذين يتسبون، وهذا خطأ فاحش، لعلم المطابقة بين الصفة والموصوف.

عبد العزيز، لأن الإمام ولي الله بصرح بكلمات الحكمة ويقبل منه والإمام عبد العزيز كل ما أتى بكلمة من الحكمة يأتي بجنبها بكلمة يزيل ثورتها. كانت أذهان المسلمين صارت متلبدة، فإذا ذهبت عنهم حكومة، قذمت تلك الاجتماعية أيضاً، فالذي غلب على ظني أن الانقلاب الاجتماعي الكبير المسلمون يحتاجون إليه، وبعد ذلك كل فلاح يمكن أن يحصل لهم، لأن قوى عامة أفرادها ما صارت مفلوجة، والتعليم الديني إذا كان المركز الأصلي هو القرآن أقوى تعليم في الدنيا، فإذا تنبعت العقول وأخذوا بالقرآن عندي يمكن أن يأتي لهم النتائج مثل ما أتى في القرن الأول، لكن جمع القوة الانتقالية وتنظيمها في المجال المختلفة هو من أهم المبادئ للانقلاب الكبير في ذلك التعليم واتخذنا في بلادنا مركز انقلابنا داخل كاتدرمس الهندية ويكون لنا حرب مخصوص في الانقلاب الهندي.

"لا أقسم بيوم القيامة". النفس اللوامة اسم حالة للنفس الإنسانية إذا نظر في أعمالها السابقة، وتبين له خطاياها، وكل ذلك ما كان إلا من سعيه واجتهاده، ففي تلك الحالة يلوم نفسها لم فعلت كذا، لم لم أفعل كذا، ففي تلك الحالة تسمى النفس الإنسانية بالنفس اللوامة وإذا تدبرنا في تحليل الأئمة التي يرجعها النفس إلى نفسها وجدنا تحيتها أصولين مستقرين: ١ إن في النفس الإنسانية كانت قواعد مركزة في جبلتها إذا وانفتحت أعمالها يستحسن أفعالها وإذا خالفها يلوم نفسها. ٢ إن في بعض الأوقات النفس الإنسانية تتغافل عن رعاية الأصول الجبولة عليها، وبعد زمن يتنبه على خطيئها، فيوم القيامة ليس إلا تظاهر ذينك الأصول للنوع الإنساني لا للنفس الواحدة.^(١) الفرد يكون مشتتاً على مقتضيات النوع مع تشخص زائد عليها، فكما يمكن للفرد الإنساني أن يتغافل عن الأصول للشخصية في نفسه، كذلك يمكن أن يتغافل عن الأصول التي هي مقتضى النوع الإنساني، ثم يتنبه على خطيئها، فاللائمة الثانية تكون أقوى من اللائمة الأولى.

نعين في الحكمة الإلهية أن النوع الإنساني له نفس كبير مثل نفوس الأفراد، كل ما يقع على النفس من الحالات يتقبل لون منها إلى نفس النوع الإنساني، فهو مجتمع حالات جميع أفرادها، فإذا تنبه هو بخطأ، اتفق عليه أكثر أفرادها، فهذا الوقت يسمى يوم القيامة، فلا احتياج إلى الاستشهاد يوم القيامة، وكذلك لا حاجة إلى الاستشهاد وبالنفس اللوامة لرجال يعرفون بسلامة فطرتهم وجود النفس الفردية، ووجود النفس النوعية والربط بينهما وهم في كل حالة تفرغوا للتفكير في ذلك يتنبهون بأنفسهم لا حاجة إلى مذكر ومنبه ولا نظر ولا استشهاد. هذا معنى قوله: "لا أقسم إلى اللوامة". "أحسب الإنسان الخ" وبعد هؤلاء الكاملين طائفة أخرى يتنبهون على أصل الحكمة ولا يقتندرون على فهم المعئلة تفصيلاً فرفع شبهتهم أيضاً لازم في الكتاب الإلهي. وللنفس الإنساني المجرد عين البدين صحيح طرمان اللائمة عليها ويكون مثل ذلك جميع أفراد النوع ينظرون إلى حساب أعمالهم لكن النشأة الثانية

١- في الأصل: للنفس الواحدة، وهذا خطأ، لأن "النفس" مؤنث سمعي.

التي أحس بها الأنبياء ليست على تلك الحالات النفسية فقط، بل هنا أكل وشرب وتمتع بالملاذ وعذاب في جهنم لإحراق بالنار وما إليه.

وهذا يحتاج إلى إعادة الجسم الإنساني وهو مشكل على أصول الحكمة. إليه الإشارة في قوله: "أَلَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ لَجَمْعِ عِظَامِهِ الْخ" والحكمة مفصلة في مواضع أخرى الإنساني تائماً وتلك النسمة تحمل جميع القوى كان يحملها البدن وتلك الجسمية اللطيفة التي بقيت مع النفس الإنساني إذا أهد بقوة من عالم المثال يتنظم الجسم الإنساني مثل الأول يكون سبباً للتمتع بالملاذ ومحل العذاب فهذا الجسم الجديد مخلوق من القوة الجسمانية الباقية من البدن السابق وهذا يكون كلمني الذي يكون سبباً لاتصال النسب والبذر للبدن الإنساني في نشأة الدنيا، ثم تويده أسباب في رحم أمه. وفي الخارج، فيتنظم بدناً مثل بدن أبيه، كذلك النسمة يكون كالنطفة من ذلك البدن، ويويدها قوى عالم البرزخ والمثال فيتنظم بدن مثل بدن النشأة الدنيا، وينبغي أن يحفظ أن القرآن أثبت جسمًا مثل الأول. "أو ليس الذي خلق السفوات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم إلى فيكون." ففيه تصريح على أن الله يخلق مثل أجسامهم ويخلقهم بأمره، فليس هذا يشبه قول الأشاعرة: فلا بأس بذلك، وهذا الجواب كان لرجل سئل: "من يحيي العظام وهي رميم". فلو كان في الأشاعرة المتأخرين رجل يتدبر في القرآن ما وقعوا فيما وقعوا من الخطأ. قوله في سورة ق "أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا الْخ". هذا ذكر الله تعجبهم بذلك، ثم أجاب عن ذلك قد علمنا "ما تنقص الأرض" الخ تفسيره علي ما ذكره الشيخ عبدالقادر بن ولي الله في ترجمة القرآن. "ما تنقص الأرض منهم". هو الجزء البدي. "وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ". يعني النسمة أي نفد على إخراج ألف بدن من تلك النسمة مثل البدن الأول، فلو أدرك الأشاعرة المتأخرون تلك الحكمة المبينة في القرآن لما ناظروا الأديان الآخرين، وما جاملوا بخرافات لا يرتضيها رجل عنده أدنى نصيب من العقل إلا إذا غلب عليهم السوفسطائية، فأبي دين يشرحون بعد ذلك. "بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ" الخ مثل تلك الشبهات كيف يخلق الله العظام منيعها خلق آخر في قلب الإنسان: هو أن لا يقيد حياته بقانون. هذا معنى قوله يريد الإنسان ليفجر أمامه. يعمل ما وافق شهوته ولا يقيد بقانون. هذا هو الفجور، وأما التقيد بقانون العقل والإنصاف هو التقوى، فأصل الغرض ليس استفسار الشبهات، بل أصل الغرض من أمثال هذه المسائل أن لا يظهر أن التقيد فرض على الإنسان، فلو كان مثل النفس اللوامة تعزي لنا حالة بعد الموت أيضًا، فواجب أن نسمى للتجنب عن ذلك، فيأتي بسؤال آخر يقول: "أَيَّانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ". فهذا السؤال لا يقدر أن نشغل بجوابه، فنذكر له بعض الآثار. "فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ" الخ خلاصة ذلك أنه إذا مات بصره يصير ضعيفًا والقمر يكون متخسفًا في نظره ويرى الليل والنهار مجموعين، مثل تلك الحالة يحدث للإنسان وقت الاحتضار، والمراد منه صنف من الإنسان، وليس هذا حال كل إنسان. "أَيَّنَ الْمَفْعَلُ". يريد له مستقرًا. "كَلَّا لَا وَزَرَ". ليس في ذلك مشقة خاصة. طبيعة

الإنسان تنجذب بنفسها إلى ربها. التجلي الإلهي القائم على إمام النوع الإنساني يتجذب إليه كل نفس بطبيعتها، وهناك جميع أعمالها محفوظة مستحضره، وبنه بجميع أعماله، فيسأل متى يأتي يوم القيامة؟ يأتي يوم موت! ومثل ذلك جاء في نصوص الانجيل. الحالة العمومية لهذا العالم وقت انقطاع نوع البشر منها، فيصدق على تلك الحالة أيضًا. هذه الآيات: خسف القمر وجمع الشمس والقمر من علامة يوم انقطاع البشر من الأرض، فالحالة التي تجري على النوع وقت انقطاعه ظل من تلك الحالة، يأتي على كل إنسان وقت انقطاع حياته، فالأمران متطابقان حساب الإنسان بما يكون واجعا إلى تشخصه يتم يوم موته وفي قبره يجازى على ذلك، ويوم المحشر يكون حساب النوع. حساب الأفراد في الأمور الراجعة إلى النوع، فالخاسبة أيضًا في الخالتين مطابقة. "بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ." فهذا الفهم والتفهم إنما يكونان لقطع الطريق في أدنى مدة، لكن إذا تجاوزه على هذه السؤالات، فبعد مضي زمان يفهم من نفسه بدون إرشاد من الخارج، ففي حياته الدنيا يلقي المعادير الكثيرة لكن نفسه فيه بصورة تامة موجودة يحتاج ظهوره إلى زمن، وليس تعليم يوم القيامة والخاسبة عليها إلا فطرة فطر الله الإنسان عليها، وكل رجل له دخل في فهم الحكمة إن ذاتيات الشيء لا تفك عنه أبدًا، فإذا كان المجازاة والخاسبة من الفطرة الإنسانية، فالحجث فيها ليس إلا لتكميل الفطرة بالسهولة وإلا بعد مرور زمن يأتي الفطرة بنفسها. تلخص من تلك المباحث أن التعليم في القرآن لتفهم المجازاة، وشرح أحوال يوم القيامة كلها لتوفية الفطرة الإنسانية حقوقها وهذا رحمة من الله كما أنه جبل الإنسان على الفطرة، كذلك سهل له المشي على الفطرة، فتكميل التعليم لتوفية الفطرة فعل إنساني أو فعل الرب؟ ظاهر أن ذلك فعل الرب، فتبديل النبي لتعليم قومه لا يفهم أن ذلك من اقتضاء لنفس النبي. النبي في قلبه الرحمة على قومه، فيسعى بكل قوة له في تكميل فطرتهم، أما هذا الفعل ينشأ من نفسه؟ لا! منبع ذلك رحمة إلهية. نفس النبي كالليزاب لتلك الرحمة فقط، هذا معنى قوله: "لا تحرك به لسانك الخ" إن هذا الأمر ليس مستقدا إلى ذلك إن لم تعمل أنت ينتفي العمل؟ ليس هكذا ولا توهم للناس أن ذلك باقتضاء منك. هذا تعين في حظيرة القدس في أمر الله، فلازم عليهم أن لا يقتروا لتعجيل التعليم منك. إن ذلك الأمر توليده أنت بل نحن نريده. "إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ الخ" قال الإمام ولي الله في فتح الرحمن ظاهر نزديك أنست كه معنى آيت چنان باشد هر آينه وعده لازم است بر ما جمع كردن قرآن در مصاحف وحفظ وقراءت عصرًا بعد عصر وإيضاح وتفسير معاني آن خدای تعالی بردمت شیخین جمع كردن آن کرد ودر هر زمانی قاریان را توفیق داد كه حافظ شوند وبتجويد بخوانند ودر هر زمان مفسر را توفیق داد كه در تفسیر آن سعی نمایند والله اعلم. هـ.

قلت: أقول في تفسير كلام الشيخ أن الله ألزم على نفسه جمعه وقرآنه وبيانها، فالجمع في المصاحف ومنه انتشر المصاحف على جميع أقطار الدنيا وقرآنه معناه الألفاظ كما تحفظ كتابته بنقوش كتابته، كذلك نقرأ بالفاظ ملفوظة لأن الكتابة إذا صارت عارية عن القراءة تحدث فيها شكوك

وإحتمالات، فالقرآن حفظ عن ذلك الشكوك والكتابات العلمي في فهمه يحتاج إلى بيانات ومقدمات وتجهيزات ونتائج ولوازمات، فإذا لم تتعين المبادئ ولا اللوازم لمفهوم ما، لا يبقى محفوظاً ولا يكون مدرجاً لكل أحد أراد تحصيله. وهذا الأمر أيضاً التزم الله سبحانه أنه يسر للقرآن وإني شاهد على ذلك. أنا أردت أن أفهم القرآن، فوجدت ألفاظ القرآن محفوظة، وترجمتها إلى لساننا بالفارسية التي كانت لسان حكومتنا في الهند، وباهندوستاني الذي هو لسان اجتماعيتنا، فترجمة ألفاظ القرآن باللسانين الذين حصلتا في اجتماعي قبل الانتهاء إلى الإسلام محفوز، فالألفاظ المكتوبة للقرآن لا يأتي لرجل أن يقرأها مقلوبة عن الأصل، لأن للعاني بلساننا محفوظة. المترجم إلى الفارسية الإمام ولي الله والمترجم إلى الهندي ولده الشيخ عبد القادر مسلم علمهما وديانتهم في ذلك الفن في الاجتماع الذي أنا نشأت فيه. غرضي أن التشكك لمفلي غير ممكن في ألفاظ القرآن وهذه أعظم نعمة على الإنسانية. الرجل يتولد في غير المسلمين يرهق يقرأ القرآن في مبدأ بلوغه ورشده ويجد محفوظاً قطعاً لا يتشكك فيه. وليعلم أن ما حصلت العلوم العربية والعلوم العقلية مثل المنطق، ثم العلوم الفقهية والعلوم الحديثة إلا لحي أن أفهم القرآن فبحمد الله وجدت جميع ما أحتاج إليه في فهم القرآن مبيّناً مكتوباً محفوظاً وجميع ما حصلته إلى العلوم الحديثة صارت مقدمة لفهم طريق الإمام ولي الله، ومنها سهل لي التدرج إلى فهم القرآن في فهم القرآن، فأقول وجدت ما يحتاج إليه طالب العلم في فهم القرآن من مقدمات علمية وتوضيحات حكمية، كلها وجدت محفوظة مبيّنة في الاجتماع الذي فيه نشأت، وعندني جزم أن مثل ذلك يوجد في كل مجتمع للمسلمين بما يتيقن به أهل تلك البلاد إذا أرادوا أن يقرأوا القرآن: إن ألفاظه محفوظة ويتقنون من معاني القرآن بيانات من كبار أهل العلم مبيّنة واضحة، وهذا كله نتيجة ذلك الوعد الذي أنزله على رسوله. "فَإِذَا قَرَأْتَ قُرْآنَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ". معناه ما التفت إليه الإمام ولي الله خصوصاً لأن توجهه إلى وعد الله وضمانه في حفظ القرآن. وعندني توجيه لتلك الآية أيضاً. النبي عليه السلام بلغ القرآن جماعة من المؤمنين وحفظوه، وهذا الحفظ يكون مصداقاً لوعد الله سبحانه ثم يتردد النبي في كلمة بسبب نسيان يعتريه، لأنه من البشر، فالواجب أن يرجع إلى ما حفظ وصار محفوظاً عند المسلمين. هذا معنى قوله: "فَإِذَا قَرَأْتَ قُرْآنَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ الخ" فظهر بذلك حكمة النبي عن تحريك لسانه لا يظهر الفزع في أخذ القرآن، لأن هذا أسراً ليس فيه اقتضاء طبيعة النبي، فيه دخل أمر واجب من الحق سبحانه يظهر على كل حال ويوهم الناس أن الأمر النبي دخلاً خصوصاً في هذا القرآن، لا بل هو تابع للقرآن مثل عامة المؤمنين، وإنما الفرق فيه أنه صار ميزاناً لتلك الرحمة، فليس للميزان دخل في مرور الماء عليه، بل هذا كله قرآنه، جمعه وبيانه من أفعال الله سبحانه خاصة، فإذا كانت الفطرة الإنسانية تحدي إلى الحق والقرآن نزل لتوفيق مقتضى الفطرة في أقصر الأوقات، فهذا الأمر ليس للإنسان أن يعرض عنه، لكن حب العاجلة وصرف القوة فيها فوق ضرورتها يجعل الإنسان جاهلاً عن أمور الآخرة، والآخرة معناها يحصل الاتصال للإنسان إلى التجلي الرحاني أو يحدث الآخرة من يكون "كأخيرة" إلى رَجَاءِ نَاطِقَةٍ. "والخاسر منهم يومئذ"

يجب أن ينظر إلى ربه، لكن طبيعته حجب مانعة وإذا أراد ارتفاع تلك الحجب يكسر ظهره، فالتخلص عن الحجب وسلامة البدن غير ممكن. أما يرضى الحجب فيكون وجوه يومئذ باسرة وأما يسعى لرفع الحجب، فيظن أنه يكسر فقاره أيضًا مع ذلك، فلك الحالة ينبغي أن يصرف فيها أكثر القوة؟ أو في الحالة الابتدائية؟ الحياة العاجلة نجعلها في درجة ابتدائية، ثم تحسينها وتكملها نجعله في الدرجة الثانية، ثم تكميل للنفس الناطقة نجعله في الدرجة الثالثة، ثم تكميل الروح الملكوتي المقرون بالنفس الناطقة نجعله في الدرجة الرابعة، وبعد ذلك يمكن أن ينظر إلى ربه، ففي حالة العاجلة يصرف جميع القوى ولا يتدبر في تعليم القرآن وتكميل مدارج الحياة آخرها ليس مما يستحسن من الإنسان، وهذا التعليم ليس مما يمكن أن يتغافل عنه الإنسان، فلا يلزمه بل هو لازم فطرته بين الله ذلك. "أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى". فإذا جاء الموت لا يمكن الفرار منه، وبعد لا يمكن للمعاملة إلا مع ربه بواسطة تجليه على إمام النوع الإنساني، فيؤاخذ مما يجب عليه من حقوق فاطر القوة من خضوعه له وعزمه على إطاعة في حقوق الاجتماعية الإنسانية. هذا معنى قوله: "فَلَا صَدَقَ وَلَا ضَلَّى". يترك سدى من هذه الحقوق به هذا ليس يمكن للإنسان فقط بهذه الشبهة كيف يحيى الله الموتى، فلينظر في منشأ خلقه "أَلَمْ يَكُنْ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى الْج". فمن خلق من نطفة مثل هذه الذكور والإناث يستبعد أن يخلق من نطفة النسمة الإنسان مرة أخرى. "أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَائِلٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى". فالإشكال في فهم الحياة الآخرة في علم الكلام زعمهم أن الجسد الإنساني بعينه يخلق مرة أخرى لا مثله وإنما أوجبوا ذلك لمناظرات مع أديان آخرين وذلك لجِدال أفسد فكرهم الصحيح وسدوا على الناس أن يفكروا في حياتهم الآخروية، فجعلوا الحصة المتعلقة بأحكام الآخرة في كتب العقائد من باب عذاب القبر سمعية يعني عقولهم لاتوافق ذلك وردت بذلك نصوص وليس عندنا دليل على امتناعها العقلي فقبلنا معاني اعتقاداتنا وغاية جهدهم في تلك للمعاملات أن عقولهم لا يستحيل ذلك ونعرف لم حصل لهم ذلك المقام العالي. ذلك لسيفسطينيتهم لا يجهلون سببًا عقليًا. السبب العقلي موجبًا لشيء، فلا يستحيل عندهم شيء، وذلك إحسان منهم عظيم حيث لم يقولوا باستحالة الحياة الآخروية، إذا كان عقول زعمائهم مندرسة إلى تلك الدرجة، فأي فلاح يرجي من هؤلاء القوم، ونحن إنما قرأنا تلك الكتب لا لاستفادة العقائد منها، بل لأنها مضمينات لفهم كلام أئمتنا وقبل أن يكون لي تعارف لحكمة الإمام ولي الله، أنا قرأت كتب شيخ شيخنا مولانا محمد قاسم بلساننا الهندوستاني واطمأن خاطرني بذلك ثم قرأت كتب التفتازاني وغيرهم، فما وافق كلام شيخنا قبلنا وإلا كنا قادرين على رده وتلك الممارسة في الرد ما حصل لنا إلا باشتغالنا في كتبهم ثم تقدمنا فوصلنا إلى حكمة الإمام ولي الله.

الخاتمة في النتائج والتوصيات

نتائج البحث

إنني في قراءة النص وتحقيقه أقدمت على الخطوات التالية:

- ١- التفسير يحتاج إلى مزيد من الدقة في المقارنة بين النسخ.
- ٢- بعض المواضع من التفسير صعب فهمها حتى بعد المقارنة بين النسخ، فهذا الجانب أيضا يحتاج إلى التأمل.
- ٣- أثبتت النص الأصلي وقابلت معه النسخة الأخرى لتكميل النقص وإثبات ما ترجح صوابه وإبراز الفروق في الحواشي.
- ٤- ضبطت النص وحاولت توثيقه وتحقيقه خارجا من التحريف وتقديمه في ثوب لائق حسب المستطاع حسب وضع المؤلف.
- ٥- خرجت الأحاديث مستندا إلى مصادرها ونهت إلى تفصيلها في الحواشي.
- ٦- قمت بترجمة الأعلام عزوا إلى الكتب المعتمدة المؤلفة حول تراجم الرجال.
- ٧- توجد في النسخ الأغلاط حسب القواعد العربية فحاولت تصحيحها قدر استطاعي ونارة نهت إليها في الحواشي.
- ٨- توجد في التفسير إحالات إلى الكتاب لاسيما كتب الشاه ولي الله، فحاولت أن أخرج تلك الأقاويل وأعزوها إلى مظانها.
- ٩- قد تكررت تفسير بعض السور في التفسير فقامت بجمعها في موضع واحد.
- ١٠- اخفوت النصوص القرآنية من المكتبة الشاملة حتى يكون النص القرآني خاليا من الأخطاء.
- ١١- ذهبت النص بفهارس مفيدة ترشد إلى السور والأحاديث والأعلام معتمدا في ذلك على المفاتيح الحديثة المتبعة في فهرسة التراث الإسلامي.

التوصيات

هذا التفسير يحتاج إلى مزيد من العمل والتوجه، فإني عملت قدر استطاعتي لتكميل المتطلبات التعليمية ويمكن تلخيص تلك الأمور في النكت التالية:

١- التفسير على ترتيب النزول في السور ولكن المؤلف لم يتكلم على إفادة ذلك، فلو رتب التفسير حسب الترتيب للمصحفي لكان أحسن.

٢- إن نسخة إسلام آباد لإمام الرحمن أكثر شمولاً إلا أنها أيضاً فقدت بعض السور، فلو تحمل طالب آخر مسؤولية تكميلها لكان المشروع جامعاً وشاملاً.

٣- تارة يذكر الشيخ السندي تجاربه خلال تفسير الآيات وهي تكون بمثابة الجملة المعترضة فينبغي جمعها في موضع واحد للإفادة العامة.

وأخيراً ينبغي هناك إشارة إلى بعض الجوانب الهامة:

الأول أن هذا التفسير هو حصيلة الفكرة المبتكرة للشيخ السندي، فليس على طراز مكتب التفسير العامة، وهذا الأمر يؤدي حيناً لآخر إلى الإشكال في فهم المخطوط في مواضيع شتى.

الأمر الثاني أن لغة التفسير يشوبها أسلوب العجمة كثيراً، فبذلك يقع في العبارة التعقيد اللفظي الذي يسبب الغموض في التأليف التحوي للجمل وتارة إلى الأخطاء الجلية النحوية، وأكيداً يرجع هذا الأمر إلى النساخ، فإن الشيخ السندي قد كتب كتباً أخرى باللغة العربية، ولكنها معزول عن مثل هذه الأخطاء.

الأمر الثالث أني قمت بإصلاح العبارة وفق سنن اللغة العربية في مواضيع لا تخصني، ونهت في الحواشي إلى بعضها لا كلها، ونجست قدر استطاعتي أن يكون النص مثقلاً بالحواشي الكثيرة إلا ما كان ضرورياً.

ويبدو من مقابلة النسختين أن بينهما تطابقاً فالأجل ذلك يمكن القول بأنهما انتهقنا من أصل واحد. أنا حاولت قدر استطاعتي المقابلة بين النسختين ليخرج النص أكثر صحة ودقة، وخلال ذلك رجعت إلى كتب التفسير والحديث والكتب الأخرى، وبيئت في الحواشي ما هو بحاجة إلى التفسير.

ثم هناك نسخة أخرى من حيدر آباد باكستان ولكنها مشتملة على عدة سور فقط وغير قابل للقراءة لسقوط الماء عليها، وأكبر جزء منها مشتمل على سورة النساء ولكنها ليست في نطاق بحثي، فلم أستطع الاستفادة منها.

إني ركزت جهدي على تحقيق هذا المخطوط من المجلد الأول بدءاً من تفسير سورة العلق إلى نهاية سورة القيامة. وفي هذا القدر كانت هذه السور القرآنية داخلية في إطار التحقيق: ١- سورة العلق و٢- سورة الفاتحة و٣- سورة ن و٤- سورة المدثر و٥- سورة المزمل و٦- سورة الأعلى و٧- سورة الفاتحة و٨- سورة العصر و٩- سورة الحمزة و١٠- سورة الكوثر و١١- سورة التين و١٢- سورة العاديات و١٣- سورة التكاثر و١٤- سورة الماعون و١٥- سورة الكافرون و١٦- سورة النصر و١٧- سورة الليل و١٨- سورة الإخلاص و١٩- سورة الفلق و٢٠- سورة الناس و٢١- سورة القدر و٢٢- سورة البينة و٢٣- سورة الزلزال و٢٤- سورة القارعة و٢٥- سورة الفيل و٢٦- سورة قريش و٢٧- سورة الضحى و٢٨- سورة الانشراح و٢٩- سورة البلد و٣٠- سورة الليل و٣١- سورة الفجر و٣٢- سورة المجادلة و٣٣- سورة الجثر و٣٤- سورة الممتحنة و٣٥- سورة الصف و٣٦- سورة الممتحنة و٣٧- سورة الجمعة و٣٨- سورة المنافقون و٣٩- سورة التغابن و٤٠- سورة الطلاق و٤١- سورة التحريم و٤٢- سورة الملك و٤٣- سورة الحاقة و٤٤- سورة المعارج و٤٥- سورة نوح و٤٦- سورة الجن و٤٧- سورة القيامة. وهذا القدر المطلوب تحقيقه، يستغرق قرابة مئتين وستة وعشرين (٢٢٦) صفحة بمساحة صفحتين من أصل المخطوط في صفحة واحدة في التصوير الإلكتروني، ثم إنهما مشكون ضعفاً فتصير العدد أربع مائة واثنين وخمسين صفحة (٤٥٢) من أصل المخطوط، ولكن هذا القدر يتقلل باعتبار التنضيد الحاسوبي، فصفحة واحدة من الكتابة الإلكترونية استغرقت قدراً أكثر من صفحة للمخطوط، وهذا القدر علاوة على كتابة المقدمة المبسطة حول المخطوط وأحواله المفسر الشيخ السندي، والفكرة القرآنية عند الشيخ السندي وأسلوبه في تدبر القرآن على منوال الشيخ الشاه ولي الله الدهلوي وما إلى ذلك من اللوازم المطلوبة ذكرها في هذا التحقيق.

ثم هناك أمر لا بد من الإشارة إليه وهو أن تفسير بعض السور قد تكرر في المخطوط، فالباحث قد قام بجمعه واحداً تلو الآخر حتى يستفيد القارئ في موضع واحد، وهذا في تفسير سورة ن، وسورة الفاتحة، وسورة الفاتحة. ثم إن التفسير ورد فيه كثير من الفقرات والجمل باللغة الأردية فقد ترجمت هذه الأمور باللغة العربية.

وأخيراً أدعو الله سبحانه وتعالى أن وفقني لإنجاز هذا العمل.

فهرس المراجع

١. https://books.google.com.pk/books?id=IThDDwAAQBAJ&pg=PA999&source=gbv_toc_r&cad=3#v=onepage&q&f=false
٢. الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (م ١٩١١)، ت، محمد أبو الفضل إبراهيم، النسخ السابغ والأربعون: في ناسخه ومنتسوخه (المبعة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤ع).
٣. إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء، الشاه ولي الله الدهلوي، ت، تقى الدين الندوي (دمشق: دار القلم، ٢٠١٣ع).
٤. إظهار الحق، رحمت الله بن خليل الرحمن الكيراني العثماني الهندي، (الرياض: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ١٩٨٩ع).
٥. أوجز المسالك إلى موطأ مالك، محمد زكريا الكاندهلوي، ت، تقى الدين الندوي (بيروت: دار القلم، ٢٠٠٣ع).
٦. أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، جمال الدين عبد الله بن يوسف ابن هشام، ت، يوسف الشيخ محمد البقاعي (بيروت: دار الفكر، س ن).
٧. تأويل القرآن العظيم: أنوار التنزيل وحقائق التأويل، محمد أمين شيخو، جمع وتحقيق: الأستاذ الحلبي عبد القادر يحيى الشهير بالديراني.
٨. التحرير والتجويز، محمد الطاهر بن عاشور، (بيروت: مؤسسة التاريخ، ط ١، س ن).
٩. تذكرة الحفاظ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (٧٤٨هـ)، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٨ع).
١٠. تعبیر کی غلطی، وحید الدین خان، (نئی دہلی: مکتبۃ الرسالہ، ١٩٩٥ع).
١١. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر كثر، (بيروت: دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٩٩٩ع).
١٢. تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، محمد بن محمد بن محمود أبو منصور الماتريدي (م ٣٣٣هـ)، ت، مجدي ياسلوم (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٥ع).

١٣. تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان، عبد الحميد القرامي، تفسير سورة الفيل (أعظم كره: الدائرة الحميدية، ٢٠٠٨هـ).
١٤. التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري، (دمشق: دار النوادر، ٢٠٠٨هـ).
١٥. جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (م ٣١٠هـ)، ت، أحمد محمد شاكر (بيروت: مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٠هـ).
١٦. الجامع الكبير - سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، ت، بشير عواد معروف (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٨هـ).
١٧. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، (القاهرة: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ).
١٨. حجة الله البالغة، أحمد بن عبد الرحيم الشاه ولي الله الدهلوي، (بيروت: دار الجيل، ٢٠٠٥هـ).
١٩. رحمة يميني، محمد نافع، (لاهور: مكه بگس، س ن).
٢٠. الرسالة، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل الشافعي (٢٠٤هـ)، ت، أحمد شاكر (مصر: مكتبة الحلبي، ١٩٤٠هـ).
٢١. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ).
٢٢. سنن ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجه، (المتوفى: ٢٧٣هـ)، ت، محمد فؤاد عبد الباقي (دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى الحلبي).

۲۳. سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني (المتوفى: ۲۷۵هـ)، ت، محمد محيي الدين عبد الحميد (بيروت: المكتبة العصرية، صيدا).
۲۴. السنن الكبرى، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ۳۰۳هـ)، تخریج، حسن عبد المنعم شلبي (بيروت: مؤسسة الرسالة، ۲۰۰۱ء).
۲۵. شاه ولی اللہ کی تعلیم، غلام حسین جلبانی، (لاہور: سندھ ساگر اکیڈمی، ۲۰۱۷ء).
۲۶. صحیح السیرۃ النبویۃ المسماة السیرۃ الذهبیة، محمد بن رزق بن طرهوني، (القاهرة: مكتبة ابن تيمية، ۱۴۱۴هـ).
۲۷. صحیح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، ت، محمد فؤاد عبد الباقي (بيروت: دار إحياء التراث العربي).
۲۸. عمر حاضر میں دین کی تفہیم و تشریح، أبو الحسن علي الحسيني الندوي، (کراچی: مجلس نشریات اسلام، س ن).
۲۹. فتاویٰ اللجنة الدائمة للبحوث العلمیة والإفتاء، أحمد بن عبدالرزاق الدويش، (الرياض: دار العاصمة للنشر والتوزيع).
۳۰. فتح الباری شرح صحیح البخاری، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، (بيروت: دار المعرفة، ۱۳۷۹هـ).
۳۱. فتح القدیر، محمد بن علي الشوكاني اليمني، (بيروت: دار ابن كثير، ۱۴۱۴هـ).
۳۲. الفوز الكبير في أصول التفسير، الشاه ولي الله الدهلوي، (کراچی: بیت العلم، ۲۰۰۶ء).
۳۳. القاموس الوحيد، وحید الزمان قاسمي کیرانوي، (لاہور: ادارہ اسلامیات، ۲۰۰۱ء).
۳۴. قرآن کی چار بنیادی اصطلاحیں، أبو الأعلى المودودي، (لاہور: اسلامک پبلیکیشنز، ۲۰۰۰ء).

٣٥. قرآن شعور انقلاب، عبيد الله السندي، جمعه و رتبته، بشير أحمد لدهيانوي و خبدا
بتش، راجعه، عبد الغني القاسمي (لاهور: مكى دار الكتب، ١٩٩٩ء).
٣٦. الكثر الجليل في تفسير الإنجيل ، ولهم إدي، (بيروت: مجمع الكنائس في الشرق
الأحق، ١٩٧٣ء).
٣٧. لسان العرب ، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور
الأنصاري الرويفي الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ)، (بيروت : دار صادر، ١٤١٤هـ).
٣٨. مدرس حالي ، الطاف حسين حالي، (لاهور: تاج كينش ليدز).
٣٩. مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد
الشماني (المتوفى: ٢٤١هـ)، ت، شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون (بيروت: مؤسسة
الرسالة، ٢٠٠١ء).
٤٠. المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار،
(إستانبول: دار الدعوة، ١٩٨٩هـ).
٤١. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى:
٣٩٥هـ)، ت، عبد السلام محمد هارون (دار الفكر، ١٩٧٩هـ).
٤٢. المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج ، محي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف
التنوي، (الأزهر: المطبعة المصرية، ١٩٢٩ء).
٤٣. الموطأ، مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (المتوفى: ١٧٩هـ) ، ت،
محمد مصطفى الأعظمي (أبو ظبي - الإمارات: مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال
الخيرية والإنسانية، ٢٠٠٤ء).

فهرس الأحاديث

الرقم	الأحاديث	التخريج	الصفحة
١	ألا إن في الجسد مضغة	صحيح البخاري	١٦٩
٢	إن الله خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة	صحيح البخاري، مسند أحمد، سنن ابن ماجه	٤٩
٣	إن النبي ﷺ رأى في منامه أن عيسى بن مريم يطوف بهذا البيت ويطوف خلفه المسيح الدجال	متفق عليه	١٨٤
٤	أن أول شيء نزل من القرآن يا أيها المدثر "، قال جابر: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " جاورت بحراء...	السنن الكبرى للنسائي	٨١
٥	إن موسى كان رجلاً حليماً ستيلاً...	صحيح البخاري	٢٥١
٦	إنما أنا لكم بمنزلة الوالد	سنن أبي داود	١٤٩
٧	أنه كما يصعد على جبل ويريد أن يلقي نفسه منه	صحيح البخاري	١٩٠
٨	حفظت من رسول الله ﷺ وعاءين	صحيح البخاري	٦٥
٩	فإنك إن لا تراه فإنه يراك	صحيح مسلم	٢١٧
١٠	قال النبي ﷺ حين احتضر ابتوني بدواة أكتب لكم كتاباً	صحيح البخاري	١٢٦
١١	لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده	صحيح البخاري	١٥٦
١٢	لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه.	متفق عليه	٦٢
١٣	لو غير أثار قلبي، يعرض بابني عفرات	صحيح مسلم	٤٢
١٤	لي خمسة أسماء: أبا محمد، وأحمد وأنا للملحي	صحيح البخاري	٧٥
١٥	ليس الغنى عمن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس	صحيح مسلم، سنن الترمذي	١٩١

٤٣	صحيح البخاري	مثل المسلمين واليهود والنصارى، كمثل رجل استأجر قوما	١٦
----	--------------	--	----

فهرس الأعلام المترجم لهم

رقم	الاسم	الصفحة
١	أبو الحسن الأشعري	٣٣١
٢	أبو سلمان شاه جهان فوري	١١
٣	أجل خان الحكيم	٢٦٩
٤	أحمد بن علي الشافعي المصقلاني	٩٩
٥	أحمد حسن الحنفي الكافوري	٨
٦	أحمد علي اللاهوري	١٠
٧	إسماعيل بن عبد الغني ابن ولي الله الدهلوي	٨
٨	حميرت الموهاني	٢٦٨
٩	رشيد أحمد بن هداية أحمد بن بير بخش الرامپوري الكنكوهي	٢٦٧
١٠	رفيع الدين عبد الوهاب بن ولي الدهلوي	٤٥
١١	زاهد الراشدي	١١
١٢	السيد أحمد بن المتقي الدهلوي المعروف بسيد أحمد خان	١٧٤
١٣	شوكت علي	٢٦٩
١٤	عبد الباري قيرانجي ماهالي	٢٦٩
١٥	عبد الحق خان بشير	١١
١٦	عبد الحميد السواني	١١
١٧	عبد القادر الجيلاني	٣١
١٨	عبيد الله السلفي البائلي	٨
١٩	قاسم بن اسد علي النانوتوي	١١٦
٢٠	محمود حسن	٢٦٩
٢١	موسى بجار الله	١٠
٢٢	نجيب بن شرف النووي	٩٩

فهرس الموضوعات

الرقم	الموضوع	الصفحة
١	كلمة الشكر والتقدير	٣
٢	مقدمة التحقيق	٥
٣	سورة العلق	٢٩
٤	سورة العلق	٣٥
٥	سورة الفاتحة	٤٣
٦	سورة الفاتحة	٤٦
٧	سورة ن	٥٨
٨	سورة ن	٦٥
٩	سورة المدثر	٧٥
١٠	سورة المدثر	٨١
١١	سورة المزمل	٩٠
١٢	سورة المزمل	٩٨
١٣	سورة الأعلى	١٠٨
١٤	سورة الغاشية	١١٣
١٥	سورة الغاشية	١١٩
١٦	سورة الروم	١٢٢
١٧	سورة البقرة	١٢٦
١٨	سورة العصر	١٤٢
١٩	سورة الحمزة	١٤٦
٢٠	سورة الكوثر	١٤٨
٢١	سورة النين	١٥٢
٢٢	سورة العاديات	١٥٦
٢٣	سورة التكاثر	١٥٨
٢٤	سورة الماعون	١٥٩
٢٥	سورة الكافرون	١٦٠
٢٦	سورة النصر	١٦٢

١٦٣	سورة الذهب	٢٣
١٦٥	سورة الإخلاص	٢٤
١٦٦	سورة الفلق	٢٥
١٦٨	سورة الفاس	٢٦
١٧١	سورة القدر	٢٧
١٧٨	سورة البينة	٢٨
١٧٩	سورة الزلزال	٢٩
١٨٠	سورة القارعة	٣٠
١٨٧	سورة الفيل	٣١
١٨٩	سورة قريش	٣٢
١٩٠	سورة الضحى	٣٣
١٩٣	سورة الانشراح	٣٤
١٩٥	سورة الأعلى	٣٥
٢٠٣	سورة البلد	٣٦
٢٠٦	سورة الشمس	٣٧
٢١٠	سورة الليل	٣٨
٢١٤	سورة الفجر	٣٩
٢١٩	سورة المجادلة	٤٠
٢٢٦	سورة الحشر	٤١
٢٤٣	سورة الممتحنة	٤٢
٢٤٩	سورة الصف	٤٣
٢٦٦	سورة الجمعة	٤٤
٢٧٧	سورة المنافقون	٤٥
٢٨١	سورة التغابن	٤٦
٢٨٥	سورة الطلاق	٤٧
٢٨٨	سورة التحريم	٤٨
٢٩٣	سورة الملك	٤٩
٣٠٠	سورة الحاقة	٥٠

٣٠٧	سورة المعارج	٥١
٣١٤	سورة نوح	٥٢
٣٢١	سورة الجن	٥٣
٣٢٩	سورة القيامة	٥٤
٣٣٧	الخاتمة في النتائج والتوصيات	٥٥
٣٣٧	نتائج البحث	٥٦
٣٣٨	التوصيات	٥٧
٣٤٠	فهرس للمراجع	٥٨
٣٤٤	فهرس الأحاديث	٥٩
٣٤٦	فهرس الأعلام المترجم لهم	٦٠
٣٤٧	فهرس الموضوعات	٦١